BP
175
.J5
.I174
v.2
c.1

BOBST LIBRARY
3 1142 03184 9410

Ex-*Libris*

Edmond DOUTTÉ

NEW YORK UNIVERSITY
PERSTARE ET PRÆSTARE
MDCCCXXXI

NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY

FD.37,2

ABU ABDALLAH MOHAMMED BEN MOHAMMED BEN MOH EL ABADRI dit IBN EL HAJJ

041/

vol 2

Mtaḥ el madḥel
Livre de introduction

Imp Aamira
Caire
1320

FD 37,2
a135
Ibn al-Hājj al-'Abdarī
al-MadKhal
OHL

﴿ الجزء الثانى ﴾

من كتاب المدخل للعارف

بربه سيدى محمد العبدرى

الشهير بابن الحاج

نفعنا الله به

آمين

V.2

﴿ طبع على نفقة حضرة مصطفى أفندى فهمى
الكتبى وشريكيه ﴾

﴿ بالمطبعة العامرة الشرفيه سنة ١٣٢٠ ﴾
﴿ هجريه على صاحبها أفضل ﴾
﴿ الصلاة وأزكى التحيه ﴾

Near East
BP
175
J5
I174
v.2
c.1

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فصل في ذكر آداب المتعلم﴾ قد تقدم رحمنا الله تعالى وإياك ذكر بعض آداب العالم وفي ذكره غنية عن ذكر آداب المتعلم إذ أن الغالب فيما ذكر اشتراكهما في ذلك (لكن) قد يختص المتعلم ببعض نبذ يسيرة ينبغي التنبيه عليها (وقد) تقدم في العالم أن تكون نيته في التعليم لله تعالى وأن يظهر الحق على نفسه وعلى غيره على ما تقدم ذكره (ثم) هو في حق المتعلم آكد لأنه في أول أمره متصف بالجهل فيحرص على تخليص نيته من الشوائب في نفسه وهو أن يقصد بذلك وجه الله تعالى لا لأجل أن يرتفع قدره عند الناس أو يعرف بالعلم أو المعلوم يأخذ به أو لأن يرأس به على الجهال أو لأن يشار إليه أو لأن يسمع قوله إلى غير ذلك من الحظوظ المذمومة شرعا التي تخرجه عن أن يكون لله تعالى بل يفعل ذلك خالصا لوجه الله عز وجل لا يريد غير ذلك (ألا ترى) إلى ما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام إخبارا عن ربه عز وجل حيث يقول سبحانه وتعالى لمن أنصف بعض ما ذكر أنا أغنى الشركاء اذهب فخذ أجرك من غيري (ولا) تختلف العلماء أن العلم أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله عز وجل وإذا كان أفضل الأعمال فينبغي تخليصه لله تعالى فيبتدئ أولا بالإخلاص المحض حتى يكون الأصل طيبا فتأتي الفروع على هذا الأصل الطيب فيرجى خيره وتكثر بركته والقليل من العلم مع حسن النية فيه أنفع وأعظم بركة من الكثير منه مع ترك المبالاة بالإخلاص فيه (ومن مراقي الزلفى للقاضي أبي بكر بن العربي رحمه الله تعالى) قال بعض السلف من طلب العلم لوجه الله لم يزل معانا ومن طلبه لغير الله لم يزل مهانا اهـ (هذا) إذا كان هو الداخل بنفسه لطلب العلم فإن كان وليه هو الذي يرشده لذلك فينبغي على الولي أن يعلمه النية فيه وليحذر أن يرشده لطلب العلم بسبب أن يرأس به أو يأخذ معلوما عليه إلى غير ذلك مما تقدم ذكره فإن هذا مما قاتل يخرج العلم عن أن يكون لله تعالى بل يقرأ ويجتهد لله تعالى خالصا كما تقدم ذكره فإن جاء شيء من غير الله تعالى قبله على سبيل أنه فتوح من الله تعالى ساقه الله إليه لا لأجل احارة أو مقابلة على ما هو

يصدده

بصدده اذ أن أعمال الآخرة لا يؤخذ عليها عوض (وقد) روى ان يحيى بن يحيى راوى الموطأ لما ان جاء الى مالك ليقرأ عليه فقال له مالك اجتهد يا بنى فانه قد جاء شاب فى سنك فقرأ على ربيعة فما كان الا أيام وتوفى الشاب فحضر جنازته علماء المدينة ولحده ربيعة بيده ثم رآه بعد ذلك بعض علماء المدينة فى النوم وهو فى حالة حسنة فسأله عن حاله فقال غفر الله لى وقال للملائكة هذا عبدى فلان كانت نيته ان يبلغ درجة العلماء فبلغوه درجتهم فأنا معهم أنتظر ما ينتظرون قال ففلت وما ينتظرون قال الشفاعة يوم القيامة فى العصاة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (واذا كان) ذلك كذلك فينبغى له أن لا يسعى لطلب المعلوم ولا فى زيادته ولا فى تنزيله فى المدارس ولا فى الوقوف على أبواب من يرجى ذلك منهم فان فعل شيئا مما ذكر كان ذلك قدحا فى نيته ووقع عليه الذم بنص كتاب الله تعالى حيث يقول سبحانه يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون (ولا) يخرج من المدرسة الى غيرها ولا من المسجد الى غيره الا لفائدة من زيادة العلم اما الأن يكون مدرس المدرسة الاخرى أعلم أو أفيد أو أصلح من الاول أو لان تتكرر عليه مسائل العلم وتثبت وان كان الثانى أقل علما من الاول لا لاجل معلوم فانه اذا فعل غير ما ذكر كان قدحا فى نيته كما تقدم والمبتدى يحتاج الى تخليص نيته أكثر من المنتهى لان المنتهى عارف بالدسائس التى تدخل عليه ان حصل له التوفيق له بخلاف المبتدى (واذا) كان ذلك كذلك فلا يضره أخذ المعلوم مع اشتغاله بالعلم لوجه الله تعالى على ما سبق (اللهم) الا ان لا يقدر على تخليص نيته لله تعالى لبقاء تعلق خاطره بالاسباب و بأخذ المعلوم فان كان كذلك فترك التعلم والتعليم أولى به لانه ان فعل ذلك وقع فى بحر مخوف والغالب فيه العطب (لما) ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث يقول من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام أو كما قال عليه الصلاة والسلام وقد تقدم ان أفضل الاعمال بعد الايمان بالله تعالى تعلم العلم فيخاف عليه فتركه أولى به فان اضطر الى مسئلة فليسأل عنها أهل العلم وحينئذ يقدم عليها (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى اذا علمت علما فليرى عليك أثره وسمته وسكينته ووقاره وحلمه لقوله عليه الصلاة والسلام العلماء ورثة الانبياء ومن ابن يونس وذكر أيضا عن مالك انه قال لم يكونوا يهذرون الكلام هكذا ومن الناس من يتكلم بكلام شهر فى ساعة واحدة (ولا) حجة لاحد فى قول من قال من العلماء طلبنا العلم لغير الله تعالى فأبى العلم ان يكون الا لله (والجواب) عنه من وجهين (أحدهما) وهو الظاهر انه كان أولا جاهلا لا يعرف ما يلزمه من الوظائف الشرعية فلما ان قرأ العلم وجد قواعده مأشية على خمسة أقسام واجب ومندوب ومباح ومكروه ومحرم فلما ان علم الواجب لم يسعه الا فعله وكذلك المحرم عكسه والمندوب ماله فى فعله ثواب وليس عليه فى تركه عقاب والمكروه ضده والمباح ما استوى طرفاه فالمكلف مخير فى فعله وفى تركه فاتبع العلم وباتباعه صار لله تعالى لان نيته كانت محرمة عليه أولا فوجد العلم عنه مفتركها وقد نقل معنى هذا القاضى أبو بكر بن العربى رحمه الله تعالى فى مراقى الزلفى له فقال قال بعض العلماء العلم من الله والعمل لله وان الرجل ليطلب العلم لغير الله فيرده العلم الى الله فان العلم يأبى ان يكون الا لله اه هذا وجه (الوجه الثانى) ان هذا انسان غر فسلم ولا يمكن لعاقل ان يغر بنفسه ويرجو أن يسلم (فان) قال قائل قد تدعو الضرورة وهو الغالب الى طلب المعلوم والى الجمع بين مدارس جمة لاجل قيام البنية وضرورات البشرية (فالجواب) ان هذا الباب منه وقع الخلل ورجعت أعمال الآخرة لمجرد الدنيا وهو عطب عظيم اذ أن الدنيا لا تطلب بعمل الآخرة (واذا كان) ذلك كذلك فلا يخلو طالب العلم

من أحد أمرين اما ان يكون قوياً في دينه واثقا بربه أو لا يكون كذلك (فان) كان الاول فاشتغاله بالعلم واقباله عليه أولى به من أن يدور على المدارس أو غيرها لان الله تعالى قد تكفل برزقه خصوصا كما تقدم (فان) احتج محتج بقوله تعالى فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه فجعل المشي سببا للرزق (فالجواب) انك اذا نظرت الى تمام الآية من قوله تعالى واليه النشور بان لك ان آخر الآية الكريمة فيه التنبيه للمتسببين على التحفظ فيما يحاولونه من الاسباب كلها اذ أن يوم النشور فيه الحساب ففي ذلك اشارة الى الورع في السبب خيفة من الحساب والمناقشة يوم النشور ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه اه (وقد) ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير في جو السماء تغدو خماصا وتروح بطانا اه فأرشدنا صلى الله عليه وسلم بقوله هذا الى ترك الاسباب الدنيوية والاشتغال بالاعمال الاخروية ثقة بالله تعالى وبكفايته فانه العليم الخبير الكريم (فان) احتج محتج بقول من غلب عليه الشغف بالاسباب فقال طيران الطائر سبب في رزقه (فالجواب) ان طيران الطائر في الهواء لا يماثل التسبب في الرزق لان الهواء ليس فيه حب يلتقط ولا جهة تقصد (الا ترى) أنه ينزل في مواضع شتى ليس فيها شئ ولا عقل له يدرك به فدل على ان طيرانه في الهواء ليس هو من باب طلب الرزق وانما هو من باب حركة يدا لمرتعش لا حكم لها فيتردد في الهواء حتى يؤتى برزقه اليه أو يؤتى به الى رزقه وهذا الذي يتعين حمل طيران الطائر عليه أعني في أنه لا حكم له في الرزق ولا ينسب اليه لان النبي صلى الله عليه وسلم سماه متوكلا مع طيرانه ولذلك مثل به والعاقل المكلف أولى بالتوكل منه سيما من دخل في باب الاشتغال بأفضل الاعمال بعد الايمان بالله تعالى وهو طلب العلم كما تقدم (وان) كان من القسم الثاني وهو العاجز عن التوكل لعدم قوة اليقين عنده فالاسباب عليه متسعة فيتسبب في شئ يستعين به على طلب العلم وهو أولى به بل أوجب من أن يأخذ أو ساخ الناس يستعين بها على طلب العلم الشريف ويكفيه مع ذلك القليل من العلم وقد يبارك له فيه فيصير كثيرا وعلى هذا كان حال السلف رضوان الله عليهم أجمعين في كونهم لم يكن لهم معلوم على سبب من اسباب الآخرة وانما حدثت الارزاق على أعمال الآخرة بعد ذلك ومنه دخل الفساد على كثير ممن تعاطى أسباب الآخرة (ومن) كتاب سير السلف للحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهاني رحمه الله تعالى قال ذو النون المصري رحمه الله كان الرجل من أهل العلم يزداد بعلمه بغضا للدنيا وتركا لها فاليوم يزداد الرجل بعلمه للدنيا حبا وارطاطا وكان الرجل ينفق ماله على العلم واليوم يكتسب الرجل بعلمه مالا وكان يرى على طالب العلم زيادة في باطنه وظاهره فاليوم نرى على كثير من أهل العلم فساد الباطن والظاهر انتهى (فان) قال قائل انه لم يمكن طالب العلم التسبب في الصنائع لانه قد يخرج به عن سمته ووقاره وزيه (فالجواب) ان هذا أيضا من البدع التي أحدثت لان السلف رضوان الله عليهم أجمعين لم يكن عندهم فرق في الزي ولا الملبس لفقيه ولا لغيره ومن كتاب القوت قال علي رضي الله عنه ان الله أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره (وعوتب) رضي الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من الكرابيس قيمة قميصه ثلاثة دراهم الى خمسة ويقطع ما فضل عن أطراف أصابعه فقال هذا أدنى الى التواضع وأجدر أن يقتدي به المسلمون (ونهى) رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ألا ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين (وقال) بعض العلماء من رق ثوبه رق دينه (وروى)

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يأكلون ألوان الطعام
و يلبسون ألوان الثياب و يتشدقون في الكلام اه (ألا ترى) الى قصة عمر بن الخطاب رضي الله
عنه في ثوبه الذي كان فيه احدى عشرة رقعة احداها من أديم هذا وهو أمير المؤمنين فما بالك بغيره
(فان) قال قائل كان ذلك في زمان لائق بهم وهذا زمان لا يليق به ماذكرتم (فالجواب) ان الزمانين
بالنسبة الى الشريعة المطهرة سواء اذ أن الكل عمهم الخطاب وتساواتهم الاحكام الشرعية كما تقدم
وقد تجد كثيرا من أهل هذا الزمان متصفا بتلك الاوصاف الجليلة شرعا أو بجاها وقد مضت حكاية
الشيخ الجليل ابن عبد السلام رحمة الله عليه في تواضعه في تصرفه وكذلك حكاية الشيخ الجليل المعروف
بالزيات رحمه الله وما جرى له وكان من أكابر العلماء الصلحاء في وقته وفي هذا الوقت ببلاد المغرب بعض
العلماء اذا جاس الى الدرس يجتمع له نحو من أربعمائة أو ستمائة من الفقهاء يحضرون عليه فاذا
فرغ من مجلسه قام ودخل بيته وأخرج ما يحتاج اليه على رأسه أو في يده من قمح بطحنه أو عجين يخبزه
أو شراء خضرة أو حاجة من السوق أو حصاد لزرعه بيده أو غسل ثياب الى غير ذلك من الحوائج وله
من الهيبة بحيث لا يتجاسر أحد من الطلبة أو غيرهم أن يحلف عليه فالخير والحمد لله باق لمن أراده
وتحصيله ممكن وانما بقي التوفيق فمن وفق وترك العوائد الرديئة والطبائع النفسانية فقد أرشد
وجاءه العون قال عليه الصلاة والسلام لا تزال هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى
يأتي أمر الله وفي رواية أخرى طائفة بالمغرب اه مع ما ورد من قوله عليه الصلاة والسلام أمتي مثل
المطر لا يدرى أيه أنفع أوله أو آخره أو كما قال عليه الصلاة والسلام فلا يقطع المرء المسلم الاياس من
هذا الخير العظيم فانه والحمد لله باق الى يوم القيامة بفضل الله تعالى وكرمه وقد رأيت و باشرت
بعض طلبة العلم بالمغرب يأخذون المساحاة و يأتون الى موقف البنائين فان حصل لهم سبب مشوا فيه
يومهم ذلك والا رجعوا الى الدرس والاشتغال الى غير ذلك مما قد يطول ذكره (فالحاصل) من هذا
أن يدخل المتعلم الى تعلم العلم بجد واجتهاد وحسن نية وترك الالتفات الى العوارض والاسباب
والعوائد التي انتحلت في هذا الزمان وهو مخير في الاسباب الشرعية هل يقدم عليها أو يتركها ثقة
بربه عز وجل كما سبق (وقد) تقدم في العالم أن من صفاته التواضع لمن يعلمه واذا كان ذلك مطلوبا
في العالم فمن باب أولى في المتعلم المحتاج الى التعليم فينبغي له أن يكون تواضعه أكثر حتى لو صار
أرضا توطأ كان قليلا بالنسبة الى ما هو يطلبه ولان التواضع يقبل بالقلوب عليه و ينشط من يعلمه
لتعليمه وارشاده والتواضع أصل كل خير و بركة كل شئ فاذا اتصف المتعلم بما ذكر انتفت عنه هذه
المفاسد التي عمت بها البلوى في الوقت من نظر بعضهم لبعض في المعلوم وقول بعضهم كيف يأخذ فلان
كذا وكذا وأنا أكثر منه بحثا وقد حفظت الكتاب الفلاني والكتاب الفلاني و يقع بسبب ذلك بينهم
شنآن واتصاف بالحسد وما شاكله وخرج ذلك الى باب الاسباب الدنيوية و وقعوا بسببه في الوعيد
الذي تقدم في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من عمل من هذه الاعمال الخ أسأل الله السلامة بمنه
والغالب ان المتعلم لا يتصف بما ذكر من الاخلاق الحميدة الا أن يبني أمره على أصل صحيح اذ أن البناء
اذا طلع على غير أصل لا ينتفع به فلا بد من أساس صحيح جيد يعمل ثم بعد ذلك يبنى عليه والاساس
الذي يحتاج اليه المبتدي في هذا الفن اتباع السلف رضوان الله عليهم أجمعين فيما أخذ بسبيله وكانت
أحوالهم رضي الله عنهم الهرب من الدنيا وأسبابها فان فتح عليهم بشئ منها قالوا ذنب عجلت عقوبته وان
أصابهم ضيق مروا بذلك وفرحوا به وكان ذلك غنيمتهم ولاجل ذلك حملهم الله أئمة يقتدى بهم و يرجع

الى أقوالهم وأحوالهم (وقد) أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ما معناه يا موسى اذا رأيت الدنيا أقبلت فقل ذنب عجلت عقوبته واذا رأيتها أدبرت فقل أهلا بشعار الصالحين (وقد دعا) موسى عليه الصلاة والسلام وطلب من ربه أن يغنيه عن الناس فأوحى الله تعالى اليه يا موسى أما تريد أن أعتق غدا ثلثك رقبة من النار وبعشائك رقبة من النار قال بلى يا رب قال هو كذلك أو كما قال فكان موسى عليه الصلاة والسلام يتغدى عند رجل من بني اسرائيل ويتعشى عند آخر وكان ذلك رفعة في حقه انعدى النفع الى عتق من من الله عليه بعتق رقبته من النار (فان) قال قائل قد كان في السلف رضوان الله عليهم أكابر لهم أموال وأسباب (فالجواب) أن اتخاذهم الاموال والعمل على الاسباب لا يمنع اذا دخل فيها على ما كان عليه السلف رضي الله عنهم في عدم تعلق القلب بها اذ أنهم كانوا فيها سواء أقبلت أو أدبرت فان أقبلت قابلوها بالايثار والبذل لله وان أدبرت قابلوها بالصبر والرضا والتسليم لمن الامر بيده وهمتهم وبغيتهم انما كان تحصيل زادهم لمعادهم في الفقر والغنى والحركة والسكون (وقد كان) سيدي أبو محمد المرجاني رحمه الله يقول هذه الحالة اختص بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عجز غيرهم عنها اه يعني في الغالب فقل أن تجد من اشتغل بأحد الشئين الا اضر بالآخر يعني من اشتغل بالدنيا أضر بالآخرة ومن اشتغل بالآخرة أضر بالدنيا (وقد) قال بعضهم وجملة بين الحالتين عجيبة فاذا اتصف الطالب بهذه الصفات المتقدم ذكرها لم يبق عنده التفات لمن زيد لهم في المعلوم أو نقص (وكذلك) يتساوى عنده مواضع الجلوس في الارتفاع والانخفاض كل ذلك عنده سواء حيث أجلسه الله جلس وما ساقه الله اليه رضيه وشكره وما منعه منه جده على ذلك ورآه من ربه عز وجل عطاء (فاذا) تقرر هذا من حاله انتفت عنه الشوائب المذمومة وبقي العلم خالصا لوجه الله تعالى واذا صار العلم كذلك وصحبه العمل به جاءه ميراثه العاجل وهو الخشية قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء واذا حصلت الخشية قوى الرجاء في القبول وانه ماش على منهاج السلامة والغنيمة فيما أخذ بسبيله وعكس هذا الحال في النقيض والعياذ بالله فمن أراد السلامة فلينسج على منوال من مضى فالخير بحذافيره في الاقتداء بهم وبأحوالهم في القليل والكثير نسأل الله الكريم من فضله أن يمن علينا بما من به عليهم فانه أهل لذلك والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم (واصل) ما ينبغي عليه في تعليمه وهو آكد من كل ما ذكر تقوى الله تعالى فان الله عز وجل يقول في كتابه العزيز واتقوا الله ويعلمكم الله فاذا اتصف المتعلم بالتقوى كان الله عز وجل معلمه وهاديه ومن كان الله تعالى معلمه وهاديه فلا تسأل عن حاله قال الله تعالى في كتابه العزيز فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وهذا لفظ عام فقد يحصل للمتعلم نفائس من المسائل لا تؤخذ بالدرس ولا بالشيوخ لاجل ما حصل من قوله ويعلمكم الله (وآكد) ما عليه في التقوى اجتناب المحارم لقوله عليه الصلاة والسلام اتق المحارم تكن أعبد الناس وقوله عليه الصلاة والسلام وما نهيتكم عنه فلا تقربوا فاذا اتصف بهذه الصفة كان أعبد الناس وان لم يكن له كثير من العمل (ومن) آكد الامور عليه تخليص ذمته من اخوانه وجلسائه ومعارفه وغيرهم اذ تخليص الذمة هو المطلوب والمقصود الاعظم فاحذر من هذين الامرين الخطرين اللذين قد عمت بهما البلوى لكثرة وقوعهما على الالسن وهما الغيبة والنميمة فالنميمة ان تنقل حديث قوم الى آخرين والغيبة أن تقول في غيبة الشخص ما يكرهه وان كان حقا وأما ان كان ذلك القول باطلا فهو البهتان بعينه (الا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع أي بلد هذا الى أن قال فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا

فى شهركم هذا ويتلقون ربكم ويسألكم عن أعمالكم الى أن قال ألا هل بلغت مرتين أو ثلاثا فأكد الامر فى الثلاث كما ترى (والناس) فى ذلك منقسمون على أربعة أقسام لاخامس لها (القسم الاول) السالم من الجميع أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده والسابقون السابقون أولئك المقربون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون (القسم الثانى) عكس الاول وهو من كانت له القدرة والجدة وواقع الجميع أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون أسأل الله السلامة بمنه (القسم الثالث) من عجز عن سفك الدماء وكانت له القدرة على أخذ الاموال الرقيعة فى الاعراض وواقعهما معا فقد لحقه الاثم فى فعله والتحق بالاول بنيته اذ لولا عجزه عنه لفعله (القسم الرابع) من عجز عن الدماء وأخذ الاموال ووقع فى الاعراض لقدرته عليها فيكون آثما فى الثالث لفعله له ملحقا باصحاب الدماء والاموال بنيته لقوله عليه الصلاة والسلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قالوا يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه اه (واذا) كان ذلك كذلك فيكون عنوان الصدق فيمن ادعى الورع عن الدماء والاموال استعفافه عن الاعراض فان استعف عنها كان دليلا على صدقه فى ترك الفعلين المتقدمين وان تعاطى الثالث أو بعضه كان ذلك دليلا على كذبه فى الاول والثانى فيخاف عليه أن يلحق بهما أسأل الله السلامة بمنه (واعلم) أن غيبة كل انسان بحسب حاله قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله غيبة الصالحين فى ثلاث منها أن يذكر شخص بين أيديهم فيقولون اللهم تب عليه وكذلك يقولون بسبب غيرتهم فى الدين يقولون فلان فعل كذا وكذا على سبيل الغيرة منهم فى دين الله تعالى وكذلك شفقتهم ورحمتهم على بعض الناس فيقولون مسكين فلان واقع كذا وكذا مما يكره ذكره المقول فيه فاذا تقرر هذا وعلم فيحتاج العالم والمتعلم أن يكونا متيقظين لهذه الامور وماشاكلها ويتحفظان منها اذ أن يتحفظهما يتحفظ كل من رآهما أو علم حالهما لانهما قدوة للمهتدين

﴿فصل فى أوراد طالب العلم﴾ وينبغى له أن لا يخلى نفسه من العبادات وأن يكون له ورد من كل شئ منها اذ أنها سبب الاعانة على ما أخذ بسبيله لقوله عليه الصلاة والسلام واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة انتهى وما يستعان به لا يترك (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك لحكمة الشرع فى قوله عليه الصلاة والسلام واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدلجة فهما لطرفين وجعل من الثالث جزأ والغدوة هو ما كان من طلوع الشمس الى الزوال والروحة ما كان من الزوال الى الغروب والمكلف لا يخلو حاله من أحد أمرين اما أن يشتغل فى غدوته أو فى روحته بشئ من أعمال الآخرة أو بشئ من أسباب الدنيا (فان) كان من أعمال الآخرة فهى الاستعانة الحقيقية (لقصة) معاذ بن جبل وأبى موسى الاشعرى رضى الله عنهما لما أن بعثهما النبى صلى الله عليه وسلم الى اليمن يعلمان الناس الدين فافترقا لذلك ثم اجتمعا فقال أحدهما للآخر كيف تقرأ القرآن قال أقرؤه قائما وقاعدا ومضطجعا وأفوقه تفويقا ولا أنام وقال معاذ رضى الله عنه أما أنا فأقوم وأنام وأحتسب نومتى كما أحتسب قومتى فلم يسلم أحدهما للآخر حتى أتيا الى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لابى موسى الاشعرى رضى الله عنه هو أفقه منك يبنى معاذا الذى كان يحتسب نومه كقيامه لكن هذا بشرط يشترط فيه وهو أن يكون ما شاء على منهاجهم فى تصرفاتهم ولاى شئ كانوا يتصرفون وحسن نياتهم فى ذلك كله (ولقول) عمر رضى الله عنه ما من حسنة الا ولها أخيات (وان) كان فى سبب من أسباب الدنيا فذلك عون له على الطاعة (وقد) قال عمر بن الخطاب

رضى الله عنه لأن أموت بين شعبتى رحلى أبتغى من فضل الله أحب الى من أن أموت على فراشى (وقد) كان بنو اسرائيل اذا أراد أحدهم أن يتعلم العلم انقطع للعبادة أربعين سنة حتى يصفو بها قلبه وينشرح صدره حينئذ يأخذ فى تعلم العلم وذلك لطول أعمارهم وأما هذه الامة فقد قال مالك رحمه الله أدركت الناس وهم يتعلمون العلم الى أن يصل أحدهم أربعين سنة فينقطع للعبادة ويطوى الفراش انتهى ومعنى طى الفراش مثل ماكان عليه الصلاة والسلام يفعل فى العشر الأواخر من شهر رمضان وكان صلى الله عليه وسلم يطوى فراشه و يشد مئزره و يوقظ أهله ويقوم الليل كله (واذا) كان ذلك كذلك يحتاج فى أول طلبه العلم أن يعزجه بالتعبد اذ أنه ليس ثم عمر طويل فى الغالب فى هذا الزمان حتى يترك له برهة منه فيخشى عليه أن يموت وهو فى السبب قبل وصوله للمقصود (وقد) قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه تعلموا ماشئتم أن تتعلموا فان يأجركم الله عليه حتى تعملوا (ولأن) العلم كالشجرة والتعبد كالثمرة فاذا كانت الشجرة لاثمر لها فليس لها فائدة كلية وان كانت حسنة المنظر ناعمة وقد ينتفع بها للظل وغيره ولكن الذى عليه المعول قد عدم منها (وقال) ابن مسعود أيضا رضى الله عنه تكلموا بالحق تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله اه (وليحذر) ان يتكلف من العمل ماعليه فيه مشقة أو يخل باشتغاله بالعلم اذ أن اشتغاله بالعلم أفضل كما تقدم وهذا باب كثيرا مايدخل منه الشيطان على المشتغلين بالعلم اذا عجز عن تركهم له فيأمرهم بكثرة الاوراد حتى ينقص اشتغالهم لان العلم هو العدة التى يتلقى بها و يحذر منه بها فاذا عجز عن الترك رجع الى باب النقص وهو باب قد يغمض على كثير من طلبة العلم لانه باب خير وعادة الشيطان لا يأمر بخير فيلتبس الامر على الطالب فيخل بحاله (وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى يقول ينبغى لطالب العلم أن يكون عمله فى علمه مثل الملح فى العجين ان عدم منه لم ينتفع به والقليل منه يصلحه (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى له أن يشدد يده على مداومته على فعل السنن والرواتب وما كان منها تابعا للفرض قبله أو بعده فاظهارها فى المسجد أفضل من فعلها فى بيته كما كان عليه الصلاة والسلام يفعل ماعدا موضعين فانه عليه الصلاة والسلام كان لا يفعلهما الا فى بيته وهما الركوع بعد صلاة الجمعة والركوع بعد صلاة المغرب أما الجمعة فقد تبين ذلك فى قصة عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أن قام بعض الناس يركع بعد الجمعة فاقعده عمر وقال له اجلس تشبه الجمعة بمن فاتته ركعتان من الظهر والنبى صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فلم يعب ذلك عليه ولأنها لو صليت فى المسجد لكان ذلك ذريعة لاهل البدع الذين لا يرون صحة صلاة الجمعة الا خلف امام معصوم (وأما) المغرب فمن باب اللطف والرحمة والشفقة على الامة لان الغالب منهم انهم كانوا صياما وان من كان فى البيت من النساء والصبيان ينتظرون صاحب البيت حتى يأتى فيأكلون معه فلو ركع فى المسجد لتشوفوا الى مجيئه (ألا ترى) انه عليه الصلاة والسلام كان اذا سمع وهو فى الصلاة بكاء الصبى يخفف مخافة أن تفتتن أمه سيما فى حق العالم والمتعلم لانهما قدوة كما تقدم وهذا كله بعد تحصيل الفرائض وكذلك قضاء الفوائت ان كانت عليه لانه يفعل السنن وعليه شئ من ذلك (وكذلك) لا يخلى نفسه من ركوع الضحى لقول عائشة رضى الله عنها لو نشر لى أبواى ماتركتها ومعناه لو أحييا لى وكانا من قبرهما ماشتغلت بهما عنها (وكذلك) يحافظ على قيام الليل ولا يخلى نفسه منه وهو خمس تسليمات غير الوتر و يقرأ فيها بما خف من القرآن يكون له فى تلك الركعات حزب معلوم من حزبين الى ثلاثة لان أحب العمل الى الله أدومه وان قل كما جاء فى الحديث فان كان الحزب على هذا المقدار فالغالب انه قل أن يفوت لقلة المشقة فيه وان كان حافظا للقرآن فهذا المقدار من التلاوة يكفيه

مع اشتغاله بالعلم ولا ينسى الختمة فى الغالب اذا دام على ذلك (وقد) ذكر الباجى رحمه الله فى شرح الموطأ ما معناه انه لم يزل الناس يقومون فى بيوتهم طول السنة بهذا المقدار الذى يقومون به فى شهر رمضان فى المساجد لكن لما أن كان فى الناس من لم يجمع القرآن كله جعل لهم شهر رمضان فى السنة يجمعون فيه فى المساجد ليسمع من لم يجمع الختمة كلام ربه فان قام من الليل و وجد معه الكسل وثقل النوم فاذا كان الحزب على ما وصفناه سهل عليه أمره وأتى به و رجع الى النوم ان لم يطلع عليه الفجر وعلى هذا درج من مضى ألا ترى انهم قد قالوا فيمن فاته ورده من الليل ان له أن يصليه ما بين طلوع الفجر وصلاة الصبح وقد كانوا يغلسون بصلاة الصبح كما هو فى الحديث مشهور معلوم وذلك أدل دليل على خفة الورد (وهذا) الذى تقدم ذكره انما هو مع عدم وجود الجد والاجتهاد وأما مع النشاط وقوة العزم فيأخذ من ذلك ما استطاع وما وجد اليه السبيل فان وجد حلاوة المناجاة فى التلاوة فليمض فيها ولا يقتصر على حزبه المعتاد ولو ختم الختمة وابتدأها ثانيا وثالثا وهكذا ألا ترى انه لو قرأ مثلا فى الركعة الاولى بحزب فالمشروع فى الثانية أن يقرأ فيها بمثل الاولى أو أقل فلو وجد الحلاوة فى الثانية فليمض لسبيله ما دام يجد ذلك ولو طال الامر فان طلع عليه الفجر فليرجع عما هو بصدده الى الاشتغال بفرض الوقت الكن يكمل خمس تسليمات مخففة كما لو نام عن حزبه فانه يوقعه ما بين طلوع الفجر وصلاة الصبح كما تقدم (وكان) سيدى أبو محمد رحمه الله يقول ما ينبغى للمرء اذا وجد الحلاوة فى شئ أن ينتقل عنه مثل أن يجد الحلاوة فى الدعاء فى غير الصلاة فلا يقطعه ولا ينظر الى غيره من الاوراد وكذلك ان وجد الحلاوة فى الركوع فلا يرفع وكذلك ان وجدها فى السجود اللهم الا أن يخاف على فوات الفرائض فى الجماعة فليقطع ذلك لاجلها وقد كان السلف رضوان الله عليهم يغلسون بصلاة الصبح ولم يكن لهم غير جماعة واحدة لان المقصود الاعظم بطلب العلم وقيام الليل وغيرهما مما يقرب من الله تعالى انما ذلك كله لعل أن يحصل له شئ مما تقدم ذكره من الحلاوة فى المناجاة فى ورده أو الدعاء أو غيرهما الا أن يعرض الفرض فيفعل كما سبق (وقد) ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه مر فى ورده بقوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم فبقى عليه الصلاة والسلام يكررها حتى طلع الفجر (وقد) حكى عن أبى يزيد البسطامى رحمه الله ونفعنا به أنه خرج ليلة من المسجد وقد صلى العشاء فخرج خلفه بعض اخوانه وهو لم يشعر به فاذا هو قد رفع رجله اليمنى فوضعها على ركبته اليسرى وقبض على لحيته بيده و رفع رأسه شاخصا الى السماء فوقف الرجل خلفه ينتظره الى أن طلع الفجر فلما أن طلع الفجر رجع أبو يزيد الى المسجد لصلاة الصبح فرجع الرجل خلفه (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى الحالة التى كان فيها أبو يزيد والى تركه ما كان فيه واتيانه الى الفرض فى جماعة مع انهم قد قالوا فيمن كان القرآن ينفلت منه لقلة حفظه فليقم به فى الليل فى الصلاة فان ذلك يثبته له وما ذاك الا لبركة امتثال السنة فى قيام الليل سيما ان كان فى الثلث الآخر منه لما ورد فى ذلك من البركات والخيرات (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فى الثلث الآخر من الليل فيقول هل من داع فأستجيب له هل من مستغفر فأغفر له الحديث الخ (ومعنى) النزول ههنا نزول طول ومن وتفضل وكرم على عباده لا نزول انتقال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (وفى) قيام الليل من الفوائد جملة فلا ينبغى لطالب العلم أن يفوته منها شئ (فمنها) أن يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق اليابس من الشجرة (الثانى) انه ينور القلب (الثالث) انه يحسن الوجه (الرابع) انه يذهب الكسل

وينشط البدن (الخامس) ان موضعه تراه الملائكة من السماء كما يتراءى الكوكب الدرى لنا فى السماء (وقد) روى الترمذى عن بلال وأبى امامة قالا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى الله تعالى ومنهاة عن الاثم وتكفير للسيآت ومطردة للداء عن الجسد (وروى) أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين (واعلم) تقول ان طالب العلم ان فعل ماذكرتموه تعطلت عليه وظائفه من الدرس والمطالعة والبحث (فالجواب) ان نفحة من هذه النفحات تعود على طالب العلم بالبركات والانوار والتحف ماقد يعجز الواصف عن وصفه وبركة ذلك يحصل له أضعاف ذلك فيما بعد مع ان هذا أمر عزيز قل ان يقع الالمعتنى به والعلم والعمل انما هما وسيلتان لمثل هذه النفحات (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ان لله نفحات فتعرضوا النفحات الله اه (وما) تقدم ذكره فيما حكاه الماجى وغيره من أن عادة السلف مضت على فعل هذه الصلاة طول السنة فى البيوت يؤخذ منه الدليل الواضح على ان ذلك لا يفعل فى المساجد ولا فى المواضع المشهورة الا فى قيام رمضان وحده (واذا كان) ذلك كذلك ففعل القيام فى غير رمضان فى غير البيوت بدعة (وقد) تقدم غير مرة أن البدعة لا تأتى الا بشر والخير كله فى الاتباع (وقد) نص علماؤنا رحمة الله عليهم ان ذلك يمنع فى غير رمضان ان فعل فى غير البيوت كما تقدم لكن قيام السنة فى البيوت فيما عدا رمضان مخالف لقيام شهر رمضان فى كونه يفعل بعد النوم فى الغالب وقد يفعل قبله ويكفى وكثير منهم من يفعله قبل النوم وبعده والغالب ان فعله بعد النوم أكثر ولا يجمعون له ولا يشهرونه بخلاف قيام رمضان فى المساجد فانه لا يفعل الا قبل النوم (ولاجل) هذا المعنى قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه والتى ينامون عنها أفضل يعنى من نام أول الليل وقام آخره فهو أفضل ممن قام أوله فقط وأما قيام السلف رضى الله عنهم فذلك أفضل على كل حال الا أنهم كانوا اذا فرغوا من قيامهم فى شهر رمضان يستعجلون الخدم بالطعام مخافة طلوع الفجر ولاشك ان من قام الليل كله أفضل ممن قام بعضه لانه حاز فضل الليل كله (تحصل) من هذا أن قيام الليل ينقسم على أربعة أقسام اما أن يقوم الليل كله ولاشك فى فضيلته أو يقوم أوله وآخره وهو قريب من الاول أو يقوم آخره دون أوله وهو المشار اليه بالافضلية بقول عمر رضى الله عنه والتى ينامون عنها أفضل وأما أن يقوم أوله دون آخره وهو المفضول من قول عمر رضى الله عنه (وينبغى له) أن يحافظ على ورد الصوم ولا ينبغى له أن يتعلل بأنه مشغول عنه بطلب العلم اذ صيام ثلاثة أيام فى الشهر ليس فيها كبير مشقة فى الغالب سيما على ما كان يصومها مالك رحمه الله فانه كان يفطر تسعة أيام ويصوم عاشرها وهذا كما تقدم فى صلاة الليل فان وجد النشاط والقوة على أكثر من ذلك بادر اليه مع عدم وقوع الخلل فيما هو بسبيله فان ادعى انه يعجز عن صوم ثلاثة أيام فى الشهر مع طلب العلم فينبغى لهذا أن يترك طلب العلم فى تلك الثلاثة ويصومها لئلا تفوته هذه الفضيلة العظمى لقوله عليه الصلاة والسلام الحسنة بعشر فيكون ذلك كصيام الدهر ثم كذلك يكون حاله فى جميع الاعمال لا يخلى نفسه من شئ منها كما تقدم ويكون الغالب عليه اشتغاله بالدرس والمطالعة والتفهم والبحث مع الاخوان الذين يرتجى النفع بهم ولقاء مشايخ العلم الذين جعلهم الله سببا للفتح والخير ويواظب على ذلك

﴿فصل فى زيارة الاولياء والصالحين﴾ وينبغى له أن لا يخلى نفسه من زيارة الاولياء والصالحين

الذين برؤيتهم يحيي الله القلوب الميتة كما يحيي الارض بوابل المطر فتنشرح بهم الصدور الصلبة وتهون برؤيتهم الامور الصعبة اذهم وقوف على باب الكريم المنان فلا يرد قاصدهم ولا يخيب مجالسهم ولا معارفهم ولا محبهم اذهم باب الله المفتوح لعباده ومن كان كذلك فتتعين المبادرة الى رؤيتهم واغتنام بركتهم ولأنه برؤية بعض هؤلاء يحصل له من الفهم والحفظ وغيرهما ما قد يعجز الواصف عن وصفه ولاجل هذا المعنى نرى كثيرا ممن اتصف بما ذكر له البركة العظيمة في علمه وفي حاله فلا يخلي نفسه من هذا الخير العظيم لكن بشرط أن يكون محافظا على اتباع السنة في ذلك كله (فليحذر) أن يزور أحدا من أهل البدع وممن لا خطر له في الدين الا بالتمويه وبعض الاشارات والعبارات مع انه قد قل في هذا الزمان من يضطر الى ذلك من المدعين بل قد تجد بعض من ينتسب الى العلم يقعد بين يدي بعض من يدعي الفقر والولاية وهو مكشوف العورة وقد تذهب عليه أوقات الصلاة وهو لم يصل ويعتذرون عنه بأنه يحزب على نفسه (وقد) رأيت بعض الفقراء الصلحاء رحل الى زيارة شخص من هذا الجنس نحو ثلاثة أيام أو أربعة حتى اجتمع به وهو عريان ليس عليه شيء يستره وبين يديه بعض قضاة البلد ورؤسائها وهذا أمر شنيع في الدين وقلة حياء من عمل الذنوب وارتكاب مخالفة السنة وترك الفرائض اذ أن كشف العورة محرم وكذلك النظر اليها واخراج الصلاة عن وقتها محرم اتفاقا فيه تكون محرمات جملة وهذا انما هو تمثيل تما والا فالمفاسد التي تعتورهم في ذلك أكثر من أن تحصر او ترجع الى قانون معروف في الغالب فينبغي لطالب العلم بل يتعين عليه أن تكون السنة عنده أعظم مطلوب ويغار عليها ان تغيرت معالمها بأن ينسب اليها ما ليس منها فاذا تعارض لطالب العلم المحافظة على السنة وزيارة من يخالف شيئا منها فالترك لزيارته متعين عليه ولا يجوز له غير ذلك وتحسين الظن به مخالف مع عدم الاجتماع به وأما مع الاجتماع فقد يضيق عليه التأويل ويخاف عليه ان يخل بجانب السنة أو بعضها فالهرب الهرب من الاجتماع بشخص يحتاج ان يعتذر عنه أو يتأول له (وهذا) أمر قد عمت به البلوى في هذا الزمان وكثرت الطرق واختلفت الاحوال وتشعبت السبل ولو قلت لأحدهم مثلا السنة كذا وكذا قابلك بما لا يليق فيقول كان شيخي يفعل كذا وكذا وما هذا طريق شيخي وكان شيخي يقول كذا وكذا ويصادم بذلك كله السنة الواضحة والطريقة الناجحة (ياليتهم) لو وقفوا عند هذا الحد لو كان سائغا بل زادوا على ذلك الامر المخوف وهو ما يلقى ممن أثق به أن بعض من ينسب الى العلم تكلم في مسئلة ونقل فيها عن بعض شيوخه نقلا تأباه الشريعة فقال له بعض من حضره حديث النبي صلى الله عليه وسلم يرد هذا فأجابه بأن قال حديث النبي صلى الله عليه وسلم انما يراد للتبرك والشيوخ هم الذين يقتدى بهم وهذا ان كان معتقدا لما قاله كان كافرا حلال الدم وان لم يعتقده فهو مرتكب لكبيرة عظمى يجب عليه أن يتوب منها مع الادب الموجع (وبعضهم) يفعل فعلا قبيحا شنيعا وهو ما أحدثوه من اعتقاد بعض النسوة وزيارتهن وهن على ما يعلم من قلة العلم بالسنة المطهرة بل عدم ذلك في أكثرهن سيما اذا انضاف اليه ما يفعله بعض من يسمى بالشيخة من الذكر جماعة بأصوات النسوة وفي أصواتهن من العورات ما لا يخفى بسبب ترخيم أصواتهن ونداوتها سيما وبعض الشيخات على زعمهن من شعارهن اللباس الصوف لمن ثابت على يدها ودخلت في طريقتها (وقد سئل) مالك رحمه الله عن لباس الصوف للرجال فقال لا خير في الشهرة ومن غليظ القطن ما هو في مثل ثمنه وأبعد من الشهرة اه (فاذا كان) الامر على هذا في حق الرجال فما بالك به في حق النساء بل لباس ذلك لهن مثلة وشهرة وفيه تشبه بنساء النصارى في كنائسهن

أعنى فى لباسهن الصوف والتخلى عن الازواج وذلك كله ضد مراد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول جهاد المرأة حسن التبعل انتهى ومن حسن التبعل لبس الحسن من الثياب والتحلى والتزين لزوجها (فاذا) علم ذلك تحصل منه ان فاعل هذا مصادم للسنة مخالف لها فانى زجره وهجره فكيف يعتقد وأنت ترى كثيرا من الناس ممن له رياسة وممن ليست له رياسة يتحدثون بفضائل من هذا حالها ويثنون عليها بذلك ويطرزون بذكرها مجالسهم ويزورونها فى بيتها ويستعملون خطاهم الى زيارتها أو تأتى هى اليهم ويعظمونها ويكرمونها ومن لا يلبس الصوف من الشيخات لهن عورات أخر أكثر وأشنع بطول تتبعها مما تنزه الألسن عن ذكرها والاقلام عن كتبها (وقد) قال عليه الصلاة والسلام اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء قيل بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل يكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط (وقد) قال عليه الصلاة والسلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم ومريم ابنت عمران وخديجة بنت خويلد وعائشة انتهى (وقد) قال صاحب الانوار رحمه الله احذروا الاغترار بالنساء وان كن نساكا صالحات فانهن يركن الى كل بلية ولا يستوحشن من كل فتنة (وقد) قال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه ونفعنا به ليس للنساء نصيب فى الاسلام (والرجل) الصالح فى هذا الزمان فى الغالب انما شعاره لزوم بيته (لقوله) عليه الصلاة والسلام عند ظهور الفتن كن حلسا من أحلاس بيتك انتهى فكيف تخرج المرأة التى لم يشرع لها الخروج الا للضرورة وقد تقدمت واعتقاد الشيخات يستدعى خروج ربات الخدور وغيرهن وفى خروجهن من الفتنة ما قد علم (ولا) يظن ظان ان هذا الكلام يشعر بانه ليس فى النساء صالحات ولا عابدات وانما وقع الكلام على الغالب من أحوالهن والنادر لا حكم له (ثم) العجب العجيب فى اعتقاد بعضهن فى هؤلاء الشيخات من النسوة وهن كما قد علم فى هذا الزمان لا عضين لا موضع يعملن فيه الا بعدا طلاقهن من ضامنة المعانى ففاسد مركبة على مفسدة عظيمة (ثم) العجب أيضا من بعض الرجال ممن له الحشمة أو المشيخة يتورعون عن سماع المغانى ويعوضون عن ذلك الشيخة المتقدم ذكرها فتجىء بعد اطلاقها من الضامنة ومعها حفدتها ويرفعن عقيرتهن بالقراءة والذكر جماعة وقد تقدم ما فى القراءة والذكر جماعة للرجال (فان) لم يكن من فعل السلف الماضين رضوان الله عليهم أجمعين وأنكر مالك ذلك فى حق الرجال وان ذلك بدعة ممن يفعله فما بالك به فى حق النساء وفى أصواتهن من النداوة والترخيم والفتنة ما قد علم (الا ترى) الى قول مالك رحمه الله تعالى فى كلام المتجالة أما التى كلامها أحلى من الرطب فلا انتهى يعنى انه ممنوع وان كانت متجالة فكيف به فى الشابة وقد قال الشافعى رحمه الله تعالى ما من ساقطة الا ولها لاقطة (وسبب) هذه المفاسد كلها قراءة الرجال جماعة وذكرهم جماعة فجر ذلك الى هذا المحرم الذى يفعله النسوة فى الفرح والمولد وغيرهما وزدن على ذلك قيامهن يرقصن ويعيطن وتأخذهن الاحوال على زعمهن وفى رقصهن من العورات ما لا اخفاء فيه من وقوع الفتن وفساد القلوب والتشويش على من فيه دين أو خير ما فانا لله وانا اليه راجعون على خسف القلوب واتباع الهوى واستعمال العوائد الرديئة وقلة الحياء من عمل الذنوب وقلب الحقائق وانقلاب المقاصد وترك الالتفات للمفاسد ولا يمكن حصرها ولا عدها فالواجب من ترك هذا كله اذا أن العلم الذى عنده يحرمه ويأمره بتغييره فان لم يقدر فأقل ما يمكن فى حقه التغيير بالقلب وأقل ما يمكن فى التغيير بالقلب أن لا يشهد هذه المواضع ولا يترك أحدا يشهدها ولا يرضى بفعلها ولا يذكرها سيما بحضرته بل يعيب ذلك

ويبين أمر الشرع فيه (وقد) روى الامام ابو الحسن رزين رحمه الله في كتابه عن حذيفة وابن مسعود رضي الله عنهما انهما قالا لا يكن أحدكم امعة يقول أنا مع الناس ان أحسن الناس أحسنت وان أساؤا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم ان أحسن الناس أن تحسنوا وان أساؤا الا تظلموا انتهى (واذا) كان ذلك كذلك فلا ينبغي له أن يزهد في زيارة الاكابر والاولياء والصالحين اذ أنهم معروفون بسيماهم (قال) الله تعالى في كتابه العزيز تعرفهم بسيماهم (وقال) تعالى سيماهم في وجوههم (وقال) عليه الصلاة والسلام رب اشعث أغبر مدفوع بالابواب لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبر قسمه انتهى (فان) خفي على طالب العلم أمر أحد ممن يراه فلينظر في تصرفه فان كان على السنة فليشد يده عليه وان واقع غير ذلك فليهرب منه فانه اص (وقد) حكي عن بعض السلف رضي الله عنه أنه أثنى عنده على شخص كان في وقته فخرج هو ومن أثنى عليه الى زيارته ودخلا المسجد الذي كان يصلي فيه فلم يجداه فجلسا ينتظرانه فلما أن جاء ودخل المسجد تنخم وبصق فيه فخرج هذا السيد ولم يسلم عليه وخرج معه الشخص الذي كان أثنى عليه فقال له لم خرجت ولم تسلم عليه فقال له اذا كان انسان لم يأتمنه الله تعالى على أدب من آداب الشريعة فكيف يأتمنه على سر من أسراره (ونقلت) من القوت هكذا ينبغي أن تكون المحافظة على السنة وترفيعها وتعظيم قدرها اذ أنها أول باب في الخير وهي آخره فشد يدك عليها ان كنت من أهلها أسأل الله الكريم أن لا يحرمنا ذلك بمنه آمين بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم والحمد لله رب العالمين

﴿فصل في الاشتغال بالعلم يوم الجمعة﴾ وينبغي لطالب العلم أن يكون مواظبا على الاشتغال به فان الترك مضر ولو قل (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله ينقل عن شيخه أبي الحسن الزيات ما معناه اذا ترك الطالب الاشتغال يوما كأنه ترك سنة وان تركه يومين كأنه ترك سنتين وان تركه ثلاثا لا يجيء منه شيء انتهى وما قاله بين ألا ترى ان الكاتب خطه في يوم الخميس أحسن منه في يوم السبت وما ذلك الا لترك الكتب يوم الجمعة (واذا) كان ذلك كذلك فلا ينبغي أن يترك الاشتغال الا لضرورة شرعية تتعين عليه فان كان يوم جمعة فلا ينبغي له أن يترك الاشتغال فيه لانه يوم فضل عظيم فينبغي له أن يبادر الى أفضل الاعمال فيعملها فيه وأفضل الاعمال طالب العلم كما تقدم لكن ان اشتغل بذلك في أول النهار قد يخشى أن يفوته بسببه شيء من وظائف الجمعة مثل الغسل وقص الشارب والاظافر وغير ذلك واذا كان ذلك كذلك فينبغي له أن يكون اشتغاله بعد انصرافه من صلاة الجمعة فيحضر مجالس العلم في الجامع أو غيره (وأعني) بمجلس العلم المجلس الذي يذكر فيه الحلال والحرام واتباع السلف رضي الله عنهم لا مجلس القصاص والوعاظ اذ أن ذلك بدعة (وقد) سئل مالك رحمه الله عن الجلوس الى القصاص فقال ما أرى أن يجالس اليهم وان القصص لبدعة (قال) ابن رشد رحمه الله كراهة القصص معلوم من مذهب مالك رحمه الله (روى) عن يحيى بن يحيى قال خرج معنا فتى من طرابلس الى المدينة فكنا لا ننزل منزلا الا وعظنا فيه حتى بلغنا المدينة فكنا نعجب من ذلك منه فلما أتينا المدينة اذا هو قد أراد أن يفعل بهم ما كان يفعل بنا فرأيته في سماط أصحاب التيقظ وهو قائم يحدثهم وقد لهوا عنه والصبيان يحصبونه ويقولون له أسكت يا جاهل فوقفت متعجبا مما رأيت فدخلنا على مالك رحمه الله تعالى فكان أول شيء سألناه عنه بعد أن سلمنا عليه ما رأيناه من الفتى فقال مالك أصاب الرجال اذ لهوا عنه وأصاب الصبيان اذ أنكروا عليه باطله (وقال) يحيى وسمعت مالكا يكره القصص فقيل له يا أبا عبد الله فاذا تكره مثل هذا فعلام كان يجتمع من مضى فقال على الفقه وكان يأمرهم وينهاهم انتهى (وقول) مالك رحمه الله أصاب

الرجال اذلهوا عنه وأصاب الصبيان اذا أنكروا عليه باطلها فما صوب فعل الرجال لكون الصبيان قد كفوهم مؤنة التغيير فلو لم يغير الصبيان لبادروا الى التغيير (ومن) كتاب الجامع للشيخ أبي محمد ابن أبي زيد رحمه الله وأنكر مالك القصص في المسجد (وقد) قال تميم الداري لعمر بن الخطاب رضي الله عنه دعني أدعو الله وأقص وأذكر الناس فقال عمر لا فأعاد عليه فقال أنت تريد تقول أنا تميم الداري فاعرفوني (وقال) الامام الطرطوشي قال مالك ونهيت أبا قدامة أن يقوم بعد الصلاة فيقول افعلوا كذا وكذا (وقال) أبو ادريس لان أرى في ناحية المسجد نارا تأجج أحب الى من أن أرى في ناحيته قاصا يقص (قال) علماؤنا رحمة الله عليهم لم يقص في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ولا في زمان أبي بكر ولا في زمان عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص (ولما) دخل علي رضي الله عنه مسجد البصرة أخرج القصاص منه وقال لا يقص في المسجد حتى انتهى الى الحسن البصري في علوم الاعمال فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه (وجاء) ابن عمر الى مجلسه من المسجد فوجد قاصا يقص فوجه الى صاحب الشرطة أن أخرجه الى المسجد فاخرجه (وقيل) لابن سيرين لو قصصت على اخوانك فقال قد قيل لا يتكلم على الناس الا أمير أو مأمور أو أحمق ولست بأمير ولا مأمور واكره أن أكون الثالث انتهى (وقد) روى أبو داود في سننه عن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقص الا أمير أو مأمور أو مختال انتهى (وقال) الطرطوشي أيضا قال أبو معمر رأيت يسارا أبا الحكم يستاك على باب المسجد وقاصا يقص في المسجد فقلت له يا أبا الحكم الناس ينظرون اليك فقال الذي أنا فيه خير مما هم فيه أنا في سنة وهم في بدعة (ولما) أن دخل سليمان بن مهران الاعمش البصرة نظر الى قاص يقص في المسجد فقال حدثنا الاعمش عن أبي اسحق عن أبي وائل قال فتوسط الاعمش الحلقة وجعل ينتف شعرا بطيه فقال له القاص يا شيخ الا تستحي نحن في علم وأنت تفعل مثل هذا فقال له الأعمش الذي أنا فيه خير من الذي أنت فيه قال كيف فقال لاني في سنة وأنت في كذب أنا الاعمش وما حدثتك مما تقول شيئا فلما سمع الناس ذكر الاعمش انفضوا عن القاص واجتمعوا حوله وقالوا حدثنا يا أبا محمد (وقال) أحمد بن حنبل أكذب الناس القصاص والسؤال وما أحوج الناس الى قاص صدوق لانهم يذكرون الموت وعذاب القبر قيل له أ كنت تحضر مجالسهم قال لا (وقال) الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه وحضور الرجل مجالس الذكر أفضل من صلاته وصلاته أفضل من حضوره مجالس القصاص (وروينا) من حديث أبي ذر رضي الله عنه حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وفي الخبر لان يتعلم أحدكم بابا من العلم أو يعلمه خير له من صلاة ألف ركعة (وفي خبر) قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بعلم فالصلاة اذا عدم مجلس العلم بالله والتفقه في دين الله أزكى من حضور مجلس القصص ومن الاستماع الى القصاص فان القصص كان عندهم بدعة وكانوا يخرجون القصاص (وعن) الفضل بن مهران قال قلت ليحيى بن معين أخ لي يقعد الى القصاص قال انهه قلت لا يقبل قال اهجره قلت نعم قال فأتيت أحمد بن حنبل فذكرت له نحو ذلك فقال قل له يقرأ في المصحف ويذكر الله في نفسه ويطلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فان لم يفعل قال بل ان شاء الله قلت فان لم يقبل أهجره قال فتبسم وسكت انتهى (وكذلك) لا يحضر الكتب التي تقرأ وفيها الاحاديث المشكلة على السامع في الظاهر وليس ثم من يبين احكامها ومعناها ويحل مشكلها ولو كان ثم من يحل المشكل فيشترط أن يكون صوته

بهم من حضر المجلس كما يعمهم صوت القارئ لانه اذا لم يعمهم فالغالب ان بعضهم يقوم وعنده الريبة
فى اعتقاده (ومن العتبية) سئل مالك رحمه الله عن الحديث فى جنازة سعد بن معاذ فى اهتزاز العرش
وعن حديث ان الله خلق آدم على صورته وعن الحديث فى الساق فقال رحمه الله لا يتحدث به
وما يدعو الانسان أن يتحدث به وهو يرى ما فيه من التغرير قال ابن القاسم لا ينبغى لمن يتقى
الله ويخافه أن يحدث بمثل هذا قيل له فالحديث ان الله تبارك وتعالى يضحك فلم ير من هذا وأجازه
انتهى (قال) ابن رشد رحمه الله حديث سعد بن معاذ فى العرش الذى أشار اليه هو ما يروى عن
النبى صلى الله عليه وسلم من انه قال اهتز العرش لموت سعد بن معاذ وانه قال اهتز له عرش الرحمن
وما روى من أن أمه بكت وصاحت لما أخرجت جنازته فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايرقأ دمعك ويذهب حزنك فان ولدك أول من ضحك الله عز وجل له واهتز له العرش وما يروى من
أن جبريل عليه الصلاة والسلام جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذا العبد الصالح
الذى مات فتحت له أبواب السماء وتحرك له العرش قال فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا
سعد بن معاذ قد مات (والحديث) فى الساق الذى أشار اليه هو ما يروى أنه سبحانه يتجلى للخلق
فيقول من تعبدون فيقولون ربنا فيقول وهل تعرفون ربكم فيقولون اذا تعرف الينا سبحانه
عرفناه قال فعند ذلك يكشف عن ساق فلا يبقى مؤمن الا خر لله سبحانه وتعالى ساجدا (وانما) نهى
مالك رحمه الله أن يتحدث بهذين الحديثين وبالحديث الذى جاء ان الله خلق آدم على صورته ونحوه
من الاحاديث لان ظاهرها يقتضى التشبيه (وسبيلها) اذا صحت الروايات بها ان تتأول على ما يصح
مما ينتفى به التشبيه عن الله عز وجل بشئ من خلقه (كما) يصنع بما جاء فى القرآن مما يقتضى
ظاهره التشبيه وهو كثير كالاتيان فى قوله عز وجل هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام
والملائكة والمجئ فى قوله عز وجل وجاء ربك والملك صفا صفا انتهى (وذلك) يحتمل وجهين
(أحدهما) أن يكون المراد بقوله هل ينظرون الا أن يأتيهم الله أى عذابه ونقمته لمن كفر به وألحد
فى آياته وكذلك المعنى فى قوله وجاء ربك (الوجه الثانى) أن يكون المراد الظهور اذ لا فرق بين
الدنيا والآخرة بالنسبة اليه سبحانه وتعالى وانما الحجاب منا فاذا كشف سبحانه وتعالى الحجاب عنا
ظهر لنا سبحانه وتعالى من غير حد ولا تكييف جل جلاله عن الصورة والكيفية (قال) ابن رشد
رحمه الله والاستواء فى قوله تعالى ثم استوى على العرش معناه استولى قاله الواحدى وقيل معناه القهر
والغلبة تقول العرب استوى زيد على ارض كذا أى ملكهم وقهرهم قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

ولما أن كان العرش أعظم المخلوقات المعلومة اكتفى بذكره عما دونه اذ أن ما دونه تبع له وفى حكمه
(قال) ابن رشد رحمه الله كما يفعل أيضا بما جاء من ذلك فى السنن المتواترة كالضحك والنزول وشبه
ذلك مما لم تكره روايتها المتواترة الآثار بها اه (أما الضحك) فهو عبارة عما يصدر من المتصف
بذلك مما من الرضا والاحسان (وأما النزول) فقد تقدم بيانه (قال) ابن رشد رحمه الله لان سبيلها
كلها فى اقتضاء ظاهرها التشبيه وامكان تأويلها كلها على ما ينتفى به تشبيه الله عز وجل بشئ من
خلقه (وأقربها) كلها أن عرش الرحمن قد اهتز لموت سعد لان العرش خلق من خلق الله عز وجل
فلا تستحيل عليه الحركة والاهتزاز واضافته الى الله تعالى انما هو بمعنى التشريف له كما يقال بيت
الله وحرمه لانه محل له وموضع لاستقراره اذ ليس فى مكان فقد كان قبل أن يخلق المكان فلا يلحقه

عز وجل باهتزاز عرشه ما يلحق من اهتز عرشه من المخلوقين وهو جالس عليه من تحركه بحركته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (ويحتمل) أن يكون الكلام مجازا فيكون المراد بتحريك العرش حركة حملته استبشارا وفرحا بقدوم روحه وهذا جائز فى كلام العرب أن يقال اهتز المجلس بقدوم فلان عليه أى اهتز أهله لقدومه مثل قوله عز وجل واسأل القرية يريد أهلها ومثل قول النبى صلى الله عليه وسلم أحد هذا جبل يحبنا ونحبه أى يحبنا أهله ونحبهم (وأما حديث الساق) فلم يضف الساق فيها الى أحد ومعناه عن شدة لان مثل هذا الكلام مستعمل فى اللغة على معنى شدة الامر كما قال الشاعر * وقامت الحرب على ساق * وقال ابن عباس فى قوله تعالى يوم يكشف عن ساق أى عن شدة من الامر وقال الحسن فى قوله تعالى والتفت الساق بالساق أى التفت ساق الدنيا بساق الآخرة وقال الضحاك معناه أمر الدنيا بأمر الآخرة وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اعمال الدنيا بمحاسبة الآخرة وذلك أمر عظيم (وأما) قوله ان الله خلق آدم على صورته فانه حديث يروى على وجهين أحدهما ان الله خلق آدم على صورته والثانى ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فأما رواية ان الله خلق آدم على صورته فلا خلاف بين أهل النقل فى صحتها لاشتهار نقلها من غير منكر لها ولا طاعن فيها (وأما) الرواية الاخرى ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فمن مصحح لها ومن طاعن فيها وأكثر أهل النقل على انكار ذلك وعلى انه غلط وقع من طريق التأويل لبعض النقلة توهم أن الهاء ترجع الى الله تعالى فنقل الحديث بمعناه (فأما) الرواية المحفوظة فهى ان الله خلق آدم على صورته والهاء عائدة على رجل مر النبى صلى الله عليه وسلم عليه وابوه أو مولاه يضرب وجهه اطما ويقول قبح الله وجهك فقال اذا ضرب أحدكم عبده فليتق الوجه فان الله خلق آدم على صورته وقد روى انه سمعه يقول قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فزجره النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله ذلك وأعلمه انه قد سب آدم لانه مخلوق على صفته ومن دونه من الانبياء أيضا (ومنها) ان الكناية فى قوله على صورته ترجع الى آدم عليه السلام ولذلك ثلاثة أوجه (أحدها) أن يكون معنى الحديث وفائدته الاعلام بأن الله لم يشوه خلقه حين أهبط الى الارض (والثانى) أن يكون معناه وفائدته ابطال قول أهل الزيغ الذين يقولون انه لا انسان الا من نطفة ولا نطفة الا من انسان ولا دجاجة الا من بيضة ولا بيضة الا من دجاجة لا الى أول (الثالث) معناه وفائدته ابطال قول أهل الزيغ والمنجمين الذين يزعمون أن الاشياء بتأثير العنصر والفلك والليل والنهار فأعلم النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث ان الله تعالى هو المنفرد بخلق آدم على ما كان عليه من الصورة والتركيب والهيئة لم يشاركه فى شئ من ذلك فعل طبع ولا تأثير فلك وخص آدم بالذكر من سائر المخلوقات لانه أشرفها وذا كان الله هو المنفرد بخلقه دون مشاركة فعل طبع أو تأثير فلك فولده ومن سواهم على حكمه كذلك (وقد) قيل فى ذلك وجه رابع وهو أن فائدة الحديث تكذيب القدرية فيما زعمت من أن صفات آدم منها ما خلقها الله تعالى ومنها ما خلقها آدم عليه الصلاة والسلام لنفسه فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم وان الله خلق آدم على جميع صورته وصفته ومعانيه وأعراضه وهذا كما نقول عرفنى هذا الامر على صورته اذا أردت أن تعرفه على الاستيفاء والاستقصاء دون الاستثناء (وأما) الرواية الثانية التى جاءت وهى ان الله خلق آدم على صورة الرحمن فقد ذكرنا ان أكثر أهل النقل لا يصحح الرواية بذلك وان الراوى ساق الحديث على ما ظنه من معناه وعلى تقدير الصحة فتكون الاضافة اضافة تشريف على طريق التنويه بذكر المضاف وذلك نحو قوله تعالى ناقة الله وسقياها فانها

اضافة تخصيص وتشريف تفيد التحذير والردع من التعرض لها ومن ذلك قوله عز وجل ونفخت فيه من روحي وقوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا وقول الناس الكعبة بيت الله والمساجد بيوت الله فشرفت صورة آدم من أجل ان الله اخترعها وخلقها على غير مثال سبق انتهى ومن ذلك ما خرجه مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة تبارك وتعالى فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك ويزوى بعضها الى بعض (ذكر) العلماء في معناه وجوها عدة (فمنها) ان الكافر عند العرب يسمى قدما والنار موعودة بهم فان لم تحصلهم في جوفها بقيت ملهوفة عليهم كما هي الام حين تفقد أولادها فاذا حصلوا في جوفها تقول قط قط أي حسبي حسبي لانها قد أخذت أولادها قال الله تعالى في كتابه العزيز فأمه هاوية والهاوية اسم لاحدى طبقات النار أعاذنا الله من جميع دركاتها بنوره وجهه الكريم انه ولي ذلك والقادر عليه (الوجه الثاني) ان ذلك محمول على ما يفهم عندنا من أن الشيء الحقير المتافه الذي لا يبالى به يدحرج بالقدم اما من جهة الغضب عليه واما من جهة الحقارة له كما الامر في ضد ذلك وهو أن الاشياء الرفيعة والطاهرة تتناول باليمين ويشهد لذلك ما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث يقول في الحجر الاسود يمين الله في الارض وهو حجر مرئي محسوس فهذا دليل واضح على انه لم يرد الجارحة وانما أراد العادة فيما يصدر من جهة اليمين كما سبق ألا ترى أن الحجر الاسود يشهد للامة يوم القيامة ومن شهد له رحم وغفر له فضد ذلك في ذكر القدم سواء بسواء اذ أنه سبحانه وتعالى عن الصورة والكيفية الى غير ذلك من الوجوه (وقد) حصل بما تقدم ذكره من المثال في الآي والاحاديث التي ظاهرها الاشكال على من لم يعرف العلم والمحامل التي تحمل عليها مقنع وكفاية (واذا كان) ذلك كذلك فالامر فيه على ثلاثة أقسام (القسم الاول) وهو الاولى والاحسن بل الذي لا ينبغي أن يعرج عنه وهو الرجوع الى قول مالك رحمه الله من أنه لا يتحدث بهذه الاحاديث خيفة منه رحمه الله على الضعفاء أن يدخلهم شيء من الفتنة في عقيدتهم فكيف يقر أذلك على رؤس العوام والنساء حضور يسمعون فالغالب والحالة هذه أنهم يدخلون وهم مؤمنون فيخرجون وهم مفتتنون (القسم الثاني) أنه ان كان ولا بد من ذكر الاحاديث التي توقع في القلب معنى من التشبيه فلا بد من شيخ عارف عالم بالسنة ومعاني ما احتوى عليه كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكون مع ذلك جهير الصوت يسمعه القريب والبعيد فيحل مشكلها ويبين معناها وينبغي على هذا التعليل أن يكون الشيخ جالسا على موضع مرتفع عنهم ليعم صوته الجميع كما تقدم بخلاف ما هم يفعلون في هذا الزمان فان القارئ يجلس على كرسي فيعم صوته الجميع في الغالب والشيخ جالس على الارض وصوته خفي فلا يعرف ما قال الا من كان قريبا منه (القسم الثالث) أنه ان عدم هذا القسم الثاني فيمنع قراءة الكتب والمواعيد التي تفعل فان فعلها أحد أدب على ذلك وزجر وأخرج من المسجد (واذا كان) الامر كذلك فطالب العلم قدوة فاذا رآه أحد من العوام يحضر هذا المجلس يقتدي به في حضوره فقد يجلس فيه وهو مؤمن فيقوم وعنده شك وريب في اعتقاده كما تقدم فيكون طالب العلم يحذر من هذا وأشباهه (هذا) وجه في الكراهة (ووجه ثان) وهو أن العلماء قد كرهوا ترك الشغل يوم الجمعة وأن يخص يوم الجمعة بذلك خيفة من التشبه باليهود في السبت وبالنصارى في الاحد كما تقدم فيحذر من هذا كله (قال) مالك رحمه الله كان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يكرهون أن يترك العمل يوم الجمعة لئلا يصنعوا فيه كما صنعت اليهود والنصارى

فى السبت والاحد (قال) ابن رشد رحمه الله وهـذا ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأمر بمخالفة أهل الكتاب وينهى عن التشبه بهم (روى) عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال أحدوا ولا تشقوا فان اللحد لنا والشق لغيرنا أى لأهل الكتاب (وانه) قال فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور ومثل هذا كثير

﴿فصل فى تحفظ طالب العلم من العمل على المناصب أو التشوف اليها﴾ قد تقدم رحمنا الله واياك انه ما ينبغى له أن يطلب التدريس ولا أن يعمل عليه حتى يخطب له ويجده على وجهه السائغ شرعا من غير أن يبذل هو عليه لان ذلك يدخل عليه الخلل فى نيته المتقدم ذكرها (واذا كان) ذلك كذلك فى أخذ الدرس فمن باب الاولى والأحرى فى الأحكام بل ذلك فى الاحكام أشد (لما ورد) فى الحديث من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين انتهى (ومن ذلك) ما ذكره مسلم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان صبيين جاءا يتحاكمان فى خطهما فنظر فى الخطين ثم قال لولا انه حكم لقلت ان أحدهما أحسن من الآخر ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الحاكم وبداه مغلولتان الى عنقه لا يفكهما الا عدله وأنا أكره أن أحشر مغلول اليدين أو كما قال (ولم) يزل السلف رضى الله عنهم أجمعين يهربون منه الهرب الكلى حتى قد حكى عن بعضهم أنه توله فى الظاهر حتى رفع عنه ذلك (وقد) جرى للامام أبى حنيفة رحمه الله حين طلب للقضاء فقال انى لا أصلح فقيل له لا بد من ذلك فقال لهم هذا لا يحل لكم قالوا لم قال لانى بين أحد أمرين اما أن أكون صادقا فيما قلته فلا يحل لكم أن تولوا من لا يصلح وان كنت كاذبا فلا يحل لكم أن تولوا كاذبا فتركوه (وحكايتهم) فى هذا أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وكانوا يعدون تولية القضاء من الابتلاء ويستعيذون من ذلك حتى انهم قد يهجرون بعض من تولى من معارفهم (وقد جرى) لسيدى الشيخ أبى الحسن الزيات رحمه الله تعالى لما ان طلب للقضاء ما قد ذكر (وقد جرى) لسيدى أبى محمد رحمه الله تعالى فى أفريقية لما ان طلب للقضاء وأجبر عليه طلب منهم أن يجعلوا لمن بين يديه من الرجال لاستخلاص الحقوق الشرعية ما يقوم بكفايتهم من بيت المال قالوا ولم ذلك قال لان على السلطان أن يوصل لكل ذى حق حقه وليس على صاحب الحق أن يعطى من حقه شيأ وهذه المسئلة منصوصة فى المذهب قد ذكرها ابن رشد رحمه الله تعالى فى البيان والتحصيل له فلما ان طلب منهم ذلك عملوا حساب ما يخرج منهم فوجدوه مالا كثيرا فشحوا باخراجه فتركوه (وقد قال) بعضهم فينبغى لمن ولى أى خطة أن ينظر الى نفسه فى يوم عزله منها ولا ينظر الى يوم توليته اه وما ذاك الا لانه اذا نظر الى يوم توليته هلك فى الغالب الا من عصم الله وقليل ما هم واذا نظر الى يوم عزله سلم فى الغالب (وقد) جرى بمدينة فاس أن السلطان جبر الشيخ الجليل أبا عبد الله بن عمران على القضاء فاستشار بعض الاكابر فاختلفوا عليه فقال له بعضهم لا تتول وان توقعت الموت وقال له آخرون ان توقعت الموت تول واحكم بالعدل وهم يعزلونك فسمع من الثانى فتولى وحكم بالعدل فلم يبق الا أياما يسيرة وعزلوه فى حكاية يطول ذكرها (فيتعين) عليه الهرب الكلى من الولاية وأسبابها اذا أنها احتوت سيما فى هذا الزمان على حظوظ النفوس من الرياسة الموجودة فيها ألا ترى ان المال الذى هو معلق بالقلوب فى الغالب يبذل فى المناصب ولا تبذل المناصب فيه فدل ذلك على انه أعظم ولاجل هذا قال بعض الاكابر الزهد فى الرياسة أفضل وأعظم من ألف زهد فى المال (وليحذر) من أن يميل الى خاطر النفس والعوائد الرديئة والالزام المعينة للشيطان عليه فقد تسول له نفسه أو أحد ممن ذكر أنه من الصنف الذين يتعين عليهم الولاية الشرعية فيقع بالقضاء فى القضاء الا ترى ان ذلك آفة عليه عاجلة لانه يقطع عليه ما هو

بصدده من الاشتغال لكثرة الاشتغال ان كان شابا اذ أنه يحرم عليه اذا جاءه الخصمان أن يشتغل بمطالعة المسائل أو غيرها (ويتعين) عليه اذ ذاك ترك الضروريات كلها الا ما استثنى شرعا (لما ورد) فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لا يقضى القاضى وهو غضبان اه وعداه الفقهاء الى غير ذلك وان كان ذا سن فاشد من الاول لما تقدم ذكره من أنهم كانوا اذا بلغ أحدهم الاربعين طوى الفراش وانعزل عن الناس وتبتل للعبادة وترك الاشتغال بالعلم اذ ذاك فما بالك بالدخول فى القضاء وهذا هو الغالب فيه أعنى أن القضاء لا يجىء للانسان الا بعد الطعن فى السن حين توقع هجوم الموت عليه غالبا (لما) جاء فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام حيث يقول معترك منايا أمتى ما بين الستين الى السبعين (ويكفى) من التنفير عنه ما حكى أن بعض القضاة كان اذا جلس للاحكام جلس الى جانبه رجل أسود الوجه أبيض البدن فكان اذا أراد أن يفصل الحكم بين الخصمين نظر الى وجهه ثم يفصل الحكم بعد ذلك فسئل عن موجب ذلك فقال اسألوه فسألوه فأخبرهم انه كان ينبش القبور فمات قاضى البلد قال فذهبت اليه ليلا فنبشت عليه حتى وصلت اليه وجئت آخذ الكفن واذا بشخصين قد دخلا فرجعت منهما فرجعت فى ناحية من القبر فقال أحدهما للآخر تقدم فجاء الى قدميه فشمهما فقال ها تان قدمان ما عصتا الله قط فقال له تقدم فجاء الى فرجه فشمه فقال هذا فرج ما عصى الله قط فقال له تقدم فجاء الى بطنه فشمها فقال هذه بطن ما أكلت الحرام قط فقال له تقدم فجاء الى يديه فشمهما فقال ها تان يدان ما عصتا الله قط فقال له تقدم فجاء الى فيه فشمه فقال هذا لسان ما عصى الله قط فقال له تقدم فجاء الى عينيه فشمهما فقال ها تان عينان ما عصتا الله قط فقال له تقدم فجاء الى أذنيه فشمهما فسكت فقال له ما بالك فقال له ها تان أذنان جاءه يوما خصمان فأصغى الى أحدهما أكثر من الآخر فارتفعا بضربانه فهربت فحصل لى هذا من هوى المقعمه فأصبح وجهى كما ترى اه (فانظر) رحمنا الله وإياك الى هذه الحكاية ما أعجبها فأين الحاكم الذى يكون على مثل ما كان عليه هذا السيد هو والله أعز شئ يكون ومن له عقل ينظر الى كل موضع يضطر فيه الى الصبر فيهرب منه لان البشرية فى الغالب عاجزة عن الصبر فان وقع فيه من غير أن يختاره ويضطر اليه فالاستغاثة اذ ذاك بربه لعل أن يصبره على ما ابتلاه به فيعده من باب الابتداء فاذا فعل ذلك يرجى له أن يعان وان يسلم من الآفات المنوطة به يشهد لذلك ما ورد فى الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من قوله لا تسأل الامارة فانك اذا أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها وان أعطيتها عن غير مسئلة أعنت عليها وقد قال عليه الصلاة والسلام انا لا نولى أمرنا هذا من طلبه اه (فانظر) رحمنا الله تعالى وإياك الى الغالب من أحوالنا اليوم فى تولية المناصب والعمل عليها بل يبذل بعضنا المال فى تحصيلها فاى نسبة بين هذا الحال وبين ما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام انا لا نولى أمرنا هذا من طلبه وقوله عليه الصلاة والسلام لا تسأل الامارة الحديث فاذا تقرر ذلك تبين به قبح تعاطيهم لذلك (فان) زعم بعضهم انه يتعين عليه البذل فى ذلك لما يراه من أن فيه أهلية للمنصب دون غيره (فالجواب) عنه من وجهين (الاول) ان فى هذا تزكية للنفس وقد نهى الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ذلك (الثانى) ان التعرض للاحكام فيه اشغال الذمة بأمر لا يعلم هل يتخلص منه أم لا وخلاص الذمة متعين (فان احتج) بما حكاه الله تعالى فى كتابه عن نبيه يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم حيث قال اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (قلا) حجة له فيه لان الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه معصومون وليس كذلك غيرهم (الا ترى) الى ما احتوت عليه قصة نبى الله سليمان عليه

الصلاة والسلام حيث طلب ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وذلك منه عليه الصلاة والسلام على سبيل الرحمة والشفقة على غيره لما أطلعه الله تعالى من أنه لا يكون في الانبياء بعده نبي ملك فلما ان علم صلى الله عليه وسلم ذلك خاف على غيره ان أعطى ذلك يهلك بسببه وهو عليه الصلاة والسلام قد أمن ذلك من جهة عصمته هذا وجه (الوجه الثاني) ان نبي الله يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم لما ان علم أنه سيقع بالناس شدة وغلاء خاف عليهم ان تولى غيره ذلك أن يهلكوا هلاك استئصال فأشفق عليهم من ذلك فطلب ما طلب (الثالث) انه عليه الصلاة والسلام خشي عليهم أن يقصروا في حقه والتقصير في حق الانبياء كفر اذ أنه رسول من رب العالمين قال الله عز وجل في كتابه العزيز ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات (واذا كان) ذلك كذلك فلا يحتج به على طلب الولاية وقد قال بعضهم لا أعدل بالسلامة شيئا والسلامة غالبا انما تتوقع في ترك الولايات فكيف تبذل فيها الاموال لاجرم انه لما رجع الامر فيها الى بذل الاموال صار يطلبها من ليس فيه أهلية لها ولا يعرف الاحكام فضاعت أمور المسلمين بسبب طلبها ودخول الاموال فيها وصارت التولية لمن لا يستحقها (فاذا) فهم ذلك فيتعين الهرب من الولاية مهما أمكن والعمل على البراءة منها وهو أبرأ للذمة وأخلص من التبعات عاجلا وآجلا ولو لم يكن فيها الا التفرقة عن الاشغال بالعلم والاقبال عليه والانقطاع الى الله تعالى ان كان بعد الاربعين كما تقدم (وهذه) مسئلة قد عمت بها البلوى في هذا الزمان بسبب الاقتداء بفتوى من وهم وألحق الرشوة التي هي من باب السحت والحرام بباب الجعالة والحاقها بباب الجعالة لا يجوز لفقد شروط الجعالة فيها اذ أن الجعالة عند العلماء لها شروط أربعة أحدها أن يكون الجعل معلوما والثاني أن لا ينقده والثالث أن لا يكون فيه منفعة للجاعل الا بتمامه والرابع أن لا يضرب للعمل المجعول فيه أجل فمتى انخرم أحد هذه الشروط لم تجز وقد فقد في الرشوة أكثر هذه الشروط (ومن) كتاب القوت كان ابن عباس رضي الله عنه يقول ويل للعالم من الاتباع يزل الزلة فتحمل عنه في الآفاق (وقال آخر) زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق الخلق اه (ولا حجة) لمن يقول ان التحريم انما هو في حق الآخذ للرشوة ليس الا لان المعطي قد تسبب في وقوع أخيه المسلم في هذا المحرم فصار شريكا له في اثم ذلك (وقد ورد) ان الظلمة يحشرون وأعوانهم حتى من مد لهم مدة فاذا كان من مد لهم مدة يحشر معهم فما بالك بمن أخذ مالا من أخيه المسلم على شيء هو مأمور بأن ينفعه به من غير عوض (وقد روى) أبو داود في سننه عن أبي أمامة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شفع لاحد شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا (ومن) كتاب التفسير للامام أبي عبد الله محمد بن ظفر الحموي رحمه الله تعالى لما أن تكلم على قوله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت قال الحسن هم حكام اليهود يستمعون الكذب ممن يأتيهم برشوة وقال عمر رضي الله عنه رشوة الحاكم من السحت (وقال) ابن مسعود من شفع لرجل ليدفع عنه مظلمة فأهدى اليه هدية فقبلها فذلك السحت فقيل له كنا نرى ان السحت الرشوة في القضاء فقال ذلك الكفر وتلا قوله تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون وانما أراد أن من أكل الرشوة في القضاء أكل السحت وكفر (وروى) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن الراشي والمرتشي والرائش فالرائش هو الذي يرشي المرتشي من مال الراشي فيأخذ له الرشوة منه فكل مال كسبه ذو الوجاهة عند السلطان من ذوي الحوائج اليه بجاهه فهو عند مالك رحمه الله سحت والقضاء فيه ان يرد الى أصحابه فان لم يعلموا رفعه السلطان الى بيت

مال المسلمين (وروى) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هدايا العمال من السحت (وقال) عمر رضي الله عنه هدايا الامراء غلول اه

﴿فصل في العدالة﴾ فاذا تقرر ما ذكر من الحرب من المناصب فمن آكدها الحرب من العدالة وترك التشوف اليها اذ أن الخطر فيها أعظم مما تقدم في القضاء اذ أن القاضي ليس له أمر ولا نهي في الغالب الا بشهادتهم فكأنه أسيرهم لانه بحسب ما قالوه حكم فهم الباعثون له على الحكم وأمورها متشعبة مشغلة عن الاشتغال بالعلم وغيره في الغالب حتى انه قد يضيع بعضهم حاله لأجلها وفيها من المفاسد أشياء عديدة في هذا الزمان لا يمكن تتبعها لان ذلك يطول وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام انا لا نولي أمرنا هذا من طلبه اه (فعلى) هذا كل من طلب العدالة فهو قدح في عدالته سيما في هذا الزمان خصوصا لما احتوت عليه من الامور الفظيعة ولو لم يكن فيها من القبائح الا ما أحدثوه من بذل المال فيها وان كان ذلك ليس خاصا بها بل هي وغيرها من المناصب الدينية رجعت الى بذل المال والاستعانة معه بمن لا يرضى حاله في الشرع الشريف فكان ذلك سببا قويا في أن يأخذ المناصب من لا يستحقها ويحرمها من يستحقها في الغالب فأدى الامر في ذلك الى أشياء فظيعة من ابطال الانكحة والعقود وغير ذلك من أمور المسلمين اذ أن الربط والحل انما هو بالعدول لكن أكثر العدول في هذا الزمان حالهم معلوم فلا حاجة الى شرحه ولاجل هذا المعنى كثرت شهادات الزور اذ أنه لو أخذ العدالة وغيرها من المناصب الدينية أهلها لقلت المفاسد بل تعدم بالكلية (وقد) ذكرت لبعض المباركين شخصا وأثنيت عليه عنده وقلت له ان والده يطلب له العدالة فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هو الآن عدل كيف يجرحونه فقلت له العدالة تجريح فقال نعم في هذا الزمان ترك العدالة هي العدالة (وما) ذكره بين (الاترى) الى حال بعضهم في المكتوب اذا كتبه يطلب عليه ما لا يستحقه وينتشاح في ذلك ولسان العلم يمنعه (اذ) أن الجالس لا يخلو حاله من أربع مراتب (أولها) وهي أعلاها أن يجلس لقضاء حوائج المسلمين والتفريج عنهم وارشادهم وتصحيح عقودهم طالبا بذلك الثواب من الله تعالى لا لدنيا يصيبها ولا لثناء وغيره امتثالا لقوله عليه الصلاة والسلام والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه اه فاذا أعطى شيئا تبرم منه وأغلظ على فاعله وهذا عزيز الوجود فان وجد كان ما يفعله من ذلك أفضل من صلاته النافلة في بيته وانقطاعه للتعبد اذ أنه خير متعد لاخوانه المسلمين ولا يختلف ان النفع المتعدي أفضل من القاصر على المرء نفسه بشرط السلامة من الآفات التي تعتوره في ذلك (المرتبة الثانية) أن يجلس للشهادة فاذا جاءه شغل أخذ عليه أجرة نسخه للورقة أو أقل منه ليس الافان زاده على ذلك شيئا رده عليه ولم يقبله وهذا قريب من المرتبة الأولى في عزة وجوده (وقد) كان سيدي أبو عبد الله بن عمران رحمه الله تعالى بمدينة فاس جالسا في العدول وجاءه انسان فكتب عنده حجة وأعطاه درهما فرده عليه وقال لا نستحقه فقال له ما عندي غير الدرهم فقال لا آخذ مالا أستحقه فقال له فكم نعطيك قال ربع درهم قال ما عندي ربع قال هات أربعة من البيض ثم جاءه مرة أخرى لاداء الشهادة فنزل من دكانه لاداء ما أعطاه شيئا فانتهره وزجره وقال تطعمون الناس الحرام ومع هذا الحال من التحرز والاحتياط لدينه تبرم من ذلك وقام من المجلس وانعزل في بيته فعلى منواله فانسج ان أردت الخلاص (المرتبة الثالثة) أن يجلس فاذا جاءه شغل عمله ولا يطلب عليه شيئا فان أعطاه قليلا رضي به وان أعطاه كثيرا عن طيب نفس منه لم يرده وهذه المرتبة أدنى من المرتبتين المتقدمتين مع كونها جائزة شرعا وقد قل وجودها في هذا

الوقت (المرتبة الرابعة) مايتعاطونه فى هذا الزمان وهو محرم اتفاقا وهو أن يطلب الشاهد مالا يستحقه ويمنع الحجة لاجله حتى يأخذ أكثر من ذلك حتى أدى الامر الى أن يترك بعض الناس الاشهاد على حقوقه لاجل الاجحاف به وخوفا من اعانتهم على أكل الحرام (وأقبح) من هذا أنه اذا طلب من بعضهم أو أكثرهم اليوم أداء الشهادة عند الاضطرار اليها يتناساها كأنه لا يعلمها حتى اذا أعطى شيئا تذكرها اذذاك من غير ارتياب (سيما) فى صدقات النساء يفعل بعضهم فيها فعلا قبيحا وهو أن يمسك الصداق عنده فاذا طلب منه يقول حتى أفتش فلا يزال يماطل حتى اذا اضطرت المرأة اليه بموت زوجها أو طلاقه اياها أو تطلب حقها المذكور فى صداقها فيطلب منها اذذاك ما يختاره وان كانت ضعيفة الحال وخشيت منه أيضا ان كان الصداق عندها أن تقضى ما تريده عند غيره (وكذلك) يفعلون بالمبارأة وأقبحهم من هذا وماشاكله أقبح من أن تذكر وتنزه الكتب عن ذكرها والاقلام عن كتبها (وقد) ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ستكون فتن كقطع الليل المظلم يصبح المرء مؤمنا ويمسى كافرا ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا اه ولاشك أن من أخذ مالا يستحقه فقد باع دينه بعرض من الدنيا (فان) قال قائل قد يضطر طالب العلم الى العدالة والجلوس لاجل العائلة وما يعتوره من الضرورات الشرعية لقلة ذات يده مما يحوجه الى ذلك (فالجواب) ماتقدم قبل هذا وهو أن ماكان من أمور الدين لا نستأكل به الدنيا فمن اضطر الى ذلك فله فى غيره من الاسباب الشرعية اتساع وهى كثيرة متعددة وأمور الدين والآخرة بمعزل عن أسباب الدنيا فلا ضرورة تدعو الى التسبب فى العدالة والجلوس لما ذكر اللهم الا أن يدخل عليه ذلك من غير أن يقصده ويجلس بقصد احد الوجوه الثلاثة المتقدم ذكرها فلا بأس اذن ويرجى له أنه فى طاعة لضرورة الناس اليه وضرورته شرعية ﴿تنبيه﴾ وليحذر اذا جلس أن يفعل ماجرت به عادة بعض أهل الوقت وهو مايسقط العدالة وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن السرف وعن اضاعة المال ولاشك أن كتب الصداق فى خرقة الحرير من باب السرف واضاعة المال وان كانت المرأة يجوز لها لبس الحرير والتحلى بالذهب لكن فيما يكون لبسا وتحليا شرعيا وأما الصداق فمن باب الفخر والخيلاء والمباهاة والمخالفة وقريب من هذا كتبهم لذلك فى النصاف وان كان مباحا لبسه للرجال والنساء وهذا ليس بلبس والسرف فيه موجود وذلك منهى عنه كما تقدم ولهم فى الرق وغيره من المباح اتساع (ثم) كذلك يحذر من هذه البدعة الاخرى وهو أن يكتب سطرا أو سطرين ثم يترك بياضا خارجا عن العادة فهو أيضا من باب اضاعة المال والسرف والخيلاء وان كان ذلك فى رق أو ورق ولو لم يكن فيه الا مخالفة السلف الماضين رضى الله عنهم لكان فعلهم لذلك قبيحا فكيف به مع مصادمة النصوص الشرعية المانعة من السرف ﴿تنبيه آخر﴾ وليحذر أن يحضر كتب صداق فى موضع مفروش بحرير على مايفعلونه فى الغالب أو يجلس على حرير أو يستند اليه أو الى وسادة مطرزة بحرير على مايفعلونه فى هذا الوقت من وسع الطراز بالحرير وقد تقدم القدر الذى يباح ويتسامح فى اباحته من الحرير للرجال (وكذلك) يمنع من الدخول تحت السقف المذهب ومن المواضع التى فيها تماثيل أو صور ممنوعة شرعا (وكذلك) لا يجوز أن يحضر الكتب فى موضع فيه منكر بين أو مع من يتعاطى ذلك جهرا مثل أن يكون ثم شرب خمر أو مغان على مايعلم من حضورهن بآلات الطرب وكشف الوجوه والمعاصم أو يكون ثم نساء متبرجات سواء اختلطن بالرجال أم لا (وكذلك) لا يحضر موضعا فيه مغانى الرجال بالآلات الممنوعة المتقدم ذكرها

وان كان مكروها دونها ولا في مكان تحضره الشيخة على الصفة المتقدم ذكرها (وكذلك) يتعين على من هو منسوب الى الخير والصلاح والعلم أو أحدها أن لا يجيب الى موضع فيه شئ مما ذكر وما أشبهه فان ذلك قدح في خيره وصلاحه وعلمه لانه يجب عليه تغيير ذلك وأقل ما يمكن في حقه من التغيير أن لا يجيب لموضع فيه شئ من ذلك بعد أن يعرفه أن امتناعه من أجل كذا وكذا فان ذلك كله ممنوع شرعا وان كان هذا في حق الناس كلهم ممنوعا في النكاح وغيره لكن في حق العدل آكد لانه اذا حضر شيئا من هذا وماشاكله ترتبت عليه مفسدتان عظيمتان احداهما وهي أشدهما سقوط عدالته في نفسه واذا سقطت عدالته بطلت العقود التي يشهد فيها ان كان النصاب لم يكمل الا به والثانية أنه قدوة فيقع العوام بسبب تعاطيه ذلك في اعتقاد جوازه في الشرع فيكون ذلك سببا للاحداث في الدين بزيادة ما ليس منه فيدخل تحت ذم الشرع حيث قال ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شئ اه وهذا أمر قد تساهل فيه أكثرهم اليوم وفيه من الخطر ما تقدم ذكره ﴿تنبيه آخر﴾ وكذلك يحترز الشاهد على نفسه مما اعتاده بعضهم في هذا الزمان وهو أن القاضي اذا أشهد على نفسه في امضاء الحكم قام الشهود له اذ ذاك وانحنوا حتى يقرب بعضهم من الركوع الممنوع لغير الله تعالى وتكلموا مع ذلك بألفاظ منمقة ممنوعة في الشرع لما فيها من التزكية والتملق بالباطل ولا شك ان ذلك الفعل قدح فيمن فعل ذلك وفيمن رضي به (وكذلك) يحترز من قيامه عند عطاس القاضي ومن تشميته بالفاظهم التي اعتادوها اليوم ولم ترد في الشرع (وقد) وقع بهذا الذي ذكر التنبيه بالاقل على الاكثر وبالاصغر على الاكبر فليتنبه لذلك من يتنبه والله تعالى يوفقنا واياك لما فيه رضاه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم ﴿تنبيه آخر﴾ وينبغي له اذا جاءه الخصمان ليشهد عليهما بتقييد ألفاظهما وماشاكل ذلك مما يقع بينهما حين المشاجرة أو الرجل وزوجته يريدان الفراق أن يكسر على كل واحد منهما مهما أمكنه ويشير عليهما بالصلح جهده ويذكر لهما ما في الصلح من الخير والبركة (قال) الله تعالى في كتابه العزيز لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس (وقال) الله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير (فلا) يهمل الشاهد عليهما بالشهادة الا بعد الاياس من صلحهما ويرى ان الفرقة خير لهما والشهادة أوجب عليهما لما يراه من حسم باب النزاع بينهما ويخبرهما بما في التقاطع والتدابر من الآثام فاذا فعل ذلك كان له الثواب الجزيل لامتثال الكتاب والسنة في ذلك وفيه ترك الاستشراف لما في أيدي الناس من الحطام وبه تحصل البركة (لما) ورد في الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (وقد) أدركت بعض الشهود بمدينة فاس اذا جاءهم من ذكر من المتخاصمين لا يجعلون عليهم بالا شهاد حتى يياسوا من صلحهم كما تقدم وكان لهم مع ذلك الخير والبركة ولم يكن لهم سبب غير ما هم فيه ثم مع ذلك كان حالهم أجل حال في اليسار والسعة فظهرت عليهم بركات الامتثال لما قاله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتقدم اذا البركة هي المقصودة فاذا حصلت فلا يلتفت الى الاسباب قلت أو كثرت (ولاجل) ترك النظر الى هذا المعنى كثرت اليوم الاشغال والشهادات وامحقت البركات سيما ان حصلت شهادته على ما يفعلونه اليوم من هذه الصفة المذمومة في التعليل فانها كالترياق المجرب قد علمت بالعادة الماضية فيه وهو أن من فعل ذلك وتعاناه من الزوجين والولي والشهود سلط عليه الفقر

(قوله أن يكسر الخ) ملخصه كما في القاموس محاولة تسوية الجمل على البعير اه

ولاجل هذا تجد الواحد منهم يحصل له في اليوم جملة من الفضة ومع ذلك حاله ضيق وتجد عليه الدين ويشتكي بالفقر والفاقة الكثيرة وهذا حال الكثير منهم كل ذلك سببه الاستشراف كما تقدم ذمه في الحديث (فان) قال قائل ان الشاهد اذا فعل ماذكرتموه يقل عليه الشغل وقد ينعدم في أكثر الاوقات فيضيع حاله وحال عياله (فالجواب) أن الشغل القليل مع امتثال السنة أبرك من الكثير مع مخالفتها بل مامع المخالفة بركة أصلا (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ان تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب اه (فارشد) عليه الصلاة والسلام لما فيه صلاح أمته دينا ودنيا فمن حاول الراحة في غيره فقد رام شططا وتعب وأتعب (فليحذر) العاقل من هذا الامر فانه خطر (ثم) مع تنزهه عن الاشغال الكثيرة يحصل له البركة وفراغ السر وقد يجد السبيل الى المطالعة والدرس وهو في دكانه بخلاف حاله مع كثرة الاشغال المكروهة شرعا فان البركة تمحق منها ويتعوق بها عن الاشتغال بالعلم وقد تقدم ان الاشتغال بالعلم أفضل الاعمال وأزكاها وأبركها فليشدد على ذلك يده لانه لاشئ أبرك مما هو فيه (ألا ترى) الى ما في الحديث الذي خرجه صاحب الحلية وصححه السمرقندي رحمه الله تعالى في فضل العلم والثناء على حامله وبركته والتنويه بقدره (وهو) ما روي عن معاذ رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام ومنار سبيل أهل الجنة والانس في الوحشة والصاحب في الغربة والمحدث في الخلوة والدليل على السراء والمعين على الضراء والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتفى آثارهم ويقتدى بأفعالهم وينتهى الى رأيهم ترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس حتى الحيتان في البحر وهوامه وسباع الطير وأنعامه لان العلم حياة القلوب من الجهل ومصباح الابصار من الظلمة بالعلم تبلغ منازل الاخيار والدرجات العلى في الدنيا والآخرة والتفكر فيه يعدل الصيام ومدارسته القيام وبه توصل الارحام ويعرف الحلال والحرام العلم امام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء اه

﴿فصل في آداب العالم والمتعلم في بيته مع أهله﴾ قد تقدم انهما قدوة للمقتدى فاذا فعلت زوجة أحدهما شيئا نسب ذلك للشرع وصار حجة في الدين غالبا فيتعين على كل منهما أن يتحفظ على تصرف اهله كما يتحفظ على تصرفه في نفسه كما تقدم (وقد) ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال النساء شقائق الرجال يعني في امتثال الاوامر والنواهي (فاذا) تقرر هذا فقد تقدم ما في النعوت من الذم في حق النساء والرجال وما في قيام الرجال بعضهم لبعض من الذم وقيام المرأة للمرأة اشنع اذ أنها عورة وحركتها زيادة في ظهور العورة لان في قيامها يرى منها ما لا حاجة تدعو الى رؤيته (وبالجملة) فان القيام في حقها أشد من قيام الرجل وان كان ذلك ممنوعا له الا فيما استثنى كما تقدم (وليحذر) أن يفاحشها (وقد) منع مالك رحمه الله تعالى من ذلك في حق غير العالم والمتعلم فكيف به في حقهما لانهما قدوة (قال) ابن رشد رحمه الله انما كره مالك رحمه الله ذلك لانه لم يكن من عمل الناس اه وله في الانبساط بما يجوز شرعا اتساع فلا ضرورة تدعو الى غيره (وليحذر) ان تتزين زوجته بالذهب والفضة في غير ما أبيح لها اذ أن الشرع انما أجاز لهن لباس الحرير والتحلي بالذهب على أبدانهن (واذا كان) ذلك كذلك فلا يجوز له أن يتركها تتخذ المكحلة أو الميل أو المرآة من ذهب أو فضة اذ أن ذلك ليس بزينة شرعية (وكذلك) يمنعها مما عمت به البلوى في هذا الزمان حتى صار كأنه شعيرة

بينهم وهو أن الزوجة لا تدخل على زوجها في الغالب الا بثلاث دكك دكة فضة ودكتي نحاس أبيض وأصفر وهذا لا قائل به من المسلمين أعني ما كان من ذلك فضة اذ أن ذلك محرم على الرجال والنساء وان كان قد اختلف في اتخاذ الاناء الصغير للمرأة لكنه قول لا يعول عليه وهو آثم في فعله واد خاره وتجب الزكاة عليه فيه كل سنة تمضي عليه (ويتعين) على الزوج أو الولي أن يمنع ما أحدثه النساء من تزيينهن للحواجب بما يمنع وصول الماء الى البشرة سيما ان كان نجسا اذ أن ذلك محرم اتفاقا (وأما) النقش والتكتيب فلا شك في منعه لانه نجس وحائل ويزيد على ما ذكر بكشف العورة لاجله اذ أن المرأة الحرة كلها عورة الا وجهها وكفيها (واختلف) في حالها مع النساء مثلها من المسلمات فقيل كالرجل مع المرأة الاجنبية وقيل كالرجل مع الرجل وفيه من التشويه أعني في النقش والتكتيب أنهن يغيرن به البدن ويكسبه ذلك خشونة وذلك مما ينغض على الرجل في الاستمتاع وقد يؤول ذلك الى وقوع البغضاء بينهما وان غفلت المرأة عن نفسها قليلا بقي بدنها كأنه ضرب بالسياط والغالب ان بدنها يدمى لتزيد النجاسة ويكثر ضد مراد صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم في التباعد عنها وأما هي فالغالب أنها تقاسي من ذلك شدة حتى تبرأ فاذا برئت بقي أثره في بدنها حفرا حفرا بعد أن كان مستويا صحيحا سالما من العيوب (ويحذر) من هذه البدعة التي اتخذها بعض النساء في الغالب وهي انها اذا أرادت الخروج لبست أحسن ثيابها وتزينت وتعطرت ولبست من الحلي ما قدرت عليه من سوار وخلخال وتضيف الى ذلك نعلا قبيحا شنيعا وهو أن تجعل الخلخال فوق السراويل لكي يظهر وقد تضرب برجلها في الغالب فيسمع له حس وهذا خلاف ما نطق به الكتاب العزيز حيث يقول سبحانه وتعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها الى قوله تعالى ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن (وكذلك) ما يفعلنه من لبس هذا الازار الرفيع الذي لو عمل على عود لأفتن بعض الرجال في الغالب لحسن منظره وصقالته ورقة قماشه وقد تقدم ان السنة في حق المرأة اذا أرادت الخروج أن تلبس خشف ثيابها ومع ذلك فالسنة في حقها ان تجر مرطها خلفها نحو ما من شبر الى ذراع وأن تمشي مع الجدران وتترك وسط الطريق وهذا في حق سائر الناس (وأما) في حق العالم والمتعلم فيجعل حالهما أن يرضيا بشيء من ذلك وقد تقدم انهما قدوة للمقتدين فاذا رأى أحد زوجة العالم أو المتعلم تعمل شيئا مما ذكر ينسب ذلك الى الشرع كما تقدم وهذه مفسدة عظيمة فكيف تنسب الى من له علم معاذ الله (وقد) تقدم ان المرأة لها ثلاث خرجات فان كان ولا بد من الزيادة على هذه الثلاث فليكن على ما ينبغي من لسان الشرع في ذلك (ويعلمها) السنة في الخروج وفي الاقامة في بيتها اذ أنها اذا كانت في بيتها فيستحب لها أن تفعل ما تقدم انها تفعله في خروجها لقوله عليه الصلاة والسلام جهاد المرأة حسن التبعل ومن حسن التبعل التزين والتحلي والتعطر في بيتها لزوجها مع حسن الخلق والتأني له ولها في ذلك أسوة بالسلف والخلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين (وكذلك) يحذر من هذه البدعة التي اعتادها بعضهم من انهم ينامون في ثيابهم والسنة الفراش والتجريد من الثياب ما لم يجاوز الاربعين على ما تقدم (وقد) جاء في الحديث على ما ذكره مسلم ما هو صريح في الدلالة على التجريد والفراش (وفيه) عن عائشة رضي الله عنها أنها قامت من فراشها قالت فعملت درعي في رأسي واختمرت وتقنعت ازاري الى أن قال فان جبريل عليه السلام أتاني حين رأيت فناداني فأخفيته منك ولم يكن يدخل عليك وقد وضعت ثيابك (ويحذر) من هذه البدعة الاخرى التي يفعلها بعضهم وهي قبيحة مستهجنة وهي ان الزوجة اذا جاءت الى الفراش تأخذ شيئا يعطيه لها زوجها في الغالب غير نفقتها بحسب حاله وحالها

لحق الفراش على مايزعمون وهذا منكر بين (وقد) وقع بمدينة فاس انهم أحدثوا ان الرجل اذا دخل على زوجته يعطى فضة عند حل السراويل فبلغ ذلك العلماء فقالوا هو شبيه بالزنا ومنعوه وهذا انما كان فى أول ليلة فما بالك به فى كل ليلة (وليحذر) من هذه البدعة الاخرى بل المحرم وهو أن الرجل يغفل عن زوجته فى الغالب ولا يسألها عن صلاتها ولا عما يلزمها فى الشرع ذلك محرم لقوله عليه الصلاة والسلام والرجل راع فى بيته وهو مسؤول عن رعيته فهو مسؤول عن صلاتها وقد تقدمت حكاية سيدى أبى محمد رحمه الله مع أهله والغالب فى هذا الزمان ان الرجل يراعى حتى نفسه اذا كانت له عناية بدينه فيطأ ويخرج الى الحمام ويترك أهله ومن جنب وليس عندهن موضع للغسل ولا آلة تعين عليه وقد يستحى بعضهن وهو الغالب أن يخرجن الى الحمام فى كل أوان فكان ذلك سببا لترك الصلاة وهو يعتقد انه برىء الذمة من جهة أهله فى تركهن الصلاة وليس الامر كذلك وان أمرهن بها فأمر مطلق اذ لا يفكر لهن فى تحصيل الغسل من غير مضرة تلحقهن والغالب ان ترك صلاة الزوجة انما هو من جهته لا من جهتها وقد يجتمعان فى الغالب أعنى الغفلة عنها وايثارها الترك الصلاة وقد يكون لها فى البيت ما يمكنها الغسل فيه لكن تستحى من العائلة التى فى البيت أن تغتسل وهم يشعرون بها فتترك الصلاة لاجل ذلك وهذا كله من المحرمات المتفق عليها ولا حياء فى الدين وانما هى عوائد جرت واستحكمت وصار يستحى فى الغالب من فعل الواجبات ولا يستحى من فعل المحرمات عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه (والعجب) من أكثرهم ان الواحد منهم يشترى الدار بالالاف أو يبنيها ابتداء ثم يتوضأ فى طشت ولا يعمل موضعا للوضوء فضلا عن موضع الغسل وماذاك الا لاجل العوائد الرديئة المستهجنة القبيحة وهو أنهم لا فكرة لهم فى الغالب الا فى صلاح دنياهم وما كان من أمر الدين فلا يفكرون فيه حتى يفجأهم ان كانوا متقين فى هذا الزمان فان أصابت الجنابة بعض المتحفظين منهم على دينه خرج الى الحمام وترك أهله كما تقدم وفى الحمام من كشف العورات ومالا يجوز أشياء متعددة (وكذلك) تجد بعضهم يعطى فى صداق المرأة المئين أو الآلاف ولا يعد موضعا للغسل بشئ يسير من ذلك وكذلك المرأة تساعده على ترك ذلك فكانهم اصطلحوا على فعل الاسباب التى تترك الصلاة لاجلها والصلاة لا تسقط بشئ من ذلك لاجرم أن التوفيق بينهما قل ان يقع وان دامت الالفة بينهما فعلى دخل وان قدر بينهما مولود فالغالب عليه ان نشأ العقوق وارتكاب مالا ينبغى كل ذلك بسبب ترك مراعاة مايجب من حق الله تعالى منهما معا (وقد) تقدم ان المرأة لو طلبت من القاضى أن يجعل لها زوجها موضعا للغسل لحكم لها بذلك عليه (ألا ترى) ان مالكا رحمه الله لما أن سئل عن الغسل من ماء الحمام فقيل له أيما أحب اليك الغسل من ماء الحمام أو الغسل بالماء البارد فقال والله ما دخول الحمام بصواب فكيف يغتسل من مائه (فهذا) دليل واضح على ان غسلهم كان فى بيوتهم بل ان أهل الحجاز ما كانوا يعرفون الحمام (ألا ترى) الى ما رواه أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستفتح لكم أرض العجم وستجدون فيها بيوتا يقال لها الحمامات فلا يدخلها الرجال الا بازار وامنعوا منها النساء الا مريضة أو نفساء (وروى) أبو داود والترمذى عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى الرجال والنساء عن دخول الحمام قالت ثم رخص للرجال أن يدخلوه بالمئزر (وقال) دخل على عائشة نسوة من نساء أهل الشام فقالت لعلكن من الكورة التى يدخل نساؤها الحمامات قلن نعم قالت أما انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امرأة تخلع ثيابها فى غير بيتها الا هتكت ما بينها وبين الله تعالى من حجاب (وروى) أبو داود عن جابر رضى

الله

الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير ازار ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام الا من عذر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يجلس على مائدة يدار عليها الخمر اه (وقد) كان سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله كثيرا ما يحافظ على ما نحن بسبيله وذلك انه كان اذا عزم عليه أحد من المعتقدين له أن يدخل بيته سأله هل عندك حمام فى بيتك أم لا فان قال نعم مضى اليه وان قال لا امتنع من المضى اليه فكان ذلك سببا الى تيسير الطهارة على كل من عرفه فى الغالب (وقد) قال الامام القرشى رحمه الله اذا أراد الله بعبد خيرا يسر عليه أسباب الطهارة ولا شك ان من كان فى بيته موضع للغسل والوضوء فقد تيسرت عليه الطهارة اذ ان ذلك من أعظم أسباب التيسير لها

﴿فصل فى دخول المرأة الحمام﴾ وينبغى له أن لا يأذن لزوجته فى دخول الحمام لما اشتمل عليه فى هذا الزمان من المفاسد الدينية والعوائد الرديئة لان علماءنا رحمة الله عليهم اختلفوا فى المرأة مع المرأة هل حكمها حكم الرجل مع الرجل أو حكم الرجل مع المرأة الاجنبية أو حكم الرجل مع ذوات محارمه وهن قد تركن ذلك كله وخرق اجماع الامة بدخولهن الحمامات باديات العورات وان قدرنا ان امرأة منهن سترت من سرتها الى ركبتها اعين ذلك عليها واسمعنها من الكلام مالا ينبغى حتى تزيل الستر عنها ثم ينضاف الى ذلك محرم آخر وهو أن اليهودية والنصرانية لا يجوز لها أن ترى بدن الحرة المسلمة وهن يجتمعن فى الحمامات مسلمات ونصرانيات ويهوديات فيكشف بعضهن على عورات بعض فكيف باذن أحد أهله فى دخولها فان قال انه يأخذ لاهله الخلوة فاذكر من المفاسد لا تذهبه الخلوة اذ أنهن حين الدخول فيها والخروج منها والجلوس فى المقطع يكشفن على عورات غيرهن ويكشف عليهن اللهم الا أن تكون الخلوة خارجة عن الحمام فكأنها حمام مستقل بنفسه فهذا جائز بشرط أن يكون كل من دخل يستتر الستر الشرعية ولا يمكن البلانة من الدخول على أهله وهى منكشفة حتى تستتر الستر الشرعية فهذا للضرورة لا بأس به (وكذلك) لو أخلى لاهله الحمام بليل واستترن فلا بأس اذن على ما تقدم فى الخلوة لكن لا أعدل بالسلامة شيئا اذ أن الغسل فى البيت فيه ستر حصين وسد لباب الذريعة الى المفاسد ألا ترى ان الواحدة منهن اذا أرادت الحمام استصحبت معها أخرى تباهيها وأنفس حليها فتلبسه حين فراغها من الغسل فى الحمام حتى يراها غيرها فتقع بذلك المفاخرة والمباهاة وقل ان تقنع المرأة التى ترى ذلك على غيرها من زوجها الا بمثل ذلك أو ما يقاربه وقد لا يكون لزوجها قدرة على ذلك فتنشأ المفاسد ربما كان ذلك سببا للفراق أو الاقامة على شناآن بينهما الطول المدة هذا حال غالبهن وذلك ضد مقصود الشرع الشريف فى الالفة والود الذى جعله الله تعالى بين الزوجين بقوله عز وجل فى كتابه العزيز ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة وفى دخول الحمام مفاسد جمة وفيما ذكر غنية عن ذكر باقيها وهى بينة عند المتأمل ان عرض ذلك على لسان العلم فيتبين له ما فيه من القبح (فان) قال مثلا الغسل فى البيت يصعب عليه (فقد) تقدم أنه لو انفق فى خلوة يعملها فى البيت من بعض ما يعطى من الصداق أو من ثمن الملك لانسدت هذه الثلمة (فلو) قال أيضا ان الغسل فى البيت لا يكون كالحمام سيما فى أيام البرد (فالجواب) أن أيام البرد يمكن المرأة أن تستغنى فيها عن الغسل بالسدر وماشاكله اذ أن أيام البرد لا يجتمع فيها الوسخ ولا الغبار كثيرا فاذا فرغت أيام البرد كان الغسل فى البيت فى الموضع المهيأ له لا مشقة فيه ويكفيها فى تلك المدة أنها تغتسل من الحيض كما تغتسل من الجنابة لكن بشرط أن يعلم زوجته

المقطع الحوض الذى ماؤه نصف ثم قطع عنه الماء اه

سرعة الغسل فان ذلك آمن مما يتوقع من الضرر بها وذلك من السنة الماضية (الاترى) الى ماخرجه البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم أقيمت الصلاة عليه يوما فسوى الناس صفوفهم ثم ذكر أنه جنب فقال على رسلكم ثم دخل بيته وخرج ورأسه يقطر ماء فصلى بهم فهذا دليل واضح على سرعة غسله صلى الله عليه وسلم اذ أنه عليه الصلاة والسلام ارحم الخلق بامته وأشفقهم عليها فلو كان زمان الغسل فيه طول لأمرهم بالجلوس حين ذكر سيما وقد يكون فيهم الضعيف والشيخ الكبير ولنا فى فعله صلى الله عليه وسلم اسوة (وكذلك) يعلمها اذا اغتسلت فى البيت أن تترك رأسها مغطى لاتكشفه حتى اذا جاءت الى غسله كشفته وخللت شعر رأسها وأفاضت الماء عليه ثم نشفته فى الوقت وغطته ثم بعد ذلك تغسل سائر بدنها وانما يأمرها بذلك خيفة أن يصيبها فى رأسها ألم ان تركته مكشوفا حتى تفرغ من غسل جميع بدنها ولها أن تترك رأسها مغطى حتى تفرغ من غسل جميع بدنها ثم تغسل رأسها على ماتقدم ذكره وليس فى ذلك الاترك الترتيب فيه وهو فى الغسل ليس بواجب ولو كان المغتسل به ألم فى رأسه لايقدر على كشفه رجلا كان أو امرأة فانه يغسل جميع بدنه ويمسح على رأسه من غير حائل فلو كان يضره المسح عليه مسح على العمامة أو الخمار ويجزيه ذلك مادام به الاذى وكذلك ان كان الالم فى غير رأسه وليس عليه تيمم عند مالك رحمه الله ومذهب الشافعى رحمه الله يجمع بين الغسل والتيمم ولو كان لايقدر على استعمال الماء فى شئ من بدنه لمرض به أو جرح أو لما يخشى أن ينزل به من مرض فله أن يتيمم وان طال به ذلك (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم فى المرأة اذا طهرت من حيضتها وهى فى سفر مع زوجها ولم يكن معهما من الماء مايكفيهما لغسلهما من الجنابة بعد غسلها من حيضتها فليس لزوجها ان يطأها بعد الغسل من حيضتها حتى يكون معهما من الماء مايكفيهما اللهم الا أن يطول السفر بهما مع عدم الماء فيجوز لزوجها ان يطأها ويتيمما من جنابتهما (وكذلك) فيما نحن بسبيله ان كانت المدة قصيرة لايتضرر بها الزوج فلا يجوز له وطؤها لعجزها عن استعمال الماء وان طالت المدة وأضر ذلك بالزوج فذلك جائز (وقد) قال عليه الصلاة والسلام الصعيد وضوء المسلم وان لم يجد الماء عشر سنين فاذا وجده فليمسه بدنه أو كما قال عليه الصلاة والسلام ولافرق بين ان يعدم الماء أو يتعذر عليه استعماله بوجه من الوجوه الشرعية والله الموفق وهذا كله جار على الامتثال (واذا كان) ذلك كذلك فلا عذر له فى دخول الحمام على الصفة المذمومة شرعا (فلو) قال مثلا الغالب على الناس عدم الجدة والسكنى بالكراء فلا يتأتى لاكثرهم عمل موضع فى البيت للاغتسال فيه (فالجواب) ان الغالب فى البيوت ان يكون فيها خزانة أو موضع كنين فيتخذه للغسل فيجعل فيه اناء يقعد فيه مثل الماجور وغيره والمقصود أن من كان همه صلاح دينه عمل الحيلة فى صلاحه ودرأ المفاسد عنه وهذا متعين عليه والله أعلم

﴿فصل فى تعليم الزوجة أحكام الغسل وما تحتاج اليه فيه﴾ ويتعين على الزوج أو غيره ممن يلى أمر المرأة ان يعلمها أحكام الغسل ومايجب ومافيه من الفرائض والسنن والفضائل وان كان هذا موجودا فى كتب الفقه لكن تمس الحاجة الى ذكره هنا كما تقدم فى أول الكتاب من ذكر فرائض الوضوء وسننه وفضائله لتتم الآداب فى ذلك كله ان شاء الله تعالى فيعلمها ان الغسل يجب من أحد أربعة أشياء من الانزال وان لم يكن جماع ومن التقاء الختانين وان لم ينزل ومن دم الحيض ومن دم النفاس (وفرائضه) المتفق عليها فى المذهب وهى النية والماء المطلق وتعميم الجسد بالماء واختلف فى ثمان الفور والتدليك والدلك الطاهر ونقل الماء وامرار اليد مع الماء ودوام النية والخشوع

والتخليل (وسننه خمس) غسل اليدين قبل ادخالهما فى الاناء والمضمضة والاستنشاق والاستنثار ومسح الصماخين (وفضائله تسع) التسمية والسواك والموضع الطاهر والبداءة بغسل أعضاء الوضوء والبداءة بالأعلى فالأعلى والبداءة باليمين فاليمين والصمت الا عن ذكر الله تعالى والتشهد والدعاء بعد الغسل * واختلف فى الخاتم فى الغسل والوضوء هل يحركه ليصل الماء الى ما تحته أم لا على ثلاثة أقوال يفرق فى الثالث بين أن يكون ضيقا فيحركه أو واسعا فيتركه وأيجذران يستنجى وهو فى يده ان كان عليه اسم من اسماء الله تعالى أو اسم من أسماء الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان كان قد روى عن مالك اجازة ذلك لكن هى رواية منكرة عند أهل المذهب عن آخرهم فينبغى أن لا يعرج عليها ولا يلتفت اليها لان مثل هذا لا ينبغى أن ينسب الى آحاد العلماء فضلا عن الامام مالك رحمه الله تعالى لما كان عنده من التعظيم لجانب الله تعالى وجانب نبيه عليه الصلاة والسلام كما هو مشهور ومعروف عنه (فان كانت) المرأة فى الحمام بحيث لا تصل يدها الى موضع النجاسة منها فلا يجوز لها أن تترك غيرها يغسل لها ذلك من جارية أو غيرها ولا يجوز أن يكشف عليها غير زوجها فان أمكن زوجها أن يغسل لها ذلك فبها ونعمت وله الأجر فى ذلك والثواب الجزيل وان أبى فليس عليه ذلك واجبا وتصلى هى بالنجاسة ولا يكشف عليها أحد لان ستر العورة واجب وكشفها محرم اتفاقا وازالة النجاسة فى الصلاة مختلف فيها على أربعة أقوال أحدها ان ازالتها مستحبة وما اختلف فيه فارتكابه أيسر من الذى لم يختلف فيه (وأما الرجل) فان كان لا يصل الى ذلك بيده فانه يتعين عليه ان قدر أن يشترى جارية تلى ذلك منه وان تطوعت الزوجة بغسله لم يجب عليه شراء الجارية ولا يحل له أن يكشف عورته على غير من ذكر فان لم يجد فصلاته بالنجاسة أخف من كشف عورته وهذا كله على مذهب مالك رحمه الله تعالى (وكذلك) اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فى المرأة المبدنة أو الرجل يكون مثلها فى الموضع الذى لا يصلان اليه بأيديهما من ظهورهما اذا اغتسلا على أربعة أقوال (أحدها) أن يستنيب من يلى ذلك منه (الثانى) أنه يتخذ خرقة أو غيرها ليعالج ذلك بها (الثالث) أنه يغمره بالماء ولا يجب عليه غير ذلك وهذا هو المشهور (والرابع) الفرق بين القليل والكثير (ثم يعلمها) الشروط التى يسقط بها عنهما الوضوء والغسل ويجب عليها التيمم وهى ست أن تعدم الماء أو تعدم بعضه أو يتعذر استعماله مع وجوده ووجود الحدث ووجود الصعيد ودخول الوقت وأن يكون متصلا بالصلاة (ثم) يعلمها فرائض التيمم وهى خمس النية والفور والضربة الاولى بالارض ومسح الوجه ومسح اليدين الى الكوعين وسننه ثلاث الضربة الثانية بالارض والمسح من الكوعين الى المرفقين والترتيب وفضائله أربعة التسمية والسواك والصمت وذكر الله تعالى (ويعلمها) موانع الحيض والنفاس على ما تقدم بيانه وانما وقع التنبيه على التعليم لأهله لما يتعين عليه لقوله عليه الصلاة والسلام والرجل راع فى بيته وهو مسؤل عن رعيته وأيضا فانه يقبح بالمتعلم أو العالم أن تسئل زوجته عن شئ مما يحتاج اليه النساء فى الدين فلا يكون عندها علم بذلك مع كونه متعينا عليها فهذا من أقبح الاشياء وأرذلها اذ أنه قدوة للمقتدين كما تقدم

* فصل فى دخول الرجل الحمام * وليحذر هو أيضا من دخول الحمام مهما استطاع تركه كان به علة أو لا بل أوجب اذا أن العلة التى تقدم ذكرها فى حمام النساء موجودة فى الغالب فى حمام الرجال وان كانوا فى السترة أو جد من النساء (الا ترى) أن بعضهم اذا دخل الحمام استتر بالفوطة فاذا استقر فيه نزعها وبقى مكشوف العورة وكذلك اذا خرج الى المسلخ ألقى ما عليه وبقى مكشوفا حتى يتنشف (وقد قال) علماؤنا رحمة الله عليهم انه لا يجوز أن يجتمع مستور العورة مع مكشوف العورة تحت سقف واحد

(وقال) ابن رشد رحمه الله تعالى فى معنى كراهة مالك للغسل من ماء الحمام ثلاث معان (أحدها) مانحن بسبيله وهو أنه لا يأمن أن تنكشف عورته فيراها غيره أو تنكشف عورة غيره فيراها وهو اذا لا يكاد يسلم من ذلك من دخله مع الناس لقلة تحفظهم وهذا اذا دخل مستترا مع مستترين وأما من دخل غير مستتر أو مع من لا يستتر فلا يحل ذلك ومن فعله فذلك جرحة فى حقه وقدح فى شهادته (المعنى الثانى) ان ماء الحمام غير مصان عن الايدى والغالب أن يدخل يده فيه من لا يتحفظ من النجاسات مثل الصبى الصغير والكبير الذى لا يعرف ما يلزمه من الاحكام فيصير الماء مضافا فتسلبه الطهورية (الثالث) ان ماء الحمام يوقد عليه بالنجاسات والاقذار فقد يصير الماء مضافا من دخانها فتسلبه الطهورية ايضا كما تقدم اه وهذا حال أهل وقتنا فى الغالب وهو أن يدخل مستور العورة مع مكشوف العورة كما هو مشاهد معلوم مع أنه قد ذكر بعض الناس أنه يجوز دخول الحمام وان كان فيه من هو مكشوف العورة ويصون نظره وسمعه كما أنه يجوز له الاغتسال فى النهر وان كان يجد ذلك فيه كما يجوز له أن يدخل المساجد وفيها ما فيها (وهذا) الذى ذكره رحمه الله تعالى محمول على زمنه الذى كان فيه وأما زماننا هذا فاذا الله أن يجيزه هو أو غيره لما تقدم ذكره من أن النساء باديات العورات كاسيات لا يستترن من تستر والستر الشرعية عيب عندهن كما تقدم وحمام الرجال قريب منه فيتعين على المكلف أن يتركه ما استطاع جهده (وما ذكره) من الغسل فى النهر والدخول فى المساجد وفيها ما فيها فغير وارد لان المكلف يكره له أن يدخلها ابتداء الا أن يضطر اليها على ما سيأتى بيانه ان شاء الله تعالى مع ان الغالب فى هذا الوقت أن شاطئ النهر فيه من كشف العورات ما هو مثل الحمام أو أعظم منه على ما هو مشاهد مرئى من كشف عورات النواتية ومن يفعل كفعلهم سيما ان كان فى غير زمن البرد فذلك أكثر وأشنع لورود الناس للغسل وغيره وقل من يستتر فلا حاجة تدعو الى الكلام على ذلك لمشاهدته عيانا وما أتى على بعض المتأخرين الا أنهم يحملون ألفاظ العلماء على عرفهم فى زمانهم وليس الامر كذلك بل كل زمان يختص بعرفه وعادته والله الموفق (وكذلك) يجرى هذا المعنى فى الفساقى التى فى المدارس والرباطات اذ أنها محل كشف العورات فى هذا الزمان ومن ذلك ما نجده فى الحمام فى الغالب من الصور التى على بابه والتى فى جدرانه وأقل ما يجب عليه من التغيير ازالة رؤوسها فيتعين عليه انكار ذلك والاخذ على يد فاعله فكيف بدخوله العالم أو المتعلم ويسكتان الى غير ذلك من المفاسد وهى بينة (وان) كان قد أجاز علماؤنا رحمة الله عليهم دخول الحمام (لكن) بشروط وهى أن لا يدخلها أحد من الرجال والنساء الا للتداوى (الثانى) أن يتعمد أوقات الخلوة وقلة الناس (الثالث) أن يستر عورته بازار صفيق (الرابع) أن يطرح بصره الى الارض أو يستقبل الحائط ثم لا يقع بصره على محظور (الخامس) أن ينير ما رأى من منكر برفق بان يقول استتر سترك الله (السادس) ان دلكه أحد لا يمكنه من عورته من سرته الى ركبته الا امرأته أو جاريته (السابع) أن يدخله باجرة معلومة (الثامن) أن يصب الماء على قدر الحاجة (التاسع) ان لم يقدر على دخوله وحده اتفق مع قوم يحفظون دينهم على كراهة فى ذلك لما يخشى (العاشر) أن يتذكر به عذاب جهنم (وينبغى) أنه مهما استطاع أن يعلم أهله بالفعل كان أولى اذ أنه أبلغ فى الثبوت فى نفس المتعلم (وقد) كان صلى الله عليه وسلم يغتسل هو وزوجته من اناء واحد حتى انها تقول دع لى دع لى فكل شئ يمكن تعلمه بالفعل للمتعلم كان ذلك أولى من القول كما تقدم من أنه اثبت فى النفوس (وينبغى) له أو يتعين عليه أن يعلم أهله كل ما يحتاجون اليه من

الاحكام غير ما تقدم اذا ان ماذكرانما هو تنبيه على سائر ما يعتورهم لان النساء في الغالب يتعلمن منهن الاحكام فيما يقع لهن فاذا كن جاهلات بما يسئلن عنه فقد يكون ذلك من باب كتم العلم (ثم) اذا دخل بيته فهو بين أحد أمرين (اما) أن يكون مقبلا على العلم لا يسمه غيره فيا حبذا فيشتغل بما هو بصدده ولا يعرج على غيره (كما حكى) عن القاضي عبد الوهاب رحمه الله أنه لما أراد دخل مصر وتأهل بها وقعد معززا وجته سنين ثم مات رحمه الله تعالى أراد أهلها أن يزوجوها فقالت لهم اذا عزمتم فزوجوني على ابي بكر فقالوا لها كيف وقد أقمت سنين معه فقالت أول ليلة دخل علي صلى ركعتين وجلس ينظر في كتبه ولم يرفع رأسه ثم كذلك في سائر أيامه فقمت يوما ولبست وتزينت ولعبت بين يديه فرفع رأسه ونظر الي وتبسم وأخذ القلم الذي بيده فجره على وجهي وأفسد به زينتي ثم أكب رأسه على كتبه لم يرفعه بعد ذلك حتى انتقل الى ربه عز وجل فان كانت له همة سنية فلينسج على منواله (وقد) قال العلماء ان طالب العلم يحتاج الى ستة أشياء لا بد له منها فان نقص منها شئ نقص من علمه بقدر ذلك وهي همة باعثة وذهن ثاقب وصبر وجدة وشيخ فتاح وعمر طويل (فان) أراد أن يستريح فكيفية النية في ذلك أن ينوي بذلك الاستراحة امتثال السنة لقوله عليه الصلاة والسلام روحوا القلوب ساعة بعد ساعة (وينوي) بذلك ادخال السرور على أهله بالاقبال عليهن والتحدث معهن (وينبغي) له أن يكون مع أهله وولده كواحد منهم لا مزية له عليهم أعني بذلك في بسطهم والتواضع معهم وينوي بذلك كله امتثال السنة (وذلك) كله جائز بشرط أن يكون لا يعارضه مخالفة أمر ولا ارتكاب نهي لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح ولا يقول الا حقا وقد تقدم أن الفراش والتعري من السنة (وقد) كان صلى الله عليه وسلم اذا دخل بيته بعد صلاة العشاء وفرغ من ركوعه في بيته جلس يتحدث مع أهله ساعة (ثم) اذا عزم على الدخول في الفراش فالمستحب له ان يتوضأ للنوم وان كان على وضوء ثم يركع في الموضع الذي ينام فيه وهذا ما لم يوتر فان كان قد أوتر فالاولى أن لا يصلي بعد الوتر الا بعد أن يقوم من نومه على المشهور رجاء أن تستغفر له الملائكة ما دام في مصلاه وان كان نائما لقوله عليه الصلاة والسلام الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه وان كان عند ارادته النوم محدثا فليتوضأ لكي يستبيح به الصلاة اتفاقا (والحكمة) في وضوئه عند ارادته النوم هي أن النوم تارة يكون من باب الاضطرار وتارة يكون من باب الاختيار كالاكل والشرب منه ما هو اضطرار ومنه ما هو اختيار ورأس مال المؤمن انما هو عمره فان عمره بالعمل الصالح ربح عمره وزكا فشرع له الشارع صلوات الله عليه وسلامه الوضوء عند ارادة النوم لكي يختبر به النوم من اي جهة هو فان كان من باب ضرورة البشرية فهو لا يذهبه الوضوء وان كان من باب الاختيار والراحة فالوضوء يذهبه (وفيه) وجه آخر وهو أن النوم هو الموت الاصغر فشرع له نوع من الطهارة كالميت (وفيه) وجه آخر وهو أنه قد يموت في ذلك النوم فتشرع له الطهارة لكي يكون على أكمل الحالات (وفيه) وجه رابع وهو أن النوم اذا وقع عقب طهارة اجتزأ المكلف منه بالقليل لاجل بركة الاتباع فتوفر عليه رأس ماله وهو عمره كما تقدم (ثم) يقرأ قل هو الله أحد والمعوذتين في كفيه وينفث فيهما ويمسحهما على سائر جسده ثم يتعرى كما سبق ويدخل في فراشه فيضطجع على جنبه الايمن بعد تسمية الله تعالى وليس من شرطه أن يبقى على الايمن بل نفس الدخول هو الذي يطلب فيه التيمن ثم بعد ذلك ينتقل الى ما هو أيسر عليه فان كان به ضعف يتعذر عليه أن يدخل على الايمن فالاولى أن يتحمل المشقة في الدخول على الايمن ثم يرجع عن ذلك من حينه وان تعذر عليه ذلك فيدخل على الجانب الآخر

للضرورة الداعية الى ذلك (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى اشتكى مرة بنزلة نزلت له فى الجانب الأيمن وحصل له من ذلك شدة فلما ان جاء الى الفراش ليضطجع صعب عليه أن يضطجع على تلك الجهة فأراد أن يضطجع على الايسر لاجل الضرورة ثم وقع له أنه يتحمل المشقة فى تلك اللحظة لتحصل له بركة الامتثال ثم ينقلب الى الجانب الايسر فى الوقت قال فاضطجعت على الايمن بعزيمة فوالله ما أعلم هل الالم ارتفع قبل وصول رأسى الى الوسادة أو بعد وصوله انتهى وماذاك الا لبركة امتثال السنة اذ أنها لا تدخل فى شئ الا وحلت البركة فيه (ثم) يقرأ آية الكرسى ثم يسبح الله ثلاثا وثلاثين ويحمد الله ثلاثا وثلاثين ويكبر الله أربعا وثلاثين ويجعل يده اليمنى تحت خده اليمين ويده اليسرى على وركه الأيسر ثم يقول باسمك اللهم وضعت جنبى وباسمك ارفعه اللهم ان أمسكت نفسى فاغفر لها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين اللهم انى أسلمت نفسى اليك وفوضت أمرى اليك وألجأت ظهرى اليك ووجهت وجهى اليك رهبة منك ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك أستغفرك وأتوب اليك آمنت بكتابك الذى أنزلت وبرسولك الذى أرسلت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وأسررت وأعلنت أنت الهى لا اله الا أنت رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك انتهى (ثم) يقول اللهم اشفنى بالقليل من النوم واجعله لى عونا على طاعتك وينوى بنومه العون على طاعة الله تعالى مطلقا من طلب علم أو صلاة وغيرهما اذ أنه اذا لم يعط نفسه حظها من النوم قل أن يتأتى له منها التوفية بالمأمورات على أنواعها سيما وهو مطلوب بالحضور فى الطاعات سيما ان كانت صلاة اذ الحضور مع النوم متعذر (الا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام اذا نعس أحدكم وهو يصلى فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان أحدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدرى لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه (ثم) يشعر نفسه حين الدخول فى الفراش بالدخول فى قبره لان النوم هو الموت الاصغر فشرع له نوع من حالة الموتى وهو التجريد من ثياب الاحياء والدخول فى ثياب تشبه ثياب الموتى اذ أنها شبيهة بالكفن (فاذا) أشعر المرء نفسه بذلك قل منه الاستغراق فى النوم وخاف الفوات (اذ) أن قيام الليل فيه فوائد منها أنه نور لا القبر لان وقت الليل شبيه بظلمة القبر فكان الثواب مناسبا القيامه فى ظلمة الليل (وفى التعرى) حكم أخرى وهى أنه يريح البدن من حرارة حركة النهار ويسهل عليه التقليب يمينا وشمالا (وفيه) ادخال السرور على أهله (وفيه) زيادة التمتع بالأهل بخلاف ما يفعله أكثر الناس اليوم لان التمتع عندهم انما هو فى المحل ليس الا اذ أن الرجل ثيابه عليه والمرأة مثله (وفيه) التواضع (وفيه) امتثال السنة كما تقدم (وفيه) امتثال الأمر لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن اضاعة المال والنوم فى الثوب هو من ذلك الباب فان الثوب الذى عمره سنة اذا نام فيه نقص عن ذلك (وفيه) قلة الدواب (وفيه) كاعدة من قواعد السنة وهى النظافة اذ أن الثوب الذى ينام فيه يكثر فيه هوام بدنه وينقذر الى غير ذلك من الفوائد وهى جمة (وينبغى له) أن يعتبر فى النوم وحالته فيه اذ أنه بينما هو حاضر العقل والحس متكلم مميز يصير أمره ناهيا مدبرا الى غير ذلك من الامور ثم تأتى عليه عاهة النوم لا يشعر بها من أين أتته ولا يكيفها فيترك الملك ملكه وتدبيره وسياسته فيه والعالم علمه والمحترف حرفته وكل من كان فى شئ وعزم على فعله تركه لهذا الاجل هذه العاهة التى أتت عليه مجبرا على ذلك ليس له سبيل الى الامتناع منه ولا دفعه عنه فسبحان من قهر عباده بالموت وهذا ممتكر عليه فى كل ليلة وفى بعض الايام وهو المذكر بالموت والدال عليه قال الله تعالى فى كتابه العزيز الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك

التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون كل ذلك تذكرة وعبرة لمن ينظر ويعتبر قال عز وجل فى كتابه العزيز وفى أنفسكم أفلا تبصرون بينما هو مستيقظ مدع للقوة والسطوة اذا نام لم يقدر على دفعه كما تقدم فيسيل لعابه وتخمل أعضاؤه ويحدث وهو لا يشعر بنفسه والغالب على بعضهم انه يبقى مثلة اذ ذاك ولأجل هذا المعنى كان من الأدب فى النوم أن لا ينام بين مستيقظين قال الله تعالى فى كتابه العزيز لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين قال العلماء رحمهم الله سلط عليهم النوم والنسيان (ثم) يتذكر به ما أنعم الله تعالى عليه بسببه اذ أن اليقظة فيها حرارة فلو تمادت على البشرية لأهلكتها سيما وكثير من الناس لهم الرغبة فيما هم بصدده من طلب دنيا والعمل فى أسبابها أو علم أو عمل الى غير ذلك فلو وكل الامر اليه فيه لحرم نفسه النوم ألبتة لقوة الحرص على ما هو بسبيله فجعل الله تعالى النوم يأتيه قهرا رحمة به هذا وجه (الوجه الثانى) أن التصرف فيه حرارة والنوم فيه سكون وبرودة فيعتدل مزاجه بذلك (قال) الله تعالى فى كتابه العزيز ومن كل شئ خلقنا زوجين وهذه منه يقظة ونوم حرارة وبرودة ذكر وأنثى صحيح ومريض طائع وعاص مؤمن وكافر شقى وسعيد الى غير ذلك (والمقصود) أن الله تعالى جعل ذلك رحمة للعبد بفضله وحرسه مع ذلك فى نومه كما حفظه فى حال يقظته (قال) الله تعالى قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن (وقال) الله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون فسبحان المنعم المنان

﴿فصل فى آدابه فى الاجتماع بأهله﴾ فان كانت له حاجة الى أهله فالسنة الماضية فى ذلك أنه لا يكون معه أحد فى البيت غير زوجته أو جاريته اذ ذاك (وقد كان) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما اذا كانت له حاجة الى أهله أخرج الرضيع من البيت (وقد) قالوا لا ينبغى أن يفعل ذلك وهو فى البيت وذكر الحرمنهم تنبيه على غيره والمقصود انه يكون سالما من عينين تنظران اليه اذ أن ذلك عورة والعورة يتعين سترها (وهو) مخير فى فعل ذلك أول الليل أو آخره لكن أول الليل أولى لان وقت الغسل يبقى زمنه متسعا بخلاف آخر الليل فانه قد يضيق عليه وقد يؤول الى تفويت الصبح فى جماعة أو الى اخراج الصلاة عن وقتها المختار (ووجه آخر) وهو أن آخر الليل اذا فعل ذلك فيه كان عقيب نوم وقد يتعلق بالفم والانف شئ من بخار المعدة مما يغير رائحة الفم أو الانف فاذا شمها أحدهما كان ذلك سببا لكراهة أحدهما فى صاحبه ومراد الشارع صلوات الله عليه وسلامه دوام الالفة والمحبة وذلك ينافيها (الا ترى) الى نهيه عليه الصلاة والسلام عن أن يأتى الرجل أهله طروقا ليلا لئلا يدخل عليهن قبل ان يتأهبن للقائه فنهى عليه الصلاة والسلام عن ذلك لكى تمتشط الشعثة وتدهن وتتطيب وتتأهب فيكون ذلك أدعى الى بقاء العصمة والالفة والمودة (الا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام انه كان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه وذلك لفوائد (أحدها) أن يبدأ بزيارة بيت ربه وبالخضوع له فيه بالركوع والسجود (ومنها) ان يفضل ما هو منسوب الى ربه لينبه أمته صلى الله عليه وسلم على تقديم ما هو لله على ما لانفسهم فيه حظ ما (ومنها) ان أصحابه ومعارفه يأخذون حظهم من رؤيته والسلام عليه حين قدومه فاذا فرغوا ودخل بيته لم يكن ثم من يحوجه الى الخروج فى الغالب (ومنها) ما تقدم ذكره من أن أهله يأخذون الاهبة للقائه (ومنها) ان لقاء الاحبة بغتة قد يؤول الى ذهاب النفوس عند اللقاء لقوة ما يتوالى على النفس اذ ذاك من الفرح والسرور (وقد) حكى عن كثير من الناس انهم ماتوا بسبب ذلك فاجأهم السرور فماتوا من شدة الفرح وقوم فجأتهم

المصائب فماتوا من شدة الهم والغم (ومن) هذا الباب ما فعله يوسف الصديق صلى الله عليه وسلم
فى التلطف بالاجتماع بأبيه يعقوب عليه الصلاة والسلام فى انه أرسل اليه البشير أولا
حتى علم انه موجود فى الأحياء ثم أرسل اليه ثانيا القميص ليجد ريحه كما أخبر به عز وجل
فى كتابه العزيز فزاد أنسه بشم رائحته وأثره ثم بعد ذلك وقع الاجتماع (وينبغى) له اذا عزم على
الاجتماع بأهله ان يتحرز مما يفعله بعض العوام وهو منهى عنه وهو أن يأتى زوجته وهى على
غفلة بل حتى يلاعبها ويمازحها بما هو مباح مثل الجسة والقبلة وما شاكل ذلك حتى اذا رأى انها قد
انبعثت لما هو يريد منها وانشرحت لذلك وأقبلت عليه فحينئذ يأتيها (وحكمة) الشرع فى ذلك بينة
وذلك ان المرأة تحب من الرجل ما يحب منها فاذا أتاها على غفلة قد يقضى هو حاجته وتبقى هى فقد
يشوش عليها ذلك وقد لا ينصان دينها فاذا فعل ما ذكر تيسر عليها الأمر وانصان دينها (ثم) اذا أتاها
فيمتثل السنة فى ذلك وهو أن يقول ما جاء فى الحديث الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال لو أن
أحدكم اذا أتى الى أهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم
يضره الشيطان ولم يسلط عليه اه (ولاشك) ان من امتثل السنة فى ذلك خرج ولده كما ذكر عليه
الصلاة والسلام (فان) قال قائل قد نجد كثيرا من أولاد المباركين يخرجون على صفة من الصفات
الذميمة (فالجواب) ان والده لو امتثل السنة فيما تقدم ذكره ما حصل شئ من ذلك والقليل من الناس
من يثبت لامتثال السنة فى ذلك الوقت لغلبة قوة باعث النفس على تحصيل لذاتها وشهواتها
(وينبغى) له ان يراعى حق زوجته فى الجماع وان يأتيها ليصون دينها ويكون قضاء حاجته تبعا
لغرضها ويحصل اذ ذاك فى عموم قوله عليه الصلاة والسلام والله فى عون العبد مادام العبد فى عون
أخيه اه (وكثير) من الناس من لا يعرف السنة فى ذلك يأتى زوجته على غفلة فيقضى حاجته
منها وهى لم تقض منه وطرا كما تفعل البهائم فيكون ذلك سببا لأحد شيئين اما فساد دينها واما تبقى
متشوشة متشوفة لغيره (وينبغى) له ان لا يجامعها وهما مكشوفان بحيث لا يكون عليهما شئ يسترهما
(لان) النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك وعابه وقال فيه كما يفعل العيران (وقد كان) الصديق
رضى الله عنه يغطى رأسه اذ ذاك حياء من الله تعالى (وان كان) فى برية أو على سطح فلا يجامع
مستقبل القبلة ولا مستدبرها (وان كان) فى بيت فيختلف فيه بالجواز والكراهة والمشهور الجواز
(وينبغى) له اذا قضى وطره أن لا يعجل بالقيام لان ذلك مما يشوش عليها بل يبقى هنيهة حتى يعلم انها
قد انقضت حاجتها والمقصود مراعاة أمرها الان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوصى عليهن ويحض
على الاحسان اليهن وهذا موضع لا يمكن الاحسان اليها من غيره فليجتهد فى ذلك جهده والله المسؤول
فى التجاوز عما يعجز المرء عنه (وينبغى) له أن يتجنب ما يفعله بعض الناس (وقد) سئل مالك رحمه
الله عنه فأنكره وعابه وهو التخير والكلام السقط (قال) ابن رشد رحمه الله وانما أنكر مالك رحمه الله
ذلك لانه لم يكن من عمل السلف (ثم) اذا فرغ من قضاء أربه فهو مخير بين أحد أمرين اما أن يغتسل
لينام على أكمل الحالات واما أن يتوضأ لينام على احدى الطهارتين (واختلف) اذا تعذر عليه الغسل
أو الوضوء هل يتيمم أم لا (قال) ابن حبيب لا ينام الجنب حتى يتوضأ فان تعذر عليه فليتيمم ولا ينام
الا بوضوء أو تيمم (وينبغى) له أن ينوى عند الجماع رجاء أن يكون بينهما ولد يكثر به الاسلام ويكون
من العلماء الصالحين (وقد) قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى لا تزوج النساء ومالى اليهن حاجة
وأطأهن ومالى اليهن شهوة فقيل له ولم ذلك يا أمير المؤمنين قال رجاء ان يخرج الله من ظهرى من

يكثر به محمد صلى الله عليه وسلم الأمم يوم القيامة (وينبغي) له اذا نوى ما تقدم وفعل ما ذكر أن يكل ذلك الى مشيئة ربه عز وجل وان يفتقر اليه فيه ويتبرأ من مشيئة نفسه وتدبيره وحوله وقوته وان يكون اذ ذاك متواضعا متذللا لعل أن تقضى حاجته (وقد) جاء في الحديث الصحيح عن نبي الله سليمان ابن داود عليهما الصلاة والسلام انه قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل ان شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون * فالحاصل من هذا ان يتعلق المرء بمشيئة الله تعالى ويكل الأمر اليه ويتبرأ من مشيئته كما تقدم (ثم) ان بدا له أن يعود الى الاجتماع بأهله فان كان بعد الغسل أو الوضوء فيفعل كما تقدم أولا وان كان قبل ذلك فليغسل ذكره قبل أن يعود (لأن) النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد ذلك غسل ذكره ثم عاد (قال) القاضي عياض رحمه الله تعالى وانما فعل ذلك لان غسل الذكر يقوي العضو وينشطه وكثرة هذا كان من شأن العرب أن يتمدحوا به ويفتخروا به لانه دليل على قوة الرجل وصحة بدنه ومزاجه (ولهذا) المعنى أعطى النبي صلى الله عليه وسلم ماء أربعين رجلا حتى خرج عن مألوفهم وعادتهم (فان) قال قائل فاذا كان ذلك على ما قررتم ان كثرة هذا ممدوح والنبي صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء والمرسلين فما الجواب عن نبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام في كونه أعطى ماء مائة رجل (فالجواب) أن كلا منهما صلوات الله عليهما وسلامه أعطى مقصده ومطلبه فنبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام طلب ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ومن شأن الملوك الزيادة في هذا الشأن وكثرة النساء فأعطي ما يفوق به سائر الملوك لان الملوك وان وجدوا القدرة على تحصيل كثرة النساء فهم عاجزون عن ماء رجل واحد فضلا عن ماء مائة رجل والنبي صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فأعطي صلى الله عليه وسلم ما يفضلهم به وان كان النبي صلى الله عليه وسلم أعطي ماء أربعين رجلا لحاله في ذلك كما قالت عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن القبلة للصائم وأيكم أملك لاربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان لا يأتي لأحوال البشرية لأجل نفسه المكرمة بل ذلك منه عليه الصلاة والسلام على طريق تأنيس البشرية لأجل الاقتداء به عليه الصلاة والسلام (ألا ترى) الى قول عمر المتقدم ذكره اني لا تزوج النساء ومالي اليهن حاجة (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة انتهى (فانظر) الى حكمة قوله عليه الصلاة والسلام حبب ولم يقل أحببت وقال من دنياكم فأضافها اليهم دونه عليه الصلاة والسلام فدل على أنه عليه الصلاة والسلام كان حبه خاصا به ولله عز وجل يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام وجعلت قرة عيني في الصلاة وماذاك الا لما اشتملت عليه من المعاني العلية الشريفة فكان عليه الصلاة والسلام بشرى الظاهر ملكي الباطن فكان عليه الصلاة والسلام لا يأتي الى شيء من أحوال البشرية الا تأنيسا لأمته وتشريعا لها الا انه محتاج الى شيء من ذلك كما تقدم وللجهول بهذه الأوصاف الجليلة والخصال الحميدة قال الجاهل المسكين مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق (ألا ترى) الى قوله تعالى في كتابه العزيز قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك فقال لكم اني ملك ولم يقل اني ملك فلم ينف الملكية عنه الا بالنسبة اليهم أعني في معانيه عليه الصلاة والسلام لا في ذاته الكريمة اذ انه عليه الصلاة والسلام يلحق بشريته

مايلحق البشر (ولهذا) قال سيدى الشيخ الجليل أبو الحسن الشاذلى رحمه الله تعالى فى صفته عليه الصلاة والسلام هو بشر ليس كالبشار كما ان الياقوت حجر ليس كالاحجار (وهذا) منه رحمه الله على سبيل التقريب للافهام (فدل) على أنه عليه الصلاة والسلام كان ملكى الباطن ومن كان ملكى الباطن ملك نفسه (ومن) هاهنا يفهم معنى قوله عليه الصلاة والسلام أخرجنى الذى أخرجنى كما لان هذا وما أشبهه من باب التأنيس للامة (ومن) ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى مرضه الذى مات فيه ان للموت لسكرات قال بعض العلماء فيه ان ذلك من باب شدة الآلام والاوجاع لرفعة منازل المرسلين ومثله قوله عليه الصلاة والسلام انى أوعك كما يوعك الرجلان منكم الحديث انتهى وهذا من باب تأنيس البشرية كما تقدم (وقد) كان سيدى أبو محمد المرجانى رحمه الله يقول فى قوله عليه الصلاة والسلام ان للموت لسكرات ان تلك السكرات سكرات الطرب (الا ترى) الى قول بلال رضى الله عنه حين قال له أهله وهو فى السياق واكرباه ففتح عينه وقال واطرباه غدا ألقى الأحبه محمدا وحزبه انتهى فاذا كان هذا طربه فى هذا الحال بلقاء محبوبه وهو النبى صلى الله عليه وسلم وحزبه فما بالك بلقاء النبى صلى الله عليه وسلم للولى الكريم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وهذا) موضع تقصر العبارة عن وصف بعضه (فالحاصل) من هذا أن احوال البشرية ومايطرأ عليها من الامراض والاعراض انما ذلك على الظاهر فى الظاهر وهو عليه الصلاة والسلام مشغول بربه مقبل على آخرته ظاهره مع الخلق وباطنه مع رب الخلق ومن كان كذلك فهو غائب عن الم الظاهر (وهذا) تجده محسوسا فى بعض الاولياء فكيف بسيد الاولين والآخرين صلوات الله عليه وسلامه (الا ترى) الى ماحكى عن بعض السلف وهو عروة بن الزبير رضى الله عنه لما أصابته الاكلة فى رجله فأرادوا أن يقطعوا القدم التى خرجت فيه لئلا تتعدى لجميع بدنه فكان يأبى عليهم ذلك فقالت لهم زوجته انكم لا تقدرون على ذلك الا أن يكون فى الصلاة فلما أن كان فى الصلاة حضروا فقطعوه هو لم فلما فرغ من صلاته رآهم محدقين به فقال لهم أتريدون أن تقطعوا الى غير هذه المرة ان شاء الله تعالى فقالوا له هاهو ذا فقال والله ماشعرت بكم (وكذلك) ماحكى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه كان فى المسجد يصلى وانهدمت اسطوانة فيه فهرع الناس من أسواقهم ينظرون الخبر لشدة انزعاجهم عند وقوعها وتأثيرهم وهو فى الصلاة لم يشعر بشئ من ذلك (وقد) تقدمت حكاية بعض المتأخرين انه اذا كان فى بيته لا يتكلم أحد فى حضرته فاذا دخل فى الصلاة تكلموا ولغطوا فسئل أهله عن ذلك فقالوا انه اذا كان فى الصلاة لا يشعر بشئ (وظاهر) ماحكى عنهم فى ذلك مشكل وبيان اشكاله انه اذا لم يشعر بشئ مما ذكر فكيف يتأتى منه التوفية بأركان الصلاة (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يزيل هذا الاشكال فيفرق بين الفرض والنفل ويقول ان كان فرضا فلا بد من انقاء بعض حال البشرية عليه لتوفية أركان الفرض وان كان فى النفل لحقيقة الحضور فيه أن ينفى الذاكر فى المذكور

﴿فصل﴾ وقد تقدم فى الحديث الوارد فى ان المؤمن يأكل بشهوة عياله فاذا كان فى الاكل بهذه المثابة فما بالك به فى الجماع اذا نه من أكبر الملذذات والشهوات فيعمل على أن يوفى لها ذلك اذا أرادته وهو لا يطلع على ارادتها لانها لا تطلب ذلك فى الغالب وان كان قد ركب فيها من الشهوة أضعاف ما فى الرجل لكن أعطاها الله تعالى من الحياء مايغمر ذلك كله فاذا رأى منها أمارات الطلب لذلك فليرضها وذلك مثل أن تتزين وتتعطر وتلبس الى غير ذلك (فالحاصل) انه يكون غرضه تابعا لغرضها فيتصف

اذذاك بما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن يأكل بشهوة عياله وقوله عليه الصلاة السلام والله فى عون العبد مادام العبد فى عون أخيه الى غير ذلك وهو كثير (وهذا) اذالم تكن ثم ضرورة أكيدة للجماع فى وقته ذلك مثل ان يكون قد رأى امرأة أعجبته فيريد أن يمتثل السنة لقوله عليه الصلاة والسلام من رأى منكم امرأة تعجبه فليأت أهله فان الذى عند هذه عند هذه فان كان كذلك فلا ينتظر أمارات طلبها (لكن) ينبغى له أن لا يترك الملاعبة قبل الفعل مع الآداب المتقدم ذكرها (وقد ورد) عن النبى صلى الله عليه وسلم فيمن لم يكن له أهل ورأى امرأة أعجبته فليقل اللهم أبدل لى عوضها حورية فان الله تعالى يبدل له عوضها حورية أو كما قال عليه الصلاة والسلام

﴿فصل﴾ وليحذر أن يفعل مع زوجته أو جاريته هذا الفعل القبيح الشنيع الذى أحدثه بعض السفهاء وهو اتيان المرأة فى دبرها وهى مسئلة معضلة فى الاسلام (وليتهم) لو اقتصروا على ذلك لكنهم نسبوا ذلك الى الجواز ويقولون انه مروى عن مالك رحمه الله وهى رواية منكرة عنه لا أصل لها لان من نسبها الى مالك انما نسبها الى كتاب السروان وجد ذلك فى غيره فهو منقول عليه وأصحاب مالك رحمه الله مطبقون على أن ما الكلم يكن له كتاب سر وفيه من غير هذا أشياء كثيرة منكرة يجل غير مالك عن اباحتها فكيف بمنصبه وما عرف مالك الا بتقبيض ما نقلوا عنه من أن يخص الخليفة برخص دون غيره بل كان يشدد عليهم ويأخذهم بالسياسة حتى يتزلم عن درجاتهم الى درجات غيرهم من سائر المسلمين مثل ما جرى له مع الخليفة فى اقراء الموطأ عليه كما تقدم (وقد) قال له الخليفة مرة يا مالك مازلت تذل الامراء فهذا هو المعروف والمعهود من حاله معهم (وقد) سئل مالك رحمه الله فى الكتب المشهورة المروية عنه أيجوز وطء المرأة فى دبرها فقال أما انتم قوم عرب ألم تسمعوا قول الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم أيكون الزرع حيث لا نبات (وقوله) تعالى انى شئتم قيل معناه كيف شئتم مقبلة أو مدبرة أو باركة فى موضع الزرع (وقيل) معناه متى شئتم من ليل أو نهار روى عن ابن عباس وروى عنه أيضا أنه قال معناه فأتوا حرثكم كيف شئتم ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا (وقد) روى عن عبد الله بن عمر أنه سئل عن جواز ذلك فقال اف اف أيفعل ذلك مؤمن أو قال مسلم (وقد) خرج أبو داود فى سننه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من أتى امرأة فى دبرها (ومن) البيان والتحصيل روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله لا يستحى من الحق لا تأتوا النساء فى محاشهن ملعون من أتى النساء فى غير مخرج الاولاد (وقد) قيل لمالك رحمه الله فى الكتب المروية عنه أنت تبيح ذلك فقال كذب من قاله وقال مرة أخرى كذبوا على وقال فى أخرى كذبوا على عافاك الله أما تسمع الله تعالى يقول نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم هل يكون الحرث الا فى موضع الزرع ولا يكون الوطء الا فى موضع الولد (ومن) كتاب التفسير لابن عطية رحمه الله وفى مصنف النسائى قد ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال اتيان النساء فى أدبارهن حرام (وروى) عنه أنه قال من أتى امرأة فى دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد (قال) رحمه الله وهذا هو الحق المتبع ولا ينبغى لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرج فى هذه المنازلة على زلة عالم لم تصح عنه والله المرشد لا رب غيره (ومن) التفسير للقرطبى رحمه الله وقد روى عن ابن عمر تكفير من فعله قال وروى الترمذى فى مسنده عن سعيد بن يسار ابن الحباب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتى امرأة فى دبرها لم ينظر الله اليه يوم القيامة (وروى) أبو داود الطيالسى فى مسنده عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

قوله فى محاشهن أى ادبارهن كما فى رواية اه

عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تلك اللواطية الصغرى أعني اتيان المرأة في دبرها (وروى) عن طاوس أنه قال كان بدء عمل قوم لوط اتيان النساء في أدبارهن (قال) ابن المنذر واذا ثبت الشيء عن النبي صلى الله عليه وسلم استغني به عما سواه (ومن كتاب الشيخ) الامام الجليل أبي عبد الله محمد المعروف بابن ظفر روى أن عليا كرم الله وجهه سئل عن ذلك فقال أما علمتم أنها اللواطية الصغرى (وروى) عبد الرحمن بن القاسم أن شرطيا من المدينة دخل على مالك بن أنس رحمه الله فسأله عن رجل رفع اليه أنه قد أتى امرأته في دبرها فقال له مالك بن أنس أرى أن توجعه ضربا فان عاد الى ذلك ففرق بينهما (وأما) ما حكي أن قوما من السلف أجازوا ذلك فلا يصلح مع ما ذكر من اضافته اليهم بل يحمل على سوء ضبط النقلة والاشتباه عليهم فان الدبر اسم للظهر قال الله تعالى ويولون الدبر وقال ومن يولهم يومئذ دبره أي ظهره والمرأة تؤتى من قبل ومن دبر انتهى يعني أنها تؤتى من جهة ظهرها في قبلها (وسبب) نزول الآية أن رجلا من المهاجرين تزوج امرأة من الانصار فذهب يصنع بها ما اعتاده المهاجرون من أنهم كانوا يتلذذون من نسائهم مقبلات ومدبرات ومستلقيات فانكرته عليه وكانت كانوا تؤتى على حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى يسري أمرهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك في موضع الولد (وروى) ان اليهود كانوا يقولون اذا جامع الرجل أهله في فرجها من ورائها كان ولده أحول فأنزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم اه من السنن لابي داود وقد أخرجه البخاري أيضا (هذا) ما هو من طريق النقل (وأما) طريق النظر فقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم اذا منع الوطء في الفرج في حال الحيض من أجل الأذى لقوله تعالى ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن وهي أيام يسيرة من الشهر غالبا فابالك بموضع لا تفارقه النجاسة التي هي أشد من دم الحيض (وقد) قالوا أيضا ان المرأة كلها محل للاستمتاع الا ما كان من الوطء في الدبر فهو محرم مطلقا وفيما تحت الازار في ايام الحيض (وقد) تقدم أن شهوة الرجل ينبغي أن تكون تابعة لشهوة المرأة ووطؤها في الدبر لا منفعة لها فيه بل تتضرر به من وجهين أحدهما تحريك باعث شهوتها من غير أن تنال غرضها والثاني أن الوطء في ذلك المحل يضرها

﴿فصل﴾ ويتعين عليه أن يتحفظ في نفسه بالفعل وفي غيره بالقول من هذه الخصلة القبيحة التي عمت بها البلوى في الغالب وهي أن الرجل اذا رأى امرأة أعجبته وأتى أهله جعل بين عينيه تلك المرأة التي رآها وهذا نوع من الزنا لما قاله علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن أخذ كوزا يشرب منه الماء فصور بين عينيه أنه خمر يشرب به ان ذلك الماء يصير عليه حراما وهذا مما عمت به البلوى (حتى) لقد قال لي من أثق به أنه استفتى في ذلك من ينسب الى العلم فأفتى بان قال اذا جعل من رآها بين عينيه عند جماع زوجته فانه يؤجر على ذلك وعلله بان قال اذا فعل ذلك صان دينه فانا لله وانا اليه راجعون على وجود الجهل والجهل بالجهل (وما) ذكر لا يختص بالرجل وحده بل المرأة داخلة فيه بل هي أشد لان الغالب عليها في هذا الزمان الخروج أو النظر من الطاق فاذا رأت من يعجبها تعلق بخاطرها فاذا كانت عند الاجتماع بزوجها جعلت تلك الصورة التي رأتها بين عينيها فيكون كل واحد منهما في معنى الزاني نسأل الله السلامة بمنه (ولا) يقتصر على اجتناب ذلك ليس الا بل ينبه عليه أهله وغيرهم ويخبرهم بان ذلك حرام لا يجوز (وقد) ذكر الطرطوشي رحمه الله في ذلك حديثا عن أبي

هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب العبد الماء على شبه المسكر كان ذلك الماء عليه حراما
﴿فصل﴾ وينبغي له أنه اذا اجتمع بأهله وكان بينهما ما كان فلا يذكر شيأ من ذلك لغيرها
وكثيرا ما يفعل بعض السفهاء هذا المعنى فيذكر بين أصحابه وغيرهم ما كان بينه وبين زوجته
أو جاريته وهذا قبيح من الفعل كفى به انه لم يكن من فعل من مضى والخير كله في الاتباع لهم في
المصادر والموارد كما تقدم وكما لا يحدث أحد من الناس بما ذكر فكذلك لا يحدث أهله بشئ جرى بينه
وبين غيرهم كائنا ما كان وهذا النوع أيضا مما يتساهل فيه كثير من الناس وهو قبيح اذ أن ذلك
يحدث بين الرجال الاجانب والنساء المودة والمحبة فيأتي الرجل الى أهله فيثني لهم على من يخطر بباله
ويسلم عليهن من جهته والسلام يحدث المودة والمحبة (وقد) قال بعض السلف رضي الله عنهم ليس
للنساء في السلام نصيب (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول كيف يمكن أن يبلغ الانسان لهن
السلام فانه يحدث لهن المودة في القلوب ودخول وسواس النفس والهوى والشيطان ونزغاته فليحذر
من هذه العادة فانها شنيعة (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان السلام ليس بمشروع على المرأة الشابة
في الابتداء به اللهم الا أن يحدث المرء بما جرى له مع شيخه أو من يعتقده في مسائل العلم أو ما يحتاج اليه
المكلف في دينه من الآداب فهذا مندوب اليه وقد يجب في بعض المواطن (وقد) تقدم الكلام على
آدابه في تصرفه في بيته لكن بقي من ذلك أول ليلة تدخل عليه الزوجة أو الجارية فالتصرف في ذلك
كما تقدم لكن يستحب له أن يضع يده على ناصيتها والناصية مقدم الرأس زوجة كانت أو جارية
بكرا كانت أو ثيبا فيثني على الله تعالى ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول اللهم اني أسألك
خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ثم يمضي لسبيله
﴿فصل﴾ فاذا استيقظ من نومه فليمر يده على وجهه ثم يتشهد ثم يرجع الى الجانب الايمن ان لم يكن
عليه ثم يسمي الله تعالى ويلبس ثوبه ويدخل يده اليمنى في الكم قبل اليسرى فاذا لبس ثوبه فان كان على
غير جنابة قرأ ان في خلق السموات والارض الى آخر سورة آل عمران ويداوم تعرك النوم عن عينيه
كذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ثم يسمي الله تعالى ويقوم من الفراش فينظر الى السماء ثم يقول
اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات والارض ومن فيهن
ولك الحمد أنت رب السموات والارض ومن فيهن أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق
والجنة حق والنار حق والساعة حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت واليك أنبت وبك
خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت الهي لا اله الا أنت
رب قني عذابك يوم تبعث عبادك هكذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم (وكان) أبو الدرداء رضي الله
عنه يقول اذا قام من الليل نامت العيون وغارت النجوم وأنت الحي القيوم (فان) كان جنبا فلا يقرأ
شيأ من القرآن ويقتصر على الذكر المذكور وقد تقدم ما يفعل في ورده بالليل وغيره وكذلك تقدم
بأي نية يلبس ثوبه وكم له فيه من نية في أول الكتاب فاغنى عن اعادته (وما) تقدم ذكره من الذكر
عند الاستفاقة من النوم الى غير ذلك مأخوذ من قوله عليه الصلاة والسلام يعقد الشيطان على قافية
رأس أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر
الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس
والا أصبح خبيث النفس كسلان اه وكسل النفس في الغالب انما هو لاجل العقد الثلاث فان هو
ذكر الله عز وجل انحلت عقدة كما قال عليه الصلاة والسلام فيذهب من الكسل بقدر ذلك ثم ان

توضأ انحلت العقدة الثانية فيذهب معها من الكسل بقدر ذلك ثم ان صلى ذهب الكسل كله وبقى كما قال عليه الصلاة والسلام نشيط طيب النفس (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك الى حكمة الشرع فى كونه شرع أنه اذا فعل المرء ماذكر يصلى ركعتين خفيفتين ثم بعد ذلك يصلى ركعتين طويلتين ثم يتدرج الى أقل من ذلك على ماجاء فى الحديث فشرع له عليه الصلاة والسلام أولا ركعتين خفيفتين حتى تذهب عقد الشيطان كلها ويذهب أثرها مرة واحدة فيجد بسبب النشاط الذى يحصل له مايقدر به على طول القيام الذى شرعه عليه الصلاة والسلام فى قيام الليل وما تقدم ذكره من أنه يدخل يده اليمنى فى كمه اليمين أولا مأخوذ من قول عائشة رضى الله عنها كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع فى شأنه كله فى طهوره وترجله وتنعله فعمت الافعال كلها بقولها فى شأنه كله ثم فصلت ذلك كله على القاعدة الشرعية لان المكلف لايخلو فعله من احدى ثلاث اما واجب أومندوب أومباح فذكرت الطهور لتشيربه الى جنس الواجبات والترجل لجنس المندوبات والتنعل لجنس المباحات واذا كان ذلك كذلك فى اللبس فينبغى أن يكون عكسه فى النزع فاذا نزع ثوبه فيبدأ بنزع الكم من اليد اليسرى قبل اليمنى على ماتقدم من نزع النعل عند دخول المسجد والخروج منه

﴿فصل﴾ وينبغى أن يكون الطالب مع شيخه أعنى فى الاجتماع به مختارا للاوقات التى يعلم أن الاجتماع به فيها يخف عليه تحرزا من أن يجد للاجتماع به كلفة فيحرم العلم بسبب ذلك أو بركته لاجل أنه قد يكون الشيخ عنده فى ذلك الوقت ماهو أهم عليه من الاجتماع بالناس وهذا النوع كثيرا مايفعله بعض الناس فى هذا الزمان تجدهم يعتقدون الشخص ويقولون ببركته ثم انهم يختارون الاوقات الفاضلة فيأتون فيها الى زيارته فيشغلونه عن اغتنام بركة تلك الاوقات فيصير هو وهم بالسواء أعنى فى بطالة تلك الاوقات الشريفة ولاشك ان الشيطان أتى اليهم ذلك تجد عم مخالفين لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم (ألا ترى) الى ماكان عليه حالهم فى شهر رمضان اذا نه اذا دخل عليهم تناكر بعضهم من بعض ونفر كل واحد منهم من صاحبه حتى اذا فرغ اجتمعوا وأقبل بعضهم على بعض بخلاف ما الحال عليه اليوم فانه اذا دخل عليهم شهر رمضان كثر اجتماعهم وزيارتهم فيه فمن لم يأت منهم الى قريبه أوصاحبه أومعلمه يجدون عليه ويقع التشويش بينهم فانا لله وانا اليه راجعون على عكس الامور وارتكاب مالاينبغى مع رؤية النفس انها على الخير والدين فيرون أن اجتماعهم فى هذه الايام الشريفة قربة الى الله تعالى يتقربون بها اليه

﴿فصل فى نبذ بقيت لم تذكر بعد﴾ فمنها ان طالب العلم اذا كان ساكنا فى المدرسة أو الرباط فينبغى له أن يتحفظ من أمور منها أن لايدع الوضوء من ماء الفسقية أو البئر ولايتوضأ من ماء الصهريج أو الزير المعدين للشرب لان ذلك انما عمل للشرب لا للوضوء والغسل وقد تقدم انه قدوة لغيره فقد يقتدى به فيكون ذلك ذريعة الى فعل مالايجوز وبعض الناس يفعل ماذكر وهو لايجوز لما تقدم (وينبغى) له أن لايتوضأ على البلاط الذى على السقوف لان ذلك يضر بالبلاط والخشب وهما وقف (وينبغى) له أن لايستجمر بالحجارة ويدعها فى الموضع لان القيم اذا وجدها هناك رماها فى السرب فيمتلئ بالحجارة وذلك ضرر بالوقف (ويحرم) عليه أن يستجمر بحائط الوقف أو بأصبعه وعمد ما أصابه فى الحائط وهذا النوع قد كثر وهو محرم (وينبغى) له اذا لم يتوضأ فى الفسقية أن يكون له وعاء يتوضأ فيه وكذلك اذا احتاج الى الغسل يكون له وعاء يغتسل فيه لئلا يضر بالسقف كما تقدم (وينبغى)

له اذا صعد أو نزل أن يمشي برفق اذ أن المشي بقوة يضر بالبلاط والسقوف وهما وقف سيما اذا كان بقبقاب فيحذر من هذا جهده فهذا منتهى الكلام على سبيل الايجاز والاختصار على آداب العالم والمتعلم لينتفع بما ذكر على ما لم يذكر والله الموفق

﴿ فصل في نية الامام والمؤذن وآدابهما ﴾ والكلام عليهما مشترك مثل ما تقدم في العالم والمتعلم فالامام له آداب تخصه فمنها ما هو واجب ومنها ما هو مندوب ومثله المؤذن (فالواجب) على الامام على ما ذكره العلماء أن يكون فيه ثمانية أوصاف وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا عدلا متكلما قارئا للقرآن أو لأم القرآن فقيها باحكام الصلاة (والمؤذن) شرطوا فيه أيضا ثمانية أوصاف وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا عدلا متكلما عارفا بالاوقات سالما من اللحن في الاذان (وينبغي) للامام أن ينوي الامامة في خمسة مواضع وهي كل صلاة لا تصح الا في جماعة حتى تحصل له فضيلتها ولا يلزمه أن ينوي الامامة في غيرها وهي صلاة الجمعة وصلاة الخوف والجمع للمطر وصلاة الجنازة واذا كان مأموما واستخلف هذا الذي يجب فيه نية الامامة وما عدا ذلك فلا يجب لكن اذا لم ينو الامامة لا تحصل له فضيلة من نواها واذا نواها فينبغي له أن يستصحب مع ذلك نية الايمان والاحتساب كما تقدم في حق العالم (وأما) المأموم فيلزمه أن ينوي أنه مأموم فان لم ينو ذلك لم تصح صلاته (والامامة) فرض على الكفاية فاذا عزم عليها فليثبت بذلك أنه يقوم بفرض الكفاية حتى يسقط ذلك عن اخوانه المسلمين (وينبغي) له أن لا يتسارع اليها ولا يتركها رغبة عنها (وقد ورد) أن جماعة ترادوا الامامة بينهم فخسف بهم وكثير من الناس من يتورع عن الامامة وهو خطأ وكثير منهم من يبادر اليها وهو خطأ أيضا (وأما) في زماننا هذا أعني في الديار المصرية وما أشبهها فينبغي لمن فيه أهلية أن يبادر اليها اذا كان لا يعرف حال الامام وأما مع معرفته فيعمل على ما يعلم من ذلك (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول اذا أخذك وقت الصلاة بمسجد من المساجد فان كنت في بلاد المغرب فصل حيث كنت وليس عليك اعادة وان كنت في الديار المصرية وما أشبهها فيقع التفصيل بين أن تعلم حال الامام أم لا فتعمل على ما تعلم من حاله فان كان فيه أهلية مضت صلاتك والا فتعيدها (وكان) رحمه الله يعلل ذلك فيقول ان بلاد المغرب لا يتولى الامامة في المسجد الاعظم الا من أجمع أهل تلك البلد على فضيلته وتقدمته في العلم والخير والصلاح وسائر المساجد لا يتولى الامامة فيها الا من أجمع أهل تلك الناحية على فضيلته عليهم وأما الديار المصرية وما أشبهها فان الامامة فيها بالدراهم غالبا وهي اذا كانت كذلك لا يتولاها الا صاحب جاه أو شوكة ومن اتصف بذلك فالغالب عليه رقة الدين فاذا صلى خلفه وهو لا يعرف حاله أعاد صلاته لقوله عليه الصلاة والسلام أئمتكم شفعاؤكم فانظروا بمن تستشفعون (وينبغي) له اذا تولى الامامة أن يكون ذلك منه بنية صالحة صادقة لله تعالى لا يطلب بذلك عوضا من ثناء ولا راحة دنيوية ولا صورة مميزة بين الناس بل يجعل ذلك لوجه ربه خالصا لان الامامة من أكبر مهمات الدين (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من عمل من هذه الاعمال شيئا يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة وعرفها يوجد من مسيرة خمسمائة عام انتهى فيحذر من هذا الخطر العظيم (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال ثلاثة على كثبان المسك يوم القيامة يغبطهم الاولون والآخرون عبد أدى حق الله تعالى وحق مواليه ورجل أم قوما وهم به راضون ورجل ينادي بالصلوات الخمس كل يوم وليلة اه (فان) خاف أن يكون في الجماعة من يكره امامته فتركها اذ ذاك أفضل له وذلك بشرط أن تكون الكراهة على موجب شرعي حذرا أن يكره أحد امامته لحظ

دنيوى أو نفسانى أو ما أشبه ذلك فان كانت الكراهة شرعية فلا يتقدم (لما) ورد فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن ثلاثة رجل أم قوما وهم له كارهون وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ورجل سمع حى على الفلاح فلم يجب (فان) كان له على الامامة معلوم فلا يأخذه بنية الاجارة بل يأخذه على نية الفتوح من الله تعالى لا على أنه عوض على فعل الامامة (واذا) كان ذلك كذلك فعلامته أن لا يطلبه ولا يجد القلق حين قطعه عنه ولا يتضجر ولا يترك ما هو بصدده فان طلب أو تضجر فقد خرج عن باب المندوب الى باب المكروه أو المحرم كما تقدم فى أمر العالم ولو تكلم فى ذلك بنية الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وارشاد المسلمين لمصالح دينهم فذلك سائغ مالم يصحبه حظ ما فان صحبه فيكره أو يمنع بحسب الحال (و ينبغى) له أن يتحفظ على الاوقات أكثر من تحفظ المؤذن عليها اذ أنه قد يخطئ المؤذن فى بعض الاوقات فيكون ذلك سببا لايقاع الصلاة فى غير وقتها والمؤمن كفيل لأخيه فاذا كان الامام يتحفظ على الاوقات فقل ان يتأتى خطؤهما معا بل اذا أخطأ هذا أصاب هذا فى الغالب ومذهب مالك رحمه الله ان معرفة الاوقات فرض فى حق كل مكلف (واذا) كان ذلك كذلك فما بال من له الامامة اذ به الحل والربط فى الصلاة (وينبغى) له أن يتحفظ على منصب الامامة مما يتعاطاه بعض الناس من الاشياء التى تزرى بصاحبها من المزاح وكثرة الضحك سيما مع الاجانب والمشى فى الاسواق لغير ضرورة شرعية وما أشبه ذلك من الاشياء التى تزرى بصاحبها وليس ذلك من منصب الامامة فى شئ (وقد) نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الجلوس على الطرقات كما تقدم (و بعضهم) يقعد على دكان البياع لحاجة وذلك جلوس على الطرقات وهو موضع النهى كما تقدم (وينبغى) له أن يكون أعظم الجماعة قلقا وخوفا وأكثرهم علما وخشية وورعا (وقد ورد) ان الصلاة ترفع على اتقى قلب رجل من الجماعة فينبغى أن يكون الامام هو المتصف بذلك حتى يحصل جميع من خلفه فى صحيفته وفى خفارته (و ينبغى) له أن لا يرى لنفسه على من تقدمهم فضلا ويرى الفضل لهم عليه ويخوف على ذمته لقوله عليه الصلاة والسلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن أو كما قال عليه الصلاة والسلام (و ينبغى) له بل يتعين عليه أن يكون أكبر مهماته التحفظ من العوائد المتخذة والبدع المحدثة التى أحدثها كثير من الناس حتى صارت كأنها من السنن المعمول بها عندهم حتى لو تركها أحد اليوم لوجدوا عليه وقالوا ترك السنة فظهر بذلك ما أخبر به عليه الصلاة والسلام حيث قال كيف بك يا حذيفة اذا تركت بدعة قالوا ترك سنة فيتحفظ من هذا الامر الخطر جهده اذ أنه علم للعامة فى المسجد فى الاقتداء به فى الغالب

﴿فصل فى ذكر بعض البدع التى أحدثت فى المسجد والامر بتغييرها﴾ قال الرسول عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته ولا شك ان المسجد وما يفعل فيه من رعية الامام والمؤذن والقيم الى غير ذلك ممن له التصرف (الا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام حين رأى نخامة فى القبلة فحكها بيده و رؤى منه كراهية أو رؤى كراهيته لذلك وشدته عليه وقال ان أحدكم اذا قام يصلى فانما يناجى ربه أو ربه بينه و بين القبلة فلا يبزقن فى قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه و رد بعضه على بعض قال أو يفعل هكذا فنظره عليه الصلاة والسلام لذلك من بعض فوائد ان المسجد من جملة رعيته وقوله عليه الصلاة والسلام ولكن عن يساره أو تحت قدمه انما ذلك فى مثل مسجده عليه الصلاة والسلام الذى هو مفروش بالرمل وأما غيره مما هو مفروش بالحصر أو بالرخام أو بالبلاط فيكره ذلك فيه فلم يبق الا الثالث الذى ذكر عليه الصلاة والسلام وهو أن يبزق فى طرف ردائه و يحكها (فان) قال قائل انه يبصق تحت طرف الحصير و يرمى الحصير عليها وذلك نوع من الدفن

لهما كما هو المذهب (فالجواب) أن ذلك محمول على ما كان عليه الصدر الاول من كثرة تعظيمهم للمساجد واحترامها وان مساجدهم كانت يمكن الدفن فيها غالبا وقل من يقع منه ذلك لشدة التعظيم بخلاف ما عليه الحال اليوم فتعاطي القليل منه يؤدي الى الكثير (وذلك) لا ينبغي لوجوه (الاول) ان فيه استقذار المسجد (الثاني) ان الذباب يجتمع بسبب ذلك فيشوش على من في المسجد فان لم يكن في المسجد أحد فيمنع لان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم (الثالث) أن الخشاش يكثر بسببها لانه يتغذى بها (الرابع) ان هذا يسمى تغطية ولا يسمى دفنا (الخامس) انه لم يكن من فعل من مضى (السادس) ان فيه نوعا من اضاعة المال لان الحصير اذا فعل ذلك تحته مرة بعد أخرى آل الى تقطيعه (السابع) ان ذلك تصرف في الوقف في غير ما جعل له لانها انما جعلت للصلاة عليها (الثامن) ان ذلك يكسب الرائحة الكريهة في المسجد وقد أمرنا بتطييبه وهذا ضده (التاسع) أنه يخاف أن يخرج مع البصاق شيء من الدم وهو نجس أو غيره من قيح وصديد ممن به مرض (وهذا) مثل ما قالوه فيمن بقي بين أسنانه شيء من أثر ما أكل اذا أنه اذا عالجه وأزاله فلا يبتلعه لان الغالب مخالطته شيء من دم اللثات (وكذلك) السواك لا يستاك به قبل أن يغسله من المرة الاولى لوجهين (أحدهما) خيفة أن يكون قد خالطه شيء من النجاسة (الثاني) انه اذا سلم من النجاسة ففعله ذلك مكروه لانه يرد بصاقه الى فيه وذلك مستقذر وانما أمر بالسواك لاجل النظافة وهذا ضده (هذا) اذا كان في المسجد حصير فان كان فيه رخام أو بلاط أو غيرهما مما لا يمكن الدفن فيه وليس عليه شيء فيمنع البصاق فيه أيضا لقوله عليه الصلاة والسلام البصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها ولا يمكن فلم يبق الا أن تكون خطيئة (فاذا) تقرر أن المسجد من رعية الامام فيحتاج أن يتفقده فما كان فيه على منهاج السلف الماضين أبقاه وما كان من غير ذلك ازاله برفق وتلطف ان قدر على ذلك كما تقدم من فعله عليه الصلاة والسلام في النخامة (فالمسجد) من صفته أن لا يكون فيه حائل يحول بين الناس من رؤية بعضهم لبعض (الا ترى) الى فعله عليه الصلاة والسلام حين اعتكف في المسجد انه اتخذ حجرة من حصير والحصير مما لا يتأبد (وقد) نقل عبد الحق في الاحكام الصغرى له قال مسلم عن عائشة قالت كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصير وكان يحجره من الليل فيصلي فيه فجعل الناس يصلون بصلاته ويبسطه بالنهار الحديث هذا وهو لضرورة الاعتكاف فما بالك به لغير ضرورة شرعية (فعلى هذا) ففعل المقاصير والدرابزين من البدع المحدثة وقد ترتب بسبب ذلك جملة مفاسد (أولها) ان الموضع وقف للصلاة وما فعل فيه لغيرها فهو غصب لمواضع صلاة المسلمين (الثاني) ان فيه تقطيع الصفوف وذلك خلاف السنة (الثالث) انه لا يمكن استقبال الخطيب في حال خطبته ولا رؤيته بسببها اذ أنها تحول بين المأموم والامام (وقد ورد) اذا قام الامام يخطب فاستقبلوه بوجوهكم وارمقوه باعينكم ومع وجود هذه المقاصير والدرابزين لا يمكن ذلك فكانت سببا لمخالفة السنة (الرابع) ان فعلها في المسجد أفضى الى أمر مستهجن وهو أن من لا خير فيه يجد السبيل الى الوصول الى اغراضه الخسيسة بارتكاب محرم أو مكروه لكونه يتوارى فيها عن أعين الناظرين (الخامس) انه قد ينام فيها بعض الغرباء للضرورة فيجد اللص السبيل الى أخذ متاعه اذ أنه ليس ثم من ينظر اليه بسببها وقد وقع ذلك في المسجد كثيرا (السادس) انه قد يجد بعض الناس السبيل الى أن يبول في المسجد بسببها اذ أنه يستتر بها فلا يرى اذ ذاك سيما الصبيان الصغار الذين لا ينضبط حالهم في الغالب (السابع) ما في ذلك من مخالفة السنة (الثامن) ان ذلك من باب زخرفة

المساجد وذلك من أشراط الساعة (التاسع) قد يجيء أعمى لا يهتدي بتلك الأبواب الضيقة التي في الدرابزين فكانت سببا لادخال الضرر على كثير من المسلمين من أصحاب الاعذار (وكان) سبب اتخاذها أن الخلافة لما رجعت ملكا وتخوف الملوك على أنفسهم من القتل عملوا هذه المقاصير ليتحصنوا بها ممن يثب الى قتلهم فلا يدخلها الا خاصة الملك وحجابه على بابها (ومن العتبية) قال مالك أول من جعل المقصورة مروان بن الحكم حين طعنه اليماني فجعل مقصورة من طين وجعل فيها تشبيكا (قال) ابن رشد رحمه الله والمقصورة محدثة لم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا على عهد الخلفاء بعده وانما أحدثها الامراء للخوف على أنفسهم فاتخاذها في الجوامع مكروه فان كانت ممنوعة تفتح أحيانا وتغلق أحيانا فالصف الاول هو الخارج عنها اللاصق بها وان كانت مباحة غير ممنوعة فالصف الاول هو اللاصق بجدار القبلة في داخلها روى ذلك عن مالك (وقوله) وجعل فيها تشبيكا يريد تخريما يرى منه الناس ركوعه وسجوده للاقتداء به انتهى (ثم) كثر استعمال ذلك حتى صارت تعمل لغير ضرورة فصارت كأنها من زي المسجد وكثر هذا حتى صار الامر الى أن من أراد أن يعمل مدرسة ويقف لها وقفا يأخذ من الجامع ناحية حيث يختار فيه فيدبرها بالدرابزين ويجعلها لاخذ الدرس فيها ناسيا الامر الى أنه لو جاء أحد من المسلمين من غير الفقهاء يدخل ذلك الموضع للضرورة التي تقصد لها المساجد فيمنع من ذلك ويطرد في وقت الدرس وهذا غصب واحداث وتصرف في الوقف لا شك فيه

﴿فصل﴾ ومن هذا الباب الكرسي الكبير الذي يعملونه في الجامع ويؤيدونه وعليه المصحف لكي يقرأ على الناس ولا ضرورة تدعو الى ذلك لوجهين (الاول) انه يمسك به من المسجد موضع كبير وهو وقف على المصلين لصلاتهم (الثاني) انهم يقرؤون عند اجتماع الناس لانتظار الصلاة فمنهم المصلي ومنهم التالي ومنهم الذاكر ومنهم المفكر فاذا قرأ القارئ اذ ذاك قطع عليهم ما هم فيه (وقد) نهى عليه الصلاة والسلام عن رفع الصوت بالقراءة في المسجد بقوله عليه الصلاة والسلام لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن وهو نص في عين المسئلة ولا التفات الى من فرق بين أن يكون المستمعون أكثر ممن يتشوش من المشتغلين بالصلاة وغيرها مما تقدم ذكره فان تشوش على واحد منهم منع من ذلك لوجود الضرر (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار (وقال) عليه الصلاة والسلام من ضار ضار الله به ومن شاق شاق الله عليه (وقال) عليه الصلاة والسلام ملعون من ضار مؤمنا رواها الترمذي (وأول) من أحدث هذه البدعة في المسجد الحجاج أعني القراءة في المصحف ولم يكن ذلك من عمل من مضى (فان) قال قائل قد أرسل عثمان رضي الله عنه المصاحف الى الامصار توضع في الجوامع (فالجواب) ان ذلك انما كان لتجميع الناس على ما أثبت في المصحف الذي أجمع عليه خاصة ليذهب التنازع في القرآن ويرجع لهذا المصحف اذا اختلف في شيء من القرآن ويترك ما عداه لانه امام المصاحف وقد أمن الاختلاف فيه والحمد لله فلا يكتب مصحف ويجعل في المسجد (ومن) هذا الباب أيضا ما أحدثوه في المسجد من الصناديق المؤبدة التي يجعل فيها بعض الناس أقدامهم وغيرها من أثاثهم وذلك غصب لموضع مصلي المسلمين كما تقدم (قال) الطرطوشي وقد كره مالك رحمه الله التابوت الذي جعل في المسجد للصدقات ورآه من حرث الدنيا اه (ومن) التصرفات في الوقف والتغيير لمعالمه لغير ضرورة شرعية دعت الى ذلك ما يفعله بعضهم من حفر جدار المسجد حتى يعمل موضعا كالخزانة الصغيرة يعمل فيها ما يختار من ختمة أو كتاب أو غيرهما فعلى ما ذكر

فقس كل ما يرد عليك مما أحدثوه في المسجد (ومن) هذا الباب الدكة التي يصعد عليها المؤذنون للاذان يوم الجمعة ولا ضرورة تدعو الى الاذان عليها بل هي أشد من الصناديق اذ يمكن نقل الصناديق ولا يمكن نقلها اذ أن السنة في أذان الجمعة اذا صعد الامام على المنبر أن يكون المؤذن على المنار كذلك كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان رضي الله عنهم وكان المؤذنون ثلاثة يؤذنون واحدا بعد واحد ثم زاد عثمان بن عفان رضي الله عنه أذانا آخر بالزوراء وهو موضع بالسوق لما أن كثر الناس وأبقى الاذان الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنار والخطيب على المنبر اذ ذاك (ثم انه) لما ان تولى هشام بن عبد الملك أخذ الاذان الذي فعله عثمان بن عفان رضي الله عنه بالزوراء وجعله على المنار وكان المؤذن واحدا يؤذن عند الزوال ثم نقل الاذان الذي كان على المنار حين صعود الامام على المنبر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وصدر من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهم بين يديه وكانوا يؤذنون ثلاثة فجعلهم يؤذنون جماعة ويستريحون قال علماؤنا رحمة الله عليهم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم أولى أن تتبع (فقد بان) أن فعل ذلك في المسجد بين يدي الخطيب بدعة وان أذانهم جماعة أيضا بدعة أخرى فتمسك بعض الناس بهاتين البدعتين وهما مما أحدثه هشام بن عبد الملك كما تقدم (ثم) تطاول الامر على ذلك حتى صار بين الناس كأنه سنة معمول بها فزادوا على الثلاثة المؤذنين أكثر من ثلاثة وثلاثة كما هو مشاهد فهذه بدعة ثالثة ثم أحدثوا الدكة التي يصعدون عليها ويؤذنون فهذه بدعة رابعة وكل ذلك ليس له أصل في الشرع (هذا) ما هو من طريق النقل (وأما) ما هو من طريق المعنى فلأن الاذان انما هو نداء الى الصلاة ومن هو في المسجد لا معنى لندائه اذ هو حاضر ومن هو خارج المسجد لا يسمع النداء اذا كان النداء في المسجد (هذا) وجه (الثاني) ان الدكة التي أحدثوها ضيقة من غير حظير فقد تلتوي رجل أحدهم أو يعثر فيقع فتنكسر وقد جرى ذلك فيكون مسؤولا عن نفسه مع وجود أله (الثالث) انه لا معنى لها اذ المراد انما هو اسماع الحاضرين وهم لو أذنوا في الارض لأسمعوا من في المسجد وانما هي عوائد وقع الاستئناس بها فصار المنكر لها كأنه يأتي ببدعة على زعمهم فانا لله وانا اليه راجعون على قلب الحقائق لانهم يعتقدون ان ما هم عليه هو الصواب والأفضل ولو فعلوا ذلك مع اعتقادهم أنه بدعة لكان أخف أن يرجى لاحدهم أن يتوب

﴿فصل﴾ ثم انظر رحمنا الله تعالى وإياك الى هذه البدعة كيف جرت الى أمر مخوف وهو وقوع الخلل في الصلاة (الاترى) انهم لما ان فعلوا الاذان في جماعة مضوا على ذلك في التبليغ في الصلاة والجماعة اذا بلغوا مشى بعضهم على صوت بعض مع رفع أصواتهم بالتكبير في الصلاة على ما يعلم من زعقات المؤذنين وذلك يذهب الحضور والخشوع أو بعضه ويذهب السكينة والوقار أيضا (وقد) اختلف العلماء رحمة الله عليهم في صحة صلاة المسمع الواحد والصلاة به وبطلانها على أربعة أقوال تصح لا تصح الفرق بين ان يأذن الامام فتصح أولا يأذن فلا تصح والفرق بين أن يكون صوت الامام يعمهم فلا تصح أولا يعمهم فتصح (فاذا) كان هذا في تبليغ الواحد فما بالك في تبليغ الجماعة على صوت واحد كما سبق ما لي بجريان الخلاف في صحة صلاتهم وبطلانها بتبليغهم (وهذا) انما هو اذا أتوا كلهم بالتكبير كاملا في جميع الصلاة فلو كبر واحد من المسمعين التكبير كاملا في جميع الصلاة جرى في صلاته والصلاة به الخلاف السابق في المسمع الواحد الذي ليس معه غيره (هذا) ما لم يتعمد أن يمشي على صوت غيره فان مشى على صوت غيره فهي المسئلة الاولى (وأما) على ما يفعلونه اليوم من كونهم يتواكلون في التكبير ويديرونه بينهم ويقطعونه ويوصلونه وذلك ان بعضهم يبتدئ التكبير فيقول الله

وبعد صوته ثم يبتدئ الآخر من أثناء الكلمة نفسها واصلا صرته بصوت صاحبه قبل انقطاعه مبالغا في رفع صوته على سبيل العمد وفاعل هذا لم يأت بالتكبير على وجهه (واذا) كان ذلك كذلك فهو شغل في الصلاة بزيادة غير شرعية ولا ضرورة شرعية فتبطل صلاتهم والحالة هذه من غير جريان الخلاف السابق (ويقع أيضا) بذلك التهويش والتشويش والتخليط سيما وهم لو أتوا به من غير تواكل أو توصيل وتريد لا بطل صلاتهم أيضا من غير خلاف وذلك انهم يغيرون وضع التكبير لانهم يقولون آلله فيزيدون على الهمزة مدة وكذلك يصنعون في أكبر وبعضهم يزيد بعد الباء من أكبر ألفا الى غير ذلك من صنيعهم (وان) أتى بعضهم بالتكبير كاملا فانه لا يفعل ذلك في جميع تكبيرات الصلاة (واذا) كان ذلك كذلك فحكمه حكم المسئلة المذكورة آنفا وهو البطلان (واذا) علم ذلك فيسري الخلل الى صلاة من صلى بتبليغهم لان من يريد أن يصلي خلف الامام لا يجوز له أن يقتدي الا باحد أربعة أشياء أولها وهو أعلاها أن يرى أفعال الامام فان تعذر ذلك فسماع أقواله فان تعذر ذلك فرؤية أفعال المأمومين فان تعذر ذلك فسماع أقوالهم فان تعذر فلا امامة (وفي هذا) نكتة أخرى وهي ان الامام اذا دخل في الصلاة بتكبيرة الاحرام كبر واخلفه اذ ذاك قبل أن يدخلوا في الصلاة ليسمعوا الناس بذلك فيعلموا بتكبيرهم ان الامام قد أحرم بالصلاة فمن أحرم من الناس حينئذ سري الخلل الى صلاته من هذا الوجه أيضا لما تقدم ان الاقتداء لا يجوز الا باحد أربعة أشياء وهذا ليس بواحد منها (ثم) ان تبليغهم في الصلاة جماعة أدى الى مخالفة السنة لان السنة في الصلاة أن يكون المأموم تبعا للامام وفي حكمه وفي هذا الفعل يصير الامام في حكم المأموم لان المكبرين يطولون في التكبير ويعطونه والامام ينتظر فراغهم منه وحينئذ ينتقل الى الركن الذي يليه (وأفضى) تسميعهم جماعات أيضا الى مفسدة أخرى وهي ان الامام يكبر للركوع في بعض الاحيان ويركع فيكبرون خلفه ويطولون برفع أصواتهم عليه فيرفع رأسه من الركوع قبل أن ينقضي تكبيرهم ويأتي المسبوق فيكبر تكبيرة الاحرام ويركع ظنا منه ان الامام في الركوع بعد لكونه يسمع صوت المكبرين في الركوع فتفسد عليه صلاته وهو لا يشعر اذ لو علم ذلك لتدارك ما وقع لان تلك الركعة لم تصح له

﴿فصل﴾ ومن هذا الباب أيضا الدكة التي تحت هذه الدكة التي يؤذنون عليها للجمعة والتعليل فيها ما تقدم في المقاصير والصناديق وكذلك الدكة التي يسمعون عليها في الصلوات الخمس والتعليل فيها كذلك (ثم العجب) كيف غاب عنهم أصل موضع الصلاة اذ أن الصلاة صلة بين العبد ورب واذا كانت صلة فمن شأنها كثرة التواضع وتمريغ الوجه على الارض والتراب ان أمكن ذلك فهو أفضل وأعلى فان تعذر ذلك فليكن على الحصير الغليظ (ومذهب مالك) رحمه الله ان الصلاة على الثوب الكتان لغير ضرورة مكروهة مع وجود الحصير وبهذه النسبة تكون الصلاة على ثوب القطن مكروهة اذا وجد الكتان والصلاة على الثوب الصوف مكروهة ان وجد القطن (فالحاصل) ان أعلى المراتب مباشرة الارض بالسجود ثم يليها الحصير الغليظ ثم ما هو أرفع منه ثم الكتان الغليظ كذلك ثم القطن مثله ثم الصوف والمقصود أن المحل محل تواضع وتصاغر ورذلة وخشوع وخضوع وفعل الدكة ينافي ذلك كله لان المصلي عليها يرتفع بها عن الارض ارتفاعا كثيرا ويصلي على الخشب وليس من جنس الارض فانا لله وانا اليه راجعون (فان) قال قائل انما جعلت الدكة للاذان للجمعة وللخمس ليسمع الناس (فالجواب) ان من كان خارج المسجد لا يسمع تبليغهم في الغالب ومن كان في المسجد فسواء كان المؤذنون على الدكة أو بالارض هم يسمعونهم غالبا (فان) قال قائل قد يكون الجامع

كبيرا وفيه الجمع الكثير ولا يسمعهم المؤذن الواحد (فالجواب) انه لا فرق بين صوت الواحد والجماعة بل صوت الواحد في الاسماع أبلغ لكونه بصوت أكثر مايقدر عليه بخلاف ما اذا كان في جماعة يبلغ معهم فانه يحتاج أن يوافقهم على أصواتهم (ولأجل) هذا المعنى يسمع المؤذن الواحد في الشاهد على بعد ولا تسمع الجماعة الا فيما هو أقرب من ذلك في الغالب (وفي جوامع المغرب) نجد في الجامع الواحد أربعة مؤذنين واحد خلف الامام والثاني حيث ينتهي اليه صوت الاول والثالث حيث ينتهي اليه صوت الثاني ثم الرابع كذلك على هذا الترتيب وهؤلاء الاربعة حكمهم حكم المبلغ الواحد الذي وقع الخلاف المتقدم فيه والمشهور جوازه وصحة صلاته والله تعالى أعلم

﴿فصل﴾ ومن هذا الباب أيضا أعني في امساك مواضع في المسجد وتقطيع الصفوف بها اتخاذ هذا المنبر العالي فانه أخذ من المسجد جزأ جيدا وهو وقف على صلاة المسلمين كفى به انه لم يكن من فعل النبي صلى الله عليه وسلم ولا من فعل الخلفاء بعده واذا كان ذلك كذلك فهو من جملة ما أحدث في المساجد وفيه تقطيع الصفوف كما هو مشاهد في هذه البلاد (قال) الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه كان عندهم ان تقدمة الصفوف الى فناء المنبر بدعة (وكان) الثوري رحمه الله يقول ان الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر انتهى (وأما) بلاد المغرب فقد سلموا من تقطيع الصفوف لكن بقيت عندهم بدعتان احداهما كبر المنبر على ما هو هنا والثانية انهم يدخلون المنبر في بيت اذا فرغ الخطيب من الخطبة وهذه بدعة الحجاج (ومنبر السنة) غير هذا كله كان ثلاث درجات لا غير والثلاث درجات لا تشغل مواضع المصلين (فان) قال قائل بل تشغل ولو موضعا واحدا (فالجواب) ان هذا مستثنى بفعل صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الحالات وما عداه فبدعة لانه لا ضرورة تدعو اليه (فان) قال قائل قد كثر الناس واتسع الجامع فاذا صعد الخطيب على المنبر وهو ثلاث درجات قل ان يسمع الخطبة الجميع أو أكثرهم في الغالب (فالجواب) ان من كان على منبر عال هو الذي لا يسمعهم لكونه بعيدا عنهم فكأنه في سطح وحده فلا يسمع من تحته وهذا مشاهد (ألا ترى) ان الخطيب يخطب على هذا المنبر العالي وكثير من الناس لا يسمعونه واذا دخل في الصلاة سمعوا قراءته أكثر من خطبته وما ذاك الا لكونه في الصلاة واقفا معهم على الارض وفي حال الخطبة لم يكن معهم كذلك ولا يرد على هذا علو المنار للاذان وسيأتي بيانه ان شاء الله تعالى

﴿فصل﴾ ومن هذا الباب أيضا البئر التي في المسجد لانه سبب لان يجعل المسجد طريقا بسببها حتى يدخل النساء اليها وقد يكون فيهن الحيض والمرأة الشابة وان كانت طاهرة والصغار ومن يتنزه المسجد عن أمثالهم ممن لم يتحفظ وقد امتنع بسببها مواضع في المسجد للمصلين فيه كما تقدم في غيره ولا ضرورة دعت الى البئر هناك لانها ليست محللة فينتفع بالشرب منها ولو كانت كذلك لانتفع الناس بالشرب من غير أن يتخذ المسجد طريقا (واذا) كان كذلك فلم يبق النفع بها الا للطهارة وغسل النجاسة وذلك ممنوع منه في المسجد وقد وسع الله تعالى على الناس بالآبار حتى في بعض الطرق في غير المسجد فاما الآبار التي في المساجد فلا ينقل الماء منها الى غيرها الان ذلك ذريعة الى اتخاذ المساجد طريقا كما تقدم (اللهم) الا أن تكون البئر قديمة وجاء من بنى المسجد هناك وترك البئر في وسطه فان كان ذلك كذلك فالطريق الى البئر ليس بمسجد ولا يصح فيه الاعتكاف

﴿فصل﴾ ومن هذا الباب موضع الفسقية والحظير الذي عليها وما عليها من الطبقة (وهي) لا تخلو اما أن تكون من المسجد أم لا فان كانت من المسجد فيمنع الوضوء منها وقد تقدم منع كشف العورة

عند القسقية فى المدارس وغيرها واذا كان ذلك كذلك فكشف العورة هنا أعظم فى المنع لحرمة هذا الموضع لكونه من المسجد سيما وبعض الناس يبول هناك ويستنجى (وان لم تكن) من المسجد فيمنع الوضوء أيضا لانهم يتوضؤون هناك فتمتلئ أقدامهم ويخرجون فيلوثون بها المسجد يقينا وذلك ممنوع (وأما الطبقة) فان لم تكن من المسجد فالاعتكاف لا يصح فيها وان كانت من المسجد فلا تصح الجمعة فيها لكونها محجورة (وفى) موضع القسقية مفسدة أخرى أكثر مما تقدم ذكره فى المقاصير لان بعض من لا خير فيه يتوصل بسبب ذلك الى ما يريده من أغراضه الخسيسة اذ أنها أكثر سترا من المقاصير لانها فى مؤخر المسجد والغالب من الناس انهم يأتون الصف الأول وما قارب فيبقى مؤخر المسجد فى الغالب خاليا سيما ان كان ليلا وهم لا يقعدون فى تلك الناحية الا قليلا

﴿فصل﴾ وأما موضع الديوان فلا يخلو أيضا اما أن يكون من المسجد أم لا فان كان من المسجد فلا يجوز غلقه ولا تحجيره ولا جلوس أهل الديوان فيه وان كان من غير المسجد فلا يصح فيه الاعتكاف اذ أن من شرطه المسجد كما تقدم

﴿فصل﴾ وينبغى له أن يغير ما أحدثوه من الزخرفة فى المحراب وغيره فان ذلك من البدع وهو من اشراط الساعة (ومن الطرطوشى) قال ابن القاسم وسمعت مالكا يذكر مسجد المدينة وما عمل من التزويق فى قبلته فقال كره الناس ذلك حين فعل له لانه يشغلهم بالنظر اليه (وسئل مالك) عن المساجد هل يكره أن يكتب فى قبلتها بالصبغ مثل آية الكرسى وقل هو الله أحد والمعوذتين ونحوها فقال أكره أن يكتب فى قبلة المسجد شئ من القرآن والتزويق وقال ان ذلك يشغل المصلى انتهى (وكذلك) ينبغى له أن يغير ما أحدثوه من الصاق العمد فى جدار القبلة وفى الأعمدة وما يلصقونه أو يكتبونه فى الجدران والاعمدة (وكذلك) يغير ما يعلقونه من خرق كسوة الكعبة فى المحراب وغيره فان ذلك كله من البدع لانه لم يكن من فعل من مضى (وأما التخليق) بالزعفران فى المسجد فهو جائز اذ انه من الطيب لكن قد قال مالك رحمه الله ان الصدقة بثمن ذلك أفضل ويجوز تخليقه بشرط أن لا يفعل ذلك الا من يجوز له دخول المسجد حذرا من أن تدخله حائض بسبب ذلك أو امرأة طاهرة تخالط الناس فى موضع مصلاهم وهى ممنوعة من ذلك

﴿فصل﴾ وينبغى له أن يغير ما أحدثوه من التازير فى جدران المسجد لانه من باب الزخرفة أيضا ولانه لا يمكن ذلك الا بمسامير أو ما يقوم مقامها من أوتاد وغيرها وذلك لا يجوز فى الوقف الا لضرورة شرعية مثل أن يكون جدار المسجد فيه سباخ أو شئ يلوث ثياب المصلين فيغتفر ذلك لأجل هذه الضرورة (ومنع) دق المسامير وما تقدم لا يختص بالمسجد وحده بل هو حكم شائع فى كل وقف (ولاجل) هذا المعنى كان كثير من الفقهاء اذا دخلت لاحدهم بيته فى المدرسة تجد كل ماله من كتب واثاث بالارض خشية مما ذكر من تسمير مسامير يضع عليها شيأ من عمامة أو غيرها (وكذلك) يمنع مما ذكر من كان ساكنا فى موضع وقف بكراء أو غيره فلا يجوز له شئ من ذلك فيه ولو أذن له الناظر فى ذلك فلو كان البيت ملكا لغيره جاز له ذلك بعد الاذن فيه من المالك فان لم يأذن له لم يجز

﴿فصل﴾ فانظر رحمنا الله واياك الى مقتضى ما تقدم ذكره فكيف يمكن أن يسمر فى المسجد المسامير الكبار والاوتاد ويقتطعون من المسجد مواضع يمنعونها من غيرهم ويسكنون فيها اتباعا وبناءون فيها ويقومون وقد يجنب أحدهم ليلا فلا يمكنه الخروج من المسجد نجاسا فى المسجد وهو جنب وذلك محرم ولا نكير فى ذلك ولا من يغير بعضه فانا لله وانا اليه راجعون وفاعل ما ذكر مصر على معصية مقيم عليها ولو

تاب بقلبه ولفظه حتى يفارقها فكيف يزار أو يتبرك به مع هذه الجرحة لانه غاصب لمواضع المصلين فى كل وقت مادام مقيما على ذلك حتى ان بعضهم اذا خرج من المقصورة أغلقها على متاعه وأخذ المفتاح معه حتى كانها بيت أبيه أو جده (وقد) اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فى المبيت فى المسجد للغرباء اذا اضطروا اليه فذهب مالك رحمه الله الى ان ذلك يجوز فى البادية ولا يجوز فى الحاضرة وأعنى بالبادية التى ليس فيها بناء يأوى اليه وأما بلاد الريف فانه يوجد فيها مواضع غير المسجد فلم تدع الضرورة الى المبيت فى المسجد

﴿ فصل ﴾ فان قال قائل ان المسجد لا يمتلئ بالناس حتى يحتاجوا لتلك المواضع التى أحدثوا فيها ما أحدثوا (فالجواب) ان ما أجمع عليه المسلمون من المساجد المهجورة لا يجوز سكناها ولا اجارتها ولا احتكارها فاذا كان ذلك كذلك فما نحن بسبيله من باب أولى والله الموفق

﴿ فصل ﴾ ومن هذا الباب أيضا ما أحدثوه فى سطوح المسجد من البيوت وذلك غصب لمواضع المسلمين فى المسجد واحتكار لها واحداث فى الوقف لغير ضرورة شرعية وفيه من المفاسد ما تقدم ذكره من أمر المقيمين فى المسجد وغصبهم لتلك المواضع التى سكنوها بل هذا أشد لان تلك البيوت التى فى السطوح مؤبدة للسكنى بخلاف ما تقدم ذكره وفيه مع ما ذكر من المفاسد الاقامة فى المسجد وقد يكون جنبا كما سبق فى حق من تقدم ذكره (وقد كان) بعض القضاة لما ان تولى وهو والله أعلم المعروف بابن بنت الاعز جاء الى سطوح الجامع بمصر فى جماعة وهدم البيوت المحدثة عن آخرها ولم يسأل لمن هذا البيت ولا لمن هذه الثياب بل أخذ ما وجده من ذلك وغيره ورماه فى صحن الجامع ومشى الامر على ذلك مدة من الزمان طويلة ثم أحدثوها أيضا لما لم يجدوا من ينهاهم عن ذلك ولا من يتكلم فيه (وصلاة) الجمعة فيها وفى غيرها من سطوح المسجد لا تصح على مذهب مالك رحمه الله لان من شرط الجمعة الجامع المسقوف ومن صفة المسجد أن يدخل بغير اذن وأن يكون جميع الناس فيه سواء وسطوح المسجد ليس كذلك فانه محجور على بعض الناس ولا تصح الجمعة فيما هو كذلك كما لا تصح فى بيت القناديل لاشتراكهما فى التحجير على بعض الناس دون بعض كما تقدم ولو قدرنا ان السطوح ليست بمحجورة على أحد فالحكم فى مذهب مالك رحمه الله للغالب والغالب أنها محجورة على بعض الناس دون بعض كما تقدم بيانه

﴿ فصل ﴾ وقد منع علماؤنا رحمة الله عليهم الوضوء فى المسجد ومن كان ساكنا فى سطوحه فانه يتوضأ فيه للضرورة كما يشاهد من عوائدهم فيه وذلك ممنوع لاشغله فيه كما لا يتوضأ فى داخل المسجد لان حرمة سطحه كحرمته (وقد اختلف) علماؤنا رحمة الله عليهم فى الخطيب اذا أحدث فى أثناء خطبته أو بعد فراغه منها هل يجوز له أن يتوضأ فى المسجد فروى عن ابن القاسم أنه لا بأس أن يتوضأ فى صحنه وضوء طاهر وكره مالك رحمه الله ذلك وان كان فى طشت ومن يتوضأ فى السطوح أو فى البيوت التى فيها فانما يتوضأ فيما هو داخل المسجد وذلك كله ممنوع (وقد ترتب) على بناء البيوت فى سطوح المسجد مفاسد جمة (فمنها) ان بعض الناس ممن يعتكف فى البيوت التى فوق سطوح المسجد تجدهم أول شهر رمضان أو فى آخر شعبان يتقدمه الفرش والغطاء والوطاء وما يحتاج اليه فى بيته مما يمنع فعله فى المسجد (وقد) منع مالك رحمه الله أن يأتى الرجل بوسادة فى المسجد يتكئ عليها أو بفروة يجلس عليها وأنكر ذلك وقال تشبه المساجد بالبيوت

﴿ فصل ﴾ وقد منع علماؤنا رحمة الله عليهم المراوح اذ أن اتخاذها فى المسجد بدعة ثم ان بعضهم الغالب

عليهم اليوم زيارة المعتكف فى معتكفه وكثرة الكلام فى المسجد واللغط فيه (وقد ورد) ان ذلك يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب (وقد) كان السلف رضوان الله عليهم اذا اعتكفوا لا يأتيهم أحد حتى يخرجوا من اعتكافهم اذ أن حال المعتكف يدور بين صلاة وتلاوة وفكر وذكر وغير ذلك فليس بمشروع له كالصلاة على الجنازة ومدارسة العلم ان كان يمشى اليه وأما ان غشيه فى مجلسه وهو يسمعه فلا بأس به هذا على مذهب مالك رحمه الله (وأما) النوم الخفيف فهو مستثنى لضرورة البشرية (وكذلك) ينبغى أن يمنع ما أحدثوه فيما يأتون به لفطورهم فتجد الروائح التى لأطعمتهم يشمها الفقراء والمساكين حين يؤتون بها عند الغروب والناس اذ ذاك فى المسجد ينتظرون صلاة المغرب فتبقى نفوسهم اذ ذاك مشتهية لذلك الطعام وأعينهم فيه سيما اذا دخلوا به من باب السطوح الذى فى القبلة فانه أكثر فى هذا الباب من غيره ثم مع ذلك فى سطوح المسجد من الفقراء المحتاجين كثير ويتأذون بتلك الروائح كثيرا ويخاف على فاعل ذلك اما عاجلا واما آجلا والمعتكف انما دخل لاعتكافه لزيادة الفضل وهذا ضده فليحفظ من هذا كله والله الموفق (فهذا الكلام) على بعض المواضع التى وقعت فيها مخالفة السنة كما تقدم ذكره ثم نرجع الآن الى بقية ما أحدثوه فى بعض الجوامع (فمن ذلك) السبحة التى أحدثوها وعملوا لها صندوقا تكون فيه وجامكية لقيمها وحاملها والذاكرين عليها وهذا كله مخالف للسنة المطهرة ولما كان عليه السلف رضى الله عنهم وقد تقدم ذكر حالهم فى الذكر كيف كان ثم ان بعض من اقتدى بمن أحدثها زاد فيها حدثا آخر وهو أن جعل لها شيخا يعرف بشيخ السبحة وخادما يعرف بخادم السبحة الى غير ذلك وهى بدعة قريبة العهد بالحدوث فينبغى لامام المسجد أن يتقدم الى ازالة كل ما تقدم ذكره على قدر استطاعته مع ان هذا متعين على سائر المسلمين لكن فى حق الامام آكد لان المسجد من رعيته وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته والله الموفق

﴿فصل﴾ وقد تقدم فى آداب المتعلم انه لا يجلس لقاص ولا لسماع قراءة الكتب التى تقرأ وليس هناك شيخ يبين ما يشكل على السامع منها ويتعين عليه بيان ذلك وان لم يسأل عنه وهذا فى حق امام المسجد آكد اذ أنه راع عليه كما تقدم فيمنع من ذلك جهده سيما اذا انضاف الى ذلك ما يفعله بعض الناس فى هذا الوقت وهو أن يجتمع اليه الناس لسماع الكتب فيه ثم تأتى النساء أيضا لسماعها فيقعد الرجال بمكان والنساء بمقابلتهم سيما وقد حدث فى هذا الوقت أن بعض النساء يأخذهن الحال على ما يزعمن فتقوم المرأة وتقعد وتصيح بصوت ندى وتظهر منها عورات لو كانت فى بيتها لمنعت فكيف بها فى الجامع بحضرة الرجال فنشأ عن هذا مفاسد جمة وتشويشات لقلوب بعض الحاضرين فجاؤا اليه بحرافعاد عليهم بالنقص أسأل الله السلامة بمنه

﴿فصل﴾ وينبغى له أن يمنع ما أحدثوه من المصافحة بعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر وبعد صلاة الجمعة بل زاد بعضهم فى هذا الوقت فعل ذلك بعد الصلوات الخمس وذلك كله من البدع وموضع المصافحة فى الشرع انما هو عند لقاء المسلم لاخيه لا فى أدبار الصلوات الخمس وذلك كله من البدع لحيث وضعها الشرع نضعها فينهى عن ذلك ويزجر فاعله لما أتى من خلاف السنة

﴿فصل﴾ وينبغى له أن يمنع ما يدخل به بعض الناس الى المسجد حين اتيانهم بالميت الى الصلاة عليه فيه من القراء والفقراء الذاكرين والمكبرين والمريدين اذ أن ذلك كله من البدع فى غير المسجد فكيف به فى المسجد ولان ذلك يشوش على المتنفل والتالى والذاكر والمتفكر والمسجد انما بنى لهؤلاء دون غيرهم (وقد استفتى) الامام النووى رحمه الله فقيل له هذه القراءة التى يقرؤها بعض الجهال على الجنائز

بدمشق بالتمطيط الفاحش والتغني الزائد وادخال حروف زائدة وكلمات ونحو ذلك مما هو مشاهد منهم هل هو مذموم أم لا (فأجاب) بما هذا لفظه هذا منكر ظاهر مذموم فاحش وهو احرم باجماع العلماء وقد نقل الاجماع فيه الماوردي وغير واحد وعلى ولي الامر وفقه الله زجرهم عنه تعزيرهم واستتابتهم ويجب انكاره على كل مكلف تمكن من انكاره انتهى (واذا) كان كذلك فيتعين مع ذلك كله ان الصلاة على الميت في المسجد تمنع في مذهب الامام مالك رحمه الله لو كانت سالمة لقوله عليه الصلاة والسلام من صلى على ميت في المسجد فلا شئ له أخرجه أبو داود في سننه وهذا الذي خرجه أبو داود ويقويه عمل السلف المتصل بل لو انفرد العمل لكان كافيا في منعه في المسجد والله الموفق (ثم انهم) يؤخرون الصلاة على الميت ودفنه حتى يفرغ الامام من خطبته وصلاته ان كان في الجمعة وان كان في غيرها فينتظرون به انقضاء تلك الصلاة التي تكون (وقد) وردت السنة ان من اكرام الميت تعجيل الصلاة عليه ودفنه (وقد كان) بعض العلماء رحمه الله ممن كان يحافظ على السنة اذا جاؤا بالميت الى المسجد صلى عليه قبل الخطبة ويأمر أهله أن يخرجوا الى دفنه ويعلمهم أن الجمعة ساقطة عنهم ان لم يدركوها بعد دفنه فجزاه الله خيرا عن نفسه على محافظته على السنة والتنبيه على البدعة فلو كان العلماء ماشين على ما مشى عليه هذا السيد لانسدت هذه الثلمة التي وقعت وهي ان من احدث شيأ سكت له عليه فتزايد الامر بذلك فانا لله وانا اليه راجعون (ثم) ان مع ما ذكر ترتبت مفاسد على كون الميت يصلى عليه في المسجد (الاترى) ان الغالب على بعضهم يأتون بالميت الى المسجد في زحام من الوقت فيجدون المسجد قد امتلأ بالناس فيدخل الحاملون له وهم حفاة قد مشوا باقدامهم على النجاسات على ما يعلم في الطرقات في هذا الوقت ثم يدخلون المسجد على ذلك الحال من غير أن يمسحوا اقدامهم أو يحكوها بالارض فيتخطون رقاب الناس بتلك الاقدام ويمشون بها على ثيابهم وقد يتنجس بعض المسجد وثياب من مشوا عليه بذلك (وهذا الموضع) مما وقع عليه النص من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه في فاعل ذلك أنه مؤذ (قال) عليه الصلاة والسلام للذي تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اجلس فقد آذيت هذا وجه (الوجه الثاني) ان الغالب على بعضهم انه يكون قدمه في حجزته فاذا تحرك تحرك القدم بحركته ويحك بعضه في بعض فان كانت فيه نجاسة وهو الغالب وقعت في المسجد فيصلي الناس عليها فتبطل صلاتهم بذلك (الوجه الثالث) ان موضع سرير الميت يمسك مواضع للمصلين وذلك غصب لهم لان الموضع وقف على المصلين وهم لا حاجة لهم به كلية الا في وقت الصلاة المكتوبة سيما اذا كانت صلاة الجمعة فيتأكد تعيين الغضب في ذلك (الوجه الرابع) ان الغالب على بعض الموتى أن يبقى فيهم شئ من الفضلات والميت لا يمسك ذلك وقد تخرج في المسجد والنجاسة في المسجد ممنوعة (الوجه الخامس) رفع صوت الحاملين على ما يعلم منهم عند ارادة الصلاة على الميت وبعدها حين خروجهم مما لم يرد به الشرع فينتهكون بذلك حرمة المسجد الى غير ذلك وهو كثير متعدد لان مخالفة السنة لا تأتي بخير والخير كله في الاتباع له عليه الصلاة والسلام في الدقيق والجليل (وسئل مالك) عن الجنائز يؤذن بها على أبواب المساجد فكره ذلك وكره أن يصاح خلفه باستغفروا له يغفر الله لكم وأفتى في ذلك بالكراهة (قال) ابن القاسم سألت مالكا عن الجنازة يؤذن بها في المسجد بصياح قال لا خير فيه وكرهه وقال لا أرى بأسا أن يدار في الحلق ويؤذن الناس بها ولا يرفع بذلك صوته (قال القاضي) أبو الوليد بن رشد رحمه الله في البيان والتحصيل أما النداء بالجنائز في داخل المسجد فلا ينبغي ولا يجوز باتفاق لكراهة رفع الصوت في المسجد

فقد كره ذلك حتى فى العلم وأما النداء بها على أبواب المسجد فكرهه مالك ورآه من النبى المنهى عنه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والنبى فان النبى من عمل الجاهلية والنبى عندهم أن ينادى فى الناس الا أن فلانا قد مات فاشهدوا جنازته وأما الاذن بها والاعلام من غير نداء فذلك جائز باجماع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المرأة التى توفيت ليلا أفلا آذنتمونى بها وقد روى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه أنه قال اذا أنا مت فلا تؤذنوا بى أحدا انى أخاف أن يكون نعيا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعى وبالله التوفيق اه (فان) قال قائل ان النجاسة لا تخرج من الميت فى المسجد لما يفعلونه من سد مخارجه وارسال القطن معه (فالجواب) ان فى فعل هذا محرمات أخر منها هتك حرمة المؤمن بعد موته ولا فرق فى ذلك بين حياته وموته لانهم يرسلون معه القطن فى فمه ويدخلونه الى حلقه ويرسلونه معه بعود أو غيره حتى يملؤا حلقه بالقطن وينزل ذقنه الى أسفل ويطلع أنفه الى فوق ويملؤن فمه وشدقيه بالقطن فيبقى مثله للناظر وكذلك يفعلون فى أنفه فيرسلون فيه القطن حتى يتعاظم أنفه ثم يفعلون فعلا قبيحا فيرسلون القطن فى دبره بعود أو غيره وهذا فعل قبيح شنيع لان ذلك حرام فى حياته فكذلك بعد موته (ووجه آخر) وهو أن الشارع صلوات الله عليه وسلامه أمرنا بغسل الميت اكراما لملائكة فى القبر وهم يفعلون به ما ذكر فاذا جاؤا به الى القبر أخرجوا ذلك منه فيخرج القطن وهو ملوث بالفضلات فى الغالب ويبقى الفم مفتوحا لا يمكن غلقه ثم ان ما يخرج منه فى الغالب له رائحة كريهة والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم وهم يبقون ذلك معه فى قبره فى الغالب فذهب بذلك المعنى الذى لاجله أمرنا الشارع عليه الصلاة والسلام بفعله وهو الاكرام بغسله لملائكة (ثم العجب) فى كونهم يأتون بماء الورد فيسكبون ذلك عليه فى القبر وهذه أيضا بدعة أخرى لان الطيب انما شرع فى حق الميت بعد الغسل لا فى القبر فكيف يجتمع طيب ونجاسة

﴿فصل﴾ وينبغى له أن يمنع من يرفع صوته فى حال الخطبة وغيرها فى المسجد لان رفع الصوت فى المسجد بدعة (لما ورد) عنه عليه الصلاة والسلام انه قال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وخصوماتكم وبيعكم وشراءكم وسل سيوفكم ورفع أصواتكم واقامة حدودكم وجمروها أيام جمعكم واجعلوا مطاهركم على أبواب مساجدكم اه (وقد كثر) رفع الاصوات والخصومات فى المساجد فى هذا الزمان حتى ان الخطيب لا يسمع ما يقول لكثرة غوغائهم اذ ذاك (وكذلك) ينبغى له أن يغير عليهم ما أحدثوه من التصفيق فى حال الخطبة اذ أن ذلك فعل قبيح وليس ذلك من فعل الرجال لقوله عليه الصلاة والسلام وانما التصفيق للنساء وهذا كله سببه السكوت عما أحدث فى الدين (وقد روى) أبو داود فى سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحضر الجمعة ثلاث نفر فرجل حضرها يلغو فذلك حظه منها ورجل حضرها بدعاء فهو رجل دعا الله ان شاء وان شاء منعه ورجل حضرها بانصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهى كفارة الى الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك ان الله يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها اه (وينبغى له) أن يغير ما أحدثوه من تفريق الربعة حين اجتماع الناس لصلاة الجمعة فاذا كان عند الاذان قام الذى فرقها ليجمع ما فرق من تلك الاجزاء فيتخطى رقاب الناس بسبب أخذها منهم (وهذا) فيه محذورات جمة منها ان ذلك مخالف للسلف رضوان الله عليهم اذ أنه لم يرد عن أحد منهم انه فعل ذلك (الوجه الثانى) ان فيه تخطى رقاب الناس حين ارتصاصهم لانتظار صلاة الجمعة لغير

مطلب تفريق الربعة

مطلب التصفيق

ضرورة شرعية وقد تقدم النهي عن ذلك وان فاعله مؤذ وقد ورد ان كل مؤذ في النار (الوجه الثالث) انه قد يعطى الخدمة لمن لا يحسن أن يقرأ فقد يحصل له خجل بسبب ذلك وهذه أذية وصلت على يد مسلم كان عنها في غنى (الوجه الرابع) أنه قد ينسى بعض الاجزاء فلا يأخذه فيضيع على الوقف (الوجه الخامس) أنه قد يأخذه بعض الناس ويكتمه لتساهلهم في الوقف فقد يخفى ويختار أن يختص هو بمنفعته في بيته اما لنفسه أو لولده أو غير ذلك فيذهب على الوقف (الوجه السادس) أنه قد يأتي عليه في بعض الاحيان انه يكون مشغولا في جمع تلك الاجزاء والخطيب اذ ذاك يخطب فيقع الكلام والمراجعة بسبب جمعها في حال الخطبة (وينبغي له) أن ينهى الناس أن يقفوا تحت اللوح الاخضر للدعاء وكذلك عند أركان المسجد اذ أن ذلك بدعة ممن فعله (وينبغي له) أن ينهى الناس عما أحدثوه من ارسال البسط والسجادات وغيرها قبل أن يأتي أصحابها (وقد تقدم) ما في ذلك من القبح ومخالفة السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين فأغنى ذلك عن اعادته والله الموفق (وينبغي له) أن ينهى من يقرأ الاعشار وغيرها بالجهر والناس ينتظرون صلاة الجمعة أو غيرها من الفرائض لانه موضع النهي لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن انتهى (ولا يظن ظان أن هذا انكار لقراءة القرآن بل ذلك مندوب اليه بشرط أن يسلم من التشويش على غيره من المصلين والذاكرين والتالين والمتفكرين وكل من كان في عبادة (والحاصل) أن ذلك يمنع في المسجد المطروق مطلقا وان لم يكن فيه أحد لانه معد ومعرض لما تقدم ذكره من العبادات المقصود بها وأما ان كان في مسجد مهجور وليس فيه غير السامعين أو في مدرسة أو رباط أو بيت فذلك مندوب اليه بحسب الحال بشرط أن لا يكون ثم غير السامعين كما تقدم فان كان ثم غيرهم فيمنع لاحتمال أن يكون ثم من يدرس أو يطالع أو يصلي أو يأخذ راحة لنفسه فيقطع عليه ما هو بصدده وقد تقدم ما ورد في الحديث لا ضرر ولا ضرار اه (هذا) اذا سلم من الزيادة أو النقصان مثل أن يمد المقصور أو يقصر الممدود أو يشدد موضع التخفيف أو عكسه أو يظهر موضع الادغام أو عكسه أو يظهر موضع الاخفاء الى غير ذلك وأن لا يصل بالعشر آية أخرى غير متصلة به لان ذلك تغيير للقرآن في الظاهر عن نظمه الذي اجمعت عليه الامة (وينبغي له) أن ينهى عن قراءة الاسباع سيما التي في المسجد لما تقدم من أن المسجد غير نائب للمصلين والذاكرين وقراءة الاسباع في المسجد مما يشوش بها لما ورد في الحديث لا ضرر ولا ضرار فأي شيء كان فيه تشويش منع والله الموفق (وينبغي له) أن ينهى الفقراء الذاكرين جماعة في المسجد قبل الصلاة أو بعدها أو في غيرهما من الاوقات لما تقدم من منع ذلك في أول الكتاب (وينبغي له) أن يمنع من يسأل في المسجد لما ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال من سأل في المسجد فاحرموه ومن كتاب القوت قال ابن مسعود اذا سأل الرجل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه انتهى والمسجد لم يبن للسؤال فيه وانما بني لما تقدم ذكره من العبادات والسؤال يشوش على من يتعبد فيه (وينبغي له) أن ينهى عن الاعطاء لمن يسأل فيه لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام فاحرموه ولان اعطاءه ذريعة الى سؤاله في المسجد (وينبغي له) أن يمنع السقائين الذين يدخلون المسجد وينادون فيه على من يسبل لهم فاذا سبل لهم ينادون غفر الله لمن سبل ورحم من جعل الماء للسبيل وما أشبه ذلك من ألفاظهم ويضربون مع ذلك بشيء في أيديهم له صوت يشبه صوت الناقوس وهذا كله من البدع ومما ينزه المسجد عن مثله (وفي) فعل ذلك في المسجد مفاسد جمة (منها) ما تقدم ذكره من شبه الناقوس

(ومنها) رفع الصوت فى المسجد لغير ضرورة شرعية (ومنها) البيع والشراء فى المسجد لان بعضهم يفعل ماذكر وبعضهم يمشى بخترق الصفوف فى المسجد فمن احتاج أن يشرب ناداه فشرب وأعطاه العوض عن ذلك وهذا بيع بين ليس فيه واسطة تسبيل ولا غيره سيما والمعاطاة بيع عند مالك رحمه الله ومن تبعه (ومنها) تخطى رقاب الناس فى حال انتظارهم للصلاة (ومنها) تلويث المسجد لانه لابد أن يقع من الماء شئ فيه وان كان طاهرا الا أنه يمنع فى المسجد على هذا الوجه وقد تقدم مشى بعضهم حفاة ودخولهم المسجد بتلك الاقدام النجسة ومافى ذلك من المحذور كما تقدم ذكره وقد تقدم أيضا مايفعلونه فى المسجد فى ليلة الاسراء وليلة النصف من شعبان وقود القناديل وغيرها ومافى ذلك مما لاينبغى وكذلك مايفعل فى ليلة الختم فى أواخر شهر رمضان مبسوطا فى مواضعه فليلتمس هناك (وأما) البيع والشراء فى المسجد فقد عمت به البلوى لجهل الجاهل وسكوت العالم حتى صار الامر الى جهل الحكم فيه واستحكمت العوائد حتى ان أم القرى مكة التى لها من الشرف مالها يبيعون ويشترون فى مسجدها والسماسرة ينادون فيه على السلع على رؤس الاشهاد ويسمع لهم هناك أصوات عالية من كثرة اللغط ولا يتركون شيأ الا يبيعونه فيه من قماش وعقيق ودقيق وحنطة وتين ولوز واكر وعود أراك وغير ذلك وعلى هذا لا يستاك من له ورع بعود الاراك وان كان من السنة لانهم انما يبيعونه فى المسجد اللهم الا أن يعلم من يأتيه به أنه اشتراه خارج المسجد فيستاك به حينئذ والله الموفق (وينبغى له) أن ينهى عن تعليق القناديل المذهبة وقودها والتزيين بها الان ذلك من باب زخرفة المساجد وذلك من اشراط الساعة كما تقدم وفيه السرف وهو محرم اذ أن الذهب لايستعمل الا فى تحلية النساء وفى تحلية المصحف والسيف واختلف فى المنطقة وغير ذلك ممنوع (وينبغى له) أن ينهى الناس عما أحدثوه من مشيهم فى المسجد لقضاء حوائجهم ولهم طريق سواه وان كانت أبعد منه واتخاذ المسجد طريقا من اشراط الساعة وهاهو ذا قد شاع وكثر وقل ان تجد جامعا الا وقد اتخذوه طريقا وقل من ينهى عن ذلك ولو قدرنا أن أحدا نهى عنه لاستحمقوه ويقد يتأذى بسبب ذلك فانا لله وانا اليه راجعون (وينبغى له) أن يمنع النساء اللاتى يدخلن الجامع ويجلسن فيه لانتظار بيع غزلهن ويدخل المنادى اليهن ومعه الغزل فيكلمهن فى الجامع ويشاورهن على ثمن ذلك فمن رضيت منهن تقول قد بعت وذلك بيع فى المسجد لان المنادى صار اذ ذاك كالوكيل ويقع بذلك كثرة الكلام والزيادة والنقصان فى المسجد ويجتمع بسبب ذلك فى المسجد من فى قلبه مرض ويجد السبيل الى ماسولت له نفسه من الاغراض الخسيسة وبعضهن يكون معها الاولاد الصغار وقد يبولون فى المسجد وقد رؤى ذلك عيانا (وينبغى له) أن يمنع النساء اللاتى يأتين للمحاكمات فى المسجد ويدخلن اليه لانتظار مايريدونه ويدخل اليهن الوكلاء والرجال والازواج وتكثر الخصومات وترتفع الاصوات كما هو مشاهد مرئى والقاضى يعزل عنهم خارج المسجد وقد تقدم مافى ذلك من المفاسد فيمنع من هذا كله وفى الاشارة مايغنى عن العبارة والله المستعان (وينهى) الناس عما يفعلونه من الحلق والجلوس جماعة فى المسجد للحديث فى أمر الدنيا وماجرى لفلان وماجرى على فلان وقد تقدم ماورد فى الحديث من أن الكلام فى المسجد بغير ذكر الله تعالى يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فينهاهم ويفرق جمعهم (وقد) ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد يقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحبهم الدنيا لاتجالسوهم فليس لله بهم من حاجة (وروى) عنه أيضا عليه الصلاة والسلام أنه قال اذا أتى الرجل المسجد

فأكثر من الكلام تقول له الملائكة اسكت يا ولي الله فان زاد تقول اسكت يا بغيض الله فان زاد تقول أسكت عليك لعنة الله (وأما) يجلس في المسجد لما تقدم ذكره من الصلاة والتلاوة والذكر والتفكر أو تدريس العلم بشرط عدم رفع الاصوات وعدم التشويش على المصلين والذاكرين (وأما) في غير المسجد فيمنع جماعة ويجوز جهرا بشرط عدم التشويش على غيره (وهذا النوع) مما عمت به البلوى حتى في المساجد الثلاث فقد كثر فيها الحديث والقيل والقال ورفع الاصوات سيما في أيام الموسم فتجد رفع الاصوات عند قبر سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم والحديث الكثير بحيث المتهى حين أوقات الزيارة له عليه الصلاة والسلام (وكذلك) في قضاء المناسك في الحج تجد لهم غوغاء حتى كانهم قط ما هم في عبادة (وكذلك) تجدهم في المسجد الاقصى على ما علم من عوائدهم فيه من الوقوف يوم عرفة والنفور عند الغروب وذلك بدعة ممن فعله لان البيت المقدس لم يحج اليه أحد قط ولا فرضه الله فيه وما كان الحج من عهد آدم عليه الصلاة والسلام الى النبي عليه الصلاة والسلام الا البيت الله الحرام وعرفة ومنى والمناسك المشهورة المعروفة ولم يكن في المسجد الاقصى الا الصلاة الى الصخرة فهي القبلة التي كانت ثم حولت الى البيت الحرام (فالوقوف) بالمسجد الاقصى ليس فيه اقتداء بالماضين ولا بالمتأخرين لما ذكر (على أنه) لو حج اليه قبل هذه الشريعة المحمدية لم يجز أن يفعل ذلك فيه اليوم كما أنه لا تجوز الصلاة الى الصخرة بعد نسخها (وقد شذ) بعض الناس فقال بجواز الوقوف فيه بمعنى أنه مثاب لا أنه يجزى عن الحج المشروع وهو قول لا يرجع اليه لما تقدم ببيانه فافهمه (ومما) أحدثوا فيه ما يفعلونه ليلة النصف من شعبان وأول ليلة جمعة من رجب فيسمع لهم صياح وهرج وبدع كثيرة حين صلاة الرغائب وأول ما حدثت هذه البدع في المسجد الاقصى ومنه شاعت في الاقاليم على ما نقله الامام الطرطوشي رحمه الله في كتاب الحوادث والبدع له فاذا كان الامام ينهى عن ذلك أو يتكلم فيه كما تقدم ذكره لانحسمت المادة أو بعضها والله الموفق (وينهى) من يقعد في المسجد لتفلية ثيابه سيما في أيام البرد يقعدون في الشمس ويفلون ثيابهم وهذا لا يحل اجماعا لان جلدة البرغوث الذي خالط الانسان نجسة وجلدة القملة نجسة مطلقا وهم يلقون ذلك في المسجد بعد قتله ولو فرضنا أن أحدا منهم يجمعه ويلقيه خارج المسجد فذلك لا يجوز لان قتلها في المسجد يمنع وان لم يلقها فيه اذ أنه حامل للنجاسة في المسجد من حين قتلها الى حين القائها خارج المسجد لغير ضرورة شرعية (ومن الطرطوشي) وكره مالك قتل القملة ورميها في المسجد ولا يطرحها من ثوبه في المسجد ولا يقتلها بين النعلين في المسجد انتهى (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم في المصلي اذا أخذ قملة وهو في الصلاة فلا يجوز له أن يلقيها في المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام اذا قتلتم فأحسنوا القتلة (واذا) رماها في المسجد وهي بالحياة فاما أن تموت جوعا أو تضعف وكلاهما عذاب لها وليس ذلك من حسن القتلة وشأن من وقع له ذلك أن ينقلها لمكان آخر من بدنه أو ثوبه أو يربطها في طرفه حتى يخرج من المسجد (وأما) البرغوث اذا أخذه وهو في الصلاة فانه يلقيه في المسجد من غير أن يقتله لان البرغوث لا يقعد بمكان واحد بل ينتقل في الغالب وربما خرج من المسجد هذا وجه (الوجه الثاني) انه لو بقي في المسجد فانه يأكل من التراب لانه منه خلق ويعيش فيه بخلاف القملة فانها خلقت من دم الانسان (وقد حكى) عن سيدي حسن الزبيدي رحمه الله أنه خرج يوما مع أصحابه الى بستانه فلما ان كان في أثناء الطريق رجع الى بيته وأمر أصحابه أن يذهبوا الى البستان فسألوه عن سبب رجوعه فقال كان على قميصي نسيته في البيت وفيه دواب خفت أن يموتوا جوعا فرجعت اما ان أقتلهم واما ان ألبسه (وهذا الامر) قد كثر وفشا سيما في المسجد

مطلب نقل القمل الثياب في المسجد

مطلب الاكل في المسجد

الاقصى فترى الغرباء يأتون اليه بدلوق تغلى قلافيجردونها عنهم ويلقونها في المسجد فتحس بحرارة الشمس فتخرج من الثوب وتموت بحر الشمس ثم ينفض أحدهم دلقه ويلبسه وتبقى الدواب كلها ميتة في المسجد فاذا كان امام المسجد ينهى عن هذا وأمثاله تنبه الناس اليه وتركوه وغيروه على من فعله والله الموفق (وينهى) الناس عما أحدثوه من الاكل في المسجد سيما ان كان من المطبوخ بالبصل أو الثوم أو الكراث وأما ان كان نيئا فهو موضع النهي سواء بسواء والاكل في المسجد في مذهب مالك رحمه الله لا يسامح فيه الا الشيء الخفيف كالسويق ونحوه (ومن الطرطوشي) سئل مالك رحمه الله عن الاكل في المسجد فقال أما الشيء الخفيف مثل السويق ويسير الطعام فأرجو أن يكون خفيفا ولو خرج الى باب المسجد كان أعجب الي وأما الكثير فلا يعجبني ولا في رحابه (وقال) في الذي يأكل اللحم في المسجد أليس يخرج لغسل يده قالوا بلى قال فليخرج ليأكل انتهى (وقد) كره مالك رحمه الله ما هو أخف من هذا وهو الكلام بغير لسان العرب في المسجد فقال وأكره أن يتكلم بألسنة العجم في المسجد قال وانما ذلك لما قيل في ألسنة الاعاجم انها خب قال ولا يفعل في المسجد شيء من الخب قال وهو لمن يحسن العربية أشد اه (وهذا) الامر اليوم قد كثر وشاع حتى ان القومة ليخرجون من المسجد في كل يوم صحافا كثيرة وأوراقا وغير ذلك من كثرة مايؤكل في المسجد ويجتمع بسبب ذلك الذباب والخشاش ويكثر القطاط ويرون ان اطعامهم الطعام من باب الحسنات فتكثر القطاط في المسجد فاذا أكل أحد في المسجد اجتمعت عليه القطاط في المسجد بسبب ذلك فيبلن فيه ويولغن نجس وقد رأيت ذلك عيانا في الصف الاول فكان ذلك سببا الى صلاة بعض الناس على النجاسة وبطلان صلاتهم بذلك حتى آل الامر في ذلك الى ان من كان عنده مرمؤذر له الى الجامع (فكان) الناس يوقرون بيوت ربهم ويحترمونها ويتزهونها عما لا يليق بها وكانت المساجد كما ورد في الحديث المسجد بيت كل تقي (فانعكس) الامر الى أن صار المسجد مأوى للقطاط المؤذية والاكل سبب ذلك سيما في المسجد الاقصى فانه يكثر ورود الغرباء اليه فتجدهم يأكلون اللحم ويرمون العظام في المسجد ويأكلون البطيخ ويرمون قشوره الى غير ذلك من فضلات المأكول وقل من تجده يلقي ذلك في خارج المسجد بل يدخلون فيه بالحمير بسبب مايحتاجون اليه من البنيان والعمارة فتبول الحمير فيه وتروث كانه عندهم طريق من الطرق المسلوكة ولو كان كذلك فنحن مأمورون بتنظيف الطرق فكيف الحال في المساجد فكيف الحال في المسجد الاقصى الذي فيه من الفضل مافيه فانا لله وانا اليه راجعون فاذا كان امام المسجد ينهى عن تلك الاشياء وينبه عليها انحسمت المادة فان الخير والحمد لله لم يعدم من الناس فان لم يسمع واحد سمع آخر وقد ورد في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (والكلام) في هذه الاشياء سبب لهداية بعض الناس (وكثير) من الناس من يمتنع من الكلام في هذه الاشياء ويحتج على ذلك بان يقول ان الغالب على الناس انهم لا يسمعون وعن عوائدهم لا يرجعون (وجواب هذا) ماتقدم في الحديث لان يهدي الله بك رجلا واحدا (ألا ترى) الى ماورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يأتي النبي يوم القيامة ومعه الرجل الواحد ويأتي النبي ومعه الرجلان والثلاثة الى غير ذلك فالخير والحمد لله لم يعدم من هذه الامة اذ ان الخير فيها كما من فمن نبه منهم تنبه ورجع وانقاد واستغفر وكفت أنت السبب في ذلك والله الموفق للجميع بمنه (وينهى) عما أحدثوه من النوم في المسجد سيما بعد صلاة الصبح وكذلك في أثناء النهار سيما في شهر رمضان فيجد المسجد قد

مطلب النوم في المسجد

ارتص بالناس فى الغالب (وقد) وردفى الحديث ان الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنوآدم (والنائم) قل ان يسلم من خروج الريح منه فتتأذى الملائكة به (وقد) نهينا عن دخول المسجد بر ائحة الثوم أو البصل (لقوله) عليه الصلاة والسلام من أكل من هذه الشجرة فلا يقربن مساجدنا يؤذينا بريح الثوم فاذا كان هذا فى حق الثوم فمن باب أولى الريح الخارج من المخرج وقد يحتلم النائم فيبقى جنبا فى المسجد وفيه مفسدة أخرى وهو أن ذلك ذريعة لان تسرق عمامته أو رداؤه وفيه من المفاسد أشياء عديدة يطول تتبعها والحاصل منها أن كل ما كرهه الشرع تجد فيه مخاوف فيتعين تركه فاذا علم الناس ذلك من نهى الامام ارتدعوا عنه وبالله التوفيق (وينهى) عما أحدثوه من خياطة قلوع المراكب فى المسجد لانا قد نهينا عن الكلام فى المسجد فى غير عبادة فكيف بالصنعة تعمل فيه فذلك لا يجوز (وقد) منع علماؤنا رحمة الله عليهم نسخ العلم فى المسجد ونسخ القرآن اذا كان على وجه التسبب فيه فبالك بغيرهما فيمنع فاعل ذلك حتى لا يعود الى مثله والله الموفق (وينهى) السقاء الذى يدخل بالجمل فى المسجد لان بوله على مذهب الشافعى رحمه الله نجس وعلى مذهب مالك رحمه الله يلوث المسجد وان كان طاهرا فى نفسه فيمنع لان المسجد ينزه عما هو أقل من هذا (وينهى) عما أحدثوه من المشى فى المسجد بالغنم لانها قد تبول فيه والكلام عليه كالكلام على دخول السقاء بالجمل فى المسجد (وكذلك) ينبغى أن ينهى عن دخول الشواء فى المسجد لان فى ذلك مفاسد (منها) أن يجعل المسجد طريقا وقد تقدم ما فيه (الثانية) أنه يدخل بالذفر الى المسجد والمسجد ينزه عن أقل من هذا (الثالثة) أن رائحته قوية فقد يكون فى المسجد من الفقراء المتوجهين من تتشوق نفسه لذلك ولا شئ معه ليشترى به فيتشوش فى عبادته (الرابعة) أن حاملها الغالب عليه أنه كان فى موضع الذبح وهو محل النجاسات وحاملها حاف هنالك ويدخل المسجد على تلك الحالة (الخامسة) ان الحاملين له الغالب عليهم كثرة الكلام ويرفعون أصواتهم بكلام لا ينبغى فى غير المسجد فكيف به فى المسجد (السادسة) ما فيه من التشويش على المصلين والذاكرين وهذا الكلام على الحكم بان الشواء طاهر وأما اذا كان متنجسا فلا يدخل بالنجاسة الى المسجد اتفاقا (وينهى) عن دخول الرهبان الى المسجد حين يفرشونه بالحصر المضفورة التى يضفرونها فان مذهب مالك رحمه الله منع دخولهم الى المسجد لا ضرورة تدعو الى دخولهم لان الله تعالى أغنى بالمسلمين عنهم اذ أن غيرهم يقوم مقامهم فى فرشها وبالله التوفيق (وينهى) الناس عن اتيانهم الى المسجد باولادهم الذين لا يعقلون ما يؤمرون به أو ينهون عنه اذ أن ذلك ذريعة الى التشويش على المصلين حين صلاتهم (الا ترى) أن الناس يكونون فى صلاتهم ويبكى الصبى فيشوش على المصلين فينهى عن ذلك ويزجر فاعله (وهذا) اذا كان الصبى مع أبيه أو غيره من الرجال (فاما) ان كان مع أمه فلا بأس به لوجهين (أحدهما) أن الغالب فى موضع النساء أن يكون بالبعد بحيث لا يشوش ذلك على الرجال (الثانى) ان الغالب فى الاولاد اذا كانوا مع أمهاتهم قل أن يبكوا بخلاف الآباء (وهذا) اذا دعت الضرورة الى صلاة المرأة فى جماعة فى المسجد وصلاتها فى بيتها أفضل (فان قيل) قد كان النساء يخرجن الى المسجد فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ويصلين معه جماعة (وقد) ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يخفف صلاته اذا سمع بكاء الصبى مخافة أن تفتتن أمه (فالجواب) عن ذلك من وجهين (أحدهما) ما قالت عائشة رضى الله عنها لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد كما منعه نساء بنى اسرائيل (الثانى) أن الصلاة خلف النبى صلى الله عليه وسلم لا يوازيها

مطلب نسخ الحفائظ

مطلب دخول النساء لصلاة الجمعة

مطلب قص الشارب ونتف الشيب الخ

شئ وكلا الامرين قد فقد فاذلم تخرج الام للصلاة فالاتيان بالاولاد للمسجد دون أمهاتهم يمنع (وقد تقدم) النهى عن الذكر والقراءة جهرا فى المسجد اذا كان يشوش على المصلين والذاكرين فهذا من باب أولى أن ينهى عنه ويزجر فاعله (وينهى) الناس عن كتبهم الحفائظ فى آخر جمعة من شهر رمضان فى حال الخطبة وذلك يمنع لوجوه (أحدها) لما احتوت عليه من اللفظ الاعجمى (وقد) قال مالك رحمه الله لما ان سئل عنه وما يدريك لعله كفر (الثانى) أن فيه اللغو فى حال الخطبة (الثالث) أنه يشتغل بالكتب عن سماع الخطبة (الرابع) أنه يشتغل ببدعة ويترك ما اختلف فيه الناس من الاصغاء فى حال الخطبة هل هو فرض أو سنة مؤكدة (الخامس) ما أحدثوه من بيعها وشرائها فى المسجد فينهى عن ذلك ويزجر فاعله وبعض الناس يكتبها بعد صلاة عصر الجمعة وذلك بدعة أيضا لكنها أخف من البدعة المتقدم ذكرها اذ أنه ليس ثم خطبة يشتغل عنها ولو كتبها وأسقط منها اللفظ الاعجمى ولم يتخذ لكتابتها وقتا معلوما لكان ذلك جائزا والله أعلم (وينهى النساء) عما أحدثنه وسكت لهن عنه من دخولهن الى صلاة الجمعة فى مؤخر الجامع وان كانت لهن مقصورة معلومة لكنها كالعدم سواء بسواء اذ أنها لا تسترهن والغالب عليهن خروجهن على ما قد علم من التحلى واللباس كما تقدم مع أنه لا ضرورة تدعو الى ذلك لان موضعهن فى الزيارة قد استغنين به عن دخول المسجد والقرب من الرجال فهو أليق بهن ما لم يخالطن الرجال ولا فرق فى ذلك بين صلاة الجمعة والخميس والجنائز وغير ذلك وكان الاليق بهن بل الواجب عليهن أن لا يخرجن ولا يمكن من ذلك لان علماءنا رحمة الله عليهم قد قالوا ان صلاة المرأة فى بيتها وحدها أفضل من صلاتها فى المسجد فى جماعة وصلاتها فى مخدع فى بيتها أفضل من صلاتها فى بيتها فكيف ما زاد سترها وانحجابها كان أفضل لصلاتها (اللهم) الا أن تكون ممن يمكنها أن تصلى فى بيتها مع جماعة فى المسجد الذى يجاورها وهى لا تخرج من بيتها فذلك أفضل لها من غير خلاف فى مذهب مالك رحمه الله تعالى (ولذلك) كان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يصلين فى بيوتهن بصلاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى المسجد (وينهى الناس) عما أحدثوه من دخول بعضهم الى المسجد بالصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم جهرا يرفع بذلك صوته حين دخوله وحين خروجه ويجيبه بعض من يسمع صوته ممن فى المسجد ويسمع لهم ضجيج قوى ينزه المسجد عن تلك الزعقات فيه ولو فعل ذلك فى السوق أو الطريق لكان جائزا أو مندوبا اليه بحسب الحال وأما فى المسجد فيمنع لما فيه من التشويش على ما تقدم ذكره فى المسجد والله الموفق (وينهى) عما أحدثوه من ادخال المرآة فى المسجد لقص الشارب ونتف الشيب وغير ذلك مما هو مشاهد من فعلهم وهذا يمنع منه فى المسجد وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام واجعلوا مطاهركم على أبواب مساجدكم واذا كان الطهور على الباب ممنوعا فكيف يدخل بالفضلات فى المسجد ويعمل فيه الصنعة وقد تقدم منع نسخ الختمة أو العلم فى المسجد اذا كان ذلك على وجه التسبب فكيف بهذه الصنعة وما أشبهها والشعر وان كان طاهرا فى نفسه فهو عفش ينزه المسجد عنه هذا اذا كان الشعر مقصوصا وقد قال مالك رحمه الله تعالى ولا يقلم أظفاره فى المسجد ولا يقص شاربه وان أخذه فى ثوبه وأكره أن يتسوك فى المسجد لاجل أن ما يخرج من السواك يلقيه فى المسجد (قال) ولا أحب أن يتمضمض فى المسجد قال وليخرج لفعل ذلك ذكره الطرطرشى (وأما) اذا كان الشعر باصله مثل نتف الشيب فان الحياة تحل أصله فيكون ذلك الموضع من الشعرة نجسا وقل أن يسلم من وقوع القمل فى المسجد اما حيا واما ميتا وكلاهما يمنع فيه (وهذا أمر) قد عمت به البلوى فى أكثر المواضع سيما فى المسجد الاقصى الذى ترد اليه الخلق

كثيرا

كثيرا (وقد رأيت) بعض من ينتسب الى المشيخة والنسك وقد سبل نفسه على هذه الحسنة على زعمه فهو قاعد على باب الميضأة وهو فى المسجد فأى غريب جاء قص له أظافره أو شاربه وأزال شعره اذا احتاج اليه ويلقى كل ذلك فى المسجد وذلك لا يجوز وقد منع مالك من فعل ذلك فى المسجد وان كان يجمعه ويخرجه منه فكيف بالقائه فى المسجد ثم انه مع هذا الحدث زرع دالية عنب فى المسجد فأطعمت وأثمرت وبقى اذا ورد أحد من أبناء الدنيا أخذ من عنبها أو حصرمها وأهداه اليه على سبيل البركة وحصل به ما هو معلوم من حطام الدنيا وهذا النوع مما أحدثوه كثيرا فى المسجد الاقصى واتخذوا فيه دوالى عنب وخزائن للسكنى وهو مسجد ولا يجوز شئ من ذلك فيه (وقد تقدم) ان المساجد المهجورة لا يجوز سكناها ولا أن يحدث فيها حدث غير ما بنيت له (وينهى البياعين) للقضامة وغيرها فى طريق المسجد وعلى أبوابه وفى الزيادة اذ أن من كان منهم مصليا يمسك بها أكثر من موضعين فيكون غاصبا لتلك المواضع حين الصلاة كما تقدم وغير المصلى منهم يتعين أدبه وزجره لأمرين أحدهما أن يضيق على المسلمين طريقهم والثانى انه تارك للصلاة وتارك الصلاة قد اختلف فيه هل هو مرتد أو مرتكب كبيرة سيما ان كانت صلاة جمعة فذلك أعظم (وكذلك) يتعين عليه أن يمنع غير ما ذكر ممن يبيع الحلاوة أو اللحم أو المشموم أو غير ذلك مما يضيق به طريق المسلمين وقد تقدم انه لا ينبغى للانسان أن يشترى من دكان لها مسطبة خارجة فى شارع المسلمين وهذا من باب أولى وأحرى أن يمنع ويتعين عليه أيضا ان يهدم المساطب الملاصقة لجدار المساجد اذ أن ذلك طريق للمصلين والناس أجمعين

﴿فصل﴾ وينهى الزبالين أن يعملوا فى أوقات الصلاة سيما وقت اتيان الناس لصلاة الجمعة لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه قد أمر بالتنظيف لها بالغسل ولبس النظيف من الثياب واستعمال الطيب وغير ذلك فاذا فعل المكلف ما أمره به صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه وخرج ليصلى الجمعة لقى الزبالين فى طريقه فيفسدون عليه هيئته لها وهذا ضرر كثير (وقد) قال عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار فينهى عن ذلك ويزجر فاعله لانه مؤذ وقد ورد كل مؤذ فى النار (وينهى) الناس عما أحدثوه من وقوف الدواب على باب المسجد لانهم يضيقون على المسلمين طريقهم اليه ويروثون بها ويبولون على أبوابه ويمشى الناس على ذلك بأقدامهم ويدخلون المسجد فينجسون بها ما أصابته من المسجد وهذا محرم وفى وقوفهم على أبواب المسجد أذية كثيرة سيما للشيخ الكبير والاعمى وغيرهما من أرباب الاعذار الذين هم مخاطبون بالجمعة بل ربما آذوا بالرفس والكدم الاصحاء فكيف بمن سواهم من الشيوخ وغيرهم من الضعفاء (فان) قال قائل الضرورة داعية لوقوف الدواب سيما لأجل الغلمان الممسكين لتلك الدواب (فالجواب) انه لا ضرورة تدعو الى ذلك لكثرة المواضع التى هى معدة لجعل الدواب فيها كالفنادق والاصطبلات وغيرها فلو لم يكن ثم مواضع لكان يتعين على صاحب الدابة أنه اذا أتى بها الى المسجد يرسلها الى موضعها التى كانت فيه ويخبر من يأتيه بها فى الوقت الذى يحتاجها فيه فتنحسم مادة الضرر بذلك والله الموفق (وينهى) البياعين عما أحدثوه يوم الجمعة من بيعهم وشرائهم والناس فى الصلاة أو فى سماع الخطيب وهذا محرم اذ أنه اذا صعد الامام على المنبر حرم حينئذ البيع والشراء حتى تنقضى الصلاة وبعض الناس اليوم يكون الخطيب على المنبر الى انقضاء الصلاة وهم يبيعون ويشترون ولا يستحيون (وينهى) الناس عما أحدثوه من صلاتهم الجمعة فى الدكاكين وذلك لا يجوز على مذهب مالك رحمه الله لان الجمعة لا تصح عنده فى موضع محجور وانما تصح عنده فى المسجد أو الطرق المتصلة به ان تعذر دخول المسجد وبعضهم يأتى الى الجمعة

مطلب القضامة وهى الحمص

مطلب وقوف الدواب على باب المسجد

الكدم العض وزنا ومعنى اه

مطلب البيع والشراء عند سماع الخطبة

فيقعد فى الدكان ينتظر اقامة صلاة الجمعة والمسجد بعد لم يمتلئ بالناس وذلك لايجوز على كل حال (وينهى) الناس عما أحدثه بعضهم من الاتيان للجمعة من غير غسل ولا تغيير هيئة فان هذا من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم وقد كانوا رضى الله عنهم اذا أراد أحدهم أن يؤكد الامر لصاحبه يقول له ولا تكن ممن يترك الغسل للجمعة (ومن) كتاب القوت وكان أهل المدينة يتسابون فيقولون لأنت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة (وقد) قال مالك فى موطئه ان غسل الجمعة واجب وهو ظاهر الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم (واختلف) العلماء فى ذلك هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن المؤكدة (واذا) كان كذلك فقد قالوا فيمن ترك الوتر انه يفسق بذلك لكونه سنة وللاختلاف فيه أيضا هل هو واجب وجوب الفرائض أو وجوب السنن المؤكدة وما يوجب فسق تاركه فجدير أن يحافظ على فعله ولا يترك الا من ضرورة شرعية وبعض الناس قد أهملوا ذلك حتى كانه لا يعرف بينهم أعنى عند أكثر العامة وعند بعض الفقهاء حكايته تحكى حتى كأنهم ليسوا من أهل الخطاب بالغسل لها (وكذلك) ينهاهم عما تركوه من لبس الحسن من الثياب لها واستعمال الطيب فان ذلك من سننها المؤكدة أيضا (قال) الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه وليتطيب بأطيب طيبه مما ظهر ريحه وخفى لونه فذلك طيب الرجال وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه اه (وقد) ترك ذلك بعضهم وهو عكس ما كان عليه السلف رضوان الله عليهم أجمعين (حتى) انك لتجد بعض الفقهاء فى الدرس أو فى دكانه أو حين اجتماعه باحد القضاة أو غيرهم من أرباب المناصب على هيئة من ثياب ورائحة طيب وغيرهما وتجده فى صلاة الجمعة على هيئة دونها وسبب هذا تعظيم الدنيا فى القلوب والتهاون بشعائر الدين والغفلة بسبب العوائد الرديئة (ولا) يظن ظان ان ما ذكر من لبس الحسن من الثياب هو ما اعتاده بعض الناس فى هذا الزمان بل ذلك على ما درج عليه السلف وكانوا رضوان الله عليهم على ما نقله الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه أثمان أثوابهم القمص كانت من الخمسة الى العشرة فما بينهما من الاثمان وكان جمهور العلماء وخيار التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين والثلاثين وكان بعض العلماء يكره أن يكون على الرجل من الثياب ما يجاوز قيمته أربعين درهما وبعضهم يقول الى المائة ويعد ما سرفا فيما جاوزها اه (فعلى هذا) فما زاد على ذلك فهو من البدع الحادثة بعدهم (اللهم) الا ما كان من ذلك لضرورة شرعية من دفع حر أو برد أو غيرهما فقد خرج عن هذا الباب الى باب الجائز أو المندوب أو الواجب بحسب الحال (فاذا نبه) الامام على هذا وحض على فعله وقبح تركه تنبه الناس لما ارتكبوه فلعلهم أن يرجعوا أو بعضهم والله الموفق (وينهى) الناس عما أحدثوه من الركوع بعد الاذان الاول للجمعة لانه مخالف لما كان عليه السلف رضوان الله عليهم (لانهم) كانوا على قسمين (فمنهم) من كان يركع حين دخوله المسجد ولا يزال كذلك حتى يصعد الامام على المنبر فاذا جلس عليه قطعوا التنفل (ومنهم) من كان يركع ويجلس حتى يصلى الجمعة ولم يحدثوا ركوعا بعد الاذان الأول ولا غيره فلا المتنفل يعيب على الجالس ولا الجالس يعيب على المتنفل وهذا بخلاف ما هم اليوم يفعلونه فانهم يجلسون حتى اذا أذن المؤذن قاموا للركوع (فان) قال قائل هذا وقت يجوز فيه الركوع (وقد) روى البخارى عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل أذانين صلاة لمن شاء ثلاثا وقال فى الثالثة لمن شاء (فالجواب) ان السلف رضوان الله عليهم أفقه بالحال وأعرف بالمقال فاسعنا الا اتباعهم فيما فعلوه (وهذا) على قاعدة مذهب مالك رحمه الله تعالى لان اتباع السلف أولى (فان)

قال قائل الركوع انما هو للجمعة (فالجواب) ان السنة فى هذا ما كان السلف يفعلونه من ركوعهم المتقدم (الا ترى) ان وقت الجمعة قد اختلف العلماء فيه هل هو من طلوع الشمس كصلاة العيدين أو من الزوال فذهب الامام أحمد فى جماعة الى أنه من طلوع الشمس واذا كان الخلاف فى وقتها على ما وصفناه أكد الاقتداء بفعل السلف المتقدم (فان) قال قائل فعلى ما قررتموه لا يجوز لمن ركع وجلس ينتظر صلاة الجمعة أن يقوم بعد ذلك فيركع وهذا جائز فكيف تمنعوه (فالجواب) انا لا نمنع ذلك لانه وقت يجوز فيه الركوع لمن اراده وانما المنع عن اتخاذ ذلك عادة بعد الاذان لا قبله فانه يجوز والله الموفق (على) ان هذا الاذان المفعول اليوم أولا لم يكن فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم ولا زمن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وانما فعله عثمان رضى الله عنه على ما تقدم بيانه فالاذان الذى فعل فى السوق والركوع للجمعة لا يكون فى السوق ومن كان فى المسجد لا يسمعه حتى يركع عنده (ثم انه) لم ينقل ان هشاما المذكور نقله كانوا يركعون بعده على انا لو قدرنا انهم فعلوا ذلك فلا حجة فيه لان فعل هشام ليس بحجة (فان) قال الامام مثلا ان الناس لا يرجعون اليه فيما يأمرهم به وينهاهم عنه وانه ليس بين يديه رجال يأمرون وينهون حتى تزال بهم الحرمة (فالجواب) ان المؤذنين هم رجاله وجنده وحزبه الا ان حزب الله هم المفلحون (فان) قال مثلا ان الناس لا يرجعون بذلك (فالجواب) انهم ان لم يرجعوا بما تقدم ذكره فيتعين عليه أن يوصل كل ذلك للمحتسب فيمنع من كل ما ذكر باليد القوية فان فعل فبها ونعمت وقد برئت ذمته وذمة غيره وان لم يفعل هذا فقد برئت ذمة الامام وأما قبل ايصال ذلك فان الذمة لا تبرأ لاجل ان كل ما ذكر من رعيته وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته وقد تقدم أن المسجد وما حوله وما يحتاج اليه من رعية الامام (واذا) كان ذلك من رعيته فيتعين عليه أن ينظر فيما ذكر كله بشرطه على ما تقدم (وكذلك) ينظر فى أمر المؤذنين لانهم من جملة رعيته وان كان الاذان أفضل لقوله عليه الصلاة والسلام الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فهذا دليل واضح على فضيلة المؤذن وبالجملة فهو من رعيته والمؤذن والامام كل ما ذكر فهو من رعيتهما معا فيتعين على الامام أن يكون أكثر الناس تقوى وأفضلهم وأورعهم الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة ان اجتمعت فان تعذر اجتماعها فاكثرها فيتخذ من اتصف بذلك مؤذنا وقد تقدمت شروط المؤذن فاغنى ذلك عن اعادتها لكن بقيت الاوصاف المندوب اليها فيه وهى أن يكون صيتا حسن الصوت ويكره له التطريب فى الاذان وكذلك التحزين وكذلك يكره له اماله حروفه وافراط المد وغير ذلك مما ذكره الفقهاء

﴿فصل فى موضع الاذان﴾ ومن السنة الماضية أن يؤذن المؤذن على المنار فان تعذر ذلك فعلى سطح المسجد فان تعذر ذلك فعلى بابه (وكان) المنار عند السلف رضوان الله عليهم بناء يبنونه على سطح المسجد كهيئته اليوم لكن هؤلاء أحدثوا فيه انهم عملوه مربعا على أركان أربعة (وكان) فى عهد السلف رضوان الله عليهم مدورا (وكان) قريبا من البيوت خلافا لما أحدثوه اليوم من تعلية المنار (وذلك) يمنع لوجوه (أحدها) مخالفة السلف رضى الله عنهم (الثانى) انه يكشف على حريم المسلمين (الثالث) ان صوته يبعد عن أهل الارض ونداؤه انما هو لهم (وقد) بنى بعض الملوك فى المغرب منارا زاد فى علوه فبقى المؤذن اذا أذن لا يسمع أحد ممن تحته صوته (وهذا) اذا كان المنار تقدم وجوده على بناء الدار (واما) اذا كانت الدور مبنية ثم جاء بعض الناس يريد أن يعمل المنار فانه يمنع من ذلك لانه يكشف عليهم (اللهم) الا أن يكون بين المنار والدور سكك وبعد بحيث

انه اذا طلع المؤذن على المنار ورأى الناس على أسطحة بيوتهم لايميز بين الذكر والانثى منهم فهذا جائز على ماقاله علماؤنا رحمة الله عليهم فاذا كان المنار أعلى من البيوت قليلا أسمع الناس اذانه بعم كثيرا منهم بخلاف ما اذا كان مرتفعا كثيرا والسنة المتقدمة فى الاذان أن يؤذن واحد بعد واحد فان كان المؤذنون جماعة فيؤذنون واحدا بعد واحد فى الصلوات التى أوقاتها ممتدة فيؤذنون فى الظهر من العشرة الى الخمسة عشر وفى العصر من الثلاثة الى الخمسة وفى العشاء كذلك والصبح يؤذنون لها على المشهور من سدس الليل الآخر الى طلوع الفجر فى كل ذلك يؤذن واحد بعد واحد والمغرب لايؤذن لها الا واحد ليس الا

﴿فصل فى الاذان جماعة﴾ فان كثر المؤذنون فزادوا على عدد ماذكر وكانوا يبتغون بذلك الثواب وخافوا أن يفوتهم الوقت ولم يسعهم الجميع ان أذنوا واحدا بعد واحد فمن سبق منهم كان أولى فان استووا فيه فانهم يؤذنون الجميع (قال) علماؤنا رحمة الله عليهم ومن شرط ذلك أن يكون كل واحد منهم يؤذن لنفسه من غير أن يمشى على صوت غيره (وكذلك) الحكم فى مذهب الشافعى رحمه الله تعالى (قال) الشيخ الامام النووى رحمه الله فى كتاب الروضة له فى باب الاذان من كلام الرافعى رحمه الله فاذا ترتب للاذان اثنان فصاعدا فالمستحب أن لايتراسلوا بل ان اتسع الوقت ترتبوا فيه فان تنازعوا فى الابتداء أقرع بينهم وان ضاق الوقت فان كان المسجد كبيرا أذنوا متفرقين فى أقطاره وان كان صغيرا وقفوا معا وأذنوا وهذا ان لم يؤذ اختلاف الاصوات الى تشويش فان أدى اليه لم يؤذن الا واحد فان تنازعوا أقرع بينهم انتهى (وأذانهم) جماعة على صوت واحد من البدع المكروهة المخالفة لسنة الماضين والاتباع فى الاذان وغيره متعين وفى الاذان آكد لانه من أكبر اعلام الدين (ألا ترى) ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد أن يغزو قوما أمهل حتى يدخل وقت الصلاة فان سمع الاذان تركهم وان لم يسمعه أغار عليهم (ولان) فى الاذان جماعة جملة مفاسد (منها) مخالفة السنة (الثانى) ان من كان منهم صيتا حسن الصوت وهو المطلوب فى الاذان خفى أمره فلا يسمع (الثالث) ان الغالب فى الجماعة اذا أذنوا على صوت واحد لايفهم السامع مايقولون والمراد بالاذان انما هو نداء الناس الى الصلاة فذهبت فائدة معنى قوله حى على الصلاة حى على الفلاح الصلاة خير من النوم (الرابع) ان بعضهم يمشى على صوت بعض والمراد بالاذان أن يرفع الانسان به صوته مهما أمكنه وذلك لايمكنه فى الجماعة كما تقدم (الخامس) ان الغالب على بعضهم انه لايأتى بالاذان كله لانه لابد أن يتنفس فى أثنائه فيجد غيره قد سبقه بشىء منه فيحتاج أن يمشى على صوت من تقدمه فيترك مافاته من ذلك ويوافقهم فيما هم فيه (السادس) انه قد مضت عادة المؤذن على السنة أنه اذا أراد أن يؤذن عمل الحس من تنحنح أو كلام ما من حيث انه يشعر به أنه يريد أن يؤذن ثم بعد ذلك يشرع فى الاذان هذا وهو مؤذن ومن حوله على غفلة فقد يحصل بسببه لبعضهم رجفة فاذا كان هذا فى حق المؤذن الواحد فما بالك بجماعة يرفعون أصواتهم على بغتة وقد تكون حامل فتأخذها الرجفة بذلك فتسقط وترتجف بذلك الاولاد الصغار وكذلك كل من ليس له عقل ثابت وتشويشهم كثير قل أن ينحصر (وقد تقدم) ان أول من أحدث الاذان جماعة هشام بن عبد الملك فجعل المؤذنين الثلاثة الذين كانوا يؤذنون واحدا بعد واحد على المنار فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم يؤذنون بين يديه جميعا اذا صعد الامام على المنبر وأخذ الاذان الذى زاده عثمان بن عفان رضى الله عنه لما ان كثر الناس وكان ذلك مؤذنا واحدا فجعله على المنار فهذا الذى أحدثه هشام بن عبد الملك ولم يزد على

الثلاثة الذين كانوا فيمن قبله يؤذنون واحدا بعد واحد شيأ (ثم أحدثوا) في هذا الزمان على الثلاثة جمعا كثيرا كما هو مشاهد (وكذلك) زادوا على المؤذن الواحد على المنار فجعلوهم جماعة وفعلهم ذلك لا يخلو من أحد أمرين اما أن يكون ذلك منهم ابتغاء الثواب فالثواب لا يكون الا بالاتباع لا بالابتداع وان كان لأخذ الجامكية فالجامكية لا تصرف في بدعة كما انه يكره الوقف عليها ابتداء وبالجملة فكل ما خالف الشرع ففاسد لا تنحصر في الغالب والله سبحانه الموفق

﴿فصل في النهي عن الأذان بالالحان﴾ وليحذر في نفسه أن يؤذن بالالحان وينهى غيره عما أحدثوا فيه مما يشبه الغناء وهذا ما لم يكن في جماعة يطربون تطريبا يشبه الغناء حتى لا يعلم ما يقولونه من ألفاظ الاذان الا أصوات ترتفع وتنخفض وهي بدعة مستهجنة قريبة العهد بالحدوث أحدثها بعض الامراء بمدرسة بناها ثم سرى ذلك منها الى غيرها وهذا الاذان هو المعمول به في الشام في هذا الزمان وهي بدعة قبيحة اذ أن الاذان انما المقصود به النداء الى الصلاة فلا بد من تفهيم ألفاظه للسامع وهذا الاذان لا يفهم منه شئ لما دخل ألفاظه من شبه الهنوك والتغني (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد (وقد روى) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن يطرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاذان سهل سمح فان كان أذانك سهلا سمحا والا فلا تؤذن أخرجه الدارقطني في سننه (وقال) الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه ومما أحدثوه التلحين في الاذان وهو من البغي فيه والاعتداء (قال رجل) من المؤذنين لابن عمر اني لاحبك في الله فقال له لكني أبغضك في الله فقال ولم يا أبا عبد الرحمن قال لانك تبغي في أذانك وتأخذ عليه أجرة (وكان) أبو بكر الآجري رحمه الله يقول خرجت من بغداد ولم يحل لي المقام بها قد ابتدعوا في كل شئ حتى في قراءة القرآن وفي الاذان يعني الاجارة والتلحين اه (والعجب) من بعض الناس حيث يردون على مالك رحمه الله تعالى في كونه يأخذ بعمل أهل المدينة والرجوع اليهم ثم انهم يستدلون على جواز هذا الاذان المذكور بأنه مما مضى عليه عمل أهل الشام على ان القاعدة تقتضي أن يكون كل ما حدث من جهة المشرق لا يعول عليه ولا يقتدى به لقوله عليه الصلاة والسلام الفتنة من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان وأشار الى المشرق وما حدث بالشام الا من تلك الجهة (ثم انظر) رحمنا الله وايالك الى البدعة اذا حدثت فان الشيطان لا يقتصر عليها وحدها بل يضم اليها بدعا أو محرمات (الا ترى) انهم لما ان أحدثوا هذا الاذان تعدت بدعته الى محرم وهو أنهم يسمعون المأمومين وهم في الصلاة بتلك الالحان وذلك كلام في الصلاة على سبيل العمد لا لعذر شرعي فتبطل صلاتهم بذلك واذا بطلت صلاتهم سرى ذلك الى فساد من ائتم بتسميعهم لما تقدم من ان المأموم لا يجوز له الاقتداء الا باحدى أربعة أشياء فان عدمت فلا ائتمام في تلك الصلاة وهي ان يرى أفعال الامام فان تعذر فسماع أقواله فان تعذر فرؤية أفعال المأمومين فان تعذر فسماع أقوالهم وهؤلاء ليسوا في صلاة لما تقدم بيانه بخلاف ما تقدم من التسميع جماعة بالالفاظ المفهومة فانه قد اختلف في صحة صلاة من صلى بتسميعهم بناء على الاختلاف في صلاتهم هل هي صحيحة أو فاسدة وقد تقدم بيانه

﴿فصل في النهي عن الاذان في المسجد﴾ وقد تقدم ان للاذان ثلاثة مواضع المنار وعلى سطح المسجد وعلى بابه واذا كان ذلك كذلك فيمنع من الاذان في جوف المسجد لوجوه (أحدها) انه لم يكن من فعل من مضى اللهم الا أن يكون للجمع بين الصلاتين فذلك جائز في جوفه وأما الاقامة فلا تكون الا في

المسجد (الثانى) ان الاذان انما هو نداء للناس ليأتوا الى المسجد ومن كان فيه فلا فائدة لندائه لان ذلك تحصيل حاصل ومن كان فى بيته فانه لا يسمعه من المسجد غالبا واذا كان الاذان فى المسجد على هذه الصفة فلا فائدة له وما ليس فيه فائدة يمنع (الثالث) ان الاذان فى المسجد فيه تشويش على من هو فيه يتنفل أو يذكر أو يفعل غير ذلك من العبادات التى بنى المسجد لأجلها وما كان بهذه المثابة فيمنع لقوله عليه الصلاة والسلام لا ضرر ولا ضرار (ثم انظر) رحمنا الله تعالى واياك الى هذه البدعة كيف جرت أيضا الى بدع أخر (الا ترى) انهم لما ان أحدثوا الاذان فى المسجد اقتدى العوام بهم فصار كل من خطر له أن يؤذن قام وأذن فى موضعه والغالب على بعض العوام انهم لا يحسنون النطق بالفاظ الاذان فيزيدون فيه وينقصون وبكثرة التخليط حتى ان بعض الصبيان الصغار ليؤذنون فيجمعون بين تغيير الاذان وبين التشويش على من فى المسجد من المتعبدين كما تقدم بيانه وشئ يجمع هذه المفاسد فيتعين أن يجنب بيت الله منه

﴿فصل فى الطواف بالمؤذن فى أركان المسجد اذا مات﴾ وينهى المؤذنين عما أحدثوه من الطواف بأحدهم فى أركان المسجد اذا مات (وكذلك) ينهاهم عما أحدثوه من التكبير والتهليل بتلك الاصوات المزعجة حين يطوفون به فيه (وذلك) يمنع لوجوه (الأول) انه قد اختلف العلماء هل يدخل بالميت فى المسجد للصلاة عليه والصلاة عليه فرض كفاية فما بالك بما ليس بفرض ولا سنة بل للعبث والبدعة واقامته فى المسجد حتى يطوفون به بعد الصلاة عليه لا يجوز اتفاقا (الثانى) انه لما ان صلى عليه لم تدع ضرورة الى ابقائه فى المسجد (الثالث) ان فيه تأخير دفنه ومن اكرام الميت الاسراع به وقد تقدم ان بعض الأئمة من المتبعين كان رحمه الله اذا أتوا بالميت الى المسجد قبل صلاة الجمعة بدأ بالصلاة عليه وقال لأهله اذهبوا الى دفنه ولا جمعة عليكم ان لم تدركوها بعد ذلك (الرابع) انه قد يخرج منه شئ من الفضلات فى ذلك الزمان الذى يطوفون به فيه فيذهب المعنى الذى لاجله أمرنا بغسله (الخامس) ان فيه تشويشا على من فى المسجد كما تقدم وهذا نوع مما أحدثه بعض الشرفاء فى الحجاز وهو أنهم اذا مات لهم ميت ذكرا كان أو أنثى صغيرا كان أو كبيرا فيدخلون به فى المسجد فيطوفون به البيت العتيق سبعا وذلك من البدع والامور الحادثة وفيه من المفاسد ما هو أكثر مما ذكر من أجل الطائفين بالبيت وحرمة ذلك المسجد على غيره وبعد المسافة فى الدخول اليه والخروج منه الى غير ذلك

﴿فصل فى أذان الشاب على المنار﴾ وينهى المؤذنين عما أحدثوه من أذان الشاب على المنار لانه لم يكن من فعل من مضى (وقد تقدم) فى أوصاف المؤذن أن يكون من أتقاهم ولا يعرف ذلك فى الشاب (وينبغى) للمؤذن الذى يصعد على المنار أن يكون متزوجا لانه أغض لطرفه والغالب فى الشاب عدم ذلك والمنار لا يصعده الا مأمون الغائلة (وقد كان) بعض الصالحين بمدينة فاس وكان يحب امام المسجد الاعظم الذى هناك وكان للرجل الصالح ولد حسن الصوت فطلب من الامام أن يأذن لولده فى الصعود على المنار ليؤذن فيه فأبى عليه فقال له ولم تمنعه قال ان المنار لا يصعد عليه عندنا الا من شاب ذراعاه لان ذلك دليل على الطعن فى السن فرغبه فى ذلك فامتنع منه وقال أتريد أن تحدث الفتنة فى قلوب المؤمنين والمؤمنات فقد نراه امرأة فتشغف به وكذلك هو أيضا قد يرى ما لا يمكنه الصبر عنه فتقع الفتن وأقل ما فيه شغل القلوب بشئ كانوا عنه فى غنى (فانظر) رحمنا الله تعالى واياك كيف كان تحرزهم فى هذا العهد القريب وكيف هو الحال اليوم هذا وهم يؤذنون الاذان الشرعى من غير تمطيط ولا تهويل ولا تصنع الى غير ذلك مما أحدثوه فى هذا الزمان فيمنع من ذلك

جهده اذا كان على المنار وأما على باب المسجد فيجوز ذلك وكذلك على سطحه ان أمن أن يكشف على أحد والله الموفق

﴿فصل فى النهى عما أحدثوه بالليل من غير السنة﴾ وينهى المؤذنين عما أحدثوه من التسبيح بالليل وان كان ذكر الله تعالى حسنا مرادا وعلنا لكن فى المواضع التى تركها الشارع صلوات الله عليه وسلامه ولم يعين فيها شيأ معلوما وقد رتب الشارع صلوات الله عليه وسلامه للصبح أذانا قبل طلوع الفجر وأذانا عند طلوعه وان كان المؤذنون فى هذا الزمان يؤذنون قبل طلوع الفجر انهم يفعلون ذلك على سبيل الاخفاء لتركهم رفع الصوت به حتى لا يسمع (وهذا) ضد ما شرع الاذان له لان الاذان انما شرع لاعلام الناس بالوقت (قال) عليه الصلاة والسلام ان بلالا ينادى بليل فكلوا واشربوا حتى ينادى ابن أم مكتوم (وقد ورد) أذان بلال كان ينوم اليقظان ويوقظ الوسنان ومعنى ذلك ان من كان أحيا الليل كله فاذا سمع أذان بلال نام حتى تحصل له راحة ونشاط لصلاة الصبح فى جماعة وان كان نائما فاذا سمع أذان بلال قام وتطهر وأدرك ورده من الليل (وقد) اختلف العلماء رحمهم الله فى الاذان للصبح متى يكون فقيل بعد نصف الليل الاول وقيل من أول الثلث الاخير وقيل السدس الاخير وهو المشهور أعنى أنه يكون الوقت كله الى طلوع الفجر محلا للاذان فيه (واذا) كان ذلك كذلك فقد قالوا ان المؤذنين يرتبون فى أذانهم حتى يكون الناس على يقين من أمر الوقت الذى هم فيه حتى يتهيؤا للعبادة فيرتب المؤذنون على حسب ما يسع الوقت من عددهم المتقدم ذكره لكن يكون وقت أذان كل انسان منهم معلوما لا يتقدمه ولا يتأخره فيكون الناس يعرفون بالعادة الاول والثانى والثالث وهكذا الى المؤذن الآخر الذى يؤذن عند طلوع الفجر وهو الرئيس صاحب الوقت فينضبط الوقت بذلك على المصلين ويعرف كل انسان منهم كم بقى من الوقت مما يسع الغسل أو الوضوء أو الورد أو الاستبراء وغير ذلك فيتم النظام على هذا الترتيب وهو أضبط حالا وأكثر ثوابا لاجل الاتباع بخلاف ما أحدثوه من التسبيح وما يقولون فيه حتى ان بعضهم ليندب الاطلال بصوت فيه تحزين يقرب من النوح فى كثير من الاحيان ثم مع ذلك لا يعرف الناس فى الغالب أى وقت هم فيه من الليل بالنسبة الى طلوع الفجر سيما وهم قد أحدثوا زيادة على ما ذكر أنه اذا قرب طلوع الفجر سكتوا سكتة طويلة ثم يؤذنون فمن أفاق فى حال سكوتهم فقد يخيل اليه أنه فى أول الليل بعد فيقع بذلك الغرر لبعض الناس (ثم العجب) من انهم يأتون بالاذان الاول للصبح الذى قبل طلوع الفجر ويخفون ذلك فاذا فرغوا منه رفعوا أصواتهم بما أحدثوه من التسبيح فانا لله وانا اليه راجعون السنة تخفى وغير ما شرع يظهر (فان) قال قائل انما يخفون الاذان الاول للصبح خيفة أن يصلى الناس عليه صلاة الصبح فتكون صلاتهم باطلة لايقاعها قبل دخول الوقت (فالجواب) انهم لو امتثلوا السنة فيما تقرر من ترتيب المؤذنين واحدا بعد واحد وان الاول معروف وقته وكذلك الثانى الى المؤذن الذى يؤذن على الفجر كما تقدم لما اتهم الوقت على أحد ممن سمعهم وكانوا متبعين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم (وكذلك) ينبغى أن ينهاهم عما أحدثوه من صفة الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم عند طلوع الفجر وان كانت الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم من أكبر العبادات وأجلها فينبغى أن يسلك بها مسلكها لا تتوضع الا فى مواضعها التى جعلت لها (ألا ترى) أن قراءة القرآن من أعظم العبادات ومع ذلك لا يجوز للمكلف أن يقرأه فى الركوع ولا فى السجود ولا فى الجلوس أعنى الجلوس فى الصلاة لان ذلك ليس بمحل للتلاوة (فالصلاة والتسليم) على النبى صلى الله عليه وسلم

أحدثوها فى أربعة مواضع لم تكن تفعل فيها فى عهد من مضى والخير كله فى الاتباع لهم رضى الله عنهم مع أنها قريبة العهد بالحدوث جدا أقرب مما تقدم ذكره فيما أحدثه بعض الامراء من التغنى بالاذان كما تقدم (وهى) عند طلوع الفجر من كل ليلة وبعد أذان العشاء ليلة الجمعة وبعد خروج الامام فى المسجد على الناس يوم الجمعة ليرقى المنبر وعند صعود الامام عليه يسلمون عند كل درجة يصعدها والكل فى الاحداث قريب من قريب أعنى فى زماننا هذا وأصل احداثه من قبل المشرق وتقدم الحديث عنه عليه الصلاة والسلام بقوله الفتنة من هاهنا وأشار الى المشرق (وقد تقدم) فى أول الكتاب كيف كان خوف الصحابة رضى الله عنهم من الحدث فى الدين وما جرى لهم من جمع القرآن ما جرى لعبد الله بن عمر رضى الله عنهما لما ان رأى الطير الذى هناك وقع على القذر ثم ارتفع عنه و وقع على ثوبه فعلم ذلك الموضع على انه اذا خرج يغسله فلما أن جاء الى غسله قال والله ما أكون باول من أحدث بدعة فى الاسلام والصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم لا يشك مسلم أنها من أكبر العبادات وأجلها وان كان ذكر الله تعالى والصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم حسنا مرا وعلنا لكن ليس لنا أن نضع العبادات الا فى مواضعها التى وضعها الشارع فيها ومضى عليها سلف الامة ألا ترى الى قول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان الله قد بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيأ وانما نفعل كما رأيناه يفعل (ومن) كتاب الامام أبى الحسن رزين قال وعن نافع قال عطس رجل الى جنب عبد الله بن عمر فقال الحمد لله والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر وأنا أقول الحمد لله والسلام على رسول الله ما هكذا علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقول اذا عطسنا وانما علمنا أن نقول الحمد لله رب العالمين انتهى (وما) تقدم ذكره فهو جواب لقول من يقول ان الصلاة والتسليم على النبى صلى الله عليه وسلم مشروع بنص الكتاب والسنة فكيف يمنع وقد تقدم جواب من اتصف بالانصاف وهو معدوم فى الغالب ألا ترى الى قول مالك رحمه الله ليس فى زماننا هذا أقل من الانصاف فاذا كان الحال فى زمان مالك على ما ذكر فما بالك به اليوم فى هذا الزمان (وقد) وقع لبعض الاكابر من العلماء أنه لما أن سمع الحديث الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم من سبح الله دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر فقال هذا العالم أنا أعمل من كل واحدة مائة فبقى على ذلك زمانا فرأى فى منامه أن القيامة قد قامت وحشر الناس الى المحشر والناس فى أمر مهول واذا بمنادى ينادى أين الذاكرون دبر كل صلاة فقام ناس من ناس قال فقمت معهم فجئنا الى موضع فيه ملائكة يعطون الناس ثواب ذلك وكنت أزاحم معهم ويعطونهم ولا يعطونى شيأ فما زلت كذلك حتى فرغ الجميع فجئت وطلبت منهم الثواب فقالوا الى مالك عندنا شئ فقلت لهم ولم أعطيتم أولئك فقالوا الى هؤلاء كانوا يذكرون الله دبر كل صلاة فقلت لهم وما كانوا يذكرون فذكروا أنهم كانوا يسبحون الله ثلاثا وثلاثين الخ فقلت أنا والله كنت أعمل من كل واحدة مائة فقالوا ما هكذا أمر صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم بل أمر بثلاث وثلاثين مالك عندنا شئ قال فانتبهت مرعوبا فتبت الى الله تعالى أن لا أزيد على ما قرره صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم شيأ فالصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم متأكدة فى جميع الحالات لكن اتخاذها عادة من المؤذنين على المنار عند طلوع الفجر وغيره مما تقدم ذكره لم يكن ذلك مشروعا ولا فعله أحد من السلف الماضين رضى الله عنهم نعم يجرى ذلك فى هذه الاوقات كالزيادة على الذكر المشروع كما تقدم (ومع)

ماذكر من التعليل ترتب عليه مفاسد منها ارتكاب نهيه عليه الصلاة والسلام بقوله لايجهر بعضكم على بعض بالقرآن فاذا نهى عليه الصلاة والسلام عن الجهر بالقرآن وتلاوته من أكبر العبادات وماذاك الالما يدخل من التشويش على من فى المسجد ممن يتعبد اذا جهر به فما بالك بما يفعلونه فيه من هذه الطرق التى يعملونها فى التسبيح ومايفعلونه فيه مما يشبه الغناء فى وقت والنوح فى وقت وندب الاطلال فى وقت وينشدون فيه القصائد وفى المسجد من المتهجدين ماهو معلوم فلايبقى أحد منهم الاوقد وصل له من التشويش مالاخفاء فيه فيتفرق أمرهم وتتشوش خواطرهم (ولوقدرنا) أن المسجد ليس فيه أحد فيمنع أيضا لانه يصدد أن يأتى الناس اليه (فأين هذا) مما روى عن سعيد بن المسيب رحمه الله حين كان فى المسجد فى آخر الليل يتهجد ثم دخل عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان اذذاك خليفة وكان حسن الصوت يجهر بالقراءة فلما أن سمعه سعيد بن المسيب رحمه الله قال لخادمه اذهب الى هذا المصلى فقل له اما أن تخفض صوتك واما أن تخرج من المسجد ثم أقبل على صلاته فجاء الخادم فوجد المصلى عمر بن عبد العزيز فرجع ولم يقل له شيأ فلما أن سلم سعيد بن المسيب رحمه الله قال لخادمه ألم أقل لك تنهى هذا المصلى عما هو يفعل فقال له هو الخليفة عمر بن عبد العزيز قال اذهب اليه وقل له ما أخبرتك به فذهب اليه فقال له ان سعيدا يقول لك اما أن تخفض صوتك واما أن تخرج من المسجد فخفف فى صلاته فلما أن سلم منها أخذ نعليه وخرج من المسجد قال ابن رشد رحمه الله وهذا من تواضعه فى خلافته هذا وجه (الوجه الثانى) أن بعض العوام يأتون المسجد لاجل سماع التسبيح بتلك الالحان والنغمات فيقع منهم أشياء من الزعقات ومايشبهها مما ينزه المسجد عنها (الثالث) ما أحدثوه فيه من صعود الشبان اذذاك على المنار ولهم أصوات حسنة ونغمات تشبه الغناء فيرفعون عقيرتهم بذلك فكل من له غرض خسيس يصدر منه فى وقت سماعه مالاينبغى كما تقدم وقد يكون ذلك سببا الى تعلق قلب من لاخير فيه بالشاب الذى يسمعونه ويترتب على ذلك من الفتن أشياء لاتحصر (ومن) ذلك أيضا مايفعله بعض أهل المغرب من أنه اذا أذن المؤذن الذى يؤذن عند طلوع الفجر على ماتقدم من الترتيب اجتمع المؤذنون بجمعهم ونادوا على صوت واحد أصبح ولله الحمد ويكررون ذلك مرارا عديدة مع دورانهم على المنار ومايفعلونه من ذلك لاضرورة ولاحاجة تدعو اليه لما تقدم من أن المؤذن الذى يؤذن على الفجر يكون وقته معلوما عند السامعين فمن سمعه منهم علم أن الفجر قد طلع فالحاصل أن كل ماجاء على خلاف ما أحكمته الشريعة المطهرة ففاسده عديدة لاتحصر

﴿فصل فى التسحير فى شهر رمضان﴾ وينهى المؤذنين عما أحدثوه فى شهر رمضان من التسحير لانه لم يكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا أمر به ولم يكن من فعل من مضى والخير كله فى الاتباع لهم كما تقدم سيما وهم يقومون الى التسحير بعد نصف الليل لان السحور لافائدة فيه الا أن يقوى به الانسان على صوم النهار وذلك لايحصل الا اذا فعل قبل طلوع الفجر بقليل كما ورد فى الحديث عن زيد بن ثابت قال تسحرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ثم قام الى الصلاة قلت كم كان بين الاذان والسحور قال قدر خمسين آية فاذا تسحر الانسان فى هذا الوقت فالغالب عليه أنه لايجوع الا بعد الظهر واذا جاع ذلك الوقت فمسافة الفطر قريبة فتسهل لذلك العبادة ولذلك سموا السحور الغداء المبارك لان وقت السحور قريب من وقت الغداء ويحصل له مع ذلك أجر الصيام مع نشاط بدنه وتوفير عمره لقيام ليله لانه اذا تسحر فى الليل حصل له الكسل عن قيام الليل بسبب البخار الذى يصعد الى دماغه فيدخن عليه فيغلبه النوم بخلاف ما اذا تسحر قريبا من طلوع الفجر فانه اذا فرغ منه اشتغل بالطهارة لصلاة

الفرض ثم دخل بعد أداء الفرض فى أوراده واشتغل بها ثم تصرف بعد ذلك فى مهماته فيحصل له التهجد فى ليله وخفة الصوم عليه فى نهاره وينضبط حاله (فان) قال قائل انما يتحرون بعد نصف الليل خيفة أن يبقى الناس لا يعرفون الوقت الذى يجوز لهم الاكل فيه (فالجواب) ما تقدم ذكره من أن المؤذنين اذا كانوا على الترتيب المذكور علم الناس بسبب ذلك فى أى جزء هم من الليل وهل يأكلون ويشربون أم لا كما كانوا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم يعرفون جواز الاكل بأذان بلال ومنعه بأذان ابن أم مكتوم (واذا) كان ذلك كذلك فلا حاجة تدعو الى ما أحدثوه من التسحير ثم مع ذلك فيه من المفاسد ما تقدم ذكره من التشويش على من فى المسجد من المتهجدين (فان) قال قائل هذا الذى ذكرتموه انما ينضبط به حال المسجد الجامع وما حوله أما من بعد عنه فلا يسمعون المؤذنين ولا يعلمون فى أى جزء هم من الليل (فالجواب) أن المساجد قد كثرت فما من موضع الا وبجانبه مسجد أو مساجد فيعمل فى كل مسجد أذانان بشرط العلم بصوت الاول والثانى على ما تقدم بيانه فيكفيهم ذلك لان الاول منهما يدل على جواز الاكل والثانى يدل على منعه لكن بشرط أن يكونوا تابعين فى أذانهم للجامع أو يكون المؤذن من أهل المعرفة بالاوقات والثقة والامانة والمسجد الجامع هو الذى يكون فيه مؤذنون جملة على ما تقدم بيانه

﴿ فصل فى اختلاف العوائد فى التسحير ﴾ اعلم أن التسحير لا أصل له فى الشرع الشريف ولاجل ذلك اختلفت فيه عوائد أهل الاقاليم فلو كان من الشرع ما اختلفت فيه عوائدهم (الا ترى) أن التسحير فى الديار المصرية بالجامع بقول المؤذنون تسحروا كلوا واشربوا وما أشبه ذلك على ما هو معلوم من أقوالهم ويقرؤون الآية الكريمة التى فى سورة البقرة وهى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام الى آخر الآية ويكررون ذلك مرارا عديدة ثم يسقون على زعمهم ويقرؤن الآية الكريمة التى فى سورة هل أتى على الانسان حين من الدهر من قوله تعالى ان الابرار يشربون من كأس الى قوله انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا والقرآن العزيز ينبغى أن ينزه عن موضع بدعة أو على موضع بدعة ثم يقولون فى أثناء ذلك ما تقدمت الاشارة اليه من انشاد القصائد وما ترتب على ذلك ويسحرون أيضا بالطبلة يطوف بها أصحاب الارباع وغيرهم على البيوت ويضربون عليها هذا الذى مضت عليه عادتهم وكل ذلك من البدع (وأما) أهل الاسكندرية وأهل اليمن وبعض أهل المغرب فيسحرون بدق الابواب على أصحاب البيوت وينادون عليهم قوموا كلوا وهذا نوع آخر من البدع نحو ما تقدم (وأما) أهل الشام فانهم يسحرون بدق الطار وضرب الشبابة والغناء والهنوك والرقص واللهو واللعب وهذا شنيع جدا وهو أن يكون شهر رمضان الذى جعله الشارع عليه الصلاة والسلام للصلاة والصيام والتلاوة والقيام قابلوه بضد الاكرام والاحترام فانا لله وانا اليه راجعون (وأما) بعض أهل المغرب فانهم يفعلون قريبا من فعل أهل الشام وهو أنه اذا كان وقت السحور عندهم يضربون بالنفير على المنار ويكررونه سبع مرات ثم بعده يضربون بالابواق سبعا أو خمسا فاذا قطعوا حرم الاكل اذ ذاك عندهم (ثم) العجب منهم فيما يفعلونه من ذلك لانهم يضربون بالنفير والابواق فى الافراح التى تكون عندهم ويعشون بذلك فى الطرقات فاذا مروا على باب مسجد سكتوا وأسكتوا ويخاطب بعضهم بعضا بقولهم احترموا بيت الله تعالى فيكفون حتى يجاوزونه فيرجعون الى ما كانوا عليه ثم اذا دخل شهر رمضان الذى هو شهر الصيام والقيام والتوبة والرجوع الى الله تعالى من كل رذيلة يأخذون فيه النفير والابواق ويصعدون بها على المنابر فى هذا الشهر الكريم ويقابلونه بضد ما تقدم ذكره وهذا يدلك على أن فعل التسحير بدعة بلاشك

ولاريب اذا نها لو كانت ماثورة لكانت على شكل معلوم لايختلف حالها فى بلدة دون أخرى كما تقدم فيتعين على من قدر من المسلمين عموما التغيير عليهم وعلى المؤذن والامام خصوصا كل منهم بغير ما فى اقليمه ان قدر على ذلك بشرطه كما تقدم بيانه فان لم يستطع ففى بلده فان لم يستطع ففى مسجده ﴿تنبيه﴾ وليحذر أن يعتر أو يميل الى شئ من البدع بسبب ما مضت له من العوائد وتربى عليها فان ذلك سم وقل من يسلم من آفاتها (وقد رأيت) بعض المغاربة وكان من البلد الذى يسحرون فيه بالنفير والابواق لما ان سمع المسحرين فى هذه البلاد يقولون تسحروا كلوا واشربوا نال ما هذه البدعة وأنكرها لاستثناسه بما تربى عليه وما تربى عليه هو أكثر شناعة وقبحا وأقرب الى المنع مما أنكره هنا فالعوائد قل أن يظهر الحق معها الا بتأييد وتوفيق من المولى سبحانه وتعالى (ولاجل العوائد) وما ألفت النفوس منها أنكرت قريش على النبى صلى الله عليه وسلم ما جاءه به من الهدى والبيان وكان ذلك سببا لكفرهم وطغيانهم وعنادهم بقولهم ان هذا الا سحر مبين سحر مستمر سحر يؤثر أن امشوا واصبروا على آلهتكم أجعل الآلهة الها واحدا ما سمعنا بهذه فى الملة الآخرة ان هى الا اختلاقنا الدنيا الى غير ذلك من الالفاظ التى كفروا بها بسبب ما تربوا عليه ونشؤا فيه (فالحذر) الحذر من هذا السم فانه قاتل وصل مع الحق حيث كان وكن متيقظا للخلاص مهجتك بالاتباع وترك الابتداع واقبل نصيحة أخ مشفق فان الاتباع أفضل عمل يعمله المرء فى هذا الزمان والله يوفقنا واياك لما يرضاه عنه فانه القادر عليه (سؤال وارد) فان قال قائل ان التسحير من البدع المستحبات (فالجواب) ان البدع قد قسمها العلماء على خمسة أقسام (بدعة واجبة) وهى مثل كتب العلم فانه لم يكن من فعل من مضى لان العلم كان فى صدورهم وكشكل المصحف ونقطه (البدعة الثانية) بدعة مستحبة قالوا مثل بناء القناطر وتنظيف الطرق لسلوكها وتهيئ الجسور و بناء المدارس والربط وما أشبه ذلك (البدعة الثالثة) وهى المباحة كالمنخل والاشنان وما شاكلهما (البدعة الرابعة) وهى المكروهة مثل الاكل على الخوان وما أشبهه (البدعة الخامسة) وهى المحرمة وهى أكثر من أن تحصر (منها) ما أحدثه النساء اللاتى وصفهن عليه الصلاة والسلام فى الحديث بقوله نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤسهن مثل أسنمة البخت لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها انتهى (ومما) يقرب منه اتخاذ المساجد طريقا ومنها اتخاذها للدين وكل ذلك من أشراط الساعة كما تقدم (ومسئلة التسحير) لم تدع ضرورة الى فعلها اذ أن صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه قد شرع الاذان الاول للصبح دالا على جواز الاكل والشرب والثانى دالا على تحريمهما فلم يبق أن يكون ما يعمل زيادة عليهما الا بدعة مكروهة لان المؤذنين اذا أذنوا مرتين على ما تقدم انضبطت الاوقات وعلمت (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى أن ينهى الناس عما اعتادوه من تعليق الفوانيس التى جعلوها علما على جواز الاكل والشرب وغيرهما مادامت معلقة موقودة وعلى تحريم ذلك اذا أنزلوها وذلك يمنع فعله لوجوه (أحدها) ماورد من أن الصحابة رضى الله عنهم لما كثر الناس ذكروا أن يعلموا وقت الصلاة بشئ يعرفونه فذكروا أن يوقدوا نارا أو يضربوا ناقوسا كالنصارى وفى رواية وقال بعضهم اتخذوا قرنا مثل قرن اليهود فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاذان بدلا عن ذلك ولم يفعلوا واحدا منها اذ أنها من خصال أهل الكتاب والنار بعدها المجوس (الوجه الثانى) ان فى ذلك تغريرا بالصوم اذ أنه قد تنطفى فى أثناء الليل فيظن من لايراها موقودة أن الفجر قد طلع فيترك الاكل والشرب وغيرهما وقد يكون مضطرا الى ذلك فيتضرر فى صومه (الوجه الثالث) انه قد ينساها من هو موكل بها موقودة أو ينام عنها فيظن من يراها

كذلك ان الفجر لم يطلع فيتعاطى شيئا مما تقدم ذكره فيفسد به صومه (الوجه الرابع) انه قد تشتبك ولا يقدر من هو موكل بها على خلاصها لحكمه كالوجه الذى قبله وفيه مفسدة أخرى هى أكبر مما قبلها وهى مخاطرة من هو موكل بها بنفسه اذا اشتبكت وكانت موقودة وحاول خلاصها فانه قد يسقط فيموت وقد وقع ذلك والله الموفق

﴿فصل فى التذكار يوم الجمعة﴾ وينهى المؤذنين عما أحدثوه من التذكار يوم الجمعة لما تقدم من ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعله ولا أمر به ولا فعله أحد بعده من السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين بل هو قريب العهد بالحدوث أحدثه بعض الامراء وهو الذى أحدث التغنى بالاذان فى المدرسة التى بناها كما تقدم وبدعة هذا أصلها يتعين تركها (سؤال وارد) فان قال قائل الناس مضطرون الى التذكار ليقوموا من أسواقهم ويخرجوا من بيوتهم فيأتوا الى المسجد (فالجواب) أنه لا يخلو حال من يأتى الى الجمعة اما أن يكون بعيدا أو قريبا فان كان قريبا من المسجد فالاذان الاول الذى فعله عثمان بن عفان رضى الله عنه يكفيه سماعه وان كان بعيدا فهو لا يسمع الاذان الاول الذى للتذكار فيأخذ لنفسه بالاحتياط ألا ترى ان السعى الى الجمعة يجب على الناس بحسب قرب مواضعهم وبعدها وقد يتعين على بعضهم الاتيان الى الجمعة من طلوع الشمس وعلى بعضهم من الزوال بحسب ما ذكر من القرب والبعد (واذا) كان ذلك كذلك فلا ضرورة تدعو الى ما أحدثوه ثم مع ذلك ترتبت عليه المفاسد المتقدم ذكرها أعنى من التشويش على من هو فى المسجد ينتظر الجمعة وهم على ما يعلم من حالهم منهم المصلى ومنهم الذاكر والتالى والمتفكر الى غير ذلك كما تقدم (وهذه البدعة) قد عمت بها البلوى فى الاقاليم لكن كل أهل اقليم قد اختصوا بعوائد كما مضى ذلك فى التسحير ألا ترى ان التذكار فى الديار المصرية على ما هو مشاهد وفى المغرب ليس كذلك بل يجتمع جماعة من المؤذنين فيرفعون أصواتهم على المنار فيقولون الوضوء للصلاة ويدورون عليه مرارا وهو بدعة أيضا (وذلك) مكروه لوجوه (الاول) انه لم يكن من فعل من مضى (الثانى) ان العامة تسمعهم فيظنون ان الغسل للجمعة غير مشروع لها والغالب انهم لا يسألون العلماء فتندرس هذه السنة بينهم ولو قدرنا أنهم ينادون الغسل لصلاة الجمعة فذلك يمنع أيضا لانه قد يكون من الناس من يتعذر عليه الغسل للجمعة وهو الغالب فقد يكون ذلك سببا لترك الجمعة لجهله وهو لا يسأل ويسمع الغسل للجمعة ولا يقدر عليه فيترك الصلاة لاجل ذلك (الثالث) ما ترتب على ذلك من التشويش على من فى المسجد كما تقدم بيانه

﴿فصل﴾ قد تقدم ان المؤذنين للفجر يكونون على الترتيب المتقدم ذكره وكذلك يكونون فى أذان الظهر فيعلم المؤذن الاول والثانى والثالث وهكذا الى الآخر الذى يصلى على آخر أذانه حتى يكون الناس على علم من الوقت فيتأهبون للصلاة بايقاع الطهارة والجلوس لانتظار الصلاة أو الجلوس فى دكاكينهم حتى يسمعوا المؤذن الآخر فيتركوا اذ ذاك بيعهم وشراءهم ويهرعون لصلاتهم حتى يقضوها (لكن) زاد بعض أهل المغرب هنا بدعة وهى انه اذا فرغ المؤذن الآخر الذى يصلون على آخر أذانه يجتمع جماعة المؤذنين فينادون على صوت واحد حضرت الصلاة رحمكم الله ويدورون على المنار مرارا وكذلك يفعلون فى العصر وكذلك يفعلون فى صلاة الصبح اذا أذن المؤذن على الفجر اجتمعوا بجمعهم ونادوا أصبح ولله الحمد ويدورون على المنار مرارا وكل ذلك من البدع لانه لم يأت فى الشرع ولم تدع اليه ضرورة على ما تقدم ثم على الترتيب المذكور يترتبون جماعة فى العصر على ما تقدم بيانه وأما المغرب فليس لها الا وقت واحد ووقتها ضيق لا يسع المؤذنين جماعة واحدا بعد

واحد ليس الا وقد تقدم ان المؤذنين اذا تراخوا وكان ذلك منهم ابتغاء الثواب ولم يسبق أحدهم الآخر أذنوا جماعة كل منهم يؤذن لنفسه ولا يعشى على صوت رفيقه ويترتب المؤذنون فى العشاء كما فى الظهر والعصر

﴿فصل فى حكمة ترتيب الاذان﴾ انظر رحمنا الله واياك الى حكمة الشرع فى الاذان واحدا بعد واحد كيف عمت منفعته للامة اذ أن صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وأخبر عليه الصلاة والسلام ان من حكاه له مثل أجره فلو كان المؤذن واحدا ليس الا لفاتت هذه الفضيلة على كثير من الامة اذ أنه قد يكون المكلف قاعدا لقضاء حاجته أو فى سوقه مشغولا لا يسمعه أو فى أكله أو شربه أو نومه الى غير ذلك من الاعذار فلو كان المؤذنون جماعة يؤذنون فى فور واحد لفاتتهم حكايته فاذا أذنوا على الترتيب السابق واحدا بعد واحد فمن كان له عذر فى ترك حكاية المؤذن الاول أدرك الثانى وكذلك قد يتنبه النائم من نومه فيحكيه ويعلم فى أى وقت هو من ايقاع الصلاة فتم المنفعة للامة (وقد ورد) أربعة مواضع لا يرد فيها الدعاء عند اصطفاف الناس الى الجهاد وعند اصطفافهم الى الصلاة وعند سماع النداء وعند نزول المطر (فاذا) حكى المكلف المؤذن ودعا بما يختاره استجيب له ان شاء الله تعالى للوعد الجميل (ومثل) هذه الحكمة البهية المباركة ما نقل عنه عليه الصلاة والسلام من قوله عليه الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه صم يوما وأفطر يوما فقال انى أطيق أفضل من ذلك فقال عليه الصلاة والسلام لا أفضل من ذلك ثم انه عليه الصلاة والسلام لم يفعل ذلك فى حق نفسه الكريمة بل قال الواصف لصومه عليه الصلاة والسلام انه كان يصوم حتى نقول انه لا يفطر ويفطر حتى نقول انه لا يصوم وما أكمل صيام شهر رمضان (وذلك) منه عليه الصلاة والسلام توسعة على الامة وأخذ منه بالأفضل والأعلى لا ترى انه لو صام يوما وأفطر يوما لفاتت تلك الفضيلة على كثير من الامة مثل المسافر والمريض والحائض وعلى ما فعله عليه الصلاة والسلام يدرك كل منهم الفضيلة بكمالها وذلك نصف الدهر (ومثل) ذلك أيضا ما أخبر به عليه الصلاة والسلام عن صلاة نبى الله داود عليه الصلاة والسلام انه كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ولم يفعله عليه الصلاة والسلام فى حق نفسه المكرمة بل قال الواصف لقيامه انه عليه الصلاة والسلام كان لا تريد أن تراه فى جزء من الليل قائما الا رأيته نائما ولا تريد أن تراه فى جزء من الليل نائما الا رأيته قائما وما ذاك الا لرفقه عليه الصلاة والسلام بأمته حتى لا تفوتهم فضيلة اتباعه عليه الصلاة والسلام فمن نام منهم فى جزء من الليل أدرك الجزء الآخر فسبحان من أهله للرفق بأمته ورفع المشاق عنهم ويسر عليهم كيف لا وقد قال سبحانه وتعالى فى صفته معهم بالمؤمنين رؤف رحيم اللهم اجعلنا من أمته بحرمته عندك لا رب سواك

﴿فصل﴾ وينهى المؤذنين عما أحدثوه من وقوفهم على أبواب المساجد وقولهم الصلاة رحمكم الله حضرت الصلاة الصلاة يا أهل الصلاة الى غير ذلك من الالفاظ المعهودة منهم لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه قد شرع للمكلف حضور الصلاة بسماعه الاذان فالزيادة عليه بدعة (هذا) وجه (الوجه الثانى) انه اذا فعل ذلك بقى الاذان الشرعى كأنه لا معنى له لان الناس اذا عهد ذلك يتكاون على وقوف المؤذن على أبواب المساجد وعلى قوله المتقدم ذكره واذا كان ذلك كذلك فالغالب من الناس انهم اذا سمعوا الاذان الشرعى لم يهرعوا الى المسجد لاتكالهم على ما وصفنا وذلك كله من الحدث فى الدين (وقد كان) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما مارا فى طريق بالبصرة فسمع المؤذن

فدخل الى المسجد يصلى فيه الفرض فركع فبينما هو فى أثناء الركوع واذا بالمؤذن قد وقف على باب المسجد وقال حضرت الصلاة رحمكم الله ففرغ من ركوعه وأخذ نعليه وخرج وقال والله لا أصلى فى مسجد فيه بدعة

﴿فصل﴾ وكذلك ينهاهم عما أحدثوه من قراءة ان الله فالق الحب والنوى وقوله تعالى قل ادعوا الله أوادعوا الرحمن عند ارادتهم الاذان للفجر وان كانت قراءة القرآن كلها بركة وخير الكن ليس لنا أن نضع العبادات الا حيث وضعها صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه كما تقدم بيانه

﴿فصل فى النهى عن النداء على الغائب بما لا ينبغى﴾ وينهى المؤذنين عما أحدثوه من النداء على الغائب بالالفاظ التى فيها التزكية والتعظيم لان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تزكوا على الله أحدا والميت مضطر الى الدعاء والتزكية ضد ما هو مضطر اليه من الدعاء اذ أنها قد تكون سببا لعذابه أو توبيخه فيقال له أهكذا كنت وقد وقع هذا منهم كثيرا فى منامات رؤيت لهم فى هذا المعنى (الا ترى) الى قولهم الصلاة على الرجل العالم العامل الصالح العابد الورع الزاهد الناسك الحاج الى بيت الله الزائر قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلان الدين الى غير ذلك من الالفاظ المعهودة منهم فى هذا المعنى (فان) قال قائل ان مذهب الشافعى رحمه الله جواز الصلاة على الغائب (فالجواب) أنا لا ننكر مذهبه بل ننكر ما أنكره الشارع صلوات الله عليه وسلامه من التزكية المذكورة فلو قال المؤذن مثلا الصلاة على العبد الفقير الى الله النازل بفنائه المضطر الى رحمته واحسانه فلان باسمه الشرعى وما أشبه هذا من الالفاظ فان ذلك لا ينكر ولا يكره وهذا على مذهب من أجاز الصلاة على الغائب كما تقدم لكن يخاف أن يكون ذلك ذريعا لقول بعض الصحابة رضى الله عنهم اذا أنامت فلا تؤذنوا بى أحدا فانى أخاف أن يكون نعيا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عن النعى

﴿فصل فى النهى عن مشى المؤذنين أمام الجنازة﴾ وينهى المؤذنين عما أحدثوه من مشيهم أمام الجنائز ورفعهم أصواتهم بالتكبير كتكبير العيد فان فعل ذلك أمام الجنائز بدعة قريبة العهد بالحدوث كان أول من أحدثها وال من الولاة قريب العهد جدا أحدثها على جنازة كانت له ثم سرى ذلك الى أن فعله بعض من له الرياسة فى الدولة ثم انتشر ذلك وشاع حتى صار عند الناس ان من لم يفعله ما قام بحق ميته وباليته لو وقف الأمر على هذا الحد لكن زادوا على ذلك اعتقادهم انهم فى طاعة وخير وبركة وهم فى الحقيقة على ضد ما يظنون وقد تقدم ان المؤذن يكون متصفا بالديانة والامانة ومن اتصف بالبدعة فقد تعذر وصفه بذلك

﴿فصل فى عقد النكاح فى المسجد﴾ وينبغى للامام أو المؤذن أن يتقدم الى نهى الناس عما أحدثوه حين عقد الانكحة فى المسجد من اتيانهم بالمباخر المفضضة وذلك لا يجوز على كل حال فى بيت ولا غيره وان كان نفس البخور والطيب مندوبا اليه فى المسجد مع انه قد قال مالك ان الصدقة بثمن ذلك أفضل ولكن يمنع لأجل ظرفه لانه مفضض (وأما) فرش البسط فى المسجد فهو بدعة ولو كانت فى البيوت لكان ذلك جائزا بشرط أن لا يقصد بفرشها المباهاة وما شاكلها وهذا كله من باب الجهالة وذلك اذا كان الفاعل لهذا من عامة الناس الذين لم يتلبسوا بالعلم ولا يسألوا عما وقع لهم وأما ان كان ممن يقرأ العلم فهو من باب الغفلة عن أحكام الله تعالى وعما يجب على المرء فى دينه من الأمر والنهى والتشبه بمن تقدم ذكرهم من أهل الجاهلية والرعونة ثم ينضم الى ما ذكر فى المسجد ما ينزه

عنه من الالفاظ التى تقتضى التزكية والتعظيم لو كانت فى الشخص أو الكذب ان لم تكن فيه وكلاهما لايجوز وكذلك مايقع منهم من التملق والأيمان والغالب ان الايمان اذا كثرت فان الحنث فيها واقع فيحذر من أن يسامح فى شئ من هذا جهده والله المستعان

﴿فصل فى تهيئ الامام للجمعة﴾ ويتأكد فى حق الامام خصوصا الغسل للجمعة وان كان نظيفا فى نفسه لوجوه (الأول) أن الغسل للجمعة مختلف فى وجوبه وقد تقدم (الثانى) انه قدوة للمقتدين فقد يراه أحد حين صلاة الجمعة بالوضوء وحده يسمع عنه ذلك فيقتدى به فى ترك هذه السنة المؤكدة (الثالث) ان الامام من صفته أن يكون أكملهم حالا ومن صلى الجمعة بغير غسل فهو أنقص حالا ممن اغتسل

﴿فصل فى ذكر الأشياء التى ينبغى للامام أن يتجنبها فى نفسه﴾ قد تقرر فى الشريعة أن أحسن لباس الناس البياض (لقوله) عليه الصلاة والسلام خير لباسكم البياض انتهى فينبغى للامام أن يبادر اليه قبل غيره لانه قدوة كما تقدم (وقد) قال الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه ومن أفضل مايلبس البياض ولبس السواد يوم الجمعة ليس من السنة ولا من الفضائل أن ينظر الى لابسه انتهى (فان) كان الثوب جديدا فليمتثل السنة حين لبسه بان يسمى الله تعالى ثم يقول ماورد فى السنة من الدعاء عند لبسه الثوب الجديد وذلك أن يقول اللهم انى أسألك خير هذا الثوب وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره ومن شر ماصنع له انتهى ثم يقول اللهم اجعله لى عونا على طاعتك (ويستحب) لمن رأى الثوب الجديد على غيره أن يقول له تبلى و يخلف الله تعالى (وقد ورد) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فيه تبلى وتخلفى (وقد) خرج أبو داود فى سننه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه اما قميصا أو عمامة زاد الترمذى أو رداء ثم يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له (قال) أبو بصرة وكان أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم اذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له تبلى و يخلف الله تعالى (ومنه) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أكل طعاما فقال الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام و رزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر (وان) كان غير جديد فالتسمية لابد منها عند لبسه وعند خلعه كما تقدم (وينبغى) أن يكون غالب لباسه البياض سيما للخطبة وان كان لبس السواد جائزا الان النبى صلى الله عليه وسلم لبسه وخطب فيه لكن المواظبة على لبسه للامام للجمعة دون غيره بدعة فينبغى أن يلبس البياض ولو كان يوما ما حتى يخرج بذلك من هذه البدعة مالم يؤد لبس البياض الى توقع فتنة أو ضرر يلحقه (وكذلك) الرئيس يتجنب مايتجنبه الامام (وكذلك) يتحفظ من غرز الابر فيما يتطيلس به أو يتعمم على ماتقدم فى باب اللباس (وكذلك) لايلبس الخفين وان كان لبسهما جائزا سفرا وحضرا لكن لبسهما لأجل الخطبة وصلاة الجمعة بدعة أيضا (وكذلك) يتحفظ من جعل الاعلام السود على المنبر حال الخطبة فان ذلك من البدع أيضا اللهم الا أن يتوقع الفتنة بنزوالها فيتعين عليه أن ينكر ذلك بقلبه والله أعلم

﴿فصل فى خروج الامام على الناس يوم الجمعة﴾ وينبغى له أن يتحفظ من هذه البدعة التى يفعلها بعض الخطباء وهو أنه اذا خرج على الناس يوم الجمعة لايسلم عليهم والسلام مشروع عند لقاء المسلم لأخيه المسلم وذلك سنة معمول بها مشهورة معروفة فكيف يتركها الامام وهو قدوة لغيره فيخالف السنة فى أول دخوله لبيت ربه وهذا لايليق به ولا بمنصبه وينبغى له أن يتحفظ فى نفسه حين دخول

المسجد فيفعل الآداب المتقدم ذكرها لانه قدوة كما تقدم فلو فعل غير ذلك مرة لاقتدى الناس به

﴿فصل﴾ وينبغي له أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من أن الامام اذا خرج على الناس في المسجد يقوم المؤذنون اذ ذاك ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم بكرور ذلك مرارا حتى يصل الى المنبر وان كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أجل العبادات كما تقدم

﴿فصل في صعود الامام على المنبر﴾ وينبغي له أن يأخذ السيف أو العصا أو غيرهما بيده اليمنى اذ أنها السنة ولأن تناول الطهارات انما يكون باليمين والمستقذرات بالشمال ولا حجة لمن قال انه يأخذه باليسار لكونه أيسر عليه في مناولته اذا أراد أحدا غتياله لان هذا المعنى مما يختص بالامراء الذين يخافون على أنفسهم الغيلة وهذا مأمون في هذا الزمان في الغالب اذ أن الامام ليس له تعلق بالامارة في الغالب حتى يغتاله أحد

﴿فصل في كيفية صعوده على المنبر﴾ وينبغي له اذا أراد أن يصعد المنبر أن يسمي الله تعالى ويقدم اليمين كما تقدم (ويحذر) أن يضرب بعصاه في يده على درج المنبر لوجهين (أحدهما) انه لم يكن من فعل من مضى والخير كله في الاتباع لهم كما تقدم (الثاني) أن المنبر وقف والضرب عليه على الدوام مما يضر به ويخلقه وان كان قد قال بعض الناس بجوازه لكنه محجوج بما ذكر من الاتباع (وكذلك) ينهى المؤذنين عن الصلاة والتسليم عند كل ضربة يضربها عليه فان ذلك من البدع أيضا ولا يطول على الناس في رقيه المنبر الا لضرورة من كبر سن أو ضعف بدن فاذا وصل الى الموضع الذي يخطب عليه أقبل بوجهه على الناس وجلس من غير سلام من المؤذنين وان كان قد ورد فيه حديث لكن الذي استقر عليه عمل السلف رضوان الله عليهم تركه اذ ذاك وبعضهم يسلم ويزيد فيه بدعة وهو أن يشير بيده الى الناس ولا يقف مستقبل القبلة ويبسط يديه ليدعو اذ ذاك لان علماءنا رحمة الله عليهم قد عدوا ذلك من البدع

﴿فصل في فرش السجادة على المنبر﴾ وليحذر أن يفرش السجادة على المنبر لان ذلك بدعة اذ أنه لم يأت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الخلفاء بعده ولا عن أحد من الصحابة ولا السلف رضي الله عنهم أجمعين فلم يبق الا أن يكون ذلك بدعة ولا ضرورة تدعو اليها لانه ليس بموضع صلاة (وكذلك) ينبغي أن يمنع ما يفرش على درج المنبر يوم الجمعة فانه من باب الترفه ولم يكن من فعل من مضى فهو بدعة أيضا (وينهى الرئيس) عما أحدثه من ندائه عند ارادة الخطيب الخطبة بقوله للناس أيها الناس صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قلت لصاحبك والامام يخطب يوم الجمعة أنصت فقد لغوت أنصتوا رحمكم الله انتهى (والعجب) من بعض الناس انهم ينكرون على مالك رحمه الله أخذه بعمل أهل المدينة ويستحسنون هذا الفعل ويحتجون على صحته بانه من عمل أهل الشام وعادتهم المستمرة وقد تقدم (وكذلك) ينهاهم أيضا عما أحدثوه من صعود الرئيس على المنبر مع الامام وان كان يجلس دونه وذلك يمنع لوجهين (أحدهما) أن الرئيس بهذا الفعل يخالف السنة في استقباله للخطيب في حال الخطبة ورمقه بعينيه لانه مستدبر له اذ ذاك (والثاني) انه لم يرد أن أحدا من مضى جلس مع الخطيب على المنبر (والعجب) منه انه يأتي بنص الحديث المتقدم ثم يأمرهم بالانصات بعده بقوله أنصتوا رحمكم الله ثم يفعل ضد ذلك ويأمرهم بالكلام فيتكلم ويستدعي الكلام بقوله آمين اللهم آمين غفر الله لمن يقول آمين اللهم صل عليه صلى الله عليه وسلم وقوله رضي الله عنهم أجمعين (ولا حجة) لمن يقول أن مذهب الشافعي رحمه الله ان الخطيب اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

فلا بأس أن يصلي عليه السامع برفع صوته بذلك لان رفع الصوت هو أن يسمع المرء نفسه ومن يليه على ما يعهد من عمل السلف في جهرهم في مواضع الجهر لا على ما يعهد من زعقات المؤذنين فان ذلك خارج عن حد السمت وحال الخطبة حال خشوع وحضور اذ أنها بدل عن الركعتين في الظهر على قول بعضهم فلا يجوز فيها الا ما يجوز في الصلاة أعني الانصات عند قراءة الامام (ومذهب) مالك رحمه الله ان الخطيب اذا ذكر الجنة أو النار أو ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن السامع يسأل و يستعيذ و يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عند سماعه لذلك سرا في نفسه (زاد) أشهب ان الانصات أفضل له فان فعل فسرا في نفسه ولو عطس فحمد الله سرا في نفسه ومن سمعه فلا يشمته فان جهل فشمته فلا يرد عليه والانصات على مذهب مالك رحمه الله واجب على الصفة التي ذكرت على من سمع الخطبة وعلى من لم يسمعها وعلى من كان في المسجد أو خارجه ممن ينتظر صلاة الجمعة (ومذهب) الشافعي رحمه الله تعالى ان الانصات يجب على أربعين وما زاد على ذلك فالانصات مندوب في حقهم ولا شك ان ترك المندوب في هذا الوقت الفاضل يقبح سيما على ما تقدم من القول بان الخطبة بدل عن الركعتين في الظهر و بالجملة ففعل السلف أولى ما يبادر اليه كان الفعل واجبا أو مندوبا وقد كانوا جميعا منصتين (وقد) قال مالك رحمه الله ليس العمل على فعل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين سمع رجلين يتكلمان في حال الخطبة فحصبهما أن اصمتا قال لان حصبهما بمنزلة قوله لهما اسكتا فاذا كان عمل السلف على هذا الذي ذكره فالمبادرة الى اتباعهم أفضل وأعلى كما تقدم فانهم على الهدى المستقيم (وينبغي له) أن يجتنب التقعير في خطبته والتصنع فيها (وكذلك) يجتنب تطويل الخطبة وتقصير الصلاة (لما) رواه مالك في موطئه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال أنتم في زمان كثير فقهاؤه قليل قراؤه تحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه قليل من يسأل كثير من يعطى يطيلون فيه الصلاة ويقصرون الخطبة يبدؤن فيه أعمالهم قبل أهوائهم وسيأتي على الناس زمان كثير قراؤه قليل فقهاؤه تحفظ فيه حروف القرآن وتضيع حدوده كثير من يسأل قليل من يعطى يطيلون فيه الخطبة ويقصرون فيه الصلاة يبدؤن فيه أهواءهم قبل أعمالهم انتهى (فهذا) دليل واضح لما وردا من طول الصلاة وقصر الخطبة مئنة من فقه الرجل فليتحفظ عن هذا فانه من أكبر الاصول المعتبرة في الخطبة والصلاة (وأما) ترضي الخطيب في خطبته عن الخلفاء من الصحابة وبقية العشرة وباقي الصحابة وأمهات المؤمنين وعترة النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم أجمعين فهو من باب المندوب لا من باب البدعة وان كان لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء بعده ولا الصحابة رضي الله عنهم لكن فعله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لأمر كان وقع قبله وذلك ان بعض بني أمية كانوا يسبون بعض الخلفاء من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين على المنابر في خطبتهم فلما أن ولي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أبدل مكان ذلك الترضي عنهم وقد قال مالك رضي الله عنه في حقه هو امام هدى وأنا أقتدي به (وينبغي) له أن يكون في خطبته على حال خشوع وتضرع لانه يعظ الناس والمقصود من الموعظة حصول الخشوع والرجوع الى الله سبحانه وتعالى باتباع أمره واجتناب نهيه والخوف منه والخوف مما أوعد به وقوة الرجاء فيما وعد به وحسن الظن به سبحانه وتعالى فاذا كان الخطيب مستعملا في نفسه ما ذكر كان ذلك أدعى الى قبول ما يلقيه الى السامعين لاتصافه بما اتصف به هو في نفسه كما مر في المؤذن اذا أذن ينبغي له أن يكون على طهارة ليبادر لفعل ما نادى اليه أولا فيكون أدعى الى صدع القلوب لان العلم اذا خرج من عامل تشبث بالقلوب واذا خرج من غيره انساب عن القلوب على ما قاله

قوله مئنة بفتح الميم وكسر الهمزة وتشديد النون أي علامة اه

علماؤنا رحمة الله عليهم وقد تقدم أنه يتجنب في خطبته التصنع لان التصنع اذا وقع فهو الداء الذي ليس له دواء في الغالب اذ أنه يشبه النفاق بل هو النفاق بعينه اذ أن معنى النفاق أن يظهر بلسانه وجوارحه ما ليس في قلبه أسأل الله السلامة بمنه

﴿ فصل في اسلام الكافر في حال الخطبة ﴾ وينبغي له أن يتجنب هذه البدعة التي يفعلها بعضهم وهي أن الكافر يأتي الى الخطيب فيسلم على يديه في غير الجمعة ثم يعود ويأتي ثانيا والخطيب على المنبر حتى يتلفظ بالاسلام على رؤس الناس ويقطع الخطيب الخطبة بسببه وتقع ضجة في المسجد ينزه المسجد عنها وهو قد كان أسلم قبل ذلك كما تقدم ولا يجوز له أن يقطع ترتيب الخطبة لاجل هذا لانه كان مسلما قبل ولا عذر له في أنه يجدد الاسلام اذ ذاك ليشتهر اسلامه بين المسلمين ويعرفوه بذلك حتى لا يعود الى ما كان عليه من الكفر لما تقدم من اسلامه لانه بنفس اسلامه جرت عليه أحكام المسلمين وعرفه من عرفه منهم فلا ضرورة تدعو الى ما يفعلونه من ذلك ولو قدرنا أنه الآن أسلم فيتعين على الخطيب أنه يأمره بالخروج من المسجد ويأمر من يخرج معه من المسلمين حتى يغتسل ان كان جنبا ولو لم تتقدم له جنابة في حال كفره فيغتسل للاسلام فان ترك الغسل على قول بعضهم فالوضوء لا بد منه ليصلي به الجمعة

﴿ فصل ﴾ فاذا فرغ من خطبته ودعائه فيها فليختمها بقوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الى آخر الآية أو بقوله اذكروا الله يذكركم أو ما في معناه فاذا فرغ منه فليقم المؤذن الصلاة فاذا دخل المحراب فينبغي له أن يصلي على ما هناك من الحصير ويترك السجادة اذ أن اتخاذها للصلاة بدعة الا لضرورة التحفظ من النجاسة ولا ضرورة تدعو اليها في هذا الموضع اذ أن المحراب له هيبة ولا يدخله أحد في الغالب سيما الصبيان الصغار ومن لا يؤبه له فان الغالب من أحوالهم أنهم لا يقربون موضعه فهو على أصله من الطهارة (والامام) ينبغي له أن يكون أفضل القوم في كل الاحوال ومن ذلك أن لا يسجد على حائل بينه وبين الارض فانه السنة ولما أدت الضرورة الى الحصر المفروشة هناك فعلت وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يباشر الارض بوجهه ويديه في سجوده لا يحول بينه وبين الارض شئ وكذلك كان حال أكثر السلف رضي الله عنهم فمن قدر على ذلك فهو الاولى والافضل في حقه اللهم الا أن تدعو ضرورة الى ذلك فارباب الضرورات لهم أحكام أخر ودين الله يسر (فاذا) استوى قائما في المحراب فالسنة الماضية أن يكون قريبا من المأمومين (وقد) كان الامام من السلف رضي الله عنهم يقرب أن تمس ثيابه ثياب المأمومين (وقد قالوا) ان من فقه الامام قربه من المأمومين وذلك لفوائد ذكروها (منها) أنه قد يطرأ عليه في صلاته ما يوجب خروجه منها فلا يحتاج الى كلام ولا الى كثير عمل في الاستخلاف بل يمد يده الى من يستخلفه فيقدمه (ومنها) أنه قد يسهو في صلاته فيسبحون له فلا يسمعهم فاذا كان قريبا منهم سمعهم في الغالب وتدارك ملافاة ذلك بسهوه وتنبيههم له عليه فيتدارك اصلاح ما أخل به (ومنها) أنه قد يكون في ثوبه نجاسة لم يشعر بها فاذا كان قريبا منهم أدركوها فنبهوه عليها الى غير ذلك (ولم يكن) للسلف رضوان الله عليهم محراب وهو من البدع التي أحدثت لكنها بدعة مستحبة لان أكثر الناس اذا دخلوا المسجد لا يعرفون القبلة الا بالمحراب فصارت متعينة (لكن) يكون المحراب على قدر الحاجة وهم قد زادوا فيه زيادة كثيرة والغالب من بعض الائمة انهم يصلون داخل المحراب حتى يصير وا بسبب ذلك على بعد من المأمومين وذلك خلاف السنة (ثم) انه يخرج نفسه بذلك من الفضيلة الكاملة لان باقي المسجد أفضل منه (الا ترى) أن علماءنا رحمة الله عليهم قالوا فيمن اضطر الى النوم في المسجد أنه ينام في محرابه لانه أخف من باقي المسجد بل

ينبغي له أنه اذا كان المسجد لم يضق بالناس فلا يدخل الامام الى المحراب فان ضاق بهم فليدخل على الصفة المتقدمة لانه اذا لم يدخل عسك بوقوفه خارجا عنه موضع صف من المسجد وهو قد يسع خلقا كثيرا (وليحذر) من هذه البدعة الاخرى التي يفعلها بعض الائمة وهو أنهم لا يعتنون بتسوية الصفوف ثم ان الامام يلتفت عن يمينه ويقول استووا يرحمكم الله ثم يلتفت عن شماله ويقول مثل ذلك ويقول له الرئيس أو أحد المأمومين كبر رضي الله عنا وعنك هذا فعلهم سواء كان في الصف خلل أو لم يكن ولو كان ثم خلل لم يسده أحد بقوله وهذا كله من البدع الحادثة بعد السلف رضوان الله عليهم (وقد) كان الائمة من السلف رضي الله عنهم يوكلون الرجال بتسوية الصفوف منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ثم لا يكبرون حتى يأتي من وكلوهم بذلك فيخبروهم انها قد استوت فيكبرون اذ ذاك (وقد) جاء في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم (وقد) نقل عن السلف رضي الله تعالى عنهم أن ثيابهم كانت تنقطع من جهة المناكب أولا لشدة تراصهم في صلاتهم وهذه المجاهدة تمنع من ذلك ضرورة لانها تبسط على موضع في المسجد يزيد على قدر ما يحتاج اليه صاحبها في قيامه وسجوده اللهم الا أن يضم اليه من جانبه حتى يصلي معه عليها فيخرج عن باب الكراهة لكن يدخل على صاحبها وجه آخر وهو أنه اذا كان من يصلي الى جانبه متورعا أو في كسب صاحبها علة شبهة أو حرام وقد يكون كسبه حلالا لكن يمتنع من وجه آخر وهو تخريجه من دخول المنة عليه واذا كان ذلك كذلك فلا يفعل لانه يأتي الى فعل مندوب وهو التراص في الصف فيقع في محرم أو مكروه

﴿فصل في دخوله في الصلاة﴾ فاذا استوت الصفوف فليتنوا ذا ذلك الدخول في الصلاة بقلبه ولا ينطق بلسانه ولا يجهر بالنية فان الجهر بها من البدع (واختلف) في النطق باللسان هل هو بدعة أو كمال (فقال) بعضهم هو كمال لانه أتى بالنية في محلها وهو القلب ونطق بها اللسان وذلك زيادة كمال هذا ما لم يجهر بها (وقال) بعضهم ان النطق باللسان مكروه ويحتمل ذلك وجهين (أحدهما) أنه قد يكون صاحب هذا القول يرى أن النطق بها بدعة اذ لم يأت في كتاب ولا سنة (ويحتمل) أن يكون ذلك لما يخشى أنه اذا نطق بها بلسانه قد يسهو عنها بقلبه واذا كان ذلك كذلك فتبطل صلاته لانه أتى بالنية في غير محلها (ألا ترى) أن محل القراءة النطق باللسان فلو قرأ بقلبه ولم ينطق بها لسانه لم تجزه صلاته وكذلك لو تلفظ بالنية بلسانه ولم ينوها بقلبه (ومن) صفة النية على الكمال أن ينوي بصلاته التقرب الى الله تعالى بأداء ما افترض عليه من تلك الصلاة بعينها وذلك يحتوي على خمس نيات وهي نية الاداء ونية التقرب الى الله تعالى ونية الفرض وتعيين الصلاة واحضار الاذهان والاحتساب وهو شرط في صحة ذلك كله واختلف في تعيين الامام وعدد الركعات ويتعين على المأموم أن ينوي الائتمام لان المأموم يلزمه أن ينوي أنه مأموم فان لم يفعل بطلت صلاته بخلاف الامام فانه لا يلزمه أن ينوي الامامة الا في كل صلاة لا تصح الا في جماعة وهي خمس وذلك ما نحن بسبيله من صلاة الجمعة والثانية الصلاة على الجنازة والثالثة الجمع ليلة المطر والرابعة صلاة الخوف والخامسة المأموم المستخلف وما عدا ذلك لا يجب عليه فيه نية الامامة لكن ان نواها كان أعظم أجرا وأكثر ثوابا ان لم ينوها (ثم) يستفتح القراءة فيقرأ بعد أم القرآن في الركعة الاولى بسورة الجمعة وأما الثانية فاختلفت الروايات فيها فقيل اذا جاءك المنافقون وقيل سبح اسم ربك الاعلى وقيل هل أتاك حديث الغاشية وهو الاكثر ولم يختلف المذهب في الاولى انه لا يقرأ فيها الا سورة الجمعة (وقد) سئل مالك رحمه الله عما

يقرأ المسبوق بركعة فى الجمعة فقال يقرأ مثل ما قرأ امامه بسورة الجمعة فقيل له اقراءة سورة الجمعة فى صلاة الجمعة سنة قال لا أدرى ما هى سنة ولكن من أدركنا كان يقرأ بها فى الركعة الاولى من الجمعة انتهى وان كان قد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ فى الركعة الاولى من صلاة الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وفى الثانية بهل أتاك حديث الغاشية لكن الذى واظب عليه عليه الصلاة والسلام واستقر عليه عمل السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين ما تقدم ذكره واذا كان ذلك كذلك فالمواظبة على ترك قراءة سورة الجمعة فى الركعة الاولى منها مما لا ينبغى فليحذر من هذا اجهده وبعض الائمة فى هذا الزمان يقرأ بعد أم القرآن بآخر سورة الجمعة من قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة الى آخرها وفى الثانية بآخر سورة المنافقين من قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله الى آخرها وهذا راجع الى ما تقدم من قصر الصلاة واطالة الخطبة وما كان السلف رضى الله عنهم يقرؤن الا سورة كاملة بعد أم القرآن وان كان الشافعى رحمه الله قد أجاز الاقتصار على قراءة بعض السورة فذلك من باب الجواز والمندوب والافضل والاتباع قراءة سورة كاملة

﴿فصل﴾ وما تقدم من أن النية لا يجهر بها فهو عام فى الامام والمأموم والفذ فالجهر بها بدعة على كل حال اذ انه لم يرو أن النبى صلى الله عليه وسلم ولا الخلفاء ولا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين جهروا بها فلم يبق الا أن يكون الجهر بها بدعة (وينبغى له) أن ينهى المأمومين عما أحدثوه من قراءتهم بالجهر بإياك نعبد وإياك نستعين حين قراءة الامام اياها فليحذر من هذا اجهده فانه بدعة (وينبغى له) أن ينهى عن الجهر خلفه بالقراءة فى صلاة السر لان ذلك خلاف السنة وفيه التشويش عليه وعلى من يقرب منه (وقد) ورد النهى عن أقل من هذا بقوله عليه الصلاة والسلام لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن وكان كل واحد منهم يصلى لنفسه وهذه صلاة واحدة فمن باب أولى أن ينهى عن ذلك (وكذلك) اذا كانت الصلاة جهرية وقرأ المأموم أم القرآن خلفه فلا يجهر بها (وقد) ورد النهى عن ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام انى أقول مالى أنازع القرآن فانتهى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جهر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقراءة حين سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان فى الجهر بها ما تقدم ذكره وهو من البدع أيضا لانه يترك سنة الاسرار فى الصلاة (ولا حجة) لمن يحتج بالحديث الوارد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمعهم الآية أحيانا اذ أن ذلك خاص بالامام مع انه عليه الصلاة والسلام انما فعل ذلك لكى يعلم الناس الحكم فى صلاة السر أنه يقرأ فيها بسورة بعد أم القرآن حتى لا يجد أحد السبيل الى أن يقول كان يسبح أو يدعو أو يفكر فكان جهره عليه الصلاة والسلام بالآية أحيانا لهذا المعنى والله أعلم (وينبغى) للامام أن لا يجهر بالتسبيح فى ركوعه أو سجوده ولا يجهر بالدعاء فى موضع الدعاء فى الصلاة أو عقبها وما يفعله فى حق نفسه فيحمل المأمومين عليه لان ذلك من السنة والجهر بذلك بدعة اذ أنه لم يرو أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فسلم منها وبسط يديه ودعا وأمن المأمومون على دعائه وكذلك الخلفاء الراشدون بعده رضى الله عنهم أجمعين وكذلك باقى الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وشئ لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة فلا شك فى أن تركه أفضل من فعله بل هو بدعة كما تقدم (وكذلك) لا يمسح صدره عند قراءة القنوت فى الصبح وغيرها مما شرع فيه القنوت أو الدعاء لما تقدم (وكذلك) ينهى غيره عن فعل ذلك اذ أنه بدعة (وكذلك) ينهى من يفعل ذلك عند رفع

الرأس من الركوع اذا أنه بدعة (وكذلك) لايجهر بالدعاء بعد فراغه من التشهد وقبل السلام وينهى غيره عن فعله لانه بدعة (والاصل) الذى يبنى عليه صلاته و يعتمد عليه الخشوع والحضور فيها فيمثل نفسه أنه واقف بين يدى الملك الجليل يخاطبه و يناجيه فان كان فى القراءة فهو يسمع كلام ربه عز وجل وان كان فى غيرها من دعاء أوذكر فهو يناجى مولاه بدعائه و يذكر أنه سبحانه وتعالى المولى العلى يسمعه اذا أنه أقرب اليه من حبل الوريد أعنى بالعلم والاحاطة فتخشع جوارحه كلها انقيادا منها لما حصل فى قلبه من الخشوع (والحذر الحذر) من خشوع جوارحه الظاهرة دون الجوارح الباطنة وقد تقدم هذا المعنى فى الخطبة وهو فى الصلاة أولى وقد ورد أن الصلاة فى الجماعة ترفع على أتقى قلب رجل منهم فينبغى أن يكون ذلك الرجل هو الامام اذا نه يعتبر فى حقه أن يكون أفضلهم و بحصول هذه الصفة تزكو صلاته و يعود من بركاتها على الحاضرين معه فيعمل على تحصيل هذه المزية بجهده والله الموفق (والسنة المتقدمة) أن يلى الامام من الناس أفضلهم علما وعملا لقوله عليه الصلاة والسلام ليلينى منكم أولوا الاحلام والنهى (ومن فوائده) أنه لو طرأ على الامام ما يوجب الاستخلاف لو جد من فيه أهلية لذلك بقرب به من غير كلفة يتكلفها وهذه سنة معمول بها فى بلاد المغرب على ما كنت أعهد أنه لايستر الامام الا من فيه أهلية التقدم للامامة فى الغالب وقد تقدم بعض ذلك وهذه خصلة دائرة فى هذه البلاد فى الغالب فتجد من لا علم عنده يستر الامام وتجد أهل الفضل فى المواضع البعيدة عنه وذلك بدعة ومخالفة للسنة لما تقدم من أمره عليه الصلاة والسلام بقوله ليلينى منكم أولوا الاحلام والنهى وافعله عليه الصلاة والسلام وفعل أصحابه رضى الله عنهم أجمعين (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى للامام أن يكون أول من يسبق الى المسجد ان أمكنه ذلك ليحصل هذه السنة ويخمد هذه البدعة و يقتدى الناس به ومازال الفضلاء والاكابر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وغيره من الانصار هم الذين يبادرون الى المساجد فى أوائل الاوقات أوقبلها (حتى) انه قد حكى عن بعضهم انه جاء الى صلاة الجمعة فوجد رجلين قد سبقاه فجعل يعاتب نفسه و يقول أثالث ثلاثة أثالث ثلاثة فلو جاء الامام أوغيره من الفضلاء الى المسجد فوجد واغيرهم ممن ليس فى منزلتهم قد سبقهم لتلك المواضع التى يعهدون الصلاة فيها أعنى من كان يستر الامام أو يقرب منه كان من سبق لتلك المواضع أحق بها منه وأولى ولا يقام منها اتفاقا واقامته ظلم له و بدعة (اللهم) الا أن يؤثر السابق بهذه القربة غيره من أهل الفضل والدين (فذلك) له بل هو مندوب اليه لوجهين (أحدهما) ما تقدم ذكره من قوله عليه الصلاة والسلام ليلينى منكم أولوا الاحلام والنهى وللعمل الماضى المتقدم ذكره (والثانى) من صلى خلف مغفور له غفر له فاذا قدمه لاحد هذين الوجهين كان مندوبا اليه (وقد تقدمت) حكاية بعض السلف الذى كان يأتى الى المسجد أول الوقت ليدرك فضيلة الصف الاول فاذا امتلأ بالناس تأخر الى الثانى وآثر بمكانه غيره وهكذا الى أن يصلى فى آخر صف من المسجد فسئل عن موجب ذلك فقال أبكر لاحوز فضيلة الصف الاول ثم أتاخر رجاء أن أكون قد صليت خلف مغفور له فيغفر لى وليس هذا من باب الايثار بالقرب لان ذلك الخلاف انما هو فيمن ترك قربة لابدل عنها أما من ترك ما هو أعلى منها وأولى فليس من هذا الباب بل هو من باب ترك قربة ما هو أعلى منها كما تقدم وقد عد بعض العلماء ترك التبكير يوم الجمعة من البدع الحادثة وذلك محمول على اختلاف المذهبين فمذهب الشافعى رحمه الله تعالى أن التبكير من غدوة النهار اليها أفضل ومذهب مالك رحمه الله ان معناه التهجير ودليله عمل السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (وقد) استدل الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله على

صحة مذهبه من أن التبكير اليها أفضل من التهجير بأن قال أول بدعة حدثت ترك التبكير الى الجمعة وقد كانوا يأتونها بالمشاعل ليلا وقد كان بعضهم يبيت في المسجد ليلة الجمعة ليصلي الجمعة (وقد) كره مالك رحمه الله التبكير اليها وعلله بأنه لم يكن من عمل السلف قال ولم يكونوا يبكرون وهذا التبكير وأخاف على فاعله أن يدخل له شيء ولا يختلف أحد في صحة نقل مالك عن السلف رضي الله عنهم أجمعين (ويؤيده) ما جرى لعثمان بن عفان رضي الله عنه حين دخل المسجد وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يخطب للجمعة فلو كان التبكير أفضل لما تأخر عثمان رضي الله عنه واشتغل بالسوق الى الوقت الذي أتى فيه الى الجمعة (وينبغي له) اذا سلم من صلاته أن يقوم من موضعه ذلك ومعناه أنه يغير هيئته في جلوسه في الصلاة ليقبل على الناس بوجهه فاذا فعل ذلك فقد أتى بالسنة لما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا صلى صلاة أقبل على الناس بوجهه فيحصل لفاعل ذلك امتثال السنة واستغفار الملائكة له مادام في المسجد بخلاف ما لو قام من موضعه وخرج منه فانه يفوت على نفسه استغفار الملائكة له هذا اذا كان في المسجد فان كان في بيته أو في رحله في السفر فلا بأس بجلوسه فيه وتغييره الهيئة أولى كذا قال علماؤنا رحمة الله عليهم وبعض الأئمة يقعد في مصلاه على هيئته التي كان عليها في صلاته وذلك بدعة لانه عليه الصلاة والسلام لم يفعله ولا أحد من الخلفاء ولا من الصحابة بعده رضي الله عنهم أجمعين لانه قد يخلط على الداخل الى المسجد فيظن انه في الصلاة وقد ذكر الفقهاء في ذلك تعاليل أخر موجودة في كتبهم (وهذا) بخلاف المأموم فان له أن يقعد من غير تغيير هيئة صلاته حتى يفرغ مما شرع فيه من الذكر والدعاء عقب صلاته ثم يتنفل بعد ذلك بما أحب لكن المستحب في حقه أن لا يتنفل بعد الصلاة ان كانت الصلاة مما يتنفل بعدها في موضعه الذي صلى فيه الفريضة بل ينتقل عنه الى جهة أخرى فيصلي فيها فان لم يفعل فلا حرج ويصليها في موضعه والتنفل في المساجد بتوابع الفرائض أفضل من فعلها في البيوت لئلا يكون ذلك ذريعة لمن لا علم عنده بتأكدها فيقتصر على الفرائض دونها (وهذا كله) فيما عدا الركوع بعد المغرب وبعد الجمعة (أما المغرب) فلأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركع بعدها في بيته رحمة ذلك على ما قاله بعض العلماء انه فعل ذلك عليه الصلاة والسلام على ما علم من عادته الجميلة في رحمته بامته اذ أن من كان منهم صائما وركع عقب المغرب في المسجد لانتظاره أكثرهم حتى ينصرفوا بانصرافه فقد يكون عند بعض الاولاد والعائلة فينتظرونه فيكون ذلك مشقة فأزالها عليه الصلاة والسلام عنهم بركوعه في بيته انتهى على انه لو ركع في المسجد لم يكره لان ذلك انما كان خشية من وجود المشقة على بعض الناس فاذا أمن منها جاز (وأما في الجمعة) فلا يتنفل عقبها امام ولا غيره الا في بيته بذلك ورد الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وقبل العصر ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصل ركعتين في بيته (وقد ورد) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى رجلا قام يتنفل بعد صلاة الجمعة فجذبه وأقعده وقال له اجلس تشبه الجمعة بمن فاتته ركعتان من صلاة الظهر والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فلم يقل شيئا (فالتنفل) بعد الجمعة في المسجد بدعة لما ذكر حتى ينصرف الى بيته فيصلي فيه فان كان غريبا أو ممن لا بيت له أو ممن يريد انتظار صلاة العصر في المسجد فاختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فيه فمنهم من يقول يخرج من باب ويدخل من آخر ومنهم من يقول ينتقل من مكانه الى غيره من المسجد فيركع فيه ومنهم من يقول اذا طال مجلسه أو حدثه يعني مما يسوغ الكلام به في المسجد كما تقدم فيجوز له أن يركع

فى موضعه من غير انتقال والله أعلم (والسنة الماضية) ان لا يترك الذكر والدعاء عقب الصلاة (ومن) آداب الدعاء أن يثنى على الله تعالى بما هو أهله بما تيسر له و يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم و يدعو لنفسه أولا وان حضره من اخوانه المسلمين شر افى نفسه (وليحذر) أن يخص نفسه بالدعاء دونهم اذا كان اماما فى الصلاة و بعدها فان فعل فقد خانهم هكذا و رد فى الحديث على ما رواه أبو داود والترمذى (وكذلك) يستحب لكل واحد من المصلين أن يدعو لنفسه ولمن حضره من اخوانه المسلمين من امام ومأموم (وليحذر واجميعا) من الجهر بالذكر والدعاء و بسط الايدى عنده أعنى عند الفراغ من الصلاة ان كان فى جماعة فان ذلك من البدع لما تقدم ذكره اللهم الا أن يريد الامام بذلك تعليم المأمومين بان الدعاء مشروع بعد الصلاة يجهر بذلك و يبسط يديه على ما قاله الشافعى رحمه الله تعالى حتى اذا رأى أنهم قد تعلموا أمسك (و بعض الائمة) اذا سلم من صلاته أقبل على الدعاء يجهر به قبل الذكر المشروع عقب الصلاة و يتمادى على ذلك كأنه مشروع له الجهر فيه لغير ضرورة التعليم وذلك من باب ترك الافضل الذى هو الذكر المأثور وقد يخفى على بعض الناس بما يفعله من الذكر المأثور عقب الصلاة فليحذر من هذا جهده وقد تقدم النهى عن القراءة جماعة والذكر جماعة (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى له أن ينهى الناس عما أحدثوه من قراءة سورة الكهف يوم الجمعة جماعة فى المسجد أو غيره وان كان قد ورد استحباب قراءتها كاملة فى يوم الجمعة خصوصا فذلك محمول على ما كان عليه السلف رضى الله عنهم لا على ما نحن عليه فيقرأها سرا فى نفسه فى المسجد أو جهرا فى غيره أو فيه ان كان المسجد مهجورا ما لم يكن فيه من يتشوش بقراءته والسر أفضل وأما اجتماعهم لذلك فبدعة كما تقدم والله تعالى أعلم

﴿فصل فى الصلاة على الميت فى المسجد﴾ الصلاة على الميت فى المسجد جائزة على مذهب الشافعى رحمه الله لكن بشرط ان لا يتقدم على الجنازة ولا على الامام فان تقدم على أحدهما فصلاته باطلة (وأما) مذهب مالك رحمه الله فيكره لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام من صلى على ميت فى المسجد فلا شئ له أخرجه أبو داود رحمه الله وللعمل المتصل وهو أنهم كانوا لا يصلون على ميت فى المسجد وما ورد من أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى على سهيل بن بيضاء فى المسجد فلم يعجبه العمل والعمل عند مالك رحمه الله أقوى لان الحديث يحتمل النسخ وغيره والعمل لا يحتمل شيئا من ذلك بل هو على جادة الاتباع والاتباع أولى ما يبادر اليه لعدم الاحتمال فيه وهذا بشرط أن لا يتقدم على الامام ولا على الجنازة فان تقدم عليهما فقد ارتكب ثلاث مكروهات أحدها الصلاة على الميت فى المسجد الثانى التقدم على الامام الثالث التقدم على الجنازة ولا يتقرب الى الله تعالى بمكروه فكيف اذا تعدد وحد المكروه ما تركه أفضل من فعله ﴿تنبيه﴾ و يتعين عليه أن ينظر فيما بنى أو يبنى الى جانب المسجد من ميضأة أو محراب فما كان من ذلك يصل منه نداوة الى أرض المسجد أو جدرانه فيمنع من ذلك و يبطله على من فعله لان دخول النجاسة فى المسجد محرم وان كان عليها حصير لان الارض هى المسجد لا الحصير وأيضا فان الحصير اذا بسط على تلك الارض تنجس بها وكذلك الجدران لان المصلين يستندون فى غالب أحوالهم اليها فتنجس ثيابهم وسواء كان ذلك فى مقدم المسجد أو مؤخره لا فرق بينهما و بعض الناس يفعل ذلك نظرا منه لتحصيل الحسنة بتيسير موضع الطهارة سيما فى حق من كان منقطعا فى المسجد أو من بيته بعيد منه فيقرب على الجميع أمر الوضوء للصلاة فيقع فى محرمات جملة لما تقدم ذكره فيحذر من هذا جهده لان الحسنة التى توصل

الى السيئة ماهي بحسنة بل هي السيئة نفسها والغالب على الشيطان أن يدس هذا المعنى لبعض من فيه خير وصلاح حتى يوقعه في السيئة وهو يزعم أنه في حسنة وهذا من بعض مكايد ابليس اللعين

﴿فصل في خروج الامام الى صلاة العيدين﴾ والسنة الماضية في صلاة العيدين أن تكون في المصلى لان النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ثم مع هذه الفضيلة العظيمة خرج صلى الله عليه وسلم الى المصلى وتركه فهذا دليل واضح على تأكيد أمر الخروج الى المصلى لصلاة العيدين فهي السنة وصلاتهما في المسجد على مذهب مالك رحمه الله تعالى بدعة الا أن تكون ثم ضرورة داعية الى ذلك فليس ببدعة لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعلها ولا أحد من الخلفاء الراشدين بعده ولانه عليه الصلاة والسلام أمر النساء أن يخرجن الى صلاة العيدين وأمر الحيض وربات الخدور بالخروج اليهما فقالت احداهن يارسول الله احدانا لا يكون لها جلباب فقال عليه الصلاة والسلام تعيرها أختها من جلبابها فتشهد الخير ودعوة المسلمين فلما أن شرع عليه الصلاة والسلام لهن الخروج شرع الصلاة في البراح لاظهار شعيرة الاسلام وليحصل لهم عليه الصلاة والسلام ماقد أمر به في الحديث الآخر من قوله عليه الصلاة باعدوا بين أنفاس النساء وأنفاس الرجال فلما أمر في هذا الحديث وجعله في صلاة العيد فكان النساء بعيدا من الرجال الا ترى أنه عليه الصلاة والسلام لما أن فرغ من خطبته وصلاته جاء الى النساء فوعظهن وذكرهن فلو كن قريبا لسمعن الخطبة ولما احتجن الى تذكيره لهن بعد الخطبة هذا وجه ووجه ثان وهو أن المسجد ولو كبر فهم محصورون في الخروج من أبوابه المعلومة وقد يجتمع الرجال والنساء عند الدخول فيها والخروج منها فتتوقع الفتن في موضع العبادات والبراح ليس كذلك لاتساع البرية فلا يصل فيها أحد لاحد في الغالب وهذا بعكس مايفعله بعض الناس اليوم وهو أن المسجد عندهم كبير وله أبواب شتى فيخرجون منه الى البراح لكونه أوسع وهو السنة فبنوا في ذلك البراح موضعا يكون في الغالب على قدر صحن الجامع أو أصغر وجعلوا له بابين ليس الا بابا لجهة القبلية والآخر في مقابلته فيجتمع النساء والرجال في أحد البابين في الدخول والخروج وتقف الخيل والدواب عليهما فاذا انصرفوا خرجوا منهما كذلك مزدحمين والغالب أن النساء اذا خرجن لغير العيد يلبسن الحسن من الثياب ويستعملن الطيب ويتحلين الى غير ذلك مما تقدم من زينتهن فكيف بهن في العيدين والرجال أيضا يتجملون بما لا يجوز لهم فتقع الفتن وتتلوث القلوب وهم قد خرجوا القربة فآل الامر الى ضدها وفي هذا البناء أمور أخر منها أن البابين المفتوحين لا باب عليهما فيبقى ذلك المكان مأوى لما لا ينبغي من قطاع الطريق واللصوص وغيرهما ممن يفعل القبائح المتوقعة فيها وقد قيل من العصمة أن لا تجد فاذا كان الانسان يهم بالمعصية ولا يجد من يوقعها معه ولا يجد موضعا فهذا نوع من العصمة فاذا وجد الموضع متيسرا كان ذلك تيسيرا للمعصية لمن أرادها والموضع موضع عبادة فينبغي أن ينزه عن هذا فيترك مكشوفا لا بناء فيه فان كان لا يقدر على ازالة ما فيه من البنيان فيترك الصلاة فيما حواه البنيان ويصلي خارجا عنه في البراح فهو الاولى والافضل في حقه بل المتعين اليوم لكن السنة أن لا ينصرف بعد الصلاة حتى يفرغ الامام من خطبته وان كان لا يسمعها كما تقدم في الانصات لخطبة الجمعة وهذا كله من مكائد ابليس يأتي الى مواضع القرب فيدس فيها دسائس حتى ترجع الى الضد من ذلك نسأل الله العافية بمنه

﴿فصل في التكبير عند الخروج الى المصلى﴾ والسنة الماضية أن يكبر عند خروجه الى المصلى ان

كان ذلك عند طلوع الشمس أو قرب طلوعها فان كان قبل ذلك وأتى الى المصلى لاجل بعد منزله فليس عليه تكبير حتى يدخل الوقت المذكور على المشهور وقيل يشرع له التكبير من بعد طلوع الفجر وبعد صلاة الصبح اذا خرج فى وقته ذلك (والسنة المتقدمة) أن يجهر بالتكبير فيسمع نفسه ومن يليه والزيادة على ذلك حتى يعقر حلقه من البدع اذ أنه لم يرد عن النبى صلى الله عليه وسلم الا ماذكر ورفع الصوت بذلك يخرج عن حد السمت والوقار ولا فرق فى ذلك أعنى فى التكبير بين أن يكون اماما أو مؤذنا أو غيرهما فان التكبير مشروع فى حقهم أجمعين على ماتقدم وصفه الا النساء فان المرأة تسمع نفسها ليس الا بخلاف مايفعله بعض الناس اليوم فكأن التكبير انما شرع فى حق المؤذنين دون غيرهم فتجد المؤذنين يرفعون أصواتهم بالتكبير كما تقدم وأكثر الناس يستمعون لهم ولا يكبرون وينظرون اليهم كأن التكبير ماشرع الا لهم وهذه بدعة محدثة ثم انهم يمشون على صوت واحد وذلك بدعة لان المشروع انما هو أن يكبر كل انسان لنفسه ولا يمشى على صوت غيره (ومما) أحدثوه من البدع أيضا وقودهم القناديل فى طريق الامام عند خروجه الى صلاة الصبح يوم العيد ومما أحدثوه أيضا أنهم يأتون الى باب دار الامام قبل صلاة الصبح يوم العيد فاذا اجتمعوا وخرج عليهم الامام شرعوا فى التكبير على ماوصفنا من رفع الصوت به الخارج عن الحد المشروع فيمشون معه بالتكبير حتى يصلوا الى قرب المحراب فيتشوش من فى المسجد كما تقدم وحينئذ يقطعون التكبير ويأخذون فى الصلاة فاذا فرغوا من صلاة الصبح خرجوا مع امامهم بالتكبير على ماتقدم ذكره والناس سكوت لا يكبرون وهذا وان كان التكبير سنة ففعلهم ذلك محرم على مايعلم من زعقات المؤذنين من البدع وكذلك تكبيرهم على صوت واحد وكذلك سكوت الناس لاجل استماعهم وتركهم التكبير لانفسهم فهذه ثلاث بدع معارضة لسنة التكبير على ماتقدم من أنه يكبر كل من خرج الى صلاة العيد من الرجال كان اماما أو مؤذنا أو غيرهما يسمع بذلك نفسه ومن يليه وفوق ذلك قليلا ولا يرفع صوته حتى يعقر حلقه لان ذلك محدث وقد تقدم أن أحسن اللباس وأفضله البياض فينبغى للامام أن يكون أفضل القوم حتى فى ملبسه وزيه على ماتقدم فى اللباس فى الجمعة بشرطه (وينبغى) أن لا يقدم الصلاة فيوقعها فى الوقت المنهى عن ايقاع الصلاة فيه وبعض الائمة يفعلون هذا وذلك منهى عنه لان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس حتى ترتفع وعند الغروب حتى تغيب فيوقع بعضهم الصلاة عند بزوغ الشمس وهو موضع النهى فيخرج الى فعل يرفيقع فى ضده نعوذ بالله من ذلك (وبعض الناس) يفعلون ضد هذا فيؤخرون صلاة العيد حتى تدحن الشمس وهو خلاف السنة أيضا لان السنة وردت فى انخارج الى المصلى أن يعجل الأوبة الى أهله لانه ان كان فى عيد الاضحى فيضحى لهم ان كان ممن يضحى حتى يفطروا على أضحيتهم وان كان فى عيد الفطر فيأكلون معه وان كانوا قد أفطروا قبل خروجهم الى المصلى على تمرات أو الماء كما وردت السنة والغالب على كثير من الناس العيال والاولاد فيبقون متشوفين منتظرين له وقد تقدم هذا المعنى واذا كان ذلك كذلك فالافضل مابين هذين وهو الوسط فالمختار أن لا يصلى عند طلوع الشمس لما تقدم من نهيه عليه الصلاة والسلام عن ذلك ولا يؤخرها حتى ترتفع الشمس (فاذا) خرج الامام الى الصحراء وخطب فليكن بالارض لا على المنبر فانه بدعة (قال) الشيخ الامام أبو طالب المكى رحمه الله فى كتاب القوت له روينا ان مروان لما أحدث المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدرى فقال يامروان ماهذه البدعة فقال انها ليست ببدعة هى خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لا صليت

وراءك اليوم فانصرف ولم يصل معه صلاة العيد انتهى (فان) فعل وخطب على المنبر فقد مضت السنة فى خطبة الجمعة أن يكون الامام وحده على المنبر دون غيره (وقد) أحدثوا فى منبر العيد اليوم بدعة أكثر من جلوس الرئيس مع الامام على المنبر فى الجمعة لانهم زادوا أن الخطيب اذا خطب فى صلاة العيد امتلأ المنبر كله من المؤذنين وغيرهم يرتصون عليه وكذلك فيما فوق المنبر (وينبغى) له اذا خطب أن يوجز فى خطبته ولا يطيلها فان التطويل هاهنا أشد كراهة منه فى الجمعة لما تقدم ذكره من انتظار الاهل لهم فى العيدين والله أعلم

﴿فصل فى التحفظ من النجاسة فى المصلى﴾ ويتعين على الامام وغيره ممن يصلى فى المصلى التحفظ من الصلاة على موضع فيه نجاسة غير معفو عنها سيما ان كان الموضع مما تطأه الخيل والدواب فلا شك فى نجاسته سيما وايقاع الصلاة يكون فى أول النهار قبل أن تنزل الشمس على الارض فتنشف تلك الرطوبة فمن صلى عليها تنجس ما أصيب من بدنه أو ثيابه وان فرش عليها شيأ يصلى عليه تنجس فلا يصلى عليه بعد ذلك حتى يغسله وقد تكون الصلاة على موضع قبور وقد ذكره علماؤنا رحمة الله عليهم الصلاة عليها دون حائل الا أن تكون المقبرة جديدة لم تنبش بعد وقيل هى مكروهة مطلقا فى الجديدة والقديمة الا على حائل والله أعلم

﴿فصل فى سلام العيد﴾ قد اختلف علماؤنا رحمة الله عليهم فى قول الرجل لأخيه يوم العيد تقبل الله منا ومنك وغفر لنا ولك على أربعة أقوال جائز لانه قول حسن مكروه لانه من فعل اليهود مندوب اليه لانه دعاء ودعاء المؤمن لأخيه مستحب الرابع لا يبتدئ به فان قاله أحد رد عليه مثله واذا كان اختلافهم فى هذا الدعاء الحسن مع تقدم حدوثه فما بالك بقول القائل عيد مبارك مجردا عن تلك الالفاظ مع انه متأخر الحدوث فمن باب أولى أن يكره وهو ومثل قولهم يوم مبارك وليلة مباركة وصبحك الله بالخير ومساك بالخير وقد ذكره علماؤنا رحمة الله عليهم كل ذلك وقد تقدم بعضه (وأما المعانقة) فقد كرهها مالك وأجازها ابن عيينة أعنى عند اللقاء من غيبة كانت (وأما) فى العيد لمن هو حاضر معك فلا (وأما) المصافحة فانها وضعت فى الشرع عند لقاء المؤمن لأخيه (وأما) فى العيد على ما اعتاده بعضهم عند الفراغ من الصلاة يتصافحون فلا أعرفه (لكن) قال الشيخ الامام أبو عبد الله بن النعمان رحمه الله انه أدرك بمدينة فاس والعلماء العاملون بعلمهم بها متوافرون انهم كانوا اذا فرغوا من صلاة العيد صافح بعضهم بعضا فان كان بساعده النقل عن السلف فيا حبذا وان لم ينقل عنهم فتركه أولى

﴿فصل فى خروج النساء الى صلاة العيد﴾ قد تقدم ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر النساء بالخروج الى صلاة العيد فى المصلى حتى الحيض وربات الخدور وذلك محمول على ما كان عليه فى وقته عليه الصلاة والسلام من التستر وترك الزينة والصيانة والتعفف وان مروطهن تجر خلفهن من شبر الى ذراع وبعدهن من الرجال وقد قالت عائشة رضى الله عنها لو علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد كما منعه نساء بنى اسرائيل واذا كان ذلك كذلك فيتعين منعهن فى هذا الزمان على كل حال لما فى خروجهن من الفتن التى لا تكاد تخفى وما يتوقع من ضد العبادة المأمور بها

﴿فصل فى انصراف الناس من صلاة العيد﴾ قد تقدم ان السنة فى الخروج الى صلاة العيدين سرعة الاوبة الى الاهل فلا يشتغل بزيارة القبور وله أن يزور اخوانه من الاحياء لكن ان كان له أهل فليبدأ بهم ويزيل تشوفهم اليه ثم بعد ذلك يمضى لما يختاره من زيارة من ذكر وان لم يكن له أهل فليمض الى

اخوانه ومعارفه المتقين من الاولياء والصالحين للتبرك برؤيتهم والتماس الدعاء منهم لكن يتحرى وقت زيارتهم اذ أن الغالب من اخوانه انهم يضجون والسنة فيها أن يتولى المكلف ذلك بنفسه فاذا خرج الوقت الذى هو معد للذبح غالبا فليمش عليهم كما تقدم ذكره وان علم ان فيهم من لم يذبح فله أن يأتى اليه فى أى وقت شاء لعدم المانع

﴿فصل فى صلاة العيد فى المسجد﴾ فان صليت صلاة العيد فى المسجد لاجل ضرورة المطر أو غيره من الاعذار الشرعية فالسنة فيها كما تقدم فى المصلى لكن فى المسجد يخفضون أصواتهم أكثر مما ذكر فى البرية تنزيها للمسجد من رفع الاصوات فيه كما تقدم ولابد من الخطبة بعد الصلاة وينبغى أن يكون النساء بمعزل بعيد عن الرجال بخلاف ما هن اليوم يفعلنه لانهن يخالطن الرجال فى الغالب فتجد المسجد غالبه مملوء يوم العيد بالنساء وغالب خروجهن على ما يعلم كما تقدم غير مرة ولو منعهن الخروج لكان أحسن بل هو المتعين فى هذا الزمان ويتعين عليه أن يتقدم الى الوعاظ الذين يعملون فى المسجد فيمنعهم من الكلام وقد تقدم منعه فى حق الرجال ففى حق النساء من باب أولى اذ ان مفاسدهن تزيد على مفاسد الرجال وقد تقدم منع الوعاظ من المسجد مطلقا

﴿فصل فى التكبير اثر الصلوات الخمس فى أيام العيد﴾ وقد مضت السنة ان أهل الآفاق يكبرون دبر كل صلاة من الصلوات الخمس فى أيام اقامة الحج بمنى فاذا سلم الامام من صلاة الفرض فى تلك الايام كبر تكبيرا يسمع نفسه ومن يليه وكبر الحاضرون بتكبيره كل واحد يكبر لنفسه ولا يمشى على صوت غيره على ما وصف من أنه يسمع نفسه ومن يليه فهذه هى السنة (وأما) ما يفعله بعض الناس اليوم من أنه اذا سلم الامام من صلاته كبر المؤذنون على صوت واحد على ما يعلم من زعقاتهم فى المآذن ويطيلون فيه والناس يستمعون اليهم ولا يكبرون فى الغالب وان كبر أحد منهم فهو يمشى على أصواتهم وذلك كله من البدع اذ أنه لم ينقل أن النبى صلى الله عليه وسلم فعله ولا أحد من الخلفاء الراشدين بعده وفيه اخراق حرمة المسجد برفع الاصوات فيه والتشويش على من به من المصلين والتالين والذاكرين

﴿فصل فى صلاة التراويح فى المسجد﴾ قد ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى رمضان فى المسجد ثلاث ليال فلما ان اجتمعوا جلس فى الرابعة ولم يخرج اليهم فلما ان أصبح قال عليه الصلاة والسلام قد عرفت الذى رأيت من صنيعكم ومامنعنى من الخروج اليكم الا خشية أن تفرض عليكم (فلما) أن مضى لسبيله عليه الصلاة والسلام أمن مما ذكر من الفرض على الامة (فلما) أن ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة وتفرغ للنظر فى مثل هذه الاشياء وكان الصحابة رضوان الله عليهم يقومون فى ليالى رمضان أوزاعا متفرقين قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو جمعتهم على قارئ واحد لكان أحسن فجمعهم على أبى بن كعب رضى الله عنه فخرج عليهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ليلة أخرى وهم يصلون على ما أمرهم به فقال نعمت البدعة هذه والتى ينامون عنها أفضل وقد تقدم ذكر أصل فعلها وما كان كذلك فلا يكون بدعة (وانما) عنى بذلك والله أعلم أحد أمرين أحدهما جمعهم على قارئ واحد الثانى أن يكون أراد بذلك قيامهم أول الليل دون آخره وأما الفعل فى نفسه فهو سنة لا يختلف فيه (وما) قاله عمر بن الخطاب رضى الله عنه فانما هو محمول على غيرهم لا عليهم اذ أنهم رضى الله عنهم جمعوا بين الفضيلتين من قيام أول الليل وآخره ألا ترى الى ما حكاه مالك رحمه الله فى موطئه انهم كانوا اذا انصرفوا من صلاة التراويح استعجلوا الخدم بالطعام مخافة الفجر وكانوا يعتمدون على العصى من طول القيام فقد حاز وا رضى الله عنهم الفضيلتين معا

قيام أول الليل وآخره فعلى منوالهم فانسج ان كنت متبعا فان المحب لمن يحب مطيع * وهم سادتنا وقدوتنا الى ربنا فينبغي لنا الاتباع لهم والاقتفاء لآثارهم المباركة لعل بركة ذلك تعود على المتبع لهم (لكن) هذا قد تعذر في هذا الزمان في الغالب أعني قيام الليل كله في المسجد لما يختلط به مما لا ينبغي واذا كان ذلك كذلك فيتعين على المكلف اليوم أن لا يخلي نفسه من هذه السنة البتة بل يفعلها في المسجد مع الناس على ما هم يفعلون اليوم من التخفيف فيها فاذا فرغوا ورجع الى بيته فينبغي له أن يغتنم بركة اتباعهم في قيام الليل الى آخره ان أمكنه ذلك فيصلي في بيته بمن تيسر معه من أهله أو وحده فتحصل الفضيلة الكاملة ان شاء الله تعالى ويكون وتره آخرا تنفله اقتداء بهم (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى حين كان يصلي مع الناس في المسجد وكان الامام ممن يوتر بثلاث لا يفصل بينهما بسلام أما أنا فاذا أوتروا خرجت وتركتهم فللانسان بمالك رحمه الله اسوة في ترك الوتر معهم حتى يوتر في بيته بعد تنفله آخر الليل الا أن يكون ممن يحتاج الى النوم اذا أتى الى بيته ويخاف أن يستغرقه الى طلوع الفجر فلا يغرر ويترك الوتر بعد نومه وليوقعه قبله فان أدرك من آخر الليل شيأ قامه ولم يعد وتره على المشهور من مذهب مالك رحمه الله وان لم يدرك شيأ فقد حصل له الوتر في وقته ولا حرج عليه (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يصلي في المسجد مع الناس صلاة القيام ويوتر معهم فاذا رجع الى بيته صلى ما قدر له ولا يعيد الوتر وكان رحمه الله يقول ان شيخه سيدي الشيخ أبا الحسن الزيات رحمه الله كان يفعل ذلك (وكان) سيدي أبو محمد رحمه الله يقول ينبغي للمكلف انه اذا صلى المغرب يجعل فطره ثم يقوم فيصلي بحزب بين ونصف أو أكثر قبل العشاء ثم يخرج فيصلي مع الناس القيام ويوتر معهم ثم اذا رجع الى بيته صلى لنفسه بحزب بين ونصف أو أكثر فيجتمع له من ذلك ثمن الختمة أو أكثر منه في الغالب ثم ينام ما قدر له ثم يقوم ليتهجد فيصلي ما تيسر له مما بقي عليه من الليل (فان) قال قائل قد قررتم ان قيام رمضان في المسجد سنة فما وجه ترك أبي بكر لها (فالجواب) ان أبا بكر رضي الله عنه كان مشتغلا بما هو أعظم من ذلك وأهم في الدين وهو قتال أهل الردة ومانعي الزكاة وبعث الجيوش الى الشام وغير ذلك وما جرى له مع مسيلمة الكذاب وغيره وتراكم الفتن عند انتقال النبي صلى الله عليه وسلم مع شغله بجمع القرآن وتدوينه مع قصر مدته رضي الله عنه فلم يتفرغ لما تفرغ له أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فبان ما ذكرناه والله الموفق

﴿فصل في صفة الامام في قيام رمضان﴾ وينبغي أن يكون من أهل العلم والخير والديانة بخلاف ما يفعله بعضهم اليوم لان الغالب منهم انهم انما يقدمون الرجل لحسن صوته لا لحسن دينه وقد قال مالك رحمه الله في القوم يقدمون الرجل ليصلي بهم لحسن صوته انما يقدموه ليغني لهم وهذا اذا كان على ما يعلم من الترتيب في القراءة ووضعها على الطرائق التي اصطلحوا عليها التي تشبه الهنوك وأما لو قدموه لدينه وحسن صوته وقراءته على المنهج المشروع فلا شك أن هذا أفضل من غيره (وينبغي) أن لا يقدم للامامة الا من تطوع بها دون من يأخذ عليها عوضا فان لم يوجد الا به فقيل تباح وقيل تكره وهي في الفريضة أشد كراهة (وأجاز ذلك) الشافعي رحمه الله تعالى من غير كراهة (وقال) الاوزاعي الصلاة خلفه باطلة (وكره ذلك) أبو حنيفة وأصحابه (وينبغي) للامام كما تقدم غير مرة أن يكون أفضل القوم ومن جملة فضيلته أن لا يتقدم لالعوض يأخذه على صلاته فان كان ثم عوض فينبغي له أن لا ينظر اليه وان يصلي هو لله تعالى لا لغيره ويترك النظر للعوض فان جاءه شيء وكان محتاجا اليه قبله لضرورته وهذا عام في الفرض والنفل وان لم يكن محتاجا اليه وأخذه وتصدق

به فلا بأس بذلك (وقد) كان بجامع مصر بعض الفضلاء من الائمة يصلي بالناس فيه وكان بعض الفضلاء من المغاربة يجيء المسجد بعد سلام الامام من صلاته فيصلي في آخر المسجد لنفسه فيصلي بصلاته ناس ثم كذلك حتى علم به الناس فرجع أكثرهم وتركوا الصلاة خلف الامام الاصلي وصلوا خلف هذا لاعتقادهم فيه فتشوش الامام من ذلك لقلة من يصلي خلفه وكثرة من يصلي خلف الآخر فاجتمع به وسأله ما يمنعه من الصلاة خلفه فأخبره أنه يأخذ على صلاته أجرة فقال له والله ما أكلت منها شيأ قط ولكني أتصدق بها فقال له الآن أصلي خلفك فرجع فصلى خلفه (فاذا) أخذ العوض لا لنفسه بل لغيره فلا حرج عليه ان شاء الله تعالى وانما المكروه أن يأخذه لنفسه والذي يتبين به ذلك ويتضح أنه اذا قطع عنه العوض فان تبرم وتضجر أو ترك الامامة فلا شك في كراهة ذلك في حقه وان بقي على ما كان عليه من الملازمة والسكوت والرضا فلا يضره ما أخذه ان شاء الله تعالى والحاصل من هذا تقدم في حال العالم في أخذه الجامكية على التدريس وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية فاغنى عن اعادته

﴿فصل في الذكر بعد التسليمتين من صلاة التراويح﴾ وينبغي له أن يتجنب ما أحدثوه من الذكر بعد كل تسليمتين من صلاة التراويح ومن رفع أصواتهم بذلك والمشي على صوت واحد فان ذلك كله من البدع (وكذلك) ينهى عن قول المؤذن بعد ذكرهم بعد التسليمتين من صلاة التراويح الصلاة يرحمكم الله فانه محدث أيضا والحدث في الدين ممنوع وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ثم الخلفاء بعده ثم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ولم يذكر عن أحد من السلف فعل ذلك فيسعنا ما وسعهم

﴿فصل فيما يفعل في ليلة الختم﴾ وينبغي له أن يتجنب ما أحدثه بعضهم في الختم من أنهم يقومون في ليالي رمضان كلها في الغالب بحزبين فأقوتهما فاذا كانت ليلة الختم التي ينبغي أن يزاد فيها على القيام المعهود لفضيلتها فيصلي بعضهم فيها بنصف حزب ليس الا وهو من سورة والضحى الى آخر الختمة وكان السلف رضوان الله عليهم يقومون تلك الليلة كلها فجاء هؤلاء ففعلوا الضد من ذلك كما تقدم

﴿فصل في صفة قيام العشر الاواخر من شهر رمضان﴾ وينبغي للمكلف أن يمتثل السنة في قيام العشر الاواخر من شهر رمضان اذ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاواخر طوى فراشه وشد مئزره وأيقظ أهله وأحيا الليل كله وهذه سنة قد تركت في الغالب في هذا الزمان فتجد بعضهم يقومون من أول الشهر فاذا دخل العشر الاواخر تركوه لانهم يختمون في أوله أو في أثنائه ثم لا يعودون للقيام بعد ختمهم وهذه بدعة ممن فعلها وهي مصادمة لفعله عليه الصلاة والسلام وان قام بعضهم فيه الشيء القليل مع أنه قد أحيا بعضهم هذا العشر في المسجد الجامع وهي سنة حسنة لو سلمت مما طرأ عليها من المفاسد فمنها أن الائمة يأخذون عليها عوضا معلوما الثاني أن المسجد يبقى في ظلام الليل مفتوح الابواب يدخل اليه منها من يقوم ومن لا يقوم وظلام الليل يستر هم فلو كان من وقف على الائمة وقف على زيت يعم المسجد كله بضوئه وعلى رجال يطوفون بالمسجد طول ليلهم فمن رأوه فيه في غير عبادة أخرجوه لكان ذلك حسنا وأما مع عدم هذا فمفاسده كثيرة وفي التلويح ما يغني عن التصريح أسأل الله السلامة بمنه

﴿فصل في الخطبة عقب الختم﴾ والخطب الشرعية معروفة مشهورة ولم يذكر فيها خطبة عند ختم القرآن في رمضان ولا غيره واذا لم تذكر فهي بدعة ممن فعلها سيما ان كان الموضع معروفا مشهورا مثل أن يكون المسجد الجامع او يكون المسجد منسوبا الى عالم أو معروف بالخير والصلاح أو يكون منسوبا الى المشيخة الى غير ذلك ففعل ذلك فيه أشد كراهة لاقتداء كثير من عامة الناس به وان كان ذلك

ممنوعا فى حق المساجد كلها لكن يتأكد المنع فى حق من يقتدى به (وينبغى له) أن يتجنب ما أحدثوه
بعد الختم من الدعاء برفع الاصوات والزعقات قال الله تعالى فى محكم كتابه العزيز ادعوا ربكم تضرعا
وخفية وبعض هؤلاء يعوضون عن التضرع والخفية بالعياط والزعقات وذلك مخالف للسنة المطهرة
(وقد) سئل بعض السلف رضى الله عنهم عن الدعاء الذى يدعو به عند ختم القرآن فقال أستغفر
الله من تلاوتى اياه سبعين مرة (وسئل غيره) عن ذلك فقال أسأل الله أن لا عقتنى على تلاوتى (وقد
قالت) عائشة رضى الله عنها كم من قارئ يقرأ القرآن والقرآن يلعنه يقول ألا لعنة الله على الظالمين
وهو ظالم اه (ولا) يظن ظان ان الظلم انما هو فى الدماء أو الاعراض أو الاموال بل هو عام اذ قد
يكون ظالما لنفسه فيدخل اذ ذاك تحت الوعيد (وبالجملة) فالموضع موضع خشوع وتضرع وابتهال
ورجوع الى المولى سبحانه وتعالى بالتوبة مما قارفه من الذنوب والسهو والغفلات وتقصير حال
البشرية فينبغى أن يبذل العبد جهده كل على قدر حاله ومرتبته (ومن) دعائه عليه الصلاة والسلام
قوله اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك (ومن ذلك) قوله عليه الصلاة والسلام اللهم
أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى
(ومن ذلك) الدعاء الذى علمه جبريل عليه السلام لآدم عليه السلام حيث قال له قل اللهم تمم على
النعمة حتى تهنئنى المعيشة وحسن لى العاقبة حتى لا تضرنى ذنوبى وخلصنى من شبائك الدنيا وكل
هول فى القيامة حتى تدخلنى الجنة بسلام (ومن ذلك) ما رواه مالك رحمه الله فى موطئه عنه عليه
الصلاة والسلام انه كان من دعائه عليه الصلاة والسلام اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات
وحب المساكين واذا أردت بالناس فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون (وقد) قال الامام أبو حامد الغزالى
رحمه الله فى كتابه المسمى بالاذكار والدعوات مر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله
تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمى يدعو ومايزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم
القيامة اللهم وفقنا للخير والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف ببركة دعائه (وقال)
بعضهم ادع الله بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق (وقيل) ان العلماء والابدال
لا يزيد أحدهم فى الدعاء على سبع كلمات فما دونها (ويشهد له) آخر سورة البقرة فان الله لم يخبر
فى موضع من أدعية عباده بأكثر من ذلك انتهى (هذا) هو المستحب فى الجماعات أو من كان فى موضع
من موضع العبادات (وأما) ان كان الانسان وحده أو فى جماعة يؤثرون تطويل دعائه فالمستحب
أن يمضى فيه لقوله عليه الصلاة والسلام ان الله يحب الملحين فى الدعاء اه (وهذا) فى غير المسجد
ويجوز فى المسجد بشرط أن لا يكون الجهر والتطويل بالدعاء عادة (فالحاصل) من هذا أنه يمضى
فيما فتح له فيه فى أى وجهة كانت من صلاة أو صوم أو علم أو دعاء أو تضرع أو ابتهال أو خشوع حتى
انهم قد قالوا لو أخذه الخشوع فى صلاة النافلة فله أن يمضى فى ذلك ولو يختم الختمة فى ركعة واحدة وكذلك لو
وجد الخشوع فى آية واحدة فانه يكررها مادام على ذلك حتى الصباح ولا يقطعها الا لفرض تعين
وكذلك اذا فتح له فى الدعاء فالمستحب فى حقه أن لا يقطعه أيضا فمن له عقل فليرجع الى عمل السلف
رضى الله عنهم ويترك الحدث فى الدين والله المستعان قال الشيخ الجليل أبو بكر محمد بن الوليد الفهرى
المشهور بالطرطوشى رحمه الله فان قيل هل يأثم فاعل ذلك (فالجواب) أن يقال ان كان ذلك على
وجه السلامة من اللغط ولم يكن الا الرجال أو الرجال والنساء منفردين بعضهم عن بعض يسمعون
الدعاء فهذه البدعة التى كرهها مالك رحمه الله وأما ان كان على الوجه الذى يجرى فى هذا الزمان من

٣ وغالبه كما فى الجامع الصغير واجعل الموت راحة لى من كل شر اه

اختلاط

اختلاط الرجال والنساء ومصادمة أجسادهم ومزاحمة من فى قلبه مرض من أهل الريب ومعانقة بعضهم لبعض كما حكى لنا أن رجلا وجد رجلا بأمرأته وهم وقوف فى زحام الناس وحكت لنا امرأة أن رجلا واقعها فى حال بينهما الا الثياب وأمثال ذلك من الفسق واللغط فهذا فسوق ففسق الذى كان سببا فى اجتماعهم (فان قيل) أليس قد روى عبد الرزاق فى التفسير أن أنس بن مالك رضى الله عنه كان اذا أراد أن يختم القرآن جمع أهله (قلنا) فهذا هو الحجة عليكم بأنه كان يصلى فى بيته ويجمع أهله فأين هذا من تلفيق الخطب على رؤس الاشهاد وتخليط الرجال والنساء والصبيان والغوغاء وتكثر الزعقات والصياح ويختلط الامر ويذهب بهاء الاسلام ووقار الايمان (وأيضا) فانه ماروى أنه دعا وانما جمع أهله فحسب (ولما) روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع رجلا يقول ياحبذا صفرة ماء ذراعيها لما كان قد توضأت به امرأة فبقى فيه من أثر الزعفران فعلاه بالدرة (وروى) أنه نهى أن يجلس الرجل فى مجلس المرأة عقب قيامها وكل من قال بأصل الذرائع يلزمه القول بهذا الفرع ومن أبى أصل الذرائع من العلماء يلزمه انكاره لما يجرى فيه من اختلاط الرجال والنساء اه

﴿فصل فى القيام عند ختم سجدات القرآن﴾ وينبغى له أن يتجنب ما أحدثه بعضهم من البدع عند ختم وهو أنهم يقومون بسجدات القرآن كلها فيسجدونها متوالية فى ركعة واحدة أو ركعات فلا يفعل ذلك فى نفسه وينهى عنه غيره اذ أنه من البدع التى أحدثت بعد السلف وبعضهم يبدل مكان السجدات قراءة التهليل على التوالى فيكمل آية فيها ذكر لا اله الا الله أو لا اله الا هو قرأها الى آخر الخاتمة وذلك من البدع أيضا

﴿فصل فى قيام السنة كلها﴾ قال الباجى رحمه الله فى شرح الموطأ ان هذا القيام الذى يقوم الناس به فى رمضان فى المساجد هو مشروع فى السنة كلها يوقعونه فى بيوتهم وهو أقل ما يمكن فى حق القارئ وانما جعل ذلك فى المساجد فى رمضان لكى يحصل لعامة الناس فضيلة القيام بالقرآن كله وسماع كلام ربهم فى أفضل الشهور انتهى ولكونه أنزل فيه القرآن جملة واحدة الى سماء الدنيا ولكون جبريل عليه السلام كان يدارس القرآن النبى صلى الله عليه وسلم فيه فلاجل هذه الوجوه وما شابهها ناسب محافظة جميع الناس على قيامه وان كان القيام فى السنة كلها مشروعا لمن حفظ القرآن ومن لم يحفظه فمن حفظه قام به فى بيته جهرا ولا يقوم به فى المسجد أعنى فى جماعة كما فى رمضان وغير الحافظ يستحب له أن يصلى عدد الركعات بأم القرآن وبما تيسر معها من السور فى بيته أيضا هذه هى السنة الماضية فى الامة خلافا لما فعله بعض الناس من أنه جعل القيام المعهود فى رمضان دائما فى زاويته فى جميع السنة ثم نقلت عنه واشتهرت فصارت تعمل فى بعض المواضع المشهورة (وقد) قال ابن حبيب وغيره من العلماء انهم يمنعون من ذلك فى المساجد وفى كل موضع مشهور وكذلك لو تواعدوا على انهم يجمعون فى موضع مشهور فانهم يمنعون منه فان فعلوا فهى بدعة ممن فعلها (وقد) قال عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه فيما تقدم نعمت البدعة هذه يعنى فى جمعهم على قارئ واحد فى رمضان على ما تقدم بيانه فذكره رضى الله تعالى عنه ذلك للتنبيه على أن من فعله على تلك الصفة فى غير شهر رمضان فانه بدعة

﴿فصل فيما يفعلونه بعد ختم مما لا ينبغى﴾ قد تقدم أن الدعاء بعد الصلاة يستحب على الصفة المذكورة قبل وعند ختم مثله (قال مالك) فى المدونة الامر فى رمضان الصلاة وليس بالقصص فى الدعاء (قال الطرطوشى) رحمه الله فقد نهى مالك أن يقص أحد بالدعاء فى رمضان وحكى أن الامر

المعمول به فى المدينة القراءة من غير قصص ولا دعاء (ومن المستخرجة) عن ابن القاسم قال سئل مالك عن الذى يقرأ القرآن فيختمه ثم يدعو قال ما سمعت انه يدعو عند ختم القرآن وما هو من عمل الناس (ومن) مختصر ما ليس فى المختصر قال مالك لا بأس أن يجتمع القوم فى القراءة عند من يقرئهم أو يفتح على كل واحد منهم فيما يقرأ قال ويكره الدعاء بعد فراغهم (وروى) ابن القاسم أيضا عن مالك أن أبا سلمة بن عبد الرحمن رأى رجلا قائما يدعو رافعا يديه فأنكر ذلك وقال لا تقلصوا تقليص اليهود قال مالك التقليص رفع الصوت بالدعاء ورفع اليدين (وروى) ابن القاسم أيضا قال سئل مالك عما يعمل الناس به من الدعاء حين يدخلون المسجد وحين يخرجون ووقوفهم عند ذلك فقال هذا من البدع وأنكر ذلك انكارا شديدا (قال) بعض أصحابنا انما عنى بهذا الوقوف للدعاء فأما الدعاء عند دخوله وخروجه ماشيا فانه جائز وقد وردت فيه آثار عن النبى صلى الله عليه وسلم (وسئل مالك) عن الرجل يدعو خلف الصلاة قائما قال ليس بصواب ولا أحب لأحد أن يفعله (وذكر) ابن شعبان فى كتابه عقب ذكره جملا من هذه الامور المحدثة قال انما كرهه مالك خيفة أن يلحق بما يجب فعله حتى يتخذ أمرا ماضيا وما لنا نقدر ذلك بل قد وجدنا ما كنا نحذر فأكثر المسلمين اليوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما شرع قيام رمضان على هذا الوجه وان ترك ذلك بدعة مع القطع بان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يجمع فى رمضان الا ليلتين اه فاذا تقرر هذا من مذهب الامام مالك رحمه الله تعالى فاعلم أن الكراهة المذكورة محمولة على الجهر ورفع الصوت فى جماعة وأما الدعاء فى السر فهو جائز او مندوب بحسب الحال وعلى هذا درج السلف والخلف رضى الله عنهم (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله اذا ختم عنده فى شهر رمضان فى المسجد فى جماعة لم يزد على ما يعهد منه خلف المكتوبة شيأ وكنا لا نعرف دعاءه بعد الصلاة الا حين يرمق السماء بعينيه وهذا ضد ما يفعلونه فى هذا الزمان عقب الختم من قراءة القصائد والكلام المسجع حتى كأنه يشبه الغناء لما فيه من التطريب والهذرمة وخلوه من الخشوع والتضرع والابتهال للمولى الكريم سبحانه وتعالى قال عز وجل فى كتابه العزيز أمن يجيب المضطر اذا دعاه ولم يقل أمن يجيب القوال وقد جمع ذلك من البدع أشياء جملة يعرفها من له اطلاع على فعل السلف الماضين فان خير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وما مضى عليه سلف الامة الماضين رضى الله عنهم أجمعين (واذا) كان ذلك كذلك فيتعين عليه أن يمنع ما يفعله بعض الناس بعد الختم وما انضاف اليه مما لا ينبغى (فمن ذلك) اجتماع المؤذنين تلك الليلة فى موضع الختم فيكبرون جماعة فى حال كونهم فى الصلاة لغير ضرورة داعية الى المسمع الواحد فضلا عن جماعة بل بعضهم يسمعون وليس فى صلاة وهذا فيه ما فيه من القبح والمخالفة لسنة السلف الماضين وقد تقدم ذلك ويؤذنون أيضا كذلك (ثم) انهم زادوا على ذلك اذا خرج القارئ من الموضع الذى صلى فيه أتوه ببغلة أو فرس ليركبها ثم تختلف أحوالهم فى صفة ذهابه الى بيته (فمنهم) من يقرأ القرآن بين يديه كما هم يفعلونه أمام جنائزهم وأمامهم المدير على عادتهم الذميمة والمؤذنون يكبرون بين يديه كتكبير العيد (قال) القاضى أبو الوليد بن رشد رحمه الله تعالى كره مالك قراءة القرآن فى الاسواق والطرق لوجوه ثلاثة (أحدها) تنزيه القرآن وتعظيمه من أن يقرأ وهو ماش فى الطرق والاسواق لما قد يكون فيها من الاقذار والنجاسات (والثانى) أنه اذا قرأ القرآن على هذه الاحوال لم يتدبره حق التدبر (والثالث) لما يخشى أن يدخله ذلك فيما يفسد نيته انتهى (ومنهم) من يعوض عن ذلك بالفقراء الذاكرين بين يديه (ومنهم) من يعوض عن ذلك بالاغانى وهو أشدها وان كانت

كلها ممنوعة (و بعضهم) يضيف الى ذلك ضرب الطبل والابواق والدف (و بعضهم) الطار والشبابة في بيته (و بعضهم) يجمع ذلك كله أو اكثره ويحضر اذ ذاك من اللهو واللعب تلك الليلة ما هو ضد المطلوب فيها من الاعتكاف على الخير وترك الشر وترك المباهاة والفخر وغير ذلك مما شاكله ثم انهم يعملون أنواعا من الاطعمة والحلاوات فسبحان الله ما أضر البدع وما أكثر شؤمها (حتى) لقد رأيت بعض المشايخ عمل لولده ختما بعض ما ذكر فلما جاءت السنة الثانية سألته عن ولده في أي موضع صلى القيام فقال لي أنا منعته من القيام فقلت له ولم تفعل لان الاصحاب والاخوان والمعارف يطالبونني بالختم فأحتاج الى كلفة كثيرة (فانظر) الى شؤم البدع كيف جرت الى ترك الطاعات وترك المحافظة على حفظ الختمة لان الصبي اذا كان يصلي بالقرآن في كل سنة بقيت الختمة محفوظة عليه لم ينسها في الغالب (الا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان عاهد عليها أمسكها وان أطلقها ذهبت والغالب في الصبيان انهم لا يقومون في الليل فاذا لم يصلوا به في الليل ولم يقوموا به في رمضان والغالب من حالهم الاشتغال بامر الدنيا والاسباب التي تعوقهم عن معاهدة الختمة فيكون ذلك سببا لنسيانها الا كثرهم

﴿فصل﴾ في وقود القناديل ليلة الختم ﴿و ينبغي في ليالي رمضان كلها أن يزاد فيها الوقود قليلا زائدا على العادة لاجل اجتماع الناس وكثرتهم فيه دون غيره فيرون المواضع التي يقصدونها وان كان الموضع يسعهم أم لا والمواضع التي يضعون فيها أقدامهم والمواضع التي يمشون فيها الى غير ذلك من منافعهم (ولا يزاد) في ليلة الختم شيء زائد على ما فعل في أول الشهر لانه لم يكن من فعل من مضى بخلاف ما أحدثه بعض الناس اليوم من زيادة وقود القناديل الكثيرة الخارجة عن الحد المشروع لما فيها من اضاعة المال والسرف والخيلاء سيما اذا انضاف الى ذلك ما يفعله بعضهم من وقود الشمع وما يركز فيه فان كان فيه شيء من الفضة أو الذهب فاستعماله محرم لعدم الضرورة اليه وان كان بغيرهما فهو اضاعة مال وسرف وخيلاء (و بعضهم) يفعلون فعلا محرما وهو أنهم يعلقون ختمة عند الموضع الذي يختمون فيه (وتخلف) أحوالهم فيها فبعضهم يتخذها من الشقق الحرير الملونة (و بعضهم) من غيرها لكنها تكون ملونة أيضا و يعلقون فيها القناديل وذلك محرم وسرف وخيلاء واضاعة مال واستعمال لما لا يجوز استعماله من الحرير وغيره (و بعضهم) يجعل الماء الذي في القناديل ملونا (و بعضهم) يضم الى ذلك القناديل المذهبة أو الملونة أو هما معا وهذا كله من باب السرف والخيلاء والبدعة واضاعة المال ومحبة الظهور والقيل والقال فكيف ما زادت فضيلة الليالي والايام قابلوها بضدها أسأل الله تعالى العافية بمنه (و بعضهم) يفعلون فعلا محرما وهو أنهم يستعيرون القناديل من مسجد آخر وهو لا يجوز لان قناديل هذا المسجد وقف عليه فلا يجوز اخراجها منه ولا استعمالها في غيره (ومنهم) من يفعل ما هو أشد مما ذكر وهو أن من كان عنده فرح في طول السنة استعار القناديل من مسجد واستعملها في بيته للسماع والرقص وما شاكل ذلك ثم أفضى ما ذكر من الوقود الى اجتماع أهل الريب والشك والفسوق ومن لا يرضى حاله حتى جر ذلك الى اجتماع الرجال والنساء في موضع واحد مع اختلاط بعضهم ببعض وانضاف الى ذلك بسبب كثرة الوقود اجتماع اللصوص وتشويشهم على بعض الحاضرين وانضاف اليه أيضا كثرة اللغط في المسجد ورفع الاصوات فيه والقيل والقال اذا نه يكون الامام في الصلاة وكثير من الناس يتحدثون و يخوضون في الاشياء التي ينزه المسجد عن بعضها في غير رمضان فكيف بها في شهر رمضان العظيم فكيف بها في ليلة الختم منه فليتحفظ من هذا كله

وماشا كله جهده (وهذا) اذا كان الزيت من مال الانسان نفسه (وأما) ان كان من ريع الوقف فلا يختلف أحد فى منعه (ولو) شرط الواقف ذلك لم يعتبر شرطه (لقوله) عليه الصلاة والسلام كل شرط ليس فى كتاب الله تعالى فهو باطل وان كان مائة شرط انتهى (ولانه) من باب السرف والخيلاء وقد تقدم وهذه عادة قد استمر عليها بعض أهل الوقف سيما فى المسجد الجامع سيما فى مسجد دمشق فانهم يفعلون فيه افعالا لا تليق بسبب سكوت بعض العلماء عن ذلك فانا لله وانا اليه راجعون على انقلاب الحقائق اذ أنهم لو فعلوا ذلك وهم يعتقدون انه سرف وبدعة كما تقدم لرجيت لهم التوبة والاقلاع ولكن زادوا على ذلك اعتقادهم ان فعل ذلك من اظهار شعائر الاسلام واذا تقرر هذا عندهم فلا يتوب أحد من اظهار الشعائر وفعلها فمن أراد السلامة من هذا الأمر المخوف فليغير ذلك مهما استطاع جهده فان عدم الاستطاعة فلا يصلى فيه تلك الليلة لان بصلاته فيه يكثر سواد أهل البدع ويكون حجة ان كان قدوة للقوم بان ذلك جائز غير مكروه لقول من يقول قد كان سيدى فلان يحضره ولا يغيره فلو كان بدعة لما حضره ولا رضى به وهذا والحالة هذه زيادة فى الدين وهى مسئلة معضلة اذ أن اثم ذلك كله على من فعله أو أمر به او استحسنه أو رضى به أو أعان عليه بشئ ما أو قدر على تغييره بشروطه فلم يفعل وكذلك الحكم فى كل شئ أحدث فى الدين فليجتنب هذا جهده والله الموفق (ولاجة) لمن يقول انه مضطر للصلاة فيه لتحصيل فضيلة الجماعة اذ أن الفضيلة موجودة فى غيره من المساجد ان كان سالما مما ذكر وبتأكد الترك فى حق من هو قدوة لقول مالك رحمه الله اذا حضرت أمرا ليس بطاعة لله ولا تقدر أن تنهى عنه فنخ عنهم واتركهم لقوله عليه الصلاة والسلام لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول الحق اذا شهده أو علمه نقله ابن يونس فى كتابه (فان فرض) انه لا يجد مسجدا سالما مما تقدم ذكره فليصل فى بيته فهو أفضل له وأقرب الى رضا ربه سيما فى هذا الزمان اذ أن أقرب ما يتقرب به المتقربون الى الله سبحانه وتعالى اليوم بغض البدع ومحبة السنن والعمل عليها ومحبة أهلها وموالاتهم اذ أن هذا الفن قد اندرس الا عند من وفقه الله وقليل ماهم (وينبغى له) أن يتجنب فى نفسه وينهى غيره عما أحدثه بعضهم من احضارهم الكيزان وغيرها من أوانى الماء فى المسجد حين الختم فاذا ختم القارئ شربوا من ذلك الماء ويرجعون به الى بيوتهم فيسقونه لأهليهم ومن شاؤا على سبيل التبرك وهذه بدعة لم تنقل عن أحد من السلف رضى الله عنهم (وهذا) الذى ذكر لا يختص بليلة الختم بل هو عام فى كل ليلة فعلوا ذلك فيها مثل ما يفعلونه فى ليالى الاعياد والتهاليل والما تم وليلة النصف من شعبان وأول ليلة جمعة من رجب وآخر أربعاء من السنة التى اتخذوها لزيارة القبور فمن لم يحضر ذلك منهم كانه فاتته شعيرة من شعائر الدين وذلك كله على ما يعلم منهم من صفة خروجهم واجتماعهم رجالا ونساء وشبانا الى غير ذلك على ما تقدم فان توقع شيأ مما يخالف السنة على ما تقدم فصلاته فذا فى بيته أفضل له من الصلاة فى المسجد اذ ذاك ان لم يقدر على تغيير ما هنالك والله المستعان (وينبغى له) أن يتجنب ما أحدثوه من البدع فى تواعدهم للختم فيقولون فلان يختم فى ليلة كذا وفلان فى ليلة كذا ويعرض ذلك بعضهم على بعض ويكون ذلك بينهم بالنوبة حتى صار ذلك كانه لازم تعمل وشعائر تظهر فلا يزالون كذلك غاليا من انتصاف شهر رمضان الى آخر الشهر فليحذر من ذلك فى نفسه وينهى غيره عنه اذ أنه لم يكن من فعل من مضى أعنى فى مواعدتهم فى الختم فى شهر رمضان (وأما) ان كان انسان يريد أن يختم لنفسه فى أى وقت كان من السنة ويجمع أهله لتعمهم الرحمة تنزل عند ختم القرآن الكريم فذلك جائز لفعل أنس رضى الله عنه وقد تقدم (وانما) نهى عن ذلك فى شهر رمضان لوجهين

(احدهما)

(أحدهما) ما تقدم من كونه لم يكن من فعل من مضى (والثانى) خيفة مما قد وقع وهو أن يعتقد أنها شعيرة من شعائر الدين ولو فعلوا ذلك فى بيوتهم فى طول السنة لكان ذلك بدعة أيضا اذ أن السنة الماضية فى هذا وأمثاله اخفاؤه مهما أمكن فهذا ذكر بعض ما أحدثوه فقس عليه كل ما رأيت مما لم نذكره تصب ان شاء الله تعالى

﴿فصل فى ذكر آداب المؤدب﴾ اعلم رحمنا الله وإياك ان ما تقدم ذكره من الآداب فى حق من تقدم انما ذلك كله فرع عن هذا الاصل اذ أن أصل كل خير وبركة انما هو كتاب الله عز وجل اذ هو معدن الجميع وهو ينبوع كل علم نافع (واذا) كان ذلك كذلك فينبغى أن يكون حامله من أكثر الناس فى التعظيم لشعائره والمشى على سنن من تقدمه فى تعظيمه ذلك واكرامه (واذا) كان ذلك كذلك فهو مضطر محتاج الى تحسين النية فيه أكثر من غيره وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام من عمل من هذه الاعمال شيأ يريد به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة اه ومعلوم على ما تقدم ان أصل الخير انما هو القرآن فهو أعلى أعمال الآخرة فيحفظ نفسه من أن يجلس لسبب الاستجلاب للرزق لانه ان فعل ذلك فقد أراد به عرضا من الدنيا فيدخل تحت هذا الوعيد العظيم أسأل الله تعالى السلامة من ذلك بمنه اذ أن استجلاب الرزق لا يسوقه حرص حريص (واذا) كان ذلك كذلك فان هو جلس له فهو تحصيل حاصل اذ أن الرزق لا يزيد ولا ينقص بذلك وقد حرم نفسه خيرا عظيما وثوابا جزيلا (ولا) يظن ظان ان الترك انما يكون بالانتقال عما هو فيه بل يستصحب الحال على ما هو عليه لكن يبذل النية يستقيم الحال ان شاء الله تعالى (وكيفية ذلك) بتوفيق الله تعالى أن ينوى بما يفعله من ذلك الامتثال لأمر الله تعالى وارشاد النبى صلى الله عليه وسلم لقوله عليه الصلاة والسلام خيركم من تعلم القرآن وعلمه اه والمراد بالخير هنا خير الآخرة أى ان عمال الآخرة كلهم هذا هو مقدمهم اذ أن منه انفتح سلوك طريق الآخرة وهو الطريق الى الله تعالى لان أصل ذلك معرفة الخط والاستخراج والحفظ والضبط والفهم للمسائل وذلك كله مفتاحه المؤدب فهو أول باب من أبواب التوفيق دخله المكلف واذا كان ذلك كذلك فقد ظهرت مزيته وكيف لا وهو حامل كلام الله الذى ليس كمثله شئ (وقد) قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لو شئت أن أوقر سبعين بعيرا من تفسير أم القرآن لفعلت اه (وهذا منه) رضى الله عنه يحتمل وجهين (أحدهما) أن يكون تلفظه بالسبعين كناية منه عما لا نهاية له اذ أن من عادة العرب أنها تطلق السبعين على ما لا نهاية له ومنه قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم لان النبى صلى الله عليه وسلم لما أن نزل عليه ذلك حمل الامر على ظاهر اللفظ فقال عليه الصلاة والسلام والله لازيدن على السبعين مما لم أنه فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ان يغفر الله لهم (والوجه الثانى) أن يكون ذلك منه على وجه التقريب والا فالامر يجل عن أن يأخذه حصر أو حد (وانظر) بعين الحقيقة الى قوله تعالى ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله فانك اذا نظرت الى هذا وجدته مشاهدا مرئيا بالعلم القطعى اذ أن أبحارها على عظمها وكثرتها ومددها الدائم مفتقرة الى من يمدها الان كل نقطة منها محتاجة لكتب ما يجرى عليها من الاحكام من حين بروزها من العدم الى الوجود ومن أى موضع برزت ومن أى شئ أصلها وعلى أى موضع تسلك ومن ينتفع بها وما يطرأ عليها من الاعراض وفى أى موضع تستقر فهى لا تقوم بنفسها لما تحتاج اليه فبقيت العوالم كلها دون شئ تكتب به وهذا معنى كلام سيدى أبى محمد رحمه الله تعالى وهذا تنبيه لمن له يقظة فينظر ويعتبر (وقد) يجتمع للمؤدب خير الدنيا والآخرة وهو الغالب لما ورد فى الاثر أخبارا عن رب

العزة عز وجل حيث يقول يا دنيا اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك اه (فاذا) كانت نيته بجلوسه لله تعالى لأن يعلم آية لجاهل بها ولكي يصحح صلاة المسلمين بتعليمه أم القرآن الى غير ذلك من نفعه العام للصغير والكبير فهو قد بدأ بحظه من آخرته وقد قال عليه الصلاة والسلام من بدأ بحظه من دنياه فانه حظه من آخرته ولم ينل من دنياه الا ما كتب له ومن بدأ بحظه من آخرته نال حظه من آخرته ولم يفته من دنياه ما قسم له أو كما قال عليه الصلاة والسلام (وقد) تقرر أن الدنيا تجيء راغمة لطلاب الآخرة فكم من زاهد فيها ومتورع وفقير ومتوجه صادق في تنزهه وتوجهه وعالم صادق في علمه وطالب علم صادق في تعلمه وعارف ومبتدئ ومنتهي أتتهم الدنيا وهي راغمة مع فراغهم لما هم بصدده كل ذلك أصله ما جلس هذا اليه فالكل فرع عنه وراجع اليه (فينبغي له) أن يعظم ما أكرمه الله تعالى به من هذا المجلس الشريف وأن لا يشينه بشين المخالفة والاعتقاد الردي والدسائس والنزغات التي تطرأ على بعض الناس في ذلك وهي كثيرة (ودواء ذلك) ان وقع صدق الافتقار الى الله تعالى وقوة الثقة بمضمونه والنزول بساحته والاتصاف بصفات المحتاجين المضطرين الذين لا أرب لهم ولا اختيار الا مولاهم فهو مقصودهم ومطلوبهم الذي عليه يعولون واليه يلجئون وعليه يتوكلون اذ انه سبحانه وتعالى لا يرد قاصده ولا يخيب من سأله وهو أكرم وأجل من أن لا يعطي حتى يسئل فكيف بمن نزل بساحته وتضرع اليه وألقى كنفه بين يديه فاذا فعل ما ذكر عادت بركة ذلك عليه سرا وعلنا اما حسا واما معنى أو كلاهما (وقد) ذكر الشيخ أبو عبد الله القرطبي رحمه الله تعالى في كتاب التفسير له حديثا قال روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس وخير من يمشي على جديد الأرض المعلمون كلما خلق الدين جددوه أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم فان المعلم اذا قال للصبي قل بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبي بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله تعالى براءة للمعلم وبراءة للصبي وبراءة لأبويه من النار اه (واذا) كان ذلك كذلك فينوي في جلوسه للتعليم ما تقدم ذكره في حق العالم وآدابه وهديه وهذا من باب أولى أن يكون مطلوبا بذلك كله لانه الاصل كما تقدم وغيره فرع عنه (واعلم) وقع تأخير ذكره الى هنا وان كان هو الاصل كما تقدم لما مضى أول الكتاب أن العالم نفعه عام لاجل ما احتوى عليه من مصلحة الدين واقامة منار الاسلام وفتاويه التي يعبد الله تعالى بها ولا يعصى وقد تقدم في العالم أن نيته تكون لاظهار دين الله ومعرفة أحكامه اللازمة له ولغيره ولا ينظر الى المعلوم ولا يلتفت اليه فان جاءه شيء من ذلك أخذه على سبيل أنه فتوح من الله تعالى ليستعين به على ما هو بصدده وكذلك ما هنا سواء بسواء (فيركب) الطريقة الوسطى لا شرقية ولا غربية ويكون الصبيان عنده بمنزلة واحدة لا يشرف بعضهم على بعض فابن الفقير وابن صاحب الدنيا على حد واحد في التربية والتعليم وكذلك من أعطاه ومن منعه اذ بهذا يتبين صدق حاله فيما هو بصدده فان كان يعلم من أعطاه أكثر ممن لم يعطه فذلك دليل على كذبه في نيته كما تقدم في العالم اذا تعذر عليه المعلوم فتسخط وتضجر دل ذلك على فساد نيته فكذلك ها هنا بل يكون من لم يعطه أرجى عنده ممن يعطيه لان من لم يعطه تمحض تعليمه لله تعالى بخلاف من أعطاه فانه قد يكون مشوبا بدسيسة لا تعلم السلامة فيه معها والسلامة أولى ما يغتنم المرء فيغتنمها العاقل (فاذا) جلس لما ذكر فلا ينبغي له أن يبوح بنيته لاحد ولا يذكرها له في هذا الزمان بل يفعل ذلك سرا في نفسه مع ربه عز وجل لا يطلع عليه غيره فانه سبحانه وتعالى يعلم ما تخفي الصدور وقد تقدم ان النية لا يجهر بها في الصلاة فان جهر بها فقولان هل تكره أم لا (وقد) كان السلف رضوان الله عليهم أجمعين مع كثرة معرفتهم لا يمالون أين يضعونه فكيف بقارئ القرآن فكيف بمن انقطع لتعليمه لله سبحانه وتعالى

وكثير من أهل هذا الزمان على عكس حال من تقدم (فاذا) تقرر عند أحد من الناس اليوم فى الغالب ان المعلم يعلم كتاب الله عز وجل فقل من يعطيه شيئا فيجيء من ذلك ما كان سيدى أبو محمد رحمه الله تعالى يقوله اذا وجد الفقير فى هذا الزمان قوته من حيث لا يحتاج لأحد فهو أكبر الكرامات وكان يعلل ذلك ويقول ان الناس قد انقسموا فى هذا الزمان على قسمين فى الغالب فمنهم معتقد ومنهم مسيء الظن فالمسيء الظن ان لم يضرك لا ينفعك والمحسن الظن قد خرج بحسن ظنه عن الحد فيعد من الملائكة والملائكة لا تأكل ولا تشرب فما يصلك منه نفع أصلا فاذا وجد الفقير القوت فى زمان من هذا حالهم كان ذلك كرامة فى حقه اذ أن الكرامة انما هى خرق العادة وما جرى لهذا فهو خرق عادة والمؤدب مثله سواء بسواء فاذا شعروا منه أنه يعلم لله تعالى فالغالب عليهم انهم لا يعطونه شيئا لعدم مطالبته اياهم هذا حالهم فى أمور آخرتهم بخلاف أسباب دنياهم عكس ما تقدم من أحوال السلف رضى الله عنهم (الأترى) الى ما حكى عن الشيخ أبى محمد بن أبى زيد رحمه الله تعالى انه لما ان دخل ولده المكتب وقرأ الحمد لله رب العالمين جاء الى والده بلوح الاصرافة فأعطاه مائة دينار يعطيها للفقيه فلما ان حصلت عند الفقيه اجتمع بالشيخ وقال له ياسيدى وأى شىء عملته حتى تقابلنى بهذا العطاء فقال له والله لا قرأ عليك ابنى شيئا بعد اليوم فقال له ولم ذلك فقال لانك استعظمت ما حقر الله تعالى وهو الدنيا واستصغرت ما عظم الله تعالى وهو القرآن والغالب على الناس اليوم هذا الحال وهو استعظام الدنيا فى قلوبهم واستصغار ما كان من أمر الآخرة فاذا تقرر ذلك فلا يظهر المؤدب فى هذا الزمان انه جلس يقرئ لله عز وجل بل يظهر أنه جلس للمعلوم ونيته لله تعالى كما تقدم

﴿فصل فى ذكر أسباب أولياء الصبيان﴾ وينبغى له انه اذا كان عنده أحد من أولاد من يتسبب بسبب حرام على أنواعه من مكس أو ظلم أو غيرهما فلا يأخذ مما أتى به الصبى من تلك الجهة شيأ اللهم الا أن يكون يأتيه من غير تلك الجهات المحذر منها من جانب الشرع فلا بأس به مثل أن يأتيه بشىء من جهة أمه أو جدته أو غيرهما من وجه مستور بالعلم لكن يشترط فى اقرائه للولد الذى يكون متصفا وليه بما ذكر أن لا يوالى والد الصبى باقبال عليه ولا بسلام ولا بكلام ولا جواب اذا نه يجب عليه التغيير عليه وعلى أمثاله بشروطه فاذا لم يسمع ولم يرجع لم يبق فى حقه من التغيير الا الهجران له واذا سلم عليه فقد خرج بذلك عن هجرانه وذلك حرام (وقد رأيت) بعض من له تحرز عنده ولده والد وكيل على بعض الجهات الممنوعة شرعا اذا جاءه وسلم عليه لا يرد عليه سلاما واذا كلمه لا يرد عليه جوابا وكان لا يأخذ من الصبى شيئا الا من جهة أمه أو جدته أو غيرهما ممن هو سالم مما تقدم ذكره فان تعذرت جهة الحلال فلا يأخذ شيئا ويحذر من هذا جهده فانه من باب أكل أموال الناس بالباطل اذ أنهم يأخذونه من أربابه بالظلم والمصادرة والقهر وهو يأخذه على ظاهر انه حلال فى زعمه وهذا أعظم فى التحريم من الاول وان كان كله حراما وهذا الذى ذكره فى نيته على سبيل الأولى والأرجح (ويجوز له) أن يقرئ الناس القرآن بعوض لقوله عليه الصلاة والسلام ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله أخرجه البخارى فهذا نص صريح على انه أحل شىء يكون (ومن كتاب البيان والتحصيل) سئل مالك رحمه الله عن اجارة المعلمين فقال لا بأس بذلك يعلم الناس الخير فيعطى قيل له انه يعلم مشاهرة ويطلب ذلك فقال لا بأس به مازال المعلمون عندنا بالمدينة يفعلون ذلك انتهى لكن ما قدمناه أولى لمن أمكنه ذلك لقوله عليه الصلاة والسلام الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن أو كما قال عليه الصلاة والسلام ومن أكبر الزهد فى الدنيا خلو القلب عنها وترك النظر اليها وترك السبب هذا هو الذى ينبغى أن يكون عليه حال حامل

القرآن اذ أنه أكمل الاحوال فينبغي أن يكون حاله أكمل الاحوال وان كانت نفسه تتشوق الى المعلوم فالاقتداء بالكرام في الصورة الظاهرة نعمة شاملة والمرجو من الذي أنعم عليه بذلك ان يتمم نعمته بالاتباع في الباطن ومن نزل ساحة الكرام فهو محمول نسأل الله تعالى الكريم أن يحملنا بفضله ويحمل عنا بمنه لا رب سواه

﴿فصل في صفة توفيته بما نواه﴾ وينبغي له أنه اذا نوى ما ذكر فليجتهد في التعليم أكثر من تعليم من يأخذ العوض على ذلك لانه اذا كان يقرئ بغير عوض تمحض لله تعالى فكان أرجى في صحة اخلاصه وبعض الناس يفعل ضد هذا وهو أنه اذا كانت نيته لله تعالى لا لأخذ عوض يفعل ذلك على سبيل الاستراحة والتواني أن تفرغ لذلك فعله والا تركه محتجا بأن ذمته برئت لعدم أخذ العوض عليه وما يشعر أنه قد أوقع نفسه في أمر خطر لقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود فاذا كان ذلك كذلك فيكون حرصه على العمل الذي نواه لله تعالى أن يوفي به أكثر مما يأخذ العوض عليه كما تقدم ولذلك مثل من يصلي بالناس بغير عوض وآخر يصلي بعوض فيكون الذي يصلي بلا عوض أحرص على المواظبة والمبادرة من الذي يصلي بالعوض بل يزيد عليه في ذلك المعنى حرصا منه على التوفية بما التزمه لله عز وجل فلو قال نويت بتعليمي لله عز وجل ان قدرت على ذلك فان فعله حصل له الثواب وان تعذر فلا حرج عليه ولا يدخل في الآية الكريمة المتقدم ذكرها وهذا عام في جميع أفعال البر التي يفعلها المسلم فليحافظ على ذلك جهده والله المسؤول في التجاوز عن التقصير بمنه وقد يضطر بعض المؤدبين الى أخذ العوض واذا كان ذلك كذلك فينبغي أن يكون باجرة معلومة وهو أجل ما يأكله المرء لقوله عليه الصلاة والسلام ان أحق ما أخذتم عليه أجرا كتاب الله وقد تقدم اه واذا أخذ العوض فليحترز في نفسه أن يزيد على ذلك شيأ من جهة الصبي من غير أن يأذن وليه في ذلك فان فعل من غير اذنه فهو حرام عليه وأكله لذلك سحت لان الصبي محجور عليه وليس له تصرف في ماله ان كان له مال

﴿فصل فيما يأمر به المؤدب الصبي من الاداب﴾ وينبغي له بل يتعين عليه أن لا يترك أحدا من الصبيان يأتي الى الكتاب بغذائه ولا بفضة معه ولا فلوس ليشتري شيأ في المكتب لان من هذا الباب تتلف أحوالهم وينكسر خاطر الصغير الفقير منهم والضعيف لما يرى من جدة غيره فيدخل بذلك في قوله عليه الصلاة والسلام من ضار مسلما ضاره الله تعالى به انتهى لان ولد الفقير يرجع الى بيته منكسر الخاطر متشوشا في نفسه غير راض بنفقة والديه عليه لما يرى من نفقة من له اتساع في الدنيا ويترتب على ذلك من المفاسد جملة قل أن تحصر وفيما أشرنا اليه كفاية (وينبغي له) أن لا يدع أحدا من البياعين يقف على المكتب ليبيع للصبيان اذ فيه من المفاسد ما أشرنا اليه ان اشترى منه (وينبغي) للمؤدب أن لا يكثر الكلام مع من مر عليه من اخوانه اذ ما هو فيه آكد عليه من الحديث معه لانه مشتغل باكبر الطاعات لله تعالى اللهم الا أن يتعين عليه فرض أو أمر هو أهم في الوقت مما هو فيه فنعم وكثير من المؤدبين تجدهم بهذا الحال يتحدثون كثيرا مع الناس من غير ضرورة شرعية والصبيان يبطلون ما هم فيه ويلهون عنه ويلعبون فليحذر من هذا أن يقع منه (وينبغي له) أن يكون موضع الكتاب بالسوق ان أمكن ذلك فان تعذر ذلك فعلى شوارع المسلمين أو في الدكاكين ويكره أن يكون بموضع ليس بمسلوك للناس فان الصبيان يسرع اليهم الكيل والملل فاذا كان بالسوق وعلى الطريق أو في الدكاكين ذهب عنهم ذلك وفيه فائدة أخرى عظيمة وهي اظهار الشعائر لانه أجلها

(وكذلك)

(وكذلك) يحذر أن يتخذ الكتاب فى المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم اه (ولا) ينبغى أن يكون المكتب فى موضع يخفى عن أعين المارين فى الطريق اذ فى ذلك من المفاسد ما لا يخفى (وقد تقدم) أن الصبيان يكونون عنده على حد واحد فابن الفقير وابن الغنى سواء واذا كان ذلك كذلك فلا يترك دكة تدخل له الكتاب لان فى ذلك ترفيعا لابن الغنى على غيره وانكسار الخاطر الفقير واليتيم والموضع موضع جبر لا موضع كسر اذ اللائق بحامل القرآن أن يكون بموضع من العدل والتواضع والخير فتكون بدايه أمر الصبيان على المنهج الأقوم والطريق الأرشد (وينبغى) أن يكون الموضع الذى يتصرف فيه الصبيان فيه لضرورة البشرية معلوما اما أن يكون وقفا واما أن يكون ملكا لأبا حه صاحبه ويؤمن على الصبيان فيه فان عدما معا أو عدم الامن فى كل واحد يمضى الى بيته ليزيل ضرورته ثم يعود واذا خرج أحد من الصبيان لقضاء حاجته فلا يترك غيره يخرج حتى يأتى الاول لانهم اذا خرجوا جميعا يخشى عليهم من اللعب بسبب الاجتماع وقد يطؤن فى الرجوع الى المكتب وهو الغالب على حالهم (وينبغى له) اذا احتاج الصبى الى غذائه أن يتركه يمضى الى بيته لغذائه ثم يعود لانه سئر على الفقير وفيه أيضا تعليم الأدب للصبيان فى حال صغرهم لان الاكل ينبغى أن لا يكون الا بين الاخوان والمعارف دون الاجانب فاذا نشأ الصبى على ذلك كان متأدبا بآداب الشريعة فيذهب عنه ما يتعاطاه بعض عامة الناس فى هذا الزمان من الاكل على الطريق وفى الاسواق وبحضرة من يعرفه ومن لا يعرفه لان ذلك ليس من السنة ولا من شيم الكرام وقد قيل لا يأكل على الطريق الا كريم أو لئيم وقد وقع النهى عن الاكل والعينان تنظران (فاذا) مضوا الى ذلك فينبغى أن يقيم السطوة عليهم اذا غابوا أكثر مما يحتاجون اليه لئلا يكون ذلك ذريعة الى اجتماع بعضهم مع بعض ووقوع ما لا ينبغى منهم (وينبغى له) أن يتولى تعليم الجميع بنفسه ان أمكنه ذلك فان لم يمكنه وتعذر عليه فليأمر بعضهم أن يقرئ بعضا وذلك بحضرته وبين يديه ولا يخلى نظره عنهم لانه اذا غفل قد تقع منهم مفاسد جملة لم تكن له فى بال لان عقولهم لم تتم ومن ليس له عقل اذا غفلت عنه وقتا ما فسد أمره وتلف حاله فى الغالب سيما فى هذا الزمان كما هو معلوم (وينبغى) له اذا وكل بعضهم ببعض أن لا يجعل صبيانا معلومين لشخص واحد منهم بل يبدل الصبيان فى كل وقت على العرفاء مرة يعطى صبيان هذا الحذا وصبيان هذا لهذا لانه اذا كان لواحد صبيان معلومون فقد تنشأ بينهم مفاسد بسبب الود لا يشعر بها فاذا فعل ما تقدم ذكره سلم من هذا الامر ويفعل هو فى نفسه مثل ذلك فيأخذ صبيانهم تارة ويدفع لهم آخرين فان كان الصبيان كلهم صغارا فلا بد من مباشرة ذلك كله بنفسه فان عجز عنه فليأخذ من يستنيبه من الحفاظ المأمونين شرعا بأجرة أو بغيرها (وينبغى له) أن يمتثل السنة فى الاقراء ومن جملة ذلك ان السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين انما كانوا يقرئون أولادهم فى سبع سنين لانه زمن يؤمر الولى أن يكلف الصبى بالصلاة والآداب الشرعية فيه فاذا كان الصبى فى ذلك السن فهو غير محتاج الى من يأتى به الى المكتب ان أمن عليه غالبا فان لم يأمن عليه فليرسل معه وليه من يثق به فى ذهابه الى بيته لضرورته وغذائه ومن يأتى به الى المكتب فهو أسلم عاقبة من أن يكون الذى يتولى ذلك من المكتب والغالب فى هذا الزمان انهم لم يدخلوا أولادهم المكتب فى حال الصغر بحيث انهم يحتاجون الى من يربيهم ويسوقهم الى المكتب ويردهم الى بيوتهم بل بعضهم يكون سنه بحيث لا يقدر أن يعمل ضرورة نفسه بل يفعل ذلك فى المكتب ويلوث به ثيابه ومكانه فليحذر من أن يقرئ مثل

هؤلاء اذ لا فائدة فى اقرائه لهم الا وجود التعب غالبا وتلويث موضع القرآن وتنزيهه عن ذلك متعين أعنى بالنسبة الى عدم انتفاع الصبيان بالقراءة فى ذلك السن غالبا ألا ترى أن الغالب منهم انهم يرسلون أولادهم الى المكتب فى حال صغرهم لكى يستريحوا من تعبهم لا لاجل القراءة وحامل القرآن يجل منصبه الرفيع عن تربية من هذا حالهم وفى اقرائه لغيرهم سعة وفائدة (وينبغى) أن يعلمهم آداب الدين كما يعلمهم القرآن فمن ذلك انه اذا سمع الاذان أمرهم أن يتركوا كل ما هم فيه من قراءة وكتابة وغيرهما اذ ذاك فيعلمهم السنة فى حكاية المؤذن والدعاء بعد الاذان لانفسهم وللمسلمين لان دعاءهم مرجو الاجابة سيما فى هذا الوقت الشريف ثم يعلمهم حكم الاستبراء شيأ فشيأ وكذلك الوضوء والركوع بعده والصلاة وتوابعها ويأخذهم فى ذلك قليلا قليلا ولو مسئلة واحدة فى كل يوم أو يومين (ولينذر) أن يتركهم يشتغلون بعد الاذان بغير أسباب الصلاة بل يتركون كل ما هم فيه ويشتغلون بذلك حتى يصلوا فى جماعة وقد تقدم انهم فى قضاء حاجتهم يمضون الى موضع وقف أو موضع ملك أبيح لهم أو الى بيوتهم فكذلك ههنا سواء بسواء ويصلون جميعا فى المسجد الذى يصلى فيه مؤدبهم فان خاف عليهم من اللعب أو العبث فيصلون فى المكتب جميعا ويقدمون أكبرهم فيه فيصلى بهم جماعة (وينبغى) له أن يعودهم الصلاة فى المسجد مع الجماعة ولا يسامحهم فى ترك الصلاة فيه ولا يعودهم الصلاة أفذاذا الان المسئلة مختلف فيها أعنى شهود الجماعة هل هى فرض أو سنة فذهب جماعة من العلماء الى أن الصلاة لا تصح الا فى جماعة (فاذا) فرغوا من الصلاة وتوابعها رجعوا الى ما بقى عليهم من الوظائف فى المكتب (وينبغى) أن يكون وقت كتبهم الالواح معلوما ووقت تصويبها معلوما ووقت عرضها معلوما وكذلك قراءة الاحزاب حتى ينضبط الحال ولا يختل النظام ومن تخلف عن ذلك الوقت منهم لغير ضرورة شرعية قابله بما يليق به فرب صبى يكفيه عبوسة وجهه عليه وآخر لا يرتدع الا بالكلام الغليظ والتهديد وآخر لا ينزجر الا بالضرب والاهانة كل على قدر حاله (وقد جاء) أن الصلاة لا يضرب عليها الا لعشر فما سواها أحرى فينبغى له أن يأخذهم بالرفق مهما أمكنه اذ انه لا يجب ضربهم فى هذا السن المتقدم ذكره فاذا كان الصبى فى سن من يضرب على ترك الصلاة واضطر الى ضربه ضربا غير مبرح ولا يزيد على ثلاثة أسواط شيأ بذلك مضت عادة السلف رضى الله عنهم فان أضطر الى زيادة على ذلك فله فيما بين الثلاثة الى العشرة سعة (لكن) لابد أن تكون الآلة التى يضرب بها دون الآلة الشرعية التى تقام بها الحدود وهى ما ذكره مالك رحمه الله تعالى فى موطئه عن زيد بن أسلم ان رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوط فأتى بسوط مكسور فقال فوق هذا فأتى بسوط جديد لم تقطع ثمرته فقال دون هذا فأتى بسوط قد ركب به ولان فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلد اه ولا يكون الادب بأكثر من العشرة وهو ضامن لما يطرأ على الصبى ان زاد على ذلك (ولينذر) الحذر الكلى من فعل بعض المؤدبين فى هذا الزمان وهو أنهم يتعاطون آلة اتخذوها لضرب الصبيان مثل عصا اللوز اليابس والجريد المشرح والاسواط النوبية والفلقة وما أشبه ذلك مما أحدثوه وهو كثير ولا يليق هذا بمن ينسب الى جملة الكتاب العزيز اذ أن حاله كما ورد فى الحديث من حفظ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين كتفيه غير أنه لا يوحى اليه اه (وينبغى له) أن يعلمهم الخط والاستخراج كما يعلمهم حفظ القرآن لانهم بذلك يتسلطون على الحفظ والفهم فهو أكبر الاسباب المعينة على مطالعة الكتب وفهم مسائلها (وينبغى له) بل يجب عليه أن يكون لمسح الالواح موضع طاهر مصان نظيف لا يمشى فيه بالاقدام

ثم مع ذلك يأخذ الماء الذى يجتمع من المسح فيغفر له فى مكان طاهر مصان عن أن يطأه قدم ويجعل فيه أو يلقى فى البحر أو البئر أو يجعل فى اناء طاهر ليسقى به من يختار ذلك وكذلك الماء الذى يغسل به الخرق بعد المسح يجعل فى موضع بحيث لا يمتهن ويشترط فى الخرق التى يمسح بها الالواح أن تكون طاهرة وأن يكون الماء الذى تبل منه حين يمسح به طاهرا والافضل أن يكون الماء غير مستعمل وأن أمكنه أن يكون حلوا فهو أولى لان من الناس من يشربه للاستشفاء به فان كان أحاجا امتنع عليه ذلك أو تنغص بشربه كما مر فى الآنية اذا غسلت فيها الايدى بعد الاكل انه لا يبصق فيها ولا يغسل فيها بأشنان ولا غيره خيفة أن يشربه من يتبرك به كما تقدم فى الماء الذى تمسح به الالواح من باب أولى وأحرى (ويتعين عليه) أن يمنع الصبيان مما اعتاده بعضهم من أنهم يمسحون الالواح أو بعضها ببصاقهم وذلك لا يجوز لان البصاق مستقذر وفيه امتهان والموضع موضع ترفيع وتعظيم وتجليل فيجل عن ذلك وينزه (وينبغى له) أن لا يسامح الصبيان فى دق المسامير فى المكتب ان كان وقفا وان كان ملكا فلا يجوز الا باذن صاحبه ولا ضرورة تدعو الى ذلك اذ انهم مأمورون أن يأكلوا فى بيوتهم لا فى المكتب كما تقدم فان كان بعضهم بيته بعيدا بحيث يشق عليه الذهاب والرجوع فيكلفه المؤدب أن يمضى الى بيت أحد أقاربه من والديه أو معارفهما فان لم يكن له ذلك فليجعل وقت غذائه حين ينصرف الصبيان الى غذائهم وقبل أن يرجعوا (وقد تقدم) أن المؤدب يحملهم على اتباع السنة ويعلمهم أحكامها ويعلمهم كما يعلمهم القرآن (ومن ذلك) أن لا يعودهم القراءة فى جماعة لان ذلك ليس من فعل السلف رضى الله عنهم كما تقدم لانهم اذا تعودوا ذلك فى صغرهم يخاف عليهم أن يفعلوه فى كبرهم وايضا فان حفظهم لا يتأتى بذلك اذ أن من لم يحفظ منهم لا يعلم حاله اذا كانوا على صوت واحد فى الغالب واتباع السلف رضى الله عنهم أولى بل هو المتعين ولم ينقل عنهم ذلك فيتعين تركه (وينبغى له) أن لا يستقضى أحدا من الصبيان فيما يحتاج اليه الا أن يستأذن أباه فى ذلك ويأذن له عن طيب نفس منه ولا يستقضى اليتيم منهم فى حاجة بكل حال (وليحذر) أن يرسل الى بيته أحدا من الصبيان البالغين أو المراهقين فان ذلك ذريعة الى وقوع ما لا ينبغى أو الى سوء الظن بأهله (وبالجملة) فان ذلك لا يجوز لان فيه خلوة الاجنبى بالمرأة الاجنبية وهو محرم فان سلموا منه فلا يخلو من الوقيعة فى أعراضهم فى هذا الزمان غالبا وما ذكر من استقضاء حوائجه لبعض الصبيان فهو من باب الجواز والا فالذى ينبغى أن لا يستقضى أحدا منهم فى حاجة أصلا لانه قد دخل على تعليمهم لله تعالى كما تقدم (لكن) قد تقدم أيضا انه اذا فعل ذلك وجاش أخذه على سبيل الفتوح فكذلك فيما نحن بسبيله لكن يشترط ان تكون نفسه غير متشوفة لشئ من ذلك لما تقدم من قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (وقد تقدم) ذكر المكان الذى يقضى الصبيان فيه ضرورة البشرية فليحذر أن يتركهم يفعلون ذلك فى غيرها مثل ما يفعل بعضهم فى هذا الزمان من انهم تقضى حاجة فى جدران بيوت الناس وطرقاتهم فينجسون ذلك عليهم فمن جلس الى تلك الجدران تلوث ثوبه بالنجاسة وكذلك الماشى قد يصيبه منها اذى وقد تقدم قوله عليه الصلاة والسلام اتقوا الملاعن الثلاث فهذا من آكدها فتلحق الصبيان اللعنة وهذا كله فى ذمة من سكت لهم عمن له عليهم أمر ونهى فينهاهم عن ذلك جهده (وينبغى له) أن يكون على أكمل الحالات ومن ذلك أنه يكون متزوجا لانه وان كان صالحا فى نفسه فالغالب اسراع سوء الظن فى هذا الزمان بمن كان غير متأهل اذ لا فرق بين الصبيان والبنات فى الظاهر الا عند من يتقى الله تعالى فيسرى اليه القيل والقال فاذا

كان متأهلا انسد باب الكلام والوقيعة فيه (وينبغي له) أن لا يخلط مع الصبيان ولا يباسطهم اذلا يفضي ذلك الى الوقوع في عرضه وعرضهم والى زوال حرمته عندهم اذ أن من شأن المؤدب أن تكون حرمته قائمة على الصبيان بذلك مضت عادة الناس الذين يقتدى بهم فليهتد بهديهم (وقد تقدم) أن الصبيان يمضون الى بيوتهم لقضاء ضرورة البشرية واغذائهم (واذا) كان ذلك كذلك فليحذر مما يفعله بعض عوام المؤدبين في هذا الزمان وهو أن الصبيان الذين عنده اذا أتى كل واحد منهم بغذائه أو بعضهم فيتسلم ذلك منهم و بعضهم يخلط جميع ذلك ثم يعطي منه من يخطر له فتجد بعض الصبيان يطلب منه شيأ من غذائه فيحرمه و يوفر ذلك لنفسه ولمن يختار وهذا حرام سحت وذلك جرحة في حقه و يتعين اقامته من المكتب الا أن يتوب بشرط أن تعلم حقيقة أمره في ذلك (وفيه) من المحذورات عدة (منها) أنه يأخذ غذاء هذا فيعطيه لغيره فيدخل الخلل في غذاء الناس لانه قد يكون والد بعضهم صالحا متورعا في كسبه وآخر مكاسا ظالما وقد يكون غذاء بعضهم أحسن من غذاء الآخر في المطعم والصبي محجور عليه كما تقدم ووليه لم يرض بذلك سيما ان كان ليتيم فلا يجوز له ولا يجوز لوليه أن يأذن في مثل ذلك (و بعض) المؤدبين يفعل فعلا قبيحا شنيعا محرما وهو أنه يأكل مع الصبيان من أغذيتهم و يطعم من يختاره ومن يجتمع به و يرسل منها الى بيته ما يختار وهذا نوع من الخلسة (ولو) فرضنا أن الصبيان بقي لهم غذاؤهم ولم يمسه غيرهم فأكلوا منه ما شاؤا و بقيت منه بقية وتركوها في المكتب رغبة عنها الجاز للمؤدب أن يأخذها و ينتفع بها و ينبغي له أن يعلم أولياء الصبيان بذلك ان كانوا جماعة أو واحدا ان انفرد هذا ما لم يكن ليتيم كما تقدم اللهم الا أن يكون الصبي لم يأكل شيأ من غذائه وتركه كله في المكتب فلا يجوز للمؤدب أن يقدم على أخذه الا باعلام والد الصبي والا فلا بخلاف ما تقدم لانها فضلات عن شبعهم (وأما) ما يحتاجه الصبيان من الماء للشرب فجائز أن يأخذ من كل واحد منهم شيأ بقدر الحاجة و يكون ذلك بينهم بالسوية فيشتري به ماعون الماء والماء ولا يمكن الصبيان من الذهاب الى بيوتهم للشرب وان كان بيت بعضهم قريبا الان ذلك مما يتكرر في الغالب (واذا) كان الامر كذلك فينبغي بل يتعين أن لا يشرب معهم غيرهم الا أن يأذن في ذلك آباؤهم فان كان فيهم يتيم فلا يأخذ منه شيأ لثمن الماء ولا لغيره والحالة هذه ويصير من جملة من أذن له في الشرب و يستحق ذلك في حق مؤدبهم (وقد تقدم) أن سكنى دور القرافة تمنع واذا كان ذلك كذلك فلا يتخذ فيها مكتبا للعلة المذكورة ومن فعل ذلك فقد خالف ولا حاجة تدعو الى تفصيله فان الحكم فيه معلوم لمن وفق له

﴿فصل في انصراف الصبيان من المكتب﴾ وانصراف الصبيان واستراحتهم يومين في الجمعة لا بأس به وكذلك انصرافهم قبل العيد بيوم أو يومين أو ثلاثة وكذلك بعده بل ذلك مستحب لقوله عليه الصلاة والسلام روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فاذا استراحوا يومين في الجمعة نشطوا للباقيها (و ينبغي له) أن لا يدع أحدا عنده من الصبيان ممن فيه رائحة ما من الخصال الذميمة اذ أن ذلك سبيل للوقيعة في حق بعض من في المكتب عنده وقد يفضي ذلك الى أن يشتهر مكتبه بما لا ينبغي فقد ينسب الى المؤدب ما لا يليق بمنصبه وفيه مفسدة أخرى وهو أنه قد يكون سببا الى عدم مجيء الصبيان اليه أو قلتهم فيحصل بذلك تمزيق العرض وقلة الرزق فليحذر من ذلك جهده والله المستعان (و ينبغي له) أن يجتنب ما يفعله بعض عوام المؤدبين من أنه اذا قل عنده الصبيان أو فتح مكتبا وليس فيه أحد فانه يكتب أوراقا و يعلقها على باب المكتب ليكثر مجيء الصبيان اليه وهذا لا يفعله الا سفهاء الناس وفيه استشراف النفس لتحصيل الدنيا وقد تقدم ومنصب المؤدب يجل عن هذا وأشباهه (و ينبغي)

أن لا يقبل من أحد من الصبيان شيأ ممن يأتي به اليه من الاطعمة التي يعملها بعض الناس في مواسم أهل الكتاب فان قبوله لذلك من باب التعظيم لمواسمهم وفي التعظيم لمواسمهم تعظيم لهم وتعظيمهم فيه ما فيه (وقد) يكون ذلك سببا الى أنهم يعتقدون أن دينهم هو الحق وان غيره هو الباطل لما يرون من تعظيم المسلمين لهم كما تقدم (وفيه) عدم الانكار والتغيير على من فعل ذلك من المسلمين وأتاه به بل يرده عليه ويزجر فاعله ويبين له ولغيره ان ذلك لا يجوز لما تقدم (وبعض المؤدبين) في هذا الزمان يفعل ما هو أشنع من هذا وهو أنه يطالب ذلك بنفسه (وبعض المؤدبين) يطالب من بعض الصبيان الذين عنده فلوسا يأتون بها اليه حتى يصرفهم في مواسم أهل الكتاب وهذا أشنع مما قبله وبعض المسلمين يطلبون من أهل الكتاب من أطعمتهم التي يعملونها في أعيادهم ومواسمهم وهذا أقبح مما ذكر من فعل بعض المؤدبين (وينبغي له) أن يصرف الصبيان لغذائهم كما تقدم ويترك لهم مع ذلك وقتا يستريحون فيه في بيوتهم وليحذر أن يبيح لهم فعل ذلك في الكتب لان الصبيان اذا خرجوا عما بني المكتب له عاد ذلك بالضرر غالبا عليهم وعلى غيرهم وما بني المكتب الا لحل الدرس والحفظ والعرض والكتابة فان كان غير ذلك فليكن في بيوتهم ولا يتركهم يناموون فيه وقتا ما في الحر وقد تقدم المنع مما هو أخف من هذا وهو أنهم يمضون الى بيوتهم ويأكلون فيها ولا يأكلون في المكتب (وينبغي له) اذا اشتكى أحد من الصبيان وهو في المكتب بوجع عينيه أو شيء من بدنه وعلم صدقه في ذلك أن يصرفه الى بيته ولا يتركه يقعد في المكتب بغير قراءة لان ذلك سبب لبطالة غيره في الغالب (وينبغي له) ان كان له ولد صغير أن لا يترك أحدا من صبيان مكتبه يحمله ذكرا كان أو أنثى والمنع في الانثى أشد ولا يستأذن في مثل هذا الآباء بخلاف ما تقدم في استقضائهم حوائجه فانه يستأذن الآباء (وينبغي له) أن لا يغيب عن المكتب أصلا مادام الصبيان فيه اذ أنهم لا عقل لهم يمنعهم عما يخطر لهم فعله فلا بد لهم من راع يرعاهم بنظره ويسوسهم بعقله ويؤدبهم بكلامه (الا ترى) أن الراعي اذا غفل عن الماشية قليلا اختل نظامها وتغير حالها في الغالب وربما تلف بعضها وماذاك الا لعدم العقل عندها (ولاجل ذلك) ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الصبيان مع المجانين حيث قال عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم الحديث وقد تقدم (ولا بأس) أن يغيب الغيبة اليسيرة لضرورته ولا يفعل ذلك الا أن لا يجد من يقوم بها عنه مثل خبزه اذا اختمر لكنه يشترط فيه أن يستنيب عليهم أكبرهم سنا وأعقلهم بشرط أن يأمره أن لا يضرب أحدا منهم في غيبته ولا ينهره الا أنه من فعل منهم شيأ كتب اسمه حتى يأتي المؤدب فيعلمه به فيرى فيه رأيه (وينبغي له) أن يجتنب ما يفعله بعض المؤدبين من كتبهم أوراق المستأذنات للافراح فيكتب فيها بنحو قوله الى الجناب المنيع والستر الرفيع الى غير ذلك من التركيبة وماشاكلها والشعر الذي ينزه غير المؤدب عن الكلام به فكيف بالمؤدب (وله) أن يكتب الحروز لاطفال المسلمين واجارهم (وكذلك) الصحيفة فيها آيات من كتاب الله عز وجل والرقى بالكلام الطيب (وليحذر) أن يكتب شيأ بالعبرانية فان ذلك لا يجوز ولو قيل أن فيه من المنافع ما لا يحصى فانه ممنوع وقد سئل مالك رحمه الله تعالى عنه فقال وما يدريك لعله كفر (وينبغي) لآباء الصبيان أن يتخيروا لاولادهم أفضل ما يمكنهم في وقتهم ذلك من المؤدبين وان كان موضعا بعيدا فيختارون لهم أولا أهل الدين والتقوى فان كان مع ذلك عنده علم من العربية فهو أحسن فان زاد على ذلك بالفقه فهو أولى فان زاد عليه بكبر السن فهو أجل فان زاد عليه بورع وزهد فهو أوجب الى غير ذلك اذ أنه كيفما زادت الخصال المحمودة في المؤدب زاد الصبي به تجملا ورفعة واذا كان ذلك كذلك فيتعين النظر فيما ذكر والله

تعالى أعلم (وينبغي للمؤدب) أن يتجنب ما أحدثه بعض المؤدبين وبعض مشايخ القرآن من القراءة عليهم في الاسواق والطرق لانه لم يكن من فعل من مضى (وفيه) مفاسد جملة (منها) وطء الاعقاب وهو منهي عنه وقد ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ذلك بالدرة وقال فيه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع اه (ومنها) ان السوق موضع اللقط والكلام والقرآن ينزه عن أن يقرأ في مثل هذه المواضع (ومنها) ان القرآن اذا تلي تعين الانصات أو يندب اليه فيقع من سمعه ممن في الاسواق أو الطرق فيما لا ينبغي والمسلم يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه (ومنها) ان قراءة القرآن والحالة هذه لا يسلم القارئ غالبا من أن يقرأ وهو في موضع النجاسة والاماكن التي تنزه قراءة القرآن عنها (ومنها) اذا قرأ القارئ ينبغي لقارئه ولسامعه أن يتدبره ويتفكر فيه وذلك متعذر في الاسواق والطرق غالبا وله أن يقرأ خارج البلد اذا لم تعاين النجاسة وفي الانتقال من قرية الى قرية مع عدم معاينة النجاسة أيضا ولا فرق فيما ذكر بين أن يكون راكبا أو ماشيا اذ المعنى فيهما واحد (وينبغي له) أن يتجنب ما أحدثه بعض العوام من المؤدبين وهو أنه اذا دخل وقت الصلاة يؤذنون على باب المكتب أو فوق سطحه أو فيه وذلك كله من البدع الممنوعة لان الاذان انما شرع في الاماكن التي يهرع الناس اليها لاداء فرضهم وهي المساجد والمكتب ليس بمسجد حتى يأتي الناس اليه للصلاة فيه ومثله من يؤذن في بيته أو بستانه فانه يدخل تحت قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون لانه ينادي الناس بلسانه حي على الصلاة حي على الفلاح ومعنى ذلك هلموا الى الصلاة هلموا الى الفلاح ثم مع هذا النداء يغلق الباب دونهم وذلك ممنوع لانه جمع مفاسد (منها) انه من باب الغش لانه قد يسمعه من يسمعه فيأتي الى موضع الاذان فلا يجد السبيل الى دخول المكان الذي سمع فيه الاذان (ومنها) انه كلفهم المشي بأذانه الى أن أتوا سيما الغريب الذي هو عابر سبيل الى غير ذلك وهذا بخلاف لو أذن خارج البلد فان ذلك جائز لانه في برية فمن أتى اليه صلى معه (وهذا) القسم الاخير من باب المندوب (لما ورد) في الحديث عن أبي سعيد الخدري انه قال لبعض من اعتنى به يا بني اني أراك تحب الغنم والبادية فاذا كنت في غنمك أو باديتك فأذنت بالصلاة فارفع صوتك بالنداء فانه لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شئ الا شهد له يوم القيامة قال أبو سعيد سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم اه (والاول) من باب البدعة والوقوع في النهي للآية الكريمة المتقدم ذكرها (ويتعين عليه) أن لا يشتم من استحق الادب من الصبيان وكثيرا ما يفعل بعض المؤدبين هذا وهو حرام وذلك أنه اذا حصل للمؤدب غيظ ما على الصبي شتمه وتعدى بذلك الى والديه وربما حصل لبعضهم في ذلك الوقت قذف يجب عليه في الحد سيما من كان منهم في خلقه حدة أو فيه غلظة وفظاظة فيتعين عليه اذا أدركه شئ مما ذكر أن لا يؤدب الصبي في وقته ذلك بل يتركه حتى يسكن غيظه ويذهب عنه ما يجده من الحنق عليه وحينئذ يؤدبه الادب الشرعي على ما تقدم ذكره لانه ان أدبه في حال غيظه يخاف عليه أن يتعدى الادب المتقدم ذكره (ولاجل) هذا المعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقضي القاضي حين يقضي وهو غضبان وعداه علماؤنا رحمة الله عليهم الى كل ما يشوش عليه كحنقة ببول أو غيره ولا فرق بين القاضي والمؤدب الا أن القاضي يحكم بين الكبار وهذا يحكم بين الصغار وحامل القرآن ينزه عن هذا كله فيقيم الادب على الصبي من غير أن يتناول عرضه ولا شتم أبويه بل يؤدبه كما يؤدبه والداه وهما يرحمانه ويشفقان عليه ويذبان عنه في كل أحواله وقد تقدم انه ينبغي للآباء أن ينظروا لاولادهم من المؤدبين من هو أورع وأزهد وأتقى الى غير ذلك مما تقدم لانه رضاع

فان للصبي بعد رضاع الأم (واذا) كان ذلك كذلك فليحذر أن يفعل ما أحدثه بعض عوام المسلمين باولادهم من انهم يخرجونهم من المكتب الذي يقرؤن فيه كتاب ربهم عز وجل و يتعلمون فيه شريعة نبيهم عليه الصلاة والسلام و يذهبون بهم الى كتاب النصارى لتعليم الحساب وهذا رضاع ثالث بعد رضاع المؤدب وقد قيل الرضاع بغير الطباع فهذا أمر شنيع قبيح من الفعل لان الولد لم تحصل له قوة الايمان بعد ولم يقرأ العلم ولم يعرف أقوال العلماء وقد تسمق اليه الدسائس من النصراني الذي يقرأ عليه الحساب أو من الجماعة الذين عنده صغارا كانوا أو كبارا ثم ان النصراني مع ذلك يؤدبه على ما يخطر له و يمر ببالة من كفره وطغيانه و يظهر أن ذلك من قبل تعليمه الحساب وهذا لا يرضى به عاقل ولا من فيه مروءة من المسلمين والصبي في هذا السن قابل لكل ما يلقى اليه مثل الشمع أي شئ عملت عليه طبع فيه فيخاف على الولد وهو الغالب أن يتغير حاله فيرجع مكان الصدق كذابا ومكان وضع النصيحة غشاشا وخديعة وموضع الالفة بالمسلمين انقطاعا ووحشة ومكان الاستسلام والانقياد خبثا ومداهنة الى غير ذلك من مكرهم وخصالهم الرديئة (واذا) كان ذلك كذلك فيخشى عليه أن يركن الى قول النصراني أو الى شئ ما من اعتقاده أو استحسان حال من أحواله (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى لا تمكن زائغ القلب من أذنيك لا تدري ما يعلق من ذلك (ولقد) سمع رجل من الانصار من أهل المدينة شيأ من بعض أهل القدر فعلق قلبه به فكان يأتي اخوانه الذين استصحبهم فاذا نهوه قال كيف بما علق قلبي لو علمت أن الله راض ان ألقي نفسي من فوق هذه المنارة لفعلت (ومن) قول أهل السنة لا يعذر من أداه اجتهاده الى بدعة لان الخوارج اجتهدوا في التأويل فلم يعذروا واذ خرجوا بتأويلهم عن الصحابة قسماهم الرسول صلى الله عليه وسلم مارقين من الدين نقله ابن يونس (ومن) كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضيل الاصبهاني رحمه الله تعالى قال بشر بن الحارث أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى لا تخاصم أهل الاهواء فيلقوا في قلبك شيأ فيردك فيسخط الله عليك (وقال) عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى من جعل دينه غرضا للخصومات فقد أكثر الشغل (وقال) جعفر بن محمد رحمه الله اياكم والخصومات في الدين فانها تشغل القلب وتورث النفاق اه وقد كان السلف رضي الله عنهم يتحفظون على الرضاع الثالث أكثر من الرضاعين المتقدمين وهما رضاع الام ورضاع المؤدب لان الصبي قد جمع له عقل ومعرفة بالامور وقابلية لقبول ما سمعه أو رآه (واذا) كان ذلك كذلك فيتعين أن يكون بعد رضاع المؤدب رضاع العلماء العاملين بعلمهم المتبعين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم المبينين لها الكاشفين عن غامضها والمخرجين لخبايا ها فاذا ارتضع الصبي هذا الرضاع الثالث فالغالب انه ان وقع له غير ما سبق اليه سارع بسبب علمه وما انطبع عليه من معرفة ما تحصل عنده من الكتاب والسنة ومحبتهما وايثارهما الى انكاره وعدم قبوله لذلك (وقد) جاء بعض الناس بولده الى بعض السلف رحمه الله يريد أن يقرئه فقال له أقرأ قبل هذا علما غير ما نحن فيه يعني من علم الكتاب والسنة قال نعم قال وما هو قال العربية قال له اذهب بولدك فانه لا يجيء منه شئ قال ولم قال لانه قد سبق اليه تغزلات العرب وأشعارها وجبل على ذلك فكيف يمكن صلاحه فلم يقرئه ومعلوم بالضرورة ان العربية مطلوبة في الدين لاجل فهم الكتاب العزيز وفهم سنة النبي صلى الله عليه وسلم لكن ما وقع لوم هذا السيد له الا لما سبق له من تغزلات العرب وأشعارها فلو سبق له العلم بالكتاب والسنة أو بعضه من حيث انه يعلم ما يجب عليه وما يسن وما يندب اليه لما عذله فاذا كان هذا تحفظهم على سبق العربية مع وجود الاحتياج اليها في الشرع كما تقدم

فما بالك بغيرها (وما) قدمناه في حق المؤدب من انه اذا كان عنده علم من العربية فهو أحسن أعني انه يكون عالما بالعوامل وهو لم رفع هذا ونصب هذا وخفض هذا وما أشبه ذلك لان علوم العربية على أربعة اقسام أحدها علم العوامل وهو ما تقدم ذكره والثاني علم اللغة والثالث علم الادب والرابع علم البديع فالاول هو الذي يحتاج اليه المؤدب وليس فيه كبير أمر في الغالب (ثم نرجع) الى تمام ما بقي من المفاسد التي في دخول الصبي الكتاب النصارى (فمن ذلك) ما في ظاهره من الذلة للمسلمين بسبب ما فعل هذا بولده وفيه تعظيم النصارى فانهم اذا رأوا أولاد المسلمين يأتون اليهم ليتعلموا هذه الفضيلة منهم رأوا أن لهم رفعة وسودد او فضيلة على المسلمين وهذا كله ممنوع شرعا وعقلا فيا لله و يا للعجب كيف يترك التعليم من المسلمين وهم متوافرون في هذا العلم وغيره من العلوم الشرعية ويأتي الى نصراني عدو لله دين وعدو لله ولرسوله مظهر لذلك معاند للمسلمين فهذا من الخسف الباطني الذي لا يرتاب فيه ولا يشك (فان) قال قائل ان النصارى في علم الحساب والطب أحذق وأعرف بالتعليم من غيرهم من المسلمين (فالجواب) ان هذا باطل لانه لو كان الصبي علم كل ما عند المسلمين من العلم الذي يريد أن يتعلمه من النصراني حتى فاق المسلمين في ذلك ثم أتى بعد ذلك الى النصراني لزيادة عنده فيه لكان هذا القول فيه شيء ما من الميل الى ذلك فكيف والصبي بعد لم يلم بشيء من الحساب ولا غيره ولو عرفه لكان والحمد لله في المسلمين من يعرف أكثر من النصراني وأمثاله فلا حاجة تدعو الى التعليم من أهل الكفر والضلال (وقد أقامهم) عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال قد أغنى الله عنكم بالمسلمين (وقد) نهى رضي الله عنه أن يتخذ أحد من أهل الكتاب كاتبا (وقال) جوابا لمن أثنى على نصراني بالمعرفة والحذق في الحساب مات النصراني والسلام (وقال أيضا) لا تكرموهم وقد أهانهم الله تعالى ولا تؤمنوهم وقد خونهم الله تعالى ولا تستعلموا على أنفسكم وأموالكم الا المسلمين الذين يخشون الله تعالى أو كما قال (فانظر) رحمنا الله تعالى وإياك الى اشتراط أمير المؤمنين رضي الله عنه الخشية فيمن تولى من المسلمين على المسلمين فما بالك في حق أعداء الدين وانما هي حجج شيطانية ونفسانية وركوب للهوى وركون للعوائد الردية وترك للنظر الى أمر الشريعة وما يندب اليه من الفوائد الجمة العظيمة والاخلاق الجميلة اسأل الله السلامة بمنه وفيه من المفاسد التي يأباها الاسلام ومن فيه عندوية طبع وانقياد للشريعة المطهرة (وهي) أن المعلم النصراني يجلس على موضع مرتفع وأولاد المسلمين دونه و يقبلون يده أو ركبته حين اتيانهم اليه وانصرافهم و يقيم السطوة عليهم وقد تقدم بعض ذلك (وفيه أيضا) ان الولد يتربى على ترك التحفظ من النجاسة لانهم ليس عندهم نجاسة فيما يعتقدونه الادم الحيض ليس الا وأبوالهم وفضلاتهم كلها طاهرة عندهم وقد يسقون الادوية بالنجاسات و يكتبون منها فتنجس أجسادهم وأثوابهم من ذلك (ومنها) ان المعلم يشرب الخمر بحضرتهم وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم حاملها وحاضرها في جملة من لعن بسببها والولد المسلم هو حاضرها والحالة هذه ويكون حاملها في بعض الاحيان فان كان الولد بالغا أو مراهقا فهو داخل تحت اللعنة وان كان صبيا صغيرا فاللعنة عائدة على والديه أو وليه أو من أشار عليه بذلك وقل أن يسلم الولد من شؤم ذلك وان كان صغيرا غير مكلف وربما أمرهم المعلم بحمل الخمر اليه أو الى بيته لان من عادته أن يستقضيهم في حوائجه وضرورياته (ومنها) ان الولد لا يقدر على الصلاة بحضرته و يمنعهم من الانصراف في وقت صلاة الظهر أو العصر أو هما معا وقد يموتون عليهم في صلاة الجمعة حتى يخرج وقتها أو يفوته بعضها (ومنها) ان الولد في صوم رمضان يعيبون عليه في ذلك و يضحكون منه و يستهزؤن (ومنها) أنهم اذا كان صومهم يمنعون الماء أن يؤتى به الى ذلك الموضع

فيبقى أولاد المسلمين بالعطش غالبا (ومنها) أنه يخاف على الولد وهو الغالب أن يقع فى اعتقادهم الباطل أو فى بحث بعضهم مع بعض فى ألواحهم فان أكثرها مكتوب بالعربية ويتكلمون باللسان العربى بحضرته فقد يسبق الى الولد يتعلق بذهنه ما هم عليه فان وقع له شئ من ذلك قل أن يتأتى خلاصه منه غالبا (وسبب) وقوع هذه النازلة ما أخبر به عليه الصلاة والسلام فى الحديث حب الدنيا رأس كل خطيئة (فانظر) رحمنا الله تعالى وإياك الى هذا الامر المخوف وهو أنه ما كان سبب اتيان الولد الى النصرانى لتعليم الحساب الا حب الدنيا غالبا لاجرم أنهم عوقبوا على ذلك بتغيضه فوقعوا فى الفقر والفاقة والوقوف على أبواب الظلمة من الكتبة وغيرهم (واذا) تربى الولد على مثل هذا الحال يخاف عليه من أحد أمرين (أولهما) وهو أشدهما أن يدخل عليه شئ فى اعتقاده كما تقدم (والثانى) أن يقل اهتباله بأمر دينه فى حق نفسه وفى حق غيره فأى شئ وقع منه من المخالفات أو من غيرها فلا يكترث به ولا يندم فى حق نفسه ولا يغير على غيره وهذه خصلة تنافى اخلاق المسلمين وهديهم وآدابهم (وقد قال الشيخ أبو محمد بن أبى زيد رحمه الله تعالى فى كتاب الرسالة له واعلم ان خير القلوب أوعاها للخير وأرجى القلوب للخير ما لم يسبق الشر اليه وأولى ما عنى به الناصحون ورغب فى أجره الراغبون ايصال الخير الى قلوب أولاد المؤمنين ليرسخ فيها وتنبيههم على معالم الديانة وحدود الشريعة ليراضوا عليها وما عليهم أن تعتقده من الدين قلوبهم وتعمل به جوارحهم فانه روى ان تعليم الصغار لكتاب الله يطفئ غضب الله وان تعليم الشئ فى الصغر كالنقش فى الحجر اه (واذا) كان ذلك كذلك فيخاف على الولد الذى يدخل كتاب النصارى أن ينتقش فى قلبه ما هم عليه أو بعضه ولا أعدل بالسلامة شيأ نسأل الله السلامة بمنه (ومن) أقبح ما فيه وأهجنه وأوحشه أن الولد يتربى على تعظيم النصارى والقيام لهم الذى قد تقدم منعه فى حق أهل الخير والصلاح من المسلمين وعدم الاستيحاش من عوائدهم وسماع اعتقاد أديانهم الباطلة حتى لو خرج الصبى من مكتبهم لبقى على عادتهم فى التعظيم لهم وعدم الاستيحاش منهم ومن أديانهم الباطلة وانه اذا رأى معلمه الذى علمه الحساب أو الطب قام اليه وعظمه كتعظيم ما اصطلح عليه بعض المسلمين مع بعض أو أكثر غالبا وكذلك يفعل مع كل من يحببه فى مكتب معلمه النصرانى من جماعة أهل دينه فيألف هذه العادة الذميمة المسخوطة شرعا ولا يرضى بهذه الاحوال من له عقل أو غيرة اسلامية أو التفات الى الشرع الشريف (ألا ترى) الى قوله تعالى فى كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين وقوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم وقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة الى غير ذلك من الآيات والاحاديث وهى كثيرة متعددة وفيما ذكر تنبيه على ما عداه

﴿فصل فى تزويق الالواح﴾ وأما تزويق الالواح فى الاصرافات والاعياد فى بعض البلاد فهو من باب المباح الجائز وفيه ادخال السرور على الاولاد وادخال السرور فيه من الاجر ما قد علم وفيه التنشيط للصبيان على الاعتناء بالمواظبة على القراءة (لكن) يتعين عليه أن يجتنب ما أحدثوه من المفاسد فى الاصرافات وهى كثيرة متعددة (فمنها) تزيين المكتب فى الاعياد والاصرافات بالحرير وغيره أرضا وحيطانا وسقفا وقد تقدمت شناعة ذلك وقبحه فى زينة الاسواق للحمل أو غيره سيما اذا انضاف الى ذلك

اهتباله أى اهتمامه

أن يكون فيه صور مما له روح فيكون فى ارتكاب ذلك نقيض ما جلس المؤدب اليه فاذا كان السوق يمنع فيه ذلك فمن باب أولى موضع يتلى فيه كلام الله عز وجل فمنعه فيه أو جب (ثم) بقيت أفعال يفعلها بعضهم فى الاصرافات وهى قبيحة مستهجنة (فمنها) انهم يجعلون لوح الاصرافة مكفتا بالفضة فى خرقة من حرير واستعمال الحرير لا يجوز الا للنساء حيث أو جز لهن ذلك (وأما) تكفيت اللوح بالفضة فلا يجوز لوجهين (أحدهما) لما فيه من السرف (والثانى) لما فيه من الخيلاء وقد ورد أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن المتشبهين من الرجال بالنساء وبعض هؤلاء يأخذون الصبى الذى له الاصرافة فيزينونه كما يزينون النساء فيحففونه ويخططونه ويلبسونه الحرير ويحلونه بالقلائد من الذهب وغيره مع قلائد العنبر كانه عروس تجلى ويركبونه على فرس أو بغلة مزينة باللباس من الحرير والذهب وغيرهما فيجعلون عليها كنبوشا من الحرير المزركش بالذهب ويلبسون وجهها وجهاما من ذهب (ثم) يضيفون الى ذلك أشياء رذيلة (منها) انهم يحملون أمامه اطباقا فيها ثياب من حرير وعمائم معممة على صفة (ثم) هم يختلفون فيما يفعلون بين يديه (فمنهم) من يمشى بين يديه صبيان المكتب وينشدون فى طريقه الى أن يوصلوه الى بيته (ومنهم) من يضيف الى ذلك القراءة يقرؤن كتاب الله عز وجل بين يديه فيزيدون فيه وينقصون كما تقدم فى الجنائز (ثم) يضيفون اليه المكبرين والمؤذنين على عادتهم الذميمة فى جنائزهم (ثم بعد) ذلك يمرون فى الاسواق ويلقاهم من ينسب الى العلم أو الخير والصلاح أو المجموع وقل ان تجد من يغير عليهم شيئا من ذلك فى الغالب فانا لله وانا اليه راجعون (ومنهم) من يعوض عما ذكر بما هو أشنع وأقبح وهو أن يضرب بين يديه بالطبل والبوق (وبعضهم) يمشون الفيل والزرافة بين يديه مع رمى النفط (وبعضهم) يمشى بين يديه المغنية وطائفتها مكشوفة على ما يعهد من حالها مع ضرب الطار والشبابة والغناء وترفع عقيرتها على ما يعهد من فتنتها فكان الاولى للفرح بكتاب الله تعالى فكانوا فى قربة فعكسوه بما هو ضده أسأل الله تعالى السلامة عنه ولو كلف أحدهم ان يتصدق ببعض ما صرفه فيما لا يجوز مما صنعه فى الاصرافة لشق ذلك عليه فى الغالب لانه محض طاعة لله تعالى سر ليس فيه لهو ولا لعب ولا رياء ولا سمعة وذلك شاق على النفوس الا من رحم ربك (ثم) يضيفون الى ذلك فعلا قبيحا وهو أن بعض المؤدبين يدخلون مع صاحب الاصرافة البيت ويجلسون من النساء وهن منبرجات على ما يعلم من عادتهن فى بيوتهن ويعطى اللوح لأم صاحب الاصرافة أو لاخته أو لخالته أو لعمته أو لجارته الى غير ذلك من أقارب الولد ومعارفه حتى تنقط كل واحدة منهن من الفضة بما أمكنها وذلك محرم لا يجوز لانه اجنبى عنهن فلا يجوز لهن ان يظهرن عليه ولا ان يسمع كلامهن الا لضرورة شرعية والضرورة هنا معدومة والله تعالى الموفق (وينبغى) لوالد الصبى بل يتعين عليه أن يتجنب ما يفعله بعض الناس فى هذا الزمان وهو أن الصبى اذا ذهب أكثر التعب به وقرب من ان يختم القرآن نقله والده الى كتاب آخر حتى يفوت الاول ما استحقه من الاصرافة (وقد) قال مالك رحمه الله تعالى فى الصبى اذا دخل سورة الاعراف عند مؤدب ثم انتقل الى غيره فاصرافة البقرة قد استحقها المؤدب الاول واختلف قوله فيما اذا دخل سورة يونس عليه الصلاة والسلام هل يستحقها الاول أو الثانى قولان ولا يختص هذا باصرافة سورة البقرة ليس الابل هو عام فى كل اصرافة من القرآن قرب اليها الصبى فان المؤدب الاول يستحقها (ومن) كتاب البيان والتحصيل سئل مالك رحمه الله تعالى عن تعليم أولاد اليهود والنصارى الكتابة بغير قراءة قرآن فقال لا والله ما أحب ذلك يصيرون الى أن يقرؤا القرآن قال وسألته عن تعليم المسلم عند النصرانى كتاب المسلمين أو كتاب الاعجمية فقال لا والله

لا أحب ذلك وكرهه قال ولا يتعلم المسلم عند النصراني ولا النصراني عند المسلم لقول الله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم (قال) ابن رشد رحمه الله تعالى اما تعليم المسلم أبناء اليهود والنصارى أو تعليمهم عندهم فالكراهة في ذلك بينة (وقد) قال الامام ابن حبيب رحمه الله تعالى ان ذلك سخطة ممن فعله مسطقة لامامته وشهادته (وقال) ابن رشد في الحذاقة يعني الاصرافة انه يقضى بها وذكر عن ابن حبيب أنه فرق بينها وبين الاحضار فقال انه لا يقضى بالاحضار في الاعياد وان كان ذلك مستحبا فعله في أعياد المسلمين ومكروها في اعياد النصارى مثل النيروز والمهرجان ولا يجوز لمن فعله ولا يحل لمن قبله لانه من تعظيم الشرك

﴿فصل في ذكر آداب المجاهد وكيفية نيته وهديه﴾

قد تقدم رحمنا الله واياك آداب العالم وهديه وما احتوت عليه نيته فالمجاهد وغيره تبع له في ذلك كله الا شيئا قليلا اختص به العالم وشيأ قليلا اختص به المجاهد يقع ذكره ان شاء الله تعالى (ولتعلم) ان الجهاد ينقسم الى قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر فالجهاد الاكبر هو جهاد النفوس لقوله عليه الصلاة والسلام هبطتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر والكلام عليه يأتي ان شاء الله تعالى في ذكر آداب الفقير المنقطع (والكلام هنا) انما هو على الجهاد الاصغر وهو جهاد أهل الكفر والعناد وهو من أجل الطاعات وأعظمها وقد تقدم ان أفضل الاعمال طلب العلم لان به يعرف المجاهد فضيلة الجهاد وكيف يجاهد وبماذا يصح له الجهاد وبماذا يفسد وكذلك غيره من أمور الدين فكان أفضل الاعمال لما جاء في تفضيله في الحديث الصحيح والحديث ليس على عمومه لان ذلك راجع الى أحوال الناس فرب شخص ليس فيه أهلية لطلب العلم وهو قادر على الجهاد لما فيه من فضل القوة والشجاعة والاقدام فالجهاد في حق هذا يتأكد أمره وآخر يكون فيه ذكاء وفهم وحفظ وتحصيل للمسائل وهو ضعيف في نفسه ليس له قوة على الضرب والطعن فطلب العلم لمثل هذا يتعين وقد يتعين عليه الجهاد بحسب حال الوقت (وبالجملة) فالجهاد فيه فضل كبير جاء به الكتاب العزيز والحديث الصحيح (لكن) ينبغي للمجاهد أن لا يدخل في الجهاد حتى يسأل أهل العلم عما يلزمه في جهاده ان لم يعلمه (لقوله) عليه الصلاة والسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم (قال) العلماء المحققون في معناه ما وجب عليك عمله وجب عليك العلم به اه فيعرف أولا الاحكام اللازمة له وحينئذ يدخل فيه فيبدأ باذكره علماؤنا رحمة الله عليهم من الاحكام اللازمة فمن ذلك انهم قالوا شرط وجوب الجهاد سبعة وهي أن يكون مسلما عاقلا بالغا ذكرا حرا مستطيعا بصحة البدن والمال وفرائضه ستة النية وطاعة الامام وترك الغلول والوفاء بالامان والثبات عند الزحف وأن لا يفر واحد من اثنين

﴿فصل في الغنيمة﴾ والغنيمة يستحقها من اتصف بعشرة شروط السبعة المتقدم ذكرها وأن يكون خرج للجهاد لا للتجارة ولا للاجارة وأن تكون الغنيمة حصلت بالقتال أو ما أوجف عليه بالخيل والركاب

﴿فصل في حكم الاسارى﴾ والامام مخير في الاسارى بين خمسة أشياء القتل والاسترقاق والمن والفداء والجزية

﴿فصل في الاوصاف الموجبة للجزية﴾

الجزية واجبة بعشرة أوصاف الكفر والاقامة عليه بدار الاسلام وأن يكون عاقلا بالغا ذكرا حرا غير معتق لمسلم قادرا على أدائها ولا يكون قرشيا ولا مرتدا

﴿فصل في حكم المرتدين﴾ دار المرتدين تفارق دار الحرب من أربعة أوجه أحدها انهم لا يهادنون على الاقامة ببلدهم الثاني انهم لا يصالحون على مال يقرون به على ردتهم الثالث لا تسترق رجالهم ولا تسبى نساؤهم الرابع لا يملك الغانمون أموالهم وهي أيضا تفارق دار الاسلام من أربعة أوجه

أحدها أنه يجوز قتالهم مقبلين ومدبرين كالمشركين الثانى اباحة دمائهم أسرى وممتنعين الثالث أن أموالهم تصير فيئا للمسلمين الرابع بطلان منا كحتهم

﴿فصل فى قتال الفئة الباغية﴾ وهى التى تفارق الامام ورأى الجماعة وتنفرد بمذهب مبتدع وتنعزل بدار ويفارق قتالهم قتال المشركين من ثلاثة عشر وجها (أحدها) انهم يقاتلون بقية ردعهم ولا يتعمد به قتلهم (الثانى) يقاتلون مقبلين ويكف عنهم مدبرين (الثالث) لايجهز على جريحهم (الرابع) لاتقتل أسراهم (الخامس) لاتسبى نساؤهم (السادس) لاتسبى ذراريهم (السابع) لاتغنم أموالهم (الثامن) لايهادنون على الاقامة ببلدهم (التاسع) لايصالحون على مال يقرون به على بدعتهم (العاشر) لايستعان على قتالهم بمشرك (الحادى عشر) لاينصب عليهم الرعادات (الثانى عشر) لاتحرق عليهم بيوتهم (الثالث عشر) لاتقطع أشجارهم

﴿فصل فى حكم المحاربين﴾ قتال المحاربين كقتال الفئة الباغية فى عامة أحوالهم الا فى خمسة أشياء يخالفونهم فيها (أحدها) انهم يقاتلون مقبلين ومدبرين (الثانى) يجوز أن يتعمد فى الحرب قتلهم (الثالث) أنه يجوز حبس أسراهم لاستبراء حالهم (الرابع) انهم ضامنون لما استهلكوه من دم أو مال فى الحرب وغيره ولا يجوز ذلك فى الفئة الباغية بعد انجلاء الحرب (الخامس) ان ما أخذوه من خراج وصدقات فهو كالمأخوذ غصبا فعلى من أخذه من يده غرمه (فاذا) تحصل عنده معرفة ماذكر فليكن عالما بأحكام صلاة الخوف فى الحالتين من قتال وغيره وكيفية مايلزمه من ذلك كله (وكذلك) يتعين عليه معرفة أحكام التيمم وفى أى وقت يلزمه وفى أى وقت يحرم عليه ومسائله وقد تقدم بيان هذا عند ذكر غسل المرأة فى بيتها وكذلك ينبغى له أن يعرف أحكام صلاة المسافر وفى أى وقت يقصر وفى أى وقت يتم وذلك كله موجود فى كتب الفقهاء متيسر على ألسنتهم لمن جاء اليهم مستفتيا لان الصلاة هى عماد الدين وبها قوامه فاذا كان المجاهد يخل بها أو بركن من أركانها كان تركه للجهاد أولى به بل أوجب عليه اذا لم يتعين فاذا تعين والحالة هذه كان عاصيا وان كان مجاهدا (وهذه) مسئلة قد عمت بها البلوى لانا نرى ونباشر من يخرج الى الجهاد وغالب أحوالهم عدم الفقه وعدم المعرفة بكل ماذكر أو باكثره وقل من تجده منهم يجتمع باحد من أهل العلم ويسأل عما يلزمه من الاحكام فيما ذكر سيما صلاة الخوف التى ما بقيت تعرف عندهم فى الغالب ولا تذكر الا فى كتب الفقهاء كانها حكاية تحكى سيما صلاة المسايفة فانها كادت لا تعرف أيضا لعدم فاعلها او قلة السؤال عنها فيخرج المجاهد وهو عند نفسه انه فى طاعة وهو يقع فى مخالفات جمة لعدم التلبس بمعرفة ماذكر وقد يكون سببا الى وقوع الرعب فى قلبه من العدو وانهزامه عند رؤيته فان العدو انما يستعد له باقامة هذا الدين قال الله تعالى فى كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم قال علماؤنا رحمة الله عليهم نصر العبد لربه هو اتباع أمره واجتناب نهيه فاذا فعل ذلك كان سببا لنصرة الله تعالى له وأمنه مما يخاف سيما والمجاهد انما يجاهد لاجل الدين والصلاة هى عماده وبها قوامه (وقد ورد) أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه جاءه كتاب من بعض جيوشه بالشام وهم يخبرونه فيه بأنهم قد افتتحوا البلدة التى نزلوا بها وكان الحرب بينهم وبين أهلها من أول النهار الى الزوال فبكى حتى بلت دموعه لحيته فقيل له أتبكى والنصر لنا فقال والله ما الكفر يقف أمام الاسلام من غدوة الى الزوال الامن أمر أحدثتموه أنتم أو أنا (فانظر) الى ماقرره عمر رضى الله عنه ما نظر فى النصر وعدمه الا بصلاح الحال وفساده فيما بين العبد وربه فأين هذا الحال الذى ذكر من حال أكثر الناس اليوم فى كونهم يخرجون

الصلاة عن وقتها او يقضونها بعد ذلك ولا قائل به من المسلمين أعني جواز اخراجها عن وقتها عمدا من غير عذر شرعي والعذر الشرعي انما هو زوال العقل أو استتاره ألا ترى أن المسايف تجب الصلاة عليه وهو يضارب ويجوز له أن يتكلم ان اضطر الى ذلك وهو يصلي ويجوز له أن يصلي لاى جهة كانت ويكبر ويقرأ وكذلك الغريق تجب الصلاة عليه في حال غرقه والمصلوب الى غير ذلك فكل هؤلاء صلاتهم انما هي بالايماء واللسان واغتفر في حقهم ومن شابههم ترك فرائض الصلاة جملة في حال صلاتهم اذ ذاك خيفة على الوقت أن يخرج فلو ترك أحدهم ما لزمه من الاتيان بالصلاة في الوقت على الصفة المذكورة كان عاصيا وان قضاها بعد خروج وقتها الان علماء نا رحمة الله عليهم قد اختلفوا فيمن أخرج الصلاة عن وقتها متعمدا هل عليه قضاء أم لا فالمشهور أن القضاء واجب عليه وانه آثم فيما فعله من التأخير وذهب بعضهم الى أنه لا قضاء عليه بناء منهم على انه مرتد وحكمه معروف (وما ذكر) في حق المجاهد من تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها هو موجود بعينه في كثير من الحجاج كما هو مشاهد من أحوالهم وانهم يحصلون الزاد والراحلة وما يحتاجون اليه من ضروراتهم بخلاف ما يحتاجون اليه من أمور دينهم فقل من يسأل عن مسائل التيمم وقصر الصلاة واتمامها وأحكام الحج ومناسكه وان وجد ذلك من بعضهم فالغالب منهم انهم يعتنون في المناسك بأدعية معلومة على قانون معروف فيعولون عليها ويتركون ذكر الاحكام في الغالب (وقد) كره مالك رحمه الله تعيين الدعاء لبعض الاركان وقال هذه بدعة انما يذكر الله ويدعو بما يمر بباله أو كما قال (ثم نرجع) الى ما كنا بسبيله من أمر الجهاد فمن أهم ما يقدم فيه قبل الخروج اليه وعنده حسن النية واهتمامه بها والتعويل عليها وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم بيانها أتم بيان حين جاءه الاعرابي فقال له يا رسول الله ما القتال في سبيل الله فان أحدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية فرفع اليه رأسه قال وما رفع اليه رأسه الا انه كان قائما فقال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله اه (فقد) اتضح وبان ما ينوى المجاهد حين خروجه وتلبسه بالقتال وأما ما يقع له بعد تصحيح نيته فغير مناوئ له لا عبرة به ولا يؤاخذ به لان الاعرابي قال فان أحدنا يقاتل غضبا ويقاتل حمية فأجابه عليه الصلاة والسلام بما تقدم ذكره فدل على أنه اذا نوى أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا لا يضره ما اعتراه بعد ذلك من قتاله غضبا أو حمية أو ما أشبههما الان هذا كله من وساوس الشيطان ونزغاته وهو اجس النفوس التي لا تملك والله عز وجل قد رفع ذلك عنا ومن علينا بترك المحاسبة عليه ببركة هذا النبي الكريم على ربه عز وجل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله الآية ضج الصحابة رضي الله عنهم من ذلك وأتوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله كلفنا الصلاة والصوم والزكاة والحج فقبلناه وأما ما يقع في نفوسنا فلا نقدر على ذلك أو كما قالوا فعلمهم عليه الصلاة والسلام الادب مع الربوبية فقال أتقولون مثل ما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا ولكن قولوا سمعنا وأطعنا فقالوا سمعنا وأطعنا فأنزل الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها الى آخر السورة فرفع الله تعالى الاصر عنهم وعدم المؤاخذة بالوسواس والهواجس (ولاجل) هذا المعنى الذي نحن بسبيله قال عليه الصلاة والسلام لما أن جاءه أصحابه يشكون له مما وقع لهم من هذا المعنى فقالوا انا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به فقال صلى الله عليه وسلم أوجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان الحمد لله الذي رد كيده لهذا فقوله عليه الصلاة والسلام ذلك صريح الايمان يعني في دفعه وتعاظم الامر عندهم لافي نفس وقوعه وقوله عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي رد كيده لهذا وذلك ان ابليس اللعين لم يقنع منهم في الجاهلية حتى

جعلهم ينشرون خشبا و ينحتون حجارة و يجعلونها صورا يسجدون لها و يعبدونها من دون الله عز وجل وهم قد صنعوها بأيديهم فلما أن جاء الاسلام وظهر أمره وانتشر أيس ابليس اللعين أن يردهم الى ما كانوا عليه فلم تبق له حيلة الا الوسواس والهواجس المشوشة على قلوب المؤمنين فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذى رد كيده لهذا الخمد صلى الله عليه وسلم ربه على كون اللعين عجزت قدرته عن جميع الحيل اذ أن ما بقى له من الحيل الا الوسواس والهواجس وذلك غير مؤاخذ به من وقع له ولو وقف المكلف مع ما يقع له من الهواجس قل أن يتأتى له أداء عبادة بسبب تسليطه (فالحاصل) أنه يقاتل أولا بنية أن تكون كلمة الله هى العليا كما تقدم وأن يحتسب نفسه وماله لله عز وجل لقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة الى آخر الآية وقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص (وقد) نقل الشيخ الامام أبو محمد عبد الحميد الصدف المشهور بابن أبى الدنيا قال روى الترمذى عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه قال عبانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ليلا والتعبية هى تسوية الصفوف وتقدمة العمل الصالح بين يدى القتال من الامام والناس من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ابرجى به الظفر والنصر قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره (ثم) الادارة على العدو والخديعة له من أسباب الظفر (أخرج) مسلم بن الحجاج فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة (وروى) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد غزوا ورى عنه بغيره (ومن) الخدع فى الحرب ما خدعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الاحزاب روى أن رجلا من المسلمين كان لا يكتم الحديث وكان مع المشركين عام الاحزاب وكان يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يوما للنبى صلى الله عليه وسلم ان بنى قريظة قد مالوا عليك فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلنا أمرناهم بذلك فأتى الرجل أبا سفيان فقال هل علمت محمدا يقول ما ليس هو قال لا قال فانه يقول فى بنى قريظة لعلنا أمرناهم بذلك قال سننظر فارسل الى بنى قريظة قال نخب أن تعطونا رهائن و وافق ذلك أن كان ليلة السبت للقدر المقدو رفقالوا نحن فى السبت فان انقضى فعلنا فقال أبو سفيان نحن فى مكر بنى قريظة فألقى الله تعالى فى قلوبهم الرعب وأرسل عليهم ريحا وجنودا لم تروها و رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكانت هذه من الخدع التى خدعهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنه) عن ابن أبى أوفى قال سمعته يعنى النبى صلى الله عليه وسلم يدعو على الاحزاب اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم و زلزلهم فهذا الدعاء ينبغى أن يدعى به عند ملاقاة العدو اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنه) عن المهلب بن أبى صفرة عمن سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان يأتكم العدو فقولوا لهم لا ينصرون (ومنه) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض (ومنه) عن أبى الدرداء قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ابغونى فى ضعفائكم فانما ترزقون وتنصرون بضعفائكم ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ابغونى فى ضعفائكم اى اطلبونى أى انه يكون معهم ويؤيد ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى انا مع المنكسرة قلوبهم من أجلى فاذا كان الله معهم فهم منصورون و يريد بالضعفاء والله أعلم الذين لم يكن لهم ظهور فى الدنيا ولا لهم طالبون لها وهم زاهدون فى دنياهم راغبون فى آخرتهم طائعون لله تعالى ناصرون لدينه فهم منصورون قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم وقال والله مع الصابرين اى بالنصر والمعونة اى مع الصابرين عن المشتهيات من المحرمات والصابرين على الطاعات وجهاد

الكفار فالله ناصرهم ومعينهم (روى) عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لخالد بن الوليد حين بعثه لقتال أهل الردة أحرص على الموت توهب لك الحياة (ووجه) أبو مسلم قوما الى الغزو فقال ألزموا قلوبكم الصبر فانه سيف الظفر واذكروا كثرة الضغائن فانها تحض على الاقدام والزموا الطاعة فانها حصن المحارب (ومن الحكمة) قوة النفس في الحرب علامة الظفر (ومنها) تقحم الحرب ينجح القلب (ومنها) الهزيمة تحل العزيمة (ومنها) الحيل أبلغ من العمل (ومنها) الرأي السديد أجدى من الأيد الشديد (ومنها) شدة الصبر فاتحة النصر (وينبغي) المشورة في القتال وفي كل أمر يعرض (وفي الترمذي) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت أحدا أكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنه ينبغي مشورة من له عقل ودين وتجارب (من كلام الحكمة) توق مشورة الجاهل (ومنها) لا تشاور من تميل به رغبته أو رهبته (أخرج) مسلم بن الحجاج في صحيحه بالاسناد عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله (ومنه) عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لن يبرح هذا الدين قائما تقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة (ومنه) عن سعد بن أبي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قال البخاري رضي الله عنه ورحمه هذه الطائفة هم أهل العلم وقال القاضي عياض هم أهل السنة والجماعة اه كلامه بلفظه (ثم) نرجع الى ذكر بعض فضيلة الجهاد (فمن ذلك) ما تقدم من قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم (قال) الشيخ أبو محمد عبد الحميد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال جعل الله تعالى للمجاهدين في سبيله الصفقتين جميعا (بيانه) قول الحسن رضي الله عنه أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومع ذلك أقول أيضا هو خالق فعل المجاهد في قدرته وعزمه على الجهاد في سبيله ورغبته فكل ذلك فضله ونعمته ومنته قل كل من عند الله تبارك وتعالى ربنا يسدي على أيدينا الخير ويمنح عن أياديه الجزاء (وروى) في معنى الآية أن الانصار رضي الله عنهم حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الله بن رواحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال أشترط لربي أن تعبدوه لا تشركوا به شيأ وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل (ومر) برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرأ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم الآية فقال الاعرابي كلام من قال كلام الله تعالى قال بيع والله صريح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد رحمه الله تعالى (فقوله تعالى) وعدا عليه حقا قال هذا وعد مؤكد أخبر الله تعالى أن هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت وقد أثبته في التوراة والانجيل كما أثبته في القرآن (وعن) الجوهري رحمه الله تعالى ناهيك من صفقة البائع فيها رب العالمين والثمن جنة المأوى والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وفي ذلك قيل

أكرم بها صفقة فالرب عاقدها * على لسان رسول الله من مضر
أثمانها جنة ناهيك من نزل * دار بها نعم تخفى عن البشر
أنواع مطعمها من كل شهوتنا * شرابها عسل صاف من الكدر
من كل مالذة طابت مواردها * وحورها درر تزهو على القمر

الايد بوزن السيد معناه القوي الشديد اه

انى لها ثمن دنيا بها محسن * لم يصف مشربها يوما لمعتبر

ثم قال ومن أوفى بعهده من الله لان اخلاف الوعد انما يطرأ على البشر لاحد أمور أو مجموعها وذلك البخل أو شح خوف الفقر او محبة الازدياد من الشهوات * أو لعجز أو لنسيان وذهول أو غير ذلك من الآفات * وكل ذلك محال على خالق الارض والسموات (فهذه الآية) اذا فهمت معانيها وحضرت بخلو القلب وشروط الاستماع لتاليها لا تطلب فى الترغيب فى الجهاد زيادة عليها ولا انضمام شئ من المؤكدات اليها (وذكر) بسنده الى مالك بن أنس فى موطئه عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم القائم الذى لا يفتر عن صلاة ولا صيام حتى يرجع (وقال) الله تعالى ولئن قتلتم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون فهذا وعد من الله سبحانه مؤكد بالقسم اذ أن القتل فى سبيله أو الموت مقترن بهما المغفرة والرحمة وخبره تعالى ووعده حق وتأكيده بالقسم للترغيب فى الجهاد وتحقيق لفضله فى قلوب العباد (أخرج مسلم) فى صحيحه باسناده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه الا جهادا فى سبيلى وايمانا بى وتصديقا برسولى فهو على ضامن ان أدخله الجنة ان مات أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة والذى نفس محمد بيده ما من كلم يكلم فى سبيل الله الا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه لون دم وريحه ريح مسك والذى نفس محمد بيده لولا ان أشق على المسلمين ما قعدت خلف سرية تغزو فى سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيشق عليهم أن يتخلفوا عنى والذى نفس محمد بيده لوددت أنى أغزو فى سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل (قوله) صلى الله عليه وسلم لا يخرجه الا جهادا فى سبيلى وايمانا بى وتصديقا برسولى فى هذا حض على النية وتخليصها من الشوائب الدنيوية والمأمور به من النية أن تكون كلمة الله هى العليا وهى الشهادتان وعلو المتمسك بهما من أهل الايمان لان الكفر اذا علا بالضرورة تكون الشهادتان وشريعة الاسلام السفلى فيقصد بالخروج من بيته هذا مخلصا ويبيع نفسه من الله تعالى بالجنة التى وعدها فى القرآن أو مجموع الامرين ابتغاء الجنة وعلو الكلمتين فاذا صح قصده نال من الله ما وعده (وقوله) هو على ضامن قيل معناه مضمون (وقوله) أو أرجعه الى مسكنه الذى خرج منه نائلا ما نال من أجر أو غنيمة أو بمعنى الواو ورواه أبو داود من أجر وغنيمة (والكلم) الجرح (وباسناده) الى مالك عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يكلم أحد فى سبيل الله والله أعلم بمن يكلم فى سبيله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فى هذا تنبيه على النية (ومنه) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها (وفى حديث) أبى أيوب خير مما طلعت عليه الشمس (الغدوة) بفتح الغين السير الى الزوال مرة واحدة (والروحة) السير من الزوال الى الغروب مرة واحدة (فالمعنى) ان ثواب هذه الغدوة والروحة الواحدة وفضلها ونعيمها على قلتها ويسارتها وخفتها خير من نعيم الدنيا كلها على كثرتها فان نعم الدنيا زائلة فانية ونعم الآخرة دائمة باقية (أو المعنى) ان الدنيا لو نالها ملك بأسرها وأنفقها لثواب الآخرة وأجرها لكان جزاء هذه الغدوة أو الروحة أكثر وفضلها أعظم وأكبر (ومن) صحيح مسلم متصلا عن أبى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أبا سعيد من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة فعجب لها أبو سعيد فقال أعدها على يا رسول الله ففعل ثم قال وأخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء

قوله يثعب بفتح الياء والعين المهملة بينهما مثلثة ساكنة معناه يسيل اه

والارض قال وماهى يارسول الله قال الجهاد فى سبيل الله الجهاد فى سبيل الله الجهاد فى سبيل الله (الدرجات) المنازل فى الجنة بعضها فوق بعض على ماورد به القرآن والسنة قال تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية (ومنه) عن النعمان بن بشير قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا ان أسقى الحاج وقال آخر ما أبالى أن لا عمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد فى سبيل الله تعالى أفضل مما قلتم فزجرهم عمر رضى الله عنه وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر النبى صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت لاستفتيه فيما اختلفتم فيه فانزل الله عزوجل أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله الآية (وعن) أبى سعيد الخدرى ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال أى الناس أفضل فقال رجل يجاهد فى سبيل الله بماله ونفسه قال ثم من قال مؤمن فى شعب من الشعاب يعبد الله ويدع الناس من شره (ومنه) عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه فى سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغى القتل والموت مظانه أو رجل فى غنيمة فى رأس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الاودية يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس الا فى خير (فظهر) من هذا الحديث فضل الجهاد وشرفه والمواظبة عليه وان الاكتساب عنه خير كسب اذا خمس المغنم ولم يستأثر على الغازين بشئ الا ما الضرورة داعية اليه مثل الطعام والشراب وشبههما مما هو مقرر فى السنن المأثورة والكتاب العزيز (والهيعة) الصوت المفزع (والطيران) هو اغاثة المستغيث بأنهى ما يمكن فى الفعل المسرع (والشعف) رؤس الجبال (وفيه) حض على الانزواء عن الناس والاعتزال لما فيه من آفات القيل والقال وهذا الانزواء والاعتزال انما يحمد اذا لم يتوجه فرض الجهاد والقتال أو فرض من الفروض على حسب الاحوال (ومنه) عن أبى بكر بن عبد الله ابن قيس عن أبيه قال سمعت أبى وهو بحضرة العدو يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبواب الجنة تحت ظلال السيوف فقام رجل رث الهيئة فقال يا أبا موسى أأنت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا قال نعم قال فرجع الى أصحابه فقال أقرأ عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه وألقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب حتى قتل (قال) القاضى عياض رحمه الله يعنى ان الجهاد وحضور المعارك سبب لدخولها ومقرب اليها ويظهر والله أعلم ان مكان المعركة وجلاد الكفار منه تنقل روح الشهيد حين الشهادة وتدخل الجنة كما جاء فى القرآن وصحيح الاخبار (ومن) صحيح مسلم ابن الحجاج عن ثابت قال كان أنس عمى سميت به لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا قال فشق عليه قال غبت عن أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولئن أشهدنى الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فهاب أن يقول غيرها قال فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا قال واستقبله سعد بن معاذ فقال له أنس يا أبا عمرو أين قال واها لريح الجنة أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل قال فوجد فى جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية قال وقالت أخته عمتى الربيع بنت النضر فما عرفت أخى الا ببنانه ونزلت هذه الآية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفى أصحابه (قوله) واها لريح الجنة كلمة تلهف وحنين وتشوق الى الجنة وتمن لاجرم انما صدق أعطى سؤله وبلغ مما تمنى مأموله وأوجده الله ريح الجنة كما ورد فى الخبر الصحيح انها توجد

من مسيرة خمسمائة سنة وذلك تشريف من الله تعالى لأهل السعادة وتكرمة لمن كتبت له الشهادة (ومن) مسند النسائي عن فضالة بن عبيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنا زعيم والزعيم الحميل لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل الله ببيت في ربض الجنة وببيت في وسط الجنة وببيت في أعلى غرف الجنة من فعل ذلك لم يدع للخير مطلبا ولا من الشر مهربا يموت حيث يموت (ومن) مسند أبي داود عن أبي أمامة ان رجلا قال يا رسول الله ائذن لي في السياحة قال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله (ومن الترمذي) عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له سبعمائة ضعف (ومنه) عن زيد بن خالد الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في أهله فقد غزا (ومنه) عن يزيد بن أبي مريم قال لقيني عباية بن رفاعة بن رافع وأنا ماش الى الجمعة فقال أبشر فان خطاك هذه في سبيل الله سمعت أبا عبس يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغبرت قدماه في سبيل الله فهما حرام على النار اه كلام الصدف رحمه الله (قال الترمذي) في جامعه أبو عبس هذا اسمه عبد الرحمن بن جبر ويزيد ابن أبي مريم هو رجل شامي روى عنه الوليد بن مسلم ويحيى بن حمزة وغير واحد (ثم) قال الصدف رحمه الله ومنه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم

﴿فصل في الرمي وفضيلته﴾ أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي عن عقبة ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلاث نفر الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله (وفي الترمذي) كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل الا رميه بقوسه وتأديبه فرسه وملاعبته أهله (ومن) مسند الترمذي عن أبي نجيح الاسلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو له عدل محرر (وروى) البخاري عن سلمة بن الاكوع قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر ينتضلون فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني اسماعيل فان أباكم كان راميا وأنا مع بني فلان قال فامسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالكم لا ترمون قالوا كيف نرمي وأنت معهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارموا وأنا معكم كلكم ومن صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه (ومنه) عن عبد الرحمن بن شماسة أن نعيما اللخمي قال لعقبة بن عامر تختلف بين هذين الغرضين وأنت كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه فقيل لابن شماسة وما ذاك قال انه قال من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو قد عصى وقوله صلى الله عليه وسلم فليس منا أي ليس متبعا لنا ولا مهتديا بهدينا تارك الرمي (وكتب عمر) رضي الله عنه لأهل حمص علموا أولادكم السباحة والرماية والفروسية والاحتفاء بين الاغراض وقال احتفوا وتجردوا واخشوشنوا (١) وتمعددوا واقطعوا الركب وانزوا على الخيل نزوا وارموا الاغراض وايا كم ولباس العجم البسوا الازر والاردية والقوا السراويلات واستقبلوا الشمس بوجوهكم فانها شامات العرب واطرحوا الخفاف والبسوا النعال

(١) قوله وتمعددوا قيل انه من التشبه بعيش معد وكانوا أهل شظف وغلظ في العيش يقول كونوا مثلهم ودعوا التنعم وزي العجم كما هو في حديث عليكم باللبسة المعدية وقيل انه من قولهم للغلام اذا شب وغلظ قد تمعدد اه مختار

﴿فصل

﴿فصل فى الرباط وفضله وذكر الخيل وفضلها﴾ أخرج البخارى فى صحيحه عن سهل بن سعد أنه قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا ومافيها وموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا ومافيها والروحة يروحها العبد فى سبيل الله والغدوة خير من الدنيا ومافيها (وروى) الترمذى عن فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذى يموت مرابطا فى سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر (أخرج مالك) فى موطئه وغيره عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذى هى له اجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك له حسنات فهى له أجر ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها فهى لذلك ستر ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهى على ذلك وزر (ومنه) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل فى نواصيها الخير الى يوم القيامة ومنه عن يحيى بن سعيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤى يمسح وجه فرسه بردائه فسئل عن ذلك فقال انى عوتبت الليلة فى الخيل (وروى) العتبى عن مالك أنه سأل بعض أهل ثغر الاسكندرية هل الرجوع لثغرهم والكون فيه للحرس وسده أفضل أم المقام بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحيات لطلب العلم أفضل فرجح لهم الرجوع الى الاسكندرية والكون فيها على ذلك (وروى) عن ابن عمر أنه كان يقول الحرس أفضل من الغزو لان الحرس فيه حفظ دماء المسلمين والغزو فيه اراقة دماء المشركين لحفظ دماء المسلمين أولى (أخرج) الترمذى فى صحيحه عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله (ومن) الترمذى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقى الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثلمة ومنه عن أبى صالح مولى عثمان بن عفان رضى الله عنه قال سمعت عثمان وهو على المنبر يقول انى كتمتكم حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كراهية نفوركم عنى ثم بدا لى أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح (ومنه) عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس شئ أحب الى الله عز وجل من قطرتين وأثرين قطرة دموع من خشية الله تعالى وقطرة دم تهراق فى سبيل الله تعالى وأما الاثران فاثر فى سبيل الله تعالى وأثر فى فريضة من فرائض الله تعالى (قال) ابن حبيب الرباط شعبة من شعب الجهاد (وقيل) من رابط فواق ناقة حرمه الله على النار (قال) ابن حبيب فواق ناقة قدر ما تحلب وقال غيره قدر ما بين الحلبتين (وعن) أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال لحرس ليلة أحب الى من صيام ألف يوم أصومها وأقوم ليلها فى المسجد الحرام وعند قبر النبى صلى الله عليه وسلم وعن مالك بن أنس رحمه الله تعالى ينبغى لكل قوم أن يرابطوا فى ناحيتهم وأن يمسكوا سواحلهم الا أن يكون مكانا مخوفا يخاف فيه على العامة يريد فليذهب اليه (ومن) الحرس فى الثغور حفر الخنادق والاحتساب فى حفرها مستنين فى ذلك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعه عليه الصلاة والسلام للحجر الذى أعيت الصحابة الحيلة فى كسره (أخرج) النسائى عن البراء بن عازب قال لما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذه

المعول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقى ثوبه وأخذ المعول وقال بسم الله ثم ضرب ضربة فكسرت ثلث الصخرة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله انى لأبصر الى قصرها الاحمر الآن من مكانى هذا قال ثم ضرب أخرى وقال بسم الله فقطع ثلثا آخر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله انى لأبصر خضراء المدائن والى القصر الابيض ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع بقية الحجر فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله انى لأبصر باب صنعاء من مكانى الساعه ﴿فصل فى فضل الشهادة﴾ أخرج مسلم فى صحيحه عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال أما انا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح فى الجنة حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل (ومنه) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيا وان له بها ما على الارض من شئ غير الشهيد فانه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفى رواية لما يرى من فضل الشهادة (ومنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع كافر وقاتله فى النار أبدا (ومن الموطأ) عن معاذ بن جبل رضى الله عنه أنه قال الغزو غزوان فغزو تنفق فيه الكريمة ويياسر فيه الشريك ويطاع فيه ذو الامر ويجتنب فيه الفساد ذلك الغزو وخير كله وغزو لا تنفق فيه الكريمة ولا يياسر فيه الشريك ولا يطاع فيه ذو الامر ولا يجتنب فيه الفساد فذلك الغزو لا يرجع صاحبه كفافا (ومن) صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من آمن بالله ورسله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان كان حقا على الله أن يدخله الجنة هاجر فى سبيل الله أو جلس فى أرضه التى ولد فيها قالوا يا رسول الله أفلا ننبئ الناس بذلك قال ان فى الجنة مائة درجة أعدها الله تعالى للمجاهدين فى سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والارض فاذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس فانه وسط الجنة وفوقه عرش الرحمن (ومن) صحيح الترمذى عن المقدام بن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر الله له فى أول قطرة تقطر من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع فى سبعين من أقاربه قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب (ومنه) عن أبى هريرة قال مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عين من ماء عذب فاعجبته لطيبها فقال لو اعتزلت عن الناس فاقمت فى هذا الشعب وان أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة اغزوا فى سبيل الله من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة (ومنه) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض على أول ثلاثة يدخلون الجنة شهيد وعفيف متعفف وعبد أحسن عبادة الله تعالى ونصح لمواليه (ومنه) عن أبى ادريس الخولانى أنه سمع فضالة بن عبيد يقول سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذاك الذى يرفع الناس اليه أعينهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى رفعت قلنسوته قال فما أدرى أقلنسوة عمر أراد أم قلنسوة النبى صلى الله عليه وسلم قال ورجل مؤمن جيد الايمان لقى العدو فكأنما ضرب جلده بشوك طلح من الجبن أتاه سهم غرب

فقتله فهو فى الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذاك فى الدرجة الثالثة ورجل مؤمن أسرف على نفسه لقى العدو فصدق الله حتى قتل فذاك فى الدرجة الرابعة (وفضيلة) الجهاد قد جاء فيها ما هو أكثر من هذا (ولكن) ذلك متعذر على المرء وحده اذ لابد فيه من جماعة وامام تنعقد كلمتهم عليه ولا يخالفونه (وقد) ذكر العلماء رحمة الله عليهم ذلك وشرطوا له شروطا وبينوا حال الامام وحال الجماعة التى تكون معه وصفة هديهم وطريقتهم وآدابهم وما يتجنبون فيه من المفاسد وهذا النوع كثير قل ان يحصر اعنى ما أحدث فيه من المفاسد شرقا وغربا فمن أراد الجهاد فليتوقف حتى يسأل أهل العلم والنهى عما يجب عليه فيه وما يندب له وما يحرم عليه أو يكره وما يتجنب فيه من المفاسد فانها مختلفة بحسب اختلاف الاقاليم والائمة والجماعة والعصر فلا يمكن الكلام على معنى من معانيها لكثرتها واختلاف الاحوال والازمان فبالسؤال يتبين له ما يصلح به فان رأى انه لابد من خلل يرتكبه بسبب جهاده فالترك له أولى اللهم الا ان يتعين الجهاد فلا سؤال اذ ذاك لانه لا ينتظر فيه اذن الامام ولا حضور الجماعة ولا اذن الوالد ولا اذن الوالده ولا اذن السيد اذ أن النفير واجب متعين على كل من كانت له قدرة بوجه ما (ثم) الاصل الذى يعول عليه فى جهاده ويعتقد النصر من جهته هو التعلق بجناب أولياء الله تعالى والرجوع اليهم والصدور عن رأيهم (ألا ترى) الى ما حكى عن عبد الملك بن مروان لما ان خرج لبعض غزواته قال انظروا الى محمد بن الحنفية فذهبوا اليه ثم رجعوا فقالوا وجدناه فى المسجد يصلى فقال اذهبوا فقد نصرنا سبابته فى القبلة عندى خير من كذا وكذا ألف فارس فمضوا لما كانوا بسبيله فنصروا وغنموا (وقد تقدم) قوله عليه الصلاة والسلام ابغونى فى ضعفائكم (ومع ذلك) فلا ينبغى أن يتمنى المرء لقاء العدو امتثالا للسنة لقوله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف خرجه البخارى وغيره فشأن المكلف امتثال الادب بترك الدعاوى وغيرها حتى اذا تعين عليه الامر استعان بربه تعالى وامتثل أمره مبتغيا بذلك مرضاته وما وعد عليه من جزيل الثواب لفاعله (وهذا) عام فى كل الاحوال دقيقها وجليلها فليكن المرء متيقظا لها فانه يحشر يوم القيامة على ما مات عليه والجهاد مظنة الموت غالبا (ألا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف قال علماؤنا رحمة الله عليهم معناه ان روح المؤمن تنقل من ذلك الموضع الى الجنة والتعلق بالله تعالى هو الاصل لهذا الاصل المتقدم ذكره وانما هى أسباب وبقى الامر الى الله تعالى ما شاء فعل فهو عز وجل القادر على النصر بسبب وبغير سبب (ألا ترى) الى قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فنفى الرمى عن نبيه عليه الصلاة والسلام أولا بقوله وما رميت ثم أثبته له بقوله اذ رميت فانه عز وجل جمع لنبيه عليه الصلاة والسلام فى ذلك بين الحقيقة والشريعة أما الشريعة فلكونه عليه الصلاة والسلام أخذ كفا من تراب بيده الكريمة ورمى به فى وجوههم وقال شاهت الوجوه وأما الحقيقة فلوصول ذلك التراب لعين كل واحد من العدو حتى انه لم يقدر أحد منهم أن يفتح عينه لملئها بالتراب وهذا شئ يعجز البشر عنه (وكذلك) كانت أفعاله عليه الصلاة والسلام لابد فيها من امتثال الحكمة ثم يظهر الله سبحانه قدرته عيانا للخلق على يديه صلى الله عليه وسلم (ألا ترى) الى ما جاء فى نبع الماء من بين أصابعه الكريمة فانه عليه الصلاة والسلام لم يفعل ولم يمد يده دون ماء بل امتثل الحكمة بوضع يده الكريمة فى اناء فيه ماء ثم أمرهم أن يسقوا ويشربوا ويملؤا والماء يتفجر من بين أصابعه عليه الصلاة والسلام من غير نقص من ذلك الماء (ومن ذلك) أمره عليه الصلاة والسلام بجمع ما بقى مع أصحابه من الازواد حين فنيت فجمعت

وبارك فيها فأكل الجميع منها حتى شبعوا (ومن ذلك) فعله عليه الصلاة والسلام في قصة جابر بن عبد الله رضي الله عنه في الداجن الذي ذبحه والبجين الذي خبزه وكونه عليه الصلاة والسلام بصق فيهما وبارك ثم أذن لعشرة في الأكل ثم عشرة من بعدهم ممن كان يعمل في الخندق حتى أكل الجميع وشبعوا وكانوا ألفا والبرمة تفور كما هي والبجين يخبز كما هو (ومن ذلك) خروجه عليه الصلاة والسلام الى الجهاد فانه كان يعتد لذلك بجميع أصحابه وباتخاذ الخيل والسلاح وما يحتاجون اليه من آلات الجهاد والسفر ثم اذا رجع عليه الصلاة والسلام تخلى من ذلك ورد الأمر كله لمولاه عز وجل لا لغيره بقوله آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده (فانظر) رحمنا الله واياك الى قوله عليه الصلاة والسلام وهزم الاحزاب وحده فنفى عليه الصلاة والسلام ما تقدم ذكره وهذا هو معنى الحقيقة لان الانسان وفعله خلق لربه عز وجل فهو سبحانه وتعالى الذي خلق ودبر وأعان وأجرى الامور على يد من شاء واختار من خلقه فكل منه وكل اليه راجع ولو شاء الله عز وجل أن يبيد أهل الكفر من غير قتال لفعل وقد نطق به القرآن العزيز قال سبحانه وتعالى ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض فيثيب سبحانه وتعالى الصابرين ويجزل الثواب للشاكرين وقال تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم (فعلى المكلف) الامتثال في الحالين أعني في امتثال الحكمة والرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والسكون اليه والنزول بساحة كرمه أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض الى غير ذلك مما جاء في هذا المعنى وهو كثير فتجده عليه الصلاة والسلام في كل ذلك يمتثل الحكمة أولا تأدبا مع الربوبية وتشريعا لأمته ثم يظهر الله تعالى على يديه قدرته الغامضة المخبأة التي ادخرها له عليه الصلاة والسلام (وما) جرى له عليه الصلاة والسلام مما تقدم ذكره فهو جار لأمته ببركة اتباعه صلى الله عليه وسلم وكثيرا ما قد وقع مثل هذا كثيرا كثيرا القليل وقلب الاعيان والمشي على الماء والطيران في الهواء وما أشبه ذلك مما هو معروف مشهور يقطع العذر ويوجب القطع بوجوده (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم كل كرامة ظهرت لولي فهي معجزة لنبيه عليه الصلاة والسلام اذ أنه ما حصلت له تلك الكرامة الا ببركة اتباعه عليه الصلاة والسلام والحمد لله الذي بقيت هذه البركات في هذه الأمة لانها لا تنقطع وكيف لا والله تعالى يقول في كتابه العزيز كنتم خير أمة أخرجت للناس وقال عليه الصلاة والسلام لا تزال طائفة من هذه الامة قائمة على أمر الله لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهذا عام فيما نحن بسبيله وفي غيره

﴿فصل﴾ وينبغي للمجاهد أن لا يقاتل بنية اراقة دماء الكفار ليس الا بل يجاهد في سبيل الله لما تقدم ذكره من نية اعلاء كلمة التوحيد واظهارها واخماد كلمة الكفر وابطالها (وينبغي) للمجاهدين اذا كانوا مع الامام أو في سريه وأدبروا بلاد العدو وأنهم اذا صلوا الخمس يرفعون أصواتهم بالذكر ليرهبوا العدو بذلك وليقتدوا فيه بالسلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين وفعل ذلك في غير هذه الحالة على هذه الصفة بدعة وقد تقدم ذلك بما فيه كفاية والله الموفق والناصر والهادي لا رب سواه ولا مرجو الا اياه

﴿فصل في آداب الفقير المنقطع التارك للاسباب وكيفية نيته وهديه﴾ قد تقدم أن الجهاد ينقسم على قسمين جهاد أصغر وجهاد أكبر وقد تقدم الكلام على الجهاد الاصغر وبقي الكلام على الجهاد الاكبر وهو عام في كل الناس الا ان الفقير أحوج الناس اليه اذ أنه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على آخرته لشغله بربه واقباله على اصلاح نفسه وتنظيفها من الغير فكل قلب فيه غير الله تعالى كان في حيز المتروك المطروح وكل قلب لم يكن فيه غيره سبحانه وتعالى وقع له الفتح والتجلي والمخاطبة في سره بما يليق

بحاله وهذا مقام لا يعرفه الا أهله المختصون به (واذا) كان ذلك كذلك فيحتاج المريد الى مجاهدة عظيمة لكي يصفو قلبه ويتجهز لتحصيل الفوائد الربانية لعله أن يظفر بها أو بشئ منها فيحصل بذلك في جملة السابقين وقاعدة الفقير أبدا الايزال في جهاد (فأول) جهاده جهاد الشيطان ثم جهاد في نفسه (وقد) قال علماؤنا رحمة الله عليهم ان الجهاد ينقسم على أربعة أقسام جهاد بالقلب وجهاد باللسان وجهاد باليد وجهاد بالسيف اه وقد تقدم الكلام على الجهاد بالسيف وبقي الكلام هنا على باقي أقسام الجهاد (فالجهاد بالقلب) جهاد الشيطان وجهاد النفس عن الشهوات والمحرمات قال الله تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى (وجهاد اللسان) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (ومن ذلك) ما أمر الله سبحانه نبيه عليه الصلاة والسلام به من جهاد المنافقين لانه عز وجل قال يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير فجاهد صلى الله عليه وسلم الكفار بالسيف وجاهد المنافقين باللسان لان الله عز وجل نهاه أن يعمل بعلمه فيهم فيقيم الحدود عليهم وكذلك جهاده صلى الله عليه وسلم المشركين قبل أن يؤمر بقتالهم بالقول خاصة (وجهاد اليد) زجر ذوي الامر أهل المناكر عن المنكر والباطل والمعاصي والمحرمات وعن تعطيل الفرائض الواجبات بالادب والضرب على ما يؤدي اليه الاجتهاد في ذلك ومن ذلك اقامتهم الحدود على القذفة والزناة وشربة الخمر (ثم) أول ما يحتاج اليه في مجاهدته الزهد في الدنيا الان محبتها والعمل على تحصيلها مع وجود شغف القلب بها يعمي عن أمور الآخرة ويطمس القلب ويكثر فيه الوساوس والنزغات لان الشيطان وجد السبيل الى ذلك بسبب ما شغف قلبه بما تقدم لانها رأس كل خطيئة (وقد) مر عيسى عليه الصلاة والسلام برجل نائم في الصحراء فوكزه وقال له يا عبد الله قم فقد سبقك العابدون فقال يا روح الله دعني فقد عبدته باحب العبادات اليه قال له عيسى عليه الصلاة والسلام وماذاك قال بالزهد في الدنيا قال له عيسى نم نومة العروس في خدرها اه (ثم) ان الزهد لا يقتصر فيه على الزهد في الدنيا ليس الابل هو عام في كل الحركات والسكنات وضابطه أن كل حركة وسكون ونفس الى غير ذلك ينظر فيه فما كان لله تعالى فليمضه وما كان لغيره فليدعه (وقد) قالوا الزهد في فضول الكلام أفضل من الزهد في غيره (يشهد لذلك) قوله عليه الصلاة والسلام جوابا لاصحابه رضي الله عنهم لما أثنوا على رجل قدمات فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه أو كما قال عليه الصلاة والسلام وقد قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى أقل فائدة في السكوت تسبيح الاعضاء اه فاذا كانت هذه أقل فوائده فما بالك بما هو أكبر منه ولو لم يكن فيه الا السلامة من عثرات اللسان لكان غنيمة عظيمة (وقد) تقدم في أول الكتاب أن الاعضاء تصبح في كل يوم تناشد اللسان أن يسلمها من آفاته لانه اذا عطب لم يعطب وحده بل تعطب كل الاعضاء بسببه (وقد ورد) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على أبي بكر الصديق رضي الله عنه فوجده يمسك لسانه فقال له عمر رضي الله عنه ما هذا قال هذا الذي أوردني الموارد فاذا كان الصديق رضي الله عنه يقول مثل هذه المقالة فما بالك بغيره (واذا) كان ذلك كذلك فليثمر الفقير الى سلوك هذه المفازة ليقطعها فانها عقبة كؤود لا يجاوزها الا المثمرون أعاد الله علينا من بركاتهم (ثم) ان الزهد في الرياسة أعظم من الزهد في كل ما تقدم ذكره لان النفس والمال يتفقان في الرياسة والرياسة لا تتفق فيهما فالزهد فيها متعين (ثم) لا يظن ظان أن الرياسة انما هي في رتب الدنيا ليس الابل هي عامة في رتب الدنيا والآخرة فمن كان عند نفسه شئ فهو عند الله لا شئ ومن كان عند نفسه لا شئ فهو عند ربه شئ ولاجل هذا المعنى قال بعض الشيوخ نفعنا الله تعالى به من

رأى أنه خير من الكلب فالكلب خير منه وما قاله بين الا ترى أن الكلب مقطوع له بأنه لا يدخل النار بخلاف من لم يقطع له من الآدميين فانه محتمل لاحدى الدارين فان كان هذا الآدمي من أهل النار والعياذ بالله فالكلب خير منه وان كان من أهل الجنة فلا شك أنه خير من الكلب (ولاجل) هذا المعنى حكى عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله وأعاد علينا من بركاته أنه كان جائعا ووجد فضلة طعام على مزبلة فحمل يأكل منه واذا بكلب قد جاء فأكل من الناحية الاخرى ثم نبح الكلب على ابراهيم فقال ابراهيم لا تنبح علي ولا أنبح عليك كل من جهتك وأنا آكل من جهتي ان دخلت أنا الجنة فأنا خير منك وان دخلت النار فأنت خير مني تصير بحامنه رحمه الله تعالى بالمعنى المتقدم ذكره وقد قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله تعالى ان كانت نفسك في هذه الارض فسرك في سماء الدنيا فان نزلت الى الارض الثانية فسرك في السماء الثانية فان نزلت الى الارض الثالثة فسرك في السماء الثالثة فان نزلت الى الارض الرابعة فسرك في السماء الرابعة فان نزلت الى الارض الخامسة فسرك في السماء الخامسة فان نزلت الى الارض السادسة فسرك في السماء السادسة فان نزلت الى الارض السابعة فسرك في السماء السابعة فان نزلت عن الارض السابعة الى ظهر الثور الذي عليه قرار الارضين فسرك ناظر الى العرش اه (فقرر) رحمه الله أنه بسبب التواضع وعلى قدر نزول النفس يسمو أمره ويعلو قدره فمن أراد الفوز فليعمل على اشارته يحظ بالسلامة (وأعني) بالزهد في مراتب الآخرة أنه يعبد الله تعالى لوجهه الكريم لا لعوض قال الله تعالى يريدون وجهه وصاحب هذا الحال يرى نفسه أنها ليست أهلا لشيء لاستحقاره نفسه وترك النظر اليها وصغارتها عنده لعظيم ما هي فيه من الخطر (وقد روى) أنه كان في بني اسرائيل رجل عابد مجتهد وكانوا يفضلونه على أنفسهم أعني من كان في وقته من العباد فأوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام أن قل لفلان يعبدني ما شاء فهو من أهل النار فأصبح موسى عليه الصلاة والسلام فأخبر بني اسرائيل بذلك فتعجبوا وقالوا أليس فينا أحد مثله في العبادة والخير فبينما هم كذلك واذا بالرجل قد أتى فسلم وجلس فأخبره موسى عليه الصلاة والسلام بما قد وقع فقال أهلا بقضاء ربي ومضى لسبيله فلما جن الليل تطهر وصلى ركعتين وقال اللهم اني كنت أعبدك ولست عند نفسي أهلا لشيء والآن قد منت علي وجعلتني أهلا للنار فوعزتك لا زال هذا مقامي بين يديك شكرا لك على هذه النعمة حتى ألقاك فلما أصبح من الغد جاء الى موسى عليه الصلاة والسلام فقال له موسى عليه الصلاة والسلام ان الله قد أوحى الي أن قل لفلان يفعل ما يشاء فهو من أهل الجنة لازدرائه بنفسه (وقد) حكى أن ابراهيم بن أدهم رحمه الله ونفع به عذله بعض الناس في كونه لم يجلس اليهم ويحدثهم حتى يأخذوا عنه العلم لانه رحمه الله من أفاضل العلماء والمحدثين فقال شغلني أربع لو فرغت منها لجلست اليكم وحدثتكم فقالوا له وما هي فقال افتكرت في نزول الملك لتصويري في الرحم وندائه يا رب اشقي أم سعيد فما أعرف كيف خرج جوابي الثانية اني افتكرت في نزول ملك الموت لقبض روحي وندائه يا رب أقبضه على الاسلام أم على الكفر فما أعرف كيف خرج جوابي الثالثة اني افتكرت في قوله تعالى وامتازوا اليوم أيها المجرمون فما أعرف في أي الفريقين أمتاز الرابعة اني افتكرت في المنادي الذي ينادي حين حصول أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يا أهل الجنة خلود لا موت فيها ويا أهل النار خلود لا موت فيها فما أعرف في أي الدارين أكون اه (فمن) كان يتقلب بين هذه الاحوال كيف يقر له قرار أو يأوي الى عمران وانما هي غفلات والمريد مبرأ من الغفلات متيقظ لما بين يديه من الامور القاطعات ناظر للناس نظر عموم يراهم هالكين فيرحمهم ويستغفر لهم

قد شمر عن ساعده خوفا منه أن يلحقه ما لحقهم اذ أن الدنيا ولا الحق ما عمرت وطول الامل فى الانسان من أكبر الحمق والمريد ناظر الى زمانه وهو ينقسم على ثلاثة أقسام ماض ومستقبل وحال فان نظر الى الماضى فهو كتذبب الاطلال بطالة لا تغنى ولا فائدة فيها وان نظر الى المستقبل فالغد رابس بيده والحياة ليست بحكمه فلم يبق الا النظر فى الحال والنظر فى الحال هو ما قاله بعض الشيوخ رحمه الله تعالى الفقير ابن وقته انتهى لان الموت متوقع مع الحركات والسكنات والانفاس فاذا خرج منه نفس فقد لا يرجع اليه واذا رجع اليه فقد لا يخرج منه (واذا) كان ذلك كذلك فقد ارتفعت عنه الكلف والنظر فى الملبس والقوت والمسكن وغير ذلك من الضرورات البشرية اذ أن نفسا واحدا لا ثمن له ولا يعتبر أمره فى الاقامة فى الدنيا اذ أن من صار حاله الى ما تقدم ذكره وهو أن الموت نصب عينيه فقد انقطعت فكرته وهمومه وحسراته فى كيفية موته على الاسلام وفى قبره ووحشته وجوابه حين السؤال فيه وما بعده من الاهوال العظام فأى راحة تبقى لمن هذا حاله وفكرته (كما حكى) ان انسانا جاء لبعض اخوانه يزوره فوجده وحده وهو يلتفت يمينا وشمالا وخلفا واماما فقال له الزائر لمن تلتفت فقال أنظر لملك الموت من أى ناحية يأتينى (وقد) جاء بعضهم الى شيخ له ليزوره وكان قد لقيه بعض أصحابه فعزم عليه فقال انى صائم فأعطاه سبع تمرات أو لوزات على انه يفطر عليها فربط ذلك فى طرف كسائه فلما دق الباب وخرج له شيخه اسلم عليه قال له الشيخ ما هذا الذى فى طرف كسائك فأخبره بما جرى فقال له الشيخ وأنت تظن أنك تعيش الى الغروب والله لا كلمتك بعدها أبدا (ولاجل) هذا المعنى قال سيدى أبو مدين رحمه الله تعالى ونفع به عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لا عليك اه وهاهو ظاهر بين فمن كان حاله على ما تقدم وصفه فلا راحة له دون لقاء ربه (وقد) وردف الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم بالنص الصريح على ما نحن بسبيله حيث قال عليه الصلاة والسلام لا راحة للمؤمن دون لقاء ربه ومعنى ذلك والله تعالى أعلم ان المؤمن طالما هو فى دار التكليف لا يزال فى مكابدات وأهوال وأخطار حتى يخرج منها فيلقى ربه عز وجل فيرى ماله عنده من الكرامات فحينئذ تحصل له الراحة الحقيقية الدائمة التى لا انفصام لها (وقد) ذكر الشيخ الامام القدوة المحقق عمر بن رزق رحمه الله تعالى ونفع به فى حال الفقير وزهده ما هذا لفظه (اعلم) ان الناس فى الزهد على طبقات فمنهم آخذ وهو تارك ومنهم تارك وهو آخذ وانما يحمد ويصح هذا الامر لمن ترك الدنيا وزهد فيها بعد قدرته عليها (ومن الناس) من يكون مصليا نائما وآخر نائما مصليا ومفطرا صائما وصائما مفطرا وكاسيا عاريا وعاريا كاسيا وانما ذلك كله على تصرف ارادة القلب وتصحيح النية وفساد ارادة القلب وفساد النية والسلامة من الكسب الخبيث والقول الخبيث وفى هذا كلام كثير الا أن من صدق أبصر وتحقق ذلك وينبغى للعالم بالله وبما أمره الله تعالى به ونهاه عنه أن يكون قد ملأت قلبه عظمة الله تعالى فاشتغل بالقيام بحقوق الله تعالى عن كل فضول الدنيا من الاكل والشرب واللباس والبنيان والمركب والازواج والاولاد والخدم وان كان فيهم من له الزوجة والولد وأشياء مما ذكر لم يأخذ ذلك على الرغبة ولم يشغله عن فهم وعد القرآن ووعيده (واعلم) ان القوم لما وصلوا الى ما وصلوا اليه لم يغتروا بدار الغرور ولم تكن لهم رغبة الا خوف فوات ما شوق اليه وعد القرآن ووعيده من الخلود فى دار النعيم أو دار الهوان ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين انما دعا الى دار السلام من خلقها وزينها وجلاها انخض أيها المريد الغمرات شوقا الى نعيمها وأجب الداعى الصادق الوفى الى ما وعد ودعاك اليه فانه قد حذرك نفسك وهواك وأنذرك حلول دار سخطه والتخلص من ذلك كله والوصول الى نعيم دار الخلود رفض المحبوب

من اتباع الهوى فارفضه واجعل الموت نصب عينك والزهد قرينك والجد سلاحك والصدق مركبك والاخلاص زادك والخوف من الله على مقدمتك والشوق الى الجنة صاحب لوائك والمعرفة على ميمنتك واليقين على ميسرتك والثقة على ساقتك والصبر أمير جندك والرضا وزيرك والعلم مشيرك والتوكل درعك والشكر خليلك ثم انفر الى عدوك وصافقه بجميع ماذكرت لك وطب نفسا عن دار الهموم والاحزان الى دار البقاء والسرور مع الخيرات الحسان والله المستعان والحمد لله رب العالمين

﴿ فصل ﴾ ثم قال رحمه الله فليبادر العبد الى الله تعالى فى كل أمره فانه من نظر الى نفسه أو الى أحد من المخلوقين بأمل رجاء منفعته كان عز وبالقلبه عن الله وكان منقوصا عن منزلة الواثقين المؤيدين وقد قال الله عز وجل لداود عليه السلام ياداود انى قد آليت على نفسى أن لا أثيب عبدا من عبادى الا عبدا قد علمت من طلبته وارادته والقاء كنفه بين يدى انه لا غنى له عنى وانه لا يطمئن الى نفسه بنظرها وفعالها الا وكلته اليها أضف الاشياء الى فانى أنا ممتنت بها عليك (واعلم) ان العباد اغاتفاوتوا وتباينوا فيما باختيارهم نظر الله تعالى على اختيارا نفسهم زادهم ذلك سرعة وقربا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم وبالسهو عنه واختيارهم أنفسهم على نظر الله تعالى زادهم بطأ وبعدا من معونة الله تعالى لهم وصنعه وتسهيله عليهم فكن فى نظرك الى ربك ناظرا بان لا تؤمل غير صنعه ولا ترجو غيره معونته واثقا باختياره فان ذلك أقرب وأسرع فى معونته لك فان الذين قلدوا أمورهم ربهم ووثقوا به ولجؤا اليه قد أماتوا من قلوبهم تدبيرا نفسهم وجعلوا الامور عندهم أسبابا مع قيامهم بها والمحافظة عليها فاولئك ذهبوا بصفو الدنيا والآخرة لسكون قلوبهم اليه فوجدوا بذلك الروح والراحة فهم حماة الدين والعلماء بالله قد فاقوا على من سواهم بالطمأنينة بهم وسكونهم اليه فأوجب لهم صنعه وأقام قلوبهم على منهاجه فانقلبوا فيه من الامر فعلى الرضا والطمأنينة ومن سواهم من الخلق فى مؤنة وتعب من أنفسهم حيث اختاروها وتوكلوا عليها فأورثتهم الهم والغموم وأما أهل العبودية لله فهم الذين قلدوه أمورهم وخرجوا عن طباع العباد لما تبين لهم من خطأ من اختار نفسه فجعلوا اختيارهم الرضا بما صيرهم اليه مولاهم من أمورهم فزالت الغموم عن قلوبهم فأوجب لهم الصنع والتوفيق فى أحوالهم وأورثهم الغنى والعز فى قلوبهم وسد عنهم أبواب الحاجات الى المخلوقين وأتتهم لطائف الله من حيث لا يحتسبون وقام لهم بما يكتفون به ونزه أنفسهم عما سوى ذلك اكراما لهم عن فضول الدنيا وطهارة لقلوبهم عن التشاغل بما أغناهم عنه فخصهم من كل دنس وأمشاهم فى طرقات الدنيا طيبين موالين له فهم فى السموات أشهر منهم فى الارض ولأصواتهم هناك دوى ونور يعرفون به ويحبون عليه وقد رفع أبصارة قلوبهم اليه فهى ناظرة اليه بتلك القلوب غير محجوبة عنه بلا ادراك منهم لصفة ولا صورة ولا حد ولا احاطة منهم به سبحانه ولكن كيف شاء لهم ذلك فأحبهم وحببهم الى ملائكته وسائر خلقه وقد قال الله تبارك وتعالى ياداود تفضل على عبادى أكتبك من أوليائى وأحبائى وأباهى بك حملة عرشى وأرفع الحجب بينى وبينك فتنظر الى بصر قلبك لا أحجبك عن ذلك ما كنت مستمسكا بطاعتى (وذكر) عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروبه عن ربه انه قال قل لاهل محبتى يشتغلوا بى فاذا علمت أن الغالب على قلوبهم الاشتغال بى والانقطاع الى كان حقا على أن أرفع الحجب بينى وبينهم ينظرون الى بأبصار قلوبهم فهم يتنعمون بذكرى قد أغناهم ذلك عن كل نعيم من نعيم الدنيا والآخرة (فهؤلاء) قد ملأ الله أسماعهم وأبصارهم وجوارحهم من حبه فأدوا أنفسهم بالعبودية له والدخول فى محبته وذلك ان تأديب الرجل نفسه فى مطعمه ومشربه وملبسه يزيد فى صلاح قلبه وتنقاد جوارحه لقلبه ويقوى عزمه

ويقهرهواه فيقوم عند ذلك مقام أهل القوة الى أن يرفعه الله الى منزلة فوقها حتى يستوى عنده الاخذ والترك فلا يأسف على مافاتهم ولا يفرحوا بما آتاهم للغنى الذى وقر فى قلوبهم يزدادون له محبة ومودة وشكرا له فى العلم به والمعرفة به فعند ذلك رقت قلوبهم وانقادت أهواؤهم الى ماقل من الدنيا وكفى فهى لا تطلع الى غير ذلك ناظرين الى ربهم فى أمورهم كلها الا الى الاسباب نظرهم من غير تفريط فى اقامة الاسباب الخالصة من أعمال البرفان لبسوا خشنا أولينا أوحسنا أوقبيحا أواكلوا طيبا أوكريها أوحلوا أومرا أوحامضا أوقليلا أوكثيرا لم يغير ذلك من قلوبهم عن الحال التى هى عليها من ذكر ربهم وتعظيمه وذلك ان قلوبهم عامرة من ذكر الخالق وليس لشئ سواه فى قلوبهم ثبوت الا بالخاطر من غير أن يرسخ أو يثبت فلم يقم الناس مقاما أشرف من أن يعلقوا قلوبهم بربهم ولا أولى بهم من ذلك لانهم أشد الناس محافظة على جمع همومهم فى صلاتهم وجميع ماينقربون به من ربهم ان قاموا عرفوا بين يدى من هم قيام له وكذلك ان ركعوا وسجدوا أوتلوا القرآن أودعوا ربهم لا تعزب قلوبهم عن ذلك فبه زكت أعمالهم وصوبت عقولهم فهو يتعاهدهم بلطفه ويسوسهم بتوفيقه فقل عند ذلك خطؤهم وكثر صوابهم فمن كان يريد الدخول فى محبة طاعة الله فلا يكن له ثقة الا الله ولا غنى الا به ولا أمل غيره يرجوه ويتخذه وكيلا فى أموره كلها راضيا بقضائه فيما نقله اليه من أموره راضيا باختيار الله له متهما رأيه ولما تسول له نفسه مسلما راضيا عن الله غير متخير ولا متملك فيما أحدث الله من مرض أوصحة أو رخاء أوشدة مما أحب أوكره وليكن قلبه بذلك راضيا لموضع الثقة بربه وحسن الظن به (فاذا) كان العبد كذلك ورث الله قلبه المحبة له والشوق اليه وصار الى منزلة الرضا بما كفاه وحماه من الدنيا وان قل وأخرج من قلبه مطامع المخلوقين فاستغنى بالله فجعله الله من أولى الالباب ثم ألهمه مولاه علما من علمه فعرفه مالم يكن يعرفه وعلمه مالم يكن يعلمه فعن الله أخذ علمه وبأمر الله جل ذكره تأدب فطهرت أخلاقه لما آثر أمر الله ولجأ اليه فنمت عليه نعمة الله فى الدنيا والآخرة فاولئك المحبوبون فى أهل السموات المعروفون فيها خفى أمرهم على أهل الارض وظهر أمرهم لاهل السموات لكلامهم هناك دوى ولبكائهم حنين تقعقع له أبواب السماء من سرعة نجحها اجابة لدعائهم فأعظم بهم عند الله جاها ومنزلة وأعظم بهم خوفا من الله وحسن ظن به فهم مسرورون بربهم قريرة أعينهم طربة قلوبهم بذكره مشتاقة ساكنة مطمئنة اليه قد تقدموا الناس وانقطع الناس عنهم واشرفوا على الناس واشتغل الناس عنهم فعجبوا من الناس ويعجب الناس منهم انقطعوا الى الله بهمومهم وأهوائهم وعلقوا به قلوبهم ولجؤا الى الله لجأ المستغيثين به المتوكلين عليه قد تخلصت اليه عقولهم بالمعرفة فأنزلوا نسيانه معصية محرمة عليهم فقبلهم واجتباهم ونعمهم وخصهم وكفاهم وآواهم وعلمهم وعرفهم وأمنهم وبصرهم وحجبهم عن الآفات وحجب الآفات عنهم وأقامهم مقام الطهارة وأنزلهم منازل السلامة وأقام قلوبهم بذكره فلم يريدوا به بدلا ولا عنه حولا صيانة لديه وطربا واشتياقا اليه قد أذاقهم من حلاوة ذكره والعقهم من لذاذة مناجاته وسقاهم بكاسه فهم والهون به ليس لهم مسكن غيره تضطرب قلوبهم عند فقده حتى ترجع الى موضع حنينها يحتملون الاشياء له ولا يحتملون شيأ من غير أمره ولهم فى كل يوم وليلة منه هدايا مجددة فتارة تغلب على قلوبهم تعظيم ربهم وجلاله وتارة يغلب على قلوبهم قدرته وسلطانه وتارة يغلب على قلوبهم آلاؤه ونعماؤه وتارة يغلب على قلوبهم تقصيرهم عن واجب حقه وتارة يغلب على قلوبهم رأفته ورحمته وتارة يصيرون الى حنينه ولهم فى كل تارة دمعة ولذة وفى كل دمعة ولذة فكرة وعبرة قلوبهم فى كل

فكرة وعبرة مهناجة طربة هائمة لذكر الله مستقلة به عما سواه فهم يسقون من كل تارة بمشرب سائغ بذيقهم لذته ولهم في كل مقام علم زيادة بمعرفهم بما يحدث لهم في قلوبهم من الزيادة فلو رأيتهم وقد انقطعت آمال الخلق عنهم وأفضوا الى الله جل ذكره بجميع رغباتهم وانزاحت الاشياء الشاغلة عن قلوبهم فصمت عنها أسماعهم وانصرفت أبصار قلوبهم اليه فلهت به عما سواه حتى اذا جنهم الليل وزجرهم القرآن بجائبه من وعده ووعيده وأخباره وأمثاله شمروا من كل نوع كاسا من الزجر والتحذير والاخبار والامثال والوعد والوعيد وجدوا حلاوة ما شربوا حتى اذا صفا يقينهم ارتفعوا الى عظمة سيدهم وجلال مولاهم خضع كل عضو منهم لله وخشعت كل جارحة منهم لسكونها اليه غير منتشرة عليهم همومهم بل كل ذلك لذاذة لاستماعه فقد كشف لهم القرآن عن أموره وكشف لهم عن عجائبه ودلهم على باطن علمه فيفهمونه فيسمون به الى جلال سيدهم ووقاره حتى اذا اتقدت الانوار في قلوبهم وتمكن اليقين من أجوافهم وحنت القلوب لحنينها رضاقت عن احتمال ما هجم عليها هاج منهم ما لا علكون امساكه فلما بلغ الامر منهم مداه وانتهى كل شئ منهم منتهاه أقبل عليهم ربهم جل جلاله بالطمأنينة والسكون فلولا حسن سياسته لهم ونظره ولطفه بهم ما رجعت اليهم عقولهم ولا أنبتوا معارفهم ولا سكنوا منازلهم للذي هجم على أبصار قلوبهم من عظمة سيدهم فهم يزدادون له ذكرا ومودة ومحبة في كل ما امتحنهم به من أمر الدنيا والآخرة فقد أعرضوا عن كل نعيم عاجل أو آجل واشتغلوا عن النعيم بذكر مولاهم وكل ذلك منة منه وتفضل عليهم فهم أدلاء لعباده وأعلام في بلاده وحجة له على خلقه وخلف الانبياء ودائع علمه فبهم ينزل الغيث وبهم يصرف العذاب وبهم ينصر على العدو فهم بركة بين ظهرانينا يحبون الله ويحبون ذكره أقاموا مشيئتهم فيما وافق محبة ربهم يغضبون لغضبه ويحبون لمحبته فهو يسوسهم بسياسته ويوفقهم بتوفيقه بأنيهم العون من الله تعالى في كل حال يرحمون الخلق برحمة ربهم ويؤملون فضله قد أزال عن قلوبهم المطامع وأسكنها الغنى فاكتفوا بما جزاهم وبلغوا بما بلغهم فهم القانتون الراهبون السائحون الراغبون المحبون لله الذين فكروا في قدرته وعملوا في محبته حتى ورثوا الرهبة ثم ورثوا الرغبة ثم ورثوا الشوق ثم رفعهم الى منزلة لم يكن لهم فيها رغبة ولم يكن لهم فيها غير ربهم همة غلبت المحبة على قلوبهم واستولت على عقولهم وأهوائهم فبنوا على ذلك أعمالهم وصيروا فيه جميع رغباتهم ثم رفعهم الى مزيد فوائده فهم أولياء الله حقا منهم المرسلون والنبيون والصديقون والشهداء والصالحون فاقوا أهل السماء وأهل الارض لشدة حبهم لربهم فما أصابوا من الدنيا لم يصيبوه على جهة ما يصيبه أهل الدنيا من التلذذ والطرب اليه والاشتغال به والتفكه انما يصيبونه على موضع التقوية على عبادة ربهم ودوا لو أنهم أكلوا من الدنيا أكلة واحدة تكون آخر زادهم منها لاكتفوا بما قل فلما أعطوا الله ذلك من قلوبهم ضيق أمعاءهم وأسقط عنهم شهواتهم واكتفوا باليسير من المطعم فعند ذلك خفت عليهم مؤونة الدنيا فلم ينافسوا فيها أحدا فتلك حالاتهم في المطعم والملبس ما تهيأ أكلوه ولبسوه ليس لهم تخيير ولا تلذذ في أخذ ولا ترك خوف الشهوات والاشتغال عما هم فيه فأسكن الله في قلوبهم من معرفته وحبه ما أذاب كل مودة لاهل أو ولد أو مال فان عرض من ذلك في قلوبهم عارض لخاطر من غير ثبوت فيها ورثوا الهدى فأبصروا مواضع حيل ابليس ومكره فكسروا عليه كيده ولبسوا عليه أمره ودلوا الناس على مواضع مكره فهم نصحاء الله في عباده وامناؤه في بلاده ثم أسكن محبتهم في ملكوت السموات في عليين فأحبهم وحببهم الى ملائكته (فاحيوا) قلوبكم أيها المريدون بالذكر وأميتوها بالخشية ونوروها بحب لقاء الله وفرحوها بالشوق اليه وألقوه وها بالمناصحة (واعلموا)

أنكم بالمحبة ترتفعون وبالمعرفة ترهبون وبالسوق ترغبون وبحسن النية تقهرون الهوى وبترك الشهوات تصفو لكم أعمالكم وتؤثرون ربكم وحده حتى يؤثركم ملكوت السماء فى علا يين فمن كان منكم مريد الراحة فليعمل فى منازل أهل محبة الله جل ذكره بعزم وارادة قوية وهى الدرجات السبع التى تتنقل فيها بنو آدم حتى يصيروا الى المعرفة والعلم وهى الدرجات التى أرسل الله جل ذكره عليها الرسل ثم الانبياء الذين لم يأتهم الوحى مع جبريل ولا غيره من الملائكة انما يكون ذلك بالالهام من الله عز وجل والعوائد وانما ورث ذلك الانبياء من المرسلين الذين خصهم الله برسالته ثم ورث ذلك بعد الانبياء الصديقون فاقتدوا بهم وجدوا فى آثارهم فانه لم يحكم هذه الدرجات السبع الا رسول أو نبى أو صديق أو بدل من الابدال الذين جعلهم الله أوتاد الارض فسقى بهم الغيث وأنزل على العباد بدعائهم الرحمة وصرف عنهم بهم السوء فمن كان مريدا للعمل فى هذه الدرجات والاقتداء بالمرسلين والنبيين والصديقين فى سيرهم فليرفض الدنيا من قلبه حتى لا يكون فيه منها علاقة تشغله عن ربه فانه من تعلق قلبه بشئ منها شغله حتى تغلب عليه فليبد أبرفض الدنيا وطرحها من قلبه حتى لا تعدل عنده قدر جناح بعوضة فانها عند الله عز ذكره بتلك المنزلة أصغر

﴿فصل﴾ قال رحمه الله فاول ما يبدأ به و يتناول من الدرجات السبع درجة المعرفة وهو أن يعرف ربه كما ينبغى له من حيث تعرف اليه ربه فقد تعرف الى خلقه بخلقه اياهم وتدبيره فيهم و بصفته بما وصف به نفسه فانه غفور رحيم لمن أناب اليه وطلب رضاه وانه شديد العقاب لمن كذب به وكذب عليه وكذب رسله وعصاه (واعلم) ان من لم يحكم أمر المعرفة لم يدرك ما سواها من العلم والعمل ولا من الدرجات التى ذكرنا ولا تكون المعرفة حتى تثبت فى القلب باليقين الراسخ فاذا كان ذلك كذلك كانت الاعمال الصالحة على قدر المعرفة فان قصر فى المعرفة كان فى العمل أشد تقصيرا وضعفا فانه لم يجد السبيل الى بلوغ تلك الدرجات ومن عرف الله علم أنه قائم على قلبه بما كسب وانه معه يراه و ينظره فى جميع أحواله فاذا علم أن ذلك كذلك لم يكن شئ أحب اليه من رضاه ولقائه ولا أبغض اليه من معصيته و بقائه وان أحب البقاء فى الدنيا لم يحبه الا للعمل بطاعته (وينظر) المريد للمعرفة فى أسماء الله و يتدبرها حتى يعرفه بها و يدخل ذلك قلبه فانه يورث قلبه بذلك العلم وهى الدرجة الثانية (فاذا) كان عالما به علم أنه لا يقبل منه الا ما أمره به ونهاه عنه وعلم ان ذلك عنده ينشطه للعمل الصالح (ثم) يورث قلبه بعد ذلك الخشية وهى الدرجة الثالثة درجة التقوى لقول الله عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وهى مراقبته فى السر والعلانية (فاذا) دخل فى هذه الدرجة استقل كل ما يعمله لله جل ذكره فعند ذلك لا يألو جهدا ولا اجتهادا ولا عملا (فاذا) وصل العبد الى ذلك دأب على عمله فيما يرضى ربه نظرا لله اليه بالرحمة فعند ذلك يورث قلبه الحب له وهى الدرجة الرابعة (فاذا) صار الى هذه الدرجة آثر حب الله على جميع حب خلقه وأحبه الله وحببه الى ملائكته الذين حول عرشه والى ملائكة السموات كلها وأهل الارض ومن فيها وبسط حبه على الماء فلا يشرب أحد من جميع خلقه الا أحبه ولا يزداد فى عمله الا جدا واجتهادا فاذا ورث قلبه بعد هذا الشوق اليه والحب للقائه وهى الدرجة الخامسة (فيكون) بمنزلة العاشق قد غلب على قلبه الذكر لله وشغل عن كثير من العمل ما خلا الفرائض واجتناب المحارم و يكون فى ذلك الحال أقوى من كل عامل فى الدنيا وأرفع منزلة لانه لم يتفرغ قلبه من ذكر ربه طرفة عين لا ناعما ولا كالما ولا آكلا ولا شاربا والله لا ينسى من ذكره فلو تركه الله عز وجل على تلك الحال لذاب كما يذوب الملح فى الماء ولما انتفع بشئ من أمور الدنيا حتى يموت تشوقا الى الله الا أنه اذا رآه الله على تلك

الحال من عليه بالطمأنينة وهي الدرجة السادسة (فيطمئن) قلبه حتى يكون كأنه معاين له وكأنه بين يديه فيكون هو مستودعه وانيسه وسائسه ودليله فعند ذلك يورث قلبه الغنى ولا يحتاج الى غيره فيكون معظم دعائه للخلق بالصلاح وصرف السوء عنهم حتى يصير بمنزلة الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون ويستغفرون لمن في الارض فعند ذلك لا تسقط له دعوة وهي الدرجة السابعة (فاذا) صار الى تلك الحال لم يتفوه بشيء من حوائجه اذا خطرت بباله تصير بين يديه وما أراد منها يأتيه من غير أن يدعو بشيء خطر على باله من الله وتعاهدا منه حتى يعجب من لطفه ونظره وصنعه فيكون قوله عدلا وفعله رضا فالحمد لله الذي من والاه نعمه وأغناه والحمد لله رب العالمين اه

﴿فصل في الرياء﴾ اعلم وفقنا الله واياك ان آكد ما على المريد في ابتداء أمره التحفظ على نفسه والتحرز من الآفات التي تعتوره فيما هو بصدده اذ أن العوائق كثيرة ظاهرا وباطنا فقد يكون ذلك سببا لمنع الوصول الى ما تقدم ذكره فيأخذ نفسه أولا بالجد والاجتهاد في التحرز مما ذكر ليسلم له ما تقدم وصفه (فأول ذلك) أن يتقي الرياء والعجب والشهرة والكبر لانه سم قاتل أدنى الاشياء منه يحبط الاعمال كلها وقد يخفى في بعض الاحوال لانه أخفى من دبيب النمل كما ورد (لكن) يتبين أمره وتظهر آفاته بما ذكره الشيخ الامام يمن بن رزق رحمه الله (وهو) ان قال أصل العبد لم يزل مذ نشأ مرائيا في جميع أحواله وذلك لميله الى الدنيا وايثاره لها على الآخرة واهماله نفسه وارساله نيته فلما أهمل نفسه وقلت محاسبته لها لم يتخلص من الرياء فعمل للدنيا على غير أصل نية ثابتة وقد نهى الله عن اهمال النفس وتضييع الاعمال فقال الله تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فنهاهم عز وجل عن اضاعة الأعمال فلا يكون عمل من الاعمال الا عن ارادة ولا تكون الارادة الا عن نية وقد نهى الله تبارك وتعالى عن اضاعة شيء من ذلك وأي عمل أكبر من الارادة والنية وقد وجدنا الانسان لا يخلو من حركة أو سكون والحركة والسكون جميعها عمل وقد نهى الله عن تضييع العمل فلما ترك ما أمره الله به من اخلاص العمل لم يميز بين الرياء وغيره وأمرج نفسه فعمل على ما يخطر بباله وجميع ما يتقلب فيه رياء محض ظاهر لا يعرفه هو من نفسه ويعرفه منه من نور الله الحكمة في قلبه فهم يرون فعلهم فعل أهل الرياء فمنهم من يمسك عن صاحبه لمعرفته به ولو أنه أبدى اليه شيأ من عيوبه لنفر منها وذب عن نفسه وأبطل ما نسبه اليه فصار عدوا مشاحنا وأقل ما يقول للعارف بعيوبه حسدتني فلما علم الحكيم أهل زمانه وان زمانه غلبة الهوى واعجاب كل ذي رأي برأيه اعتزل بنفسه ونفر عن العامة وعلم انه زمان قد صار المعروف فيه عند أهله منكرا وان الشر قد أحاط بالخير واعتزل أهل زمانه بصدق الارادة فلما تبين له الصدق وما فيه وان العمل لا يصفو الا بالصدق اتقى الكذب وفنونه كلها وتشوفت عند ذلك نفسه الى الكذب والرياء لحلاوة فنونه عندها فأخذها بالجد والاجتهاد في ترك ذلك فلما رأت ذلك منه رجعت منقادة فلما صارت الى تلك الحالة ورأى العبد ذلك منها ازداد الى الصدق تشوقا وازداد للكذب مقتا وانما كان ينفر الصدق وفنونه في قلبه لغلبة الكذب وفنونه عليه وهو الرياء والعجب وحب الرياسة واتخاذ المنزلة عند المخلوقين والمحمدة والعزة والتعظيم والتخيير في الاعمال الكاذبة فمن عمل بالصدق ونفى الكذب برئ من الرياء والعجب ودواعي الشر كله فاذا خلا من ذلك ثبت الصدق وفنونه في قلبه (قال) بعض الحكماء ان الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي فان امتنع منه أتاه من وجه النصيحة ليستدرجه فلا يزال به حتى يلقيه في بدعة فان امتنع عليه أتاه من جهة الحرج والشدة ليحرم حلالا أو يحل حراما فان امتنع عليه أتاه من قبل الوضوء فشككه في وضوئه وصلاته وصيامه حتى

أمرج نفسه تركها ترعى على هواها اه

يعتقد بهواه أمرا يضل به عن السبيل و يدع العلم فاذا قدر منه على شئ من ذلك خلى بينه و بين العبادة
والزهد وقيام الليل والصدقة وكل أعمال البر و يخفف ذلك عليه و ربما كابده الشيطان من المردة
فيقول له ابليس دعه لا تصده عما يريد فانما يأمرى بعمل فاذا نظر اليه الناس فى عبادته وزهده وصبره
ورضاه بالذل كانت العامة ومن لا علم له هذا عالم مصيب صابر فيتبعونه على ضلالته ويعدله ابليس الصوت
فيحب بعمله فيكون فتنة لكل مفتون ومن علامته الاعجاب برأيه والازراء على من لا يعمل مثل عمله
و يكون نظره للناس بالاحتقار لهم و يتغضب عليهم فى التقصير به (وقد) روى فى العلم احذر وا فتنة
العابد الجاهل والعالم الفاسق فان فتنتهما فتنة لكل مفتون (واعلم) يا أخى ان العبد اذا أراد أن يعمل
العمل بالرفق قال له الشيطان العمل بالخير لا ينفعك حتى تدع الشرك له وتزهد فى الدنيا وتعتزل عن الناس
فاعرف نفسك وأصلح عيوبك والذى عندك أكثر وأعظم من أن يصلح هكذا مريدا و يعظم عليه الامر
حتى يكاد يقنط و ينقطع عن العمل وان كان فى يديه دنيا عرض له بحسن الظن والرجاء والتسويف
وطول الامل فان أجابه الى هذا الباب قطعه عن البر وشغله بالدنيا وشهواتها وان رد ذلك عليه وقال
التوبة قال صدقت لعمرى لقد فرطت وأخاف أن يدركك الموت فعليك بالجد والاجتهاد ولا تريد أن
تقصر فيلزمه أشد العبادة فيثبت أو ينقطع أو يذهب عقله فان اشتهر بذلك عند الناس ألقى اليه طول
الامل وخرفه قلة الصبر و يقول له لك بالناس أسوة فيبغض اليه العبادة و يثقلها عليه ثم يقول له ان
الناس قد عرفوك بالعمل فلا تبدلهم التقصير ودع نفسك فى السهو و يعرض له بغذائه الاول من
الشهوات التى كان يصيبها فيميل اليها و يرجع الى حالته الاولى وصار عمله علانية رياء لا ينفعه شئ
وعلامة ذلك أن يستحلى الكلام فى الزهد و يتزين عند الناس و يحبب اليه مجالسة الناس فتصير
عبادته وزهده كله بالكلام (فالعالم) عرف ضعف نفسه وعرف زمانه وقلة الاعوان فيه على الخير
وكثرة الاعداء فاخذ الامر بالرفق والاستعانة بالله وطلب صفاء الاعمال والاخلاص فيها وان قلت
الاعمال وطلب مخالفة الهوى ونقل الطباع بالرفق وموافقة السنة وأخرج الناس من قلبه وقصد
جهاد نفسه ومحاربة الشيطان والمعاندة للهوى بالخلاف لما يلقون اليه فان الله جعل ثناءه قبل
لكل مكيدة من مكائد الشيطان سلاحا يدفع به تلك المكيدات (وينبغى) للعابد أن يعرف تزغات
الشيطان من أين تأتيه وما تهواه النفس فان الشيطان لا يصل الى العبد ولا يقدر عليه الا من قبل
موافقة الهوى فاذا بدأ العبد بنفسه ومحاربتها وبهواه فأماته هان عليه الشيطان (واعلم) يا أخى أن
هذا الدين متين فان أنت وغلت فيه بالرفق أمكنك وشر السير ١ الحقحقة وقليل تدوم عليه خير من
اجتهاد يقطعك فانك لم ترشيأ أشد توليا من القارئ اذا تولى (ويروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان
يتعوذ من الحور بعد الكور (وكانوا) يحبون الزيادة و يكرهون النقصان (وينبغى) للعابد ان يكون حذرا
من مخالفة السنة فان من خالف السنة خالف الحق ومن خالف الحق هلك (فائت) العلماء والزم أدبهم
فان رأيتهم يقصرون فى بعض ما يقولون فلا تزهد فيهم واقتد بذى البصيرة منهم والبصر ومن يوافق
قوله فعله (وذلك) أنه يروى عن مطرف بن عبد الله بن الشخير أنه قال عقول الرجال على قدر أزمنتهم
فاذا نقص العقل نقص البركة فاعرف نفسك فى زمانك (واعلم) أن الزهد والعبادة والعلم المعمول به
فى هذا الزمان قليل وان كان من يتشبه بالعلماء لا يصبر على نزول المحن فكيف يصبر الجاهل على
نزولها واذا كان من يتشبه بالزهاد لا يصبر فكيف يصبر الراغب فى الدنيا والعالم من أهل هذا الزمان
من شدة الصبر خرج والجاهل من شدة الصبر حرج وأما العالم الصادق الذى استوجب اسم العلم على

الصوت والصمات والصيحة والصيت واحد معناها الذكر بخير اه ١ الحقحقة السير بعنف والحور كالنقص ومعناه الكور لزوم الزيد ومعناه اه

الحقيقة فانه يكره من عمله بالله أن يظهر بلسانه أو بيده أو بجوارحه أكثر مما في قلبه فيمقته الله على ذلك ولم يره الله يؤثر دنياه على آخرته فصبر على الدنيا وصبر على الذم والتقصير والتقلل وكره المدح والتوسع من الدنيا والجاهل الذي يعمل بجهل جزع من الذم وفرح بالمدح والتوسع من الدنيا حتى صبر على الدنيا من الجزع فاحذر أن تصبر صبر الجاهل ولذلك ثقل العمل على أهل العلم بالله وخف على أهل الجهل ونوم العالم أفضل من اجتهاد الجاهل وضحك العالم بالله أفضل من بكاء الجاهل فاحذر ابليس على أفعالك كلها واحذر نفسك وهواك واحذر أهل زمانك ولا تأمن أحدا منهم على دينك (واعلم) أن ابليس قد نصب لك حبائله وأقعد لك الرصدة على كل منهل وقد سلط أن يجري منك مجرى الدم في العروق ويراك هو وأعوانه من حيث لا تراهم (واعلم) أنه يأتيك من قبل الرياء والعجب والكبر والشك والاياس والأمن من المكر والاستدراج وترك الاشفاق فان تابعته في شئ من ذلك فأنت على سبيل هلكة فحينئذ يخلي بينك وبين ما شئت من العمل فاخالفته أتاك من قبل الدنيا ليستولي الهوى على قلبك فيتمكن هو من الذي يريد منك فان خالفته أتاك من قبل المعاصي فان خالفته أتاك من قبل النصيحة (وهذه) الخصال التي وصفت لك كلها أشد من المعاصي وصاحبها لا يكاد يتوب من شئ منها وربما انتبه العبد فتاب منها فان ظفر من العبد بالعجب قال له ان الناس يقتدون بك فاعمل وأعلن عملك فيتأسى الناس بك ويعملون مثل عملك ويكون لك مثل أجر من عمل مثل عملك لانه من دل على خير فله مثل أجر فاعله فاذا ظهر عمله فرح به فصار معجبا وحمد نفسه فنسي النعمة عليه فاذا نظر الى عمله حبب اليه حمدهم واتخاذ المنزلة عندهم فاذا فعل ذلك صار مرائيا مفاخرا (فاتهم) فرح القلب بالعمل فان الفرح الى القلب الفرح أقرب وأسرع منه الى القلب الحزين وأقل من معرفة الناس فانه ليس يأتيك ما تكره الا ممن تعرف فان كان لا يأتيك ما تكره الا من قبلهم فكلما قلوا كان خيرا (واعلم) أن العبد يعمل العمل في السر فلا يزال به ابليس يقول أظهره ليقتدي بك الناس فيه وتنشطهم على طاعة ربك فلا يزال به حتى يظهره فاذا أظهره كتب في ديوان العلانية فلا يزال به حتى يفتخر به فاذا افتخر به كتب في ديوان الرياء فعليك بعمل السر وكتمانه وخمول النفس واسقاط المنزلة واكتم الحسنات كما تكتم السيئات وخف من فضيحة الحسنات كما تخاف من فضيحة السيئات فان المفتضح بالسيئات ليس يفتضح عند الخلق كلهم انما يفتضح عند قوم دون قوم والمفتضح بالحسنات اذا دخلها الرياء افتضح عند الخلق كلهم فاحذر واستح من الله أن يراك تعمل لغيره وتطلب الثواب منه وأخلص العمل لله وأصدق فيه (واعلم) أن تخليص العمل في العمل أشد من العمل حتى يتخلص والاتقاء من العمل بعد العمل أشد من العمل في العمل (واعلم) أنه لا يقبل الله عملا من مراء ولا من مسمع ولا من داع الا بثبوت من قلبه واحذر الرياء كله فان أوله وآخره باطل وكن في العمل متأنيا وقافا فاذا هممت بعمل فقف عنده فان كان لله خالصا فامض فيه واستعن بالله على اخلاصه وأكثف من العمل ما تطيق وتحب أن تزداد منه ودم عليه فان أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل فاعمل بما يتبين لك أنه حق واضح فاذا أشكل عليك فقف ولا تقتحم وناظر العلماء الذين يعملون بعلمهم فهم الذين قصدوا الى الله وهم الدعاة الى سبيل النجاة الادلاء على الله لان المؤمن وقاف عند ما اشتبه عليه وليس كخاطب الليل فناظر العلماء فيما التبس عليك فما اجتمعوا عليه فخذ به وما اختلفوا فيه فخذ أنت فيه بالثقة والاحتياط فان الاثم حواز القلوب (واعلم) أن ابليس ربما قال للعبد قد سبقك الناس الى الله متى تلحق بهم فليقل له عند ذلك قد عرفت أنا في الطلب ان رفقت لحقت وان لم أرفق لم ألحق

ان صبرت على القليل نلت الكثير وان عجزت عن القليل فأنا عن الكثير اعجز وقد قال الله عز وجل
واذ زين لهم الشيطان أعمالهم فالزينة من الشيطان والنور من الله عز وجل فاذا عمل العبد عملا فرأى
الشيطان معه نورا كانت همة الخبيث أن يطفئ ذلك النور فان كان الغالب على العبد عمل السر أخرجه
الى عمل العلانية بحيلته ومكيدته فان عمل في العلانية بصدق واخلاص فرأى في عمله العلانية نورا
وصبرا أمره بمخالطة الناس ليؤذى فلا يحتمل فان خالطهم فاوذى واحتمل الاذى أمره بالعزلة والراحة
من الناس ليعجب بما يعمل و يضجر من العمل فان اعتزل وصبر وأخلص قال له ارفق خيرلك فيصده
عن العبادة وانما يلتمس من الاشياء غفلته فينبغي للعبد أن يكون غير غافل عنه ويستعين بالله عليه
(واعلم) أن صاحب الاخلاص خائف وجل حزين متواضع منتظر للفرج من عند الله يود أنه نجا
كفافا لا له ولا عليه والجاهل فرح فخور متكبر مدل بعمله (ويروى) عن بعض الحكماء أنه قال اني
لأعرف مائة باب من الخير وليس عندي منها شئ (واعلم) أن العالم العامل الصادق المخلص العارف
الخائف المشتاق الراضي المسلم الموفق الواثق المتوكل المحب لربه يحب أن لا يرى شخصه ولا يحكى قوله
ويود أنه أفلت كفافا فمعرفته بنفسه بلغت به هذه الدرجات وتمسكه بهذه العزائم أوصله الى محض
الايمان والجاهل المسكين يحب أن يعرف بالخير وينتشر عنه وينشر ذكره ولا يحب أن يزرى عليه
في قول ولا فعل بل يحب أن يحمد على ذلك كله ويوطأ عقبه وان لم يزر لهم شيأ وانما شدة حبه لذلك
لحلاوة الثناء والحب لاقامة المنزلة والفتنة في هذا عظيمة والمؤنة عليه شديدة وهو عبد من عبيد الهوى
يتلاعب به الشيطان كل التلاعب تنقضي أيامه ويفنى عمره على هذا الحال أسير للشيطان وعبدا
للهوى (واعلم) أن الشيطان اذا نظر الى العبد مريدا صادقا مخلصا عبدا وما عارفا بنفسه عارفا بهواه
معاندا لهما حذرا مستعدا عارفا بفقره الى الله تعالى قال له ان هذا الامر لا يصلح الا بالاعوان عليه
والشيطان على الواحد أقوى وهو من الاثنين أبعد فجالس اخوانك وذاكرهم وأخبرهم بما ينوبك
في عملك من نفسك وهواك ومن عدوك فانهم يدلونك ويعينونك يريد بذلك ذهاب حزن الخلوات
واطفاء نور العزلة وقطع سبيل النجاة وفتح طريق الفضول والشغل بغير الله واخراجه من عمل السر الى
عمل العلانية وانما يريد بذلك كله اطفاء ما قد أحدث الله عز وجل في قلب العبد من نور فكر الخلوات
فان قلت هذا انما هو من الشيطان قال لك أجل انما هو من الشيطان تعليمك الناس أفضل من عملك
ولو أخبرت الناس بذلك لكان خيرا لك ليعلموا من آفات الاعمال ما تعلم فتتوجر فيهم فان قلت أيضا
هذا من الشيطان قال لك لولا علمك لم تعلم بهذه الآفات لتعجب بنفسك وتنسى النعمة عليك في العمل
فتحمد النفس فلا يجاوز عملك رأسك فاحذر هذا الباب فان فيه شهوات خفية ومن الشهوات الخفية
أن يخفي العبد عمله ويحب أن يعلم الناس به ويحب أن يرى أثر ذلك عليه والعمل خفي في السر الا أنه
يحب أن يرى أثر ذلك العمل عليه أما من علامة عطش ان كان صائما أو علامة سهر في الوجه ان كان
قام من الليل (واعلم) أن العبد ان قال أنا أعمل لله لا للناس قال له صدقت أخلص عملك لله فان المخلص
يحببه الله الى الناس ويعرفهم فضله فان قال العبد وما حاجتي الى الناس قال فأنت الآن المخلص الذي
قد أخرجت الناس من قلبك وعرفت مكيدة ابليس وقد نجوت وأنت معصوم فان عقل العبد وقال
له ومن أنا وانما الاعمال من من الله على العباد ولها شكر وانما الاعمال بخواتيمها وانما الثواب على
الله يوم الجزاء لمن أخلص ولم يحب بعمله ولم ينسب الى نفسه نعمة هي من الله قد وجب له بها عليه الشكر
وانه يقول للعبد عند ذلك الآن نجوت حين اعترفت لله بذلك رقت بشكر النعمة وتواضعت لربك

وبرأت نفسك من العمل ونسبته الى الذى هو منه فان قبلت ذلك منه هلكت ولكن قل أنا أرجو وأخاف وليس الى من النجاة شئ ولست أدرى بما يختم لى عملى (واياك) ثم اياك والتزين بترك التزين وذلك انه ربما تزين الرجل بالرقاع والخرق والشعث وترك الدنيا وانما يريد بذلك كله التزين فان فعلت ذلك نزلت بمحلة خشوع النفاق وان عرفت نفسك بشئ من ذلك ولم تسارع الى التحول عنه خفت أن يلحقك الخذلان والمقت فاتق الله فى جميع أمورك واعمل له كانك تراه فان قال لك الخبيث الآن نجوت حين عرفت نفسك وأنزلتها هذه المنزلة وحذرت هواك وعدوك فقل الآن هلكت حين أمنت العقاب فان قال لك الآن نجوت حين خفت أن تكون قد أمنت العقاب فقل الآن هلكت لو كنت صادقا لصدق قولى فعلى ولازددت خوفا وحياء من الله جل ذكره ولو كنت كذلك لحال بينى وبينك وجعلنى فى حرزه وحصنه ومن عباده الذين قال فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان ولم تكن أنت تدخل على فى عملى فان قال لك جاهد نفسك فانه أفضل العمل فان الناس قد شغلهم أمر غيرهم واتبعوا أهواءهم وأنت بينهم غريب وأنت كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى للغرباء وأنت المعروف فى أهل السماء والمجهول فى أهل الارض فان قبلت ذلك هلكت وان قلت هذا من الشيطان قال لك صدقت هذا من الشيطان وقد كثرت عليك مكائده ومجاهدة نفسك وهواك فكم تعذب نفسك ان كنت شقيا لم تسعد أبدا وان كنت سعيدا لم تشق أبدا ولا يضرك ترك العمل ان كنت سعيدا ولا ينفعك العمل الكثير ان كنت شقيا فان قبلت القنوط الذى ألقاه اليك هلكت وان تركت العمل ونلت من الشهوات على الغرور وحسن الظن بزعمك والاتكال على الرجاء الكاذب والطمع الكاذب والامانى الكاذبة ورجوت الجنة بالغرور وطلبتها طلب المتعبدين بالراحة عطبت وان امتنعت قال لك أحسن ظنك بالله فانه يقول أنا عند ظن عبدى بى والله يحب اليسر والدين واسع والله غفور رحيم فاعرف نفسك عند ذلك واعتصم بالله وكفى بالله حسيبا (واعلم) انك ان كنت فى بلد وأنت فيه سالم وأمرك فيه مستقيم والنور معك فى فعلك وقولك قال لك عليك بالثغور وعليك بمكة وعليك بكذا فان قبلت ذلك رأيت فترة فى عاجل عملك وقساوة فى قلبك ووقعت فى المشورة يريد بذلك النقصان بسبب السفر والشغل به عن الدأب فى العبادة والنشاط الذى كان معك فان صرت الى بلد أنت فيه مسرور وقلبك ريح قال لك موضعك كان أصلح لقلبك وأجمع لهمتك فارجع الى موضعك فان أحب الاعمال الى الله أدومها مع معرفة النفس والفقر الى الله تعالى فان للدأب ثوابا وللصبر ثوابا ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (واعلم) ان من ينجو بالاعمال أكثر ممن يهلك بها وكل عبد ميسر لما خلق له (واعلم) ان من يهلك بالتفريط والتضييع أكثر وينبغى للمؤمن أن يكون راغبا راهبا لا يأمن ولا ييأس (واعلم) أنه يأتيك من وجوه كثيرة لا يغفل ولا يألوك خبالا ان كنت مقلا عندك من الدنيا شئ يسير تريد أن تقوته نفسك أمرك بالصدقة ورغبك فيها لتخرج ما فى يديك وتحتاج رجاء أن يظفر بك فى حال الغفلة وان كنت غنيا أمرك بالامساك ورغبك فيه وخوفك الفقر والحاجة وقال لك ابدأ بمن تعول ولعلك تكبر وتضعف ويطول عمرك يريد بذلك أن تصير الى حال البخل فيظفر بك وان كنت تصوم وقد عرفت بالصوم واحببت أن تريح نفسك قال لك قد عرفت بالصوم لا تفطر فيضع الناس أمرك على انك قد كبرت وتغيرت وفترت وعجزت فان قلت مالى وللناس قال لك صدقت أفطر فان المحسن معان سيضعون أمرك على أحسن الوجوه فان قبلت ذلك منه وافطرت على أن الناس سيضعون أمرك

قوله ريح بالتشديد كطيب وزنا ومعنى اه

على أحسن الوجوه والمنزلة لا تسقط عندهم بانظارك فقد عظمت وان أنت نفيت ذلك تركه ونصب لك بابا آخر فقال لك عليك بالتواضع ليشهرك عند الناس وكلما ازددت تواضعا على قبوله منه للشهوة والشهرة ازداد كلبا عليك (فاتق) ما وصفت لك والجأ الى الله في أمورك كلها واترك كل شئ من الدنيا العمل الآخرة رغبة منك في الآخرة وحبا لها وايثارا لها على الدنيا فبحبك اياه اتصل اليها وبقدر حبك لها تعمل لها وأقل الدنيا وابغضها فبقدر بغضك لها تزهد فيها وانظر ان كنت ذا علم فخف ان توقف يوم القيامة فيقال لك بعدا وسحقا بعد العلم والتبصر ملت الى الدنيا وتركت العلم والعمل واخترت ما أسخط الله ماغرك بربك الكريم أيها المغرور فليعبد الله العالم بطاعة العلم وليترك طاعة الجهل وليترك الاغترار (واعلم) ان الشيطان يوم القيامة يتبرأ من جميع من أطاعه في الدنيا وهو يقول في الدنيا من ظن انه ينجو مني بحيلة ففي حبالي وقع قال الله تبارك وتعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد فافهم واحذر وافطن وانظر وحارب واستعذ وكابد وجاهد واستعن بالله تعالى (واعلم) ان العبد اذا قام الى الصلاة يريد بها ثواب الله وحده فثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون وان أراد بها ثواب الله وحده غيره هلك (واعلم) ان أولى الاشياء بالعبد أن يخلص عمله لله كله والكلام فيه كثير غير أن الاصل في اخلاص العمل أن يعمل العبد العمل كله يريد به الله لا يحب ان يطلع عليه أحد من الناس فان اطلع أحد على عمله كره ذلك بقلبه ولم يسر بذلك ولم يحب أن يحمده أحد على شئ من عمله ولم يتخذ به منزلة عندهم فهذا أصل اخلاص العمل والله المستعان (وأما الرياء) فهو أن تحب أن يحمدك الناس على شئ من عملك أو تقوم لك به منزلة عندهم ومن أراد العمل اقتصر على القليل ومن لم يرد العمل لم يكتف بالكثير (واعلم) ان الناس في العمل على ثلاثة أصناف (صنف) اهملوا أنفسهم في العمل من البر فعملوا اليعرفوا بالخير فهم الهالكون (وصنف) أهل رهبة من الله ورغبة فيما عنده كابدوا الاعمال بالصدق والاخلاص ويتقون فساد الاعمال ولا يحبون المحمدة من المخلوقين ولا المنزلة عندهم ولا يعملون شيأ من العمل للناس ولا يتركون من أجلهم شيأ وأحيانا تعرض لهم العوارض وأحيانا يسلمون منها (وصنف) قوى اخلاصهم واستقامت سريرتهم وعلانيتهم اخلصوا العمل لله وتركوا الدنيا بعد معرفتهم بها ونظروا اليها بالعين التي ينبغي أن ينظر بها اليها فقرأوا عيوبها فمقتوها وصدقوا الله في مقتهم لها وتركوها زهدا فيها وصدقوا الله في ذلك فمات ذلك من قلوبهم وذاب ولم يكن لها في قلوبهم قرار لقوة التعظيم لله في قلوبهم فلما استولت العظمة على قلوبهم لم يكن للدنيا ولا لأهلها في قلوبهم مستقر ولا قرار فالحمد لله ذي المن والفضل العظيم ومن الرياء أن العبد يرائي أهل الدنيا بالدنيا في لباسه ومركوبه ومسكنه وفرشه وطعامه وشرابه وخدمه حتى الدهن والكحل ونحو ذلك يريد بها صيانة نفسه وهو رياء وليس كالرياء بالاعمال التي يبتغى بها وجه الله لان المرائين من المؤمنين يخاف عليهم من النار لقوله في الحديث ولكنك فعلت ليقال فلان كذا وكذا فقد قيل ذلك (وهذا) الذي راءى بالتكاثر والتفاخر وطلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقي الله يوم القيامة وهو عليه غضبان وهذا مع ما فيه من الفساد أهون من الباب الآخر وكلاهما شديد والله المستعان وذلك ان المفاخر انما يريد اقامة مرتبته عند الناس فلو كانت له الدنيا كلها لاحتاج اليها لما معه من حب الدنيا وذلك ان قلبه مشغول عن الله تعالى وعن طلب الآخرة وهو مع هذا خائف وجل من أن تنزل به نازلة تغير حاله فيتغير من كان له مطيعا فأشد مضرة هذا الباب (وعلامة المريد)

النظر الى من هو دونه فى الرزق والى من هو فوقه فى العمل للآخرة و يتواضع ولا ينافس أهل الكبر والفخر والرياء والتكاثر ولا يأخذ ما أخذ لنفسه ولا يترك ما ترك لنفسه وما أخذه فانما نيته فيه القوة على دينه واقامة فرائضه والاستغناء عن غيره و يدع جميع ما كان للناس من ذلك (وأما العجب) فأصله حمد النفس ونسيان النعمة وهو نظر العبد الى نفسه وأفعاله و ينسى أن ذلك انما هو منة من الله تعالى عليه فيحسن حال نفسه عنده و يقل شكره و ينسب الى نفسه شيأ هو من غيرها وهى مطبوعة على خلافه فان غفل عن ذلك واستدرج وكان معجبا بعبادته مزريا على من لم يعمل عمله قد عمى عن عيوب نفسه فيكون مستكثرا العمله مسرورا به راضيا عن نفسه فرحا بها يسعى فى هواها غضبه لها و رضاه لها ولا يخلو المعجب بعمله من أن يكون مرائيا لانهما قرينان لا يفترقان ولا يكون المعجب محزونا ولا خائفا أبدا لان العجب ينفى الخوف (واعلم) يا أخى أن الناظر الى الله فيما يعمل قد نفى العجب عنه لعلمه أن العمل انما هو من الله تعالى وهو قائم بالشكر له مستعين بالله عز وجل على كل حال متهم لنفسه قد نفى الاعمال كلها عنها فليس لها عنده فيها حظ ولا نصيب (واعلم) انهم صنفان (صنف) علماء أتقياء فهم الذين نظروا الى الله فيما يعملون فحمدوا الله على ما وهب لهم من قليله وكثيره (وصنف) نظروا الى السبب الذى أعطاهم الله فاشتغلوا بشكر السبب والصنف الاول أقوى من هؤلاء أولئك لا يعرض لهم العجب لعلمهم به وهؤلاء ربما أعجبوا بالسبب وربما انتفى عنهم فهم مكابدون له فان قاموا بشكر ذلك فحالتهم حسنة وهم دون أولئك وان ركنوا الى ما يدخل عليهم من العجب فقد هلكوا الا ان ينبه الله من شاء منهم فيتوب عليه (والعجب كثير) وهو آفة المتعبدين من الاولين والآخرين وهو من الكبر والكبر آفة ابليس التى أهلكه الله بها (وأما الشهرة) واشارة الناس الى العبد فانها ان تضر الامن أرادها والمرء ملبس زين عمله ان خيرا فخير وان شرا فشر فكم من مستتر بعمله قد شهره الله به وكم من متزين بعمله يريد به الاسم واتخاذ المنزلة عند الناس قد شانه الله به وانما يصلح ذلك و يفسده الضمير فان أحب الشهرة جمع الشهرة والرياء والعجب جميعا وان أراد الله وحده وكان مخلصا لم يضره ذلك عرف أو لم يعرف وربما لحقه حب معرفتهم اياه بالعمل فيخرج به الى الباب الذى يحبط الاعمال ومن ذلك حب معرفتهم اياه بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والغضب لله وفى الله فان قام بذلك ونفى ما يحمده وكانت نصيحته لله وللمؤمنين ونجاة نفسه نجا وان اعتقد شيأ من اتخاذ المنزلة أو حب الثناء أو طلب رياسة أو لم يقبل قوله فقد شرب السم الذى لا يبقى ولا يذر ولا عاصم من ذلك الا الله (والرياء) والعجب والكبر والشهرة انما هى من أعمال القلب فتوسل يا أخى الى الله فى اصلاح قلبك فان سلم قلبك وعلم الله من ارادتك انها له خالصة خلصك الله من كل آفة دخلت عليك والله يقسم الثناء كما يقسم الرزق ومن خاف الله خوف الله منه كل شئ ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شئ ومن أحب الله أحبه كل شئ والله سبب العبادة وانما تصحيح العمل بالحوادث على قدر صحة القلب ومع صحة القلب دلالة العقل وسياسة العلم وسابقة الخوف فاذا أردت عملا فابتغ بذلك ثواب الله وأكثر ما تؤمل من الله النجاة من النار والوصول الى نعيم الجنة يهون عليك العمل و يخلصه الله من الآفات و يقويك عليه فاذا عملت فاشكر وانظر هل ينقص من بدنك شئ فى ليلك ونهارك لتعقد النية فيما يستقبل وانظر اذا أصبحت كيف مضت عليك ليلتك بتعبها ونصبها وبقى لك ثوابها وسرورها يكن ذلك قوة لك على ما تستقبل فالحسنة لها نور فى القلب وسرور يجد العبد حلاوة ذلك السرور وضياء ذلك النور ولم يدع الله جل ذكره المطيعين حتى جعل لهم بالطاعة اللذة والنشاط وقرة العين وحلاوة القرب اليه

ولم

ولم يدعهم حتى حببهم الى الناس وحتى نظروا اليهم بالهيبة لهم والاجلال مع ما فى قلوبهم من التواضع والخوف لله فان لم يعرفهم الناس وكانوا من أهل الجهالة بهم كانوا أرفع خلق الله فى الدنيا ومن كان بالطاعة عاملا كان من أعز الناس عند الناس وأغناهم بالله ومن هاب الله فى السريرة هابه الناس فى العلانية وبقدر ما يستحى العبد من الله فى الخلوة يستحى الناس منه فى العلانية وينبغى للعالم أن تكون محبته فى العمل بالحسنات سترها وفى سيئاتها فانه سيحفظها له من لا ينساها ويحصى له مثاقيل الذر من عمله وان ظهرت الحسنات فليعرف نفسه ولا يغرنه ثناء من جهله ففكر أيها العامل فى العواقب فان أحببت أن يحبك الناس أو يقطنوا بحسناتك اذا عملتها اليكرموك ويجلوك فقد تعرضت لمقت الله عز وجل لك ويحك انك ان أسقطك الله سقطت فلا تغتر من الوجهين جميعا وان سلمت لك آخرتك سلمت لك دنياك وان خسران الآخرة خسران الدنيا والآخرة جميعا ومن ربح الآخرة ربحهما جميعا (واعلم) انك ان غضبت على الناس فى شئ هو لنفسك فأبديته لهم أو لم تبده لهم علم الله ذلك من قلبك فقد تعرضت لغضبه اذا أظهرت انك انما غضبت لنفسك (واعلم) أن الله جل ذكره لا يخفى عليه من أمرك خافية وليس الفرق بين غضبك عليهم وبين سرورك بهم وفرحك بثنائهم عليك بحسناتك وأنت تريد ثوابها من ربك لقد ابتليت أيها العبد بحسناتك وعظم فيها بلاؤك واعلها أضر عليك من بعض سيئاتك فان بلغ بك البلاء أن تفرح اذا مدحوك بغير عملك أو باكثر من عملك فقد له قلبك أحبط الله عملك ثم تصير الى حال حب مجىء الاخوان اليك فى أوقات الاعمال فتفرح وان أتوك فى وقت فراغك غمك ذلك والله سائلك عن ذلك كله وتظهر منك الحزن وتوهم الناس ان ذلك من شدة الاهتمام بالآخرة وانما ذلك منك تصنع تحب أن يحمدوك على ذلك فأنت اذن قد هلكت من الوجهين جميعا فخف الله فى سرائر نفسك وعلانيتها واحتقر حسناتك جهدك واستكثر منها ما استطعت حتى يعظم قدرك عند الله وتعظم حسناتك واستكبر صغير ذنبك حتى يصغر عند الله وخف من صغير ذنوبك أن يحبط الله به عملك كله وارج بحسناتك أن يمحو الله بها عنك كل سيئة عملتها فارج حسناتك وخف سيئاتك ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين (وينبغى) للعبد أن يعرف عجزه وضعفه فيقطع سببه من نفسه ويرجع الى العز والمنعة ويتوجه الى الملك القادر على ما يريد بالاعتصام والتوكل والاستغفار والانتصار به على الاعداء فيجد عند ذلك العز والروح والفرج والمنعة ويفوض أمره الى الملك الجبار فما اختار له من شئ رضى به وسلم فان عرض له بعد ذلك غم أو روع علم ان ذلك بلوى من الله فيرجع اليه حينئذ بالانكسار والافتقار اليه لما فرط منه ويطلب الروح والفرج بالتقوى وهو استماع العبد الى قول ربه ما أمره به فعله وما نهاه عنه تركه حتى تكون كلها مجموعة له فى روضة واحدة (فانظر) يا أخى ولا تدع ما فيه المخرج الا خرجت منه وما كان مما فرط منك مما لا حيلة فيه الا الندم والاستغفار فاندم عليه ندما صحيحا بالقلق منك والاضطراب فى حضرة الله والاجتهاد قبل فوات الايام وهجوم الموت عليك وأكثر مع الندم الصحيح ذكر ما ندمت عليه ولا تفتر عما أمكنك من الاستغفار ثم عليك بعد ذلك بالتخلص من العائق الذى يشغل عن الله جل ذكره حتى تكون مؤثرا لله على ما سواه وهذا هو الطريق الى سبيل النجاة والله المستعان (واعلم) أن من دلالات العقول والعلوم تأسيس التقوى فاذا كان ذلك كذلك صار العبد حى القلب قابلا للموعظة معظما لما عظم الله مصغرا لما صغر الله فاذا كان ذلك كذلك فقد أحيا قلبه بالعلم والعمل ولو أن رجلا أحيا قلبه فى كل يوم ألف مرة ويكون بين الحياة والحياة موتة تخلفت عليه حتى تكون حياته دائمة تموت به خواطر نفس

ليس لها قرار والخاطر اذا صرم أصله وقطع دخل عليه الحزن والبكاء فلا يكون مسرورا بالعارض ولا مشغولا بالنعمة عن المنعم فهذا سبيل النجاة ان شاء الله والله المستعان واذا لم يكن مع العبد روح وغم عند الخاطر فهو ميت فاذا كان كذلك فليرجع الى التقوى والاخلاص والصدق والتخلص مما يكره الرب والحياة يتولد من العلم المفهوم فاذا علم وفهم العلم بما أمره الله به قبل الموعظة لنفسه بتعظيمه ما عظم الله والقلب الحي تكفيه غمزة فينتبه والقلب الميت لو قرض بالمقاريض لم ينتبه ولم يحي وذلك ان الله عز وجل يقول أومن كان ميتا فأحييناه وذلك من قبل وأجاب الداعي ومن لم يقبل الموعظة ولم يجب الداعي فانه كما قال عز وجل أموات غير أحياء وما يشعرون ومن علم أنه ميت فقد حيي بعلمه انه ميت ولا ينفعه العلم الا بالقبول وايثار الرب على هواه فمن كان مقرا بانه عاص وليس يتحول وليس معه الروع والغم الشديد وهو على حالته التي ليس يرضاها ولا يبادر بالتوبة والتطهير فهو ميت ولا ينفعه علمه الا أن يتوب الله عليه قبل موته فيحيا بالتوبة ويرجع الى الرغبة والرهبة والطاعة ومن أراده الله وفقه ونبهه من الزلة وأيقظه من الغفلة وانما هذه كلها مواريث حب الدنيا واتباع الهوى وطول الامل (وينبغي) لمن كان يبتغي لنفسه طاعة ربه أن يرجو ما ثقل عليه من البر ويتهم ما خف عليه من ذلك لان قليل الصدق يثقل خفيف العمل والكذب من النية في العمل يخفف ثقيل العمل وقليل الصدق أوزن وأرجح من كثير الكذب (واعلم) ان ارادتك العمل عمل فانظر في ارادتك حتى يصح لك عملك ويرك الله لنيتك طالبا ولها صحيحا كما يراك في عملك مخلصا فان الاعمال بالنيات (واعلم) انك ان ظفرت بتصحيح النية مع قليل العمل ربحت عملك وظفرت بأكثر من عملك (واعلم) ان عدوك ينظر الى ابتداء نيتك وابتداء عملك وقد يخفى عليك سقم نيتك كما يخفى عليك سقم غيرك فاحذر أن تكون نيتك سقيمة فقم على تصحيحها فان العمل تابع للنية ان صحت صح وان فسدت فسد (واعلم) ان العدو اذا رأى في نيتك سقما رغبك في ذلك العمل ولم يثقله عليك بل يخففه عليك مخافة أن يقنطك بالسقم وردحينئذ أن الناس كلهم أحبوك في ذلك العمل ومدحوك اذا ظفر منك بسقم النية ويزيدك قوة ونشاطا في عملك ويحسنه عندك وفي أعين الناس ويحببهم اليك فكلما أثنوا عليك استحليت عملك وخف عليك وقد ستر عنك داء الحسنات وداء السيئات ومن داء الحسنات انه لا يمنعك من تركها الا مخافة أن تسقط من أعين الناس (واعلم) ان ربحه منك اذا سقمت نيتك أكثر من ربحه منك اذا أحببت الدنيا واتسعت منها ومن داء السيئات سقم نيتك (واعلم) ان العدو ربما أفسد الحسنات أو لا بسقم النية وربما أفسدها آخرا بتعظيم الناس لك فاذا علم أنك لا تحب ذلك ولم يجد اليه الى معصية خلاك وذاك فاحذر على عملك كله من حيلة الخبيث واذا رأيت العمل قد خف فكن أشد ما تكون له حذرا اذا خف على نفسك العمل فهو أفسد ما يكون اذا صح عندك (واعلم) ان الشيطان أعرف بك وبما تهواه نفسك منك ولا تدع العمل من أجل آفته ولكن اعمل بنية وصحة واستعن بالله وكن حذرا طالبا للخلاص كارها معاندا الفساد العمل لا تريد الثواب الا من الله وحده وطلب الدار الآخرة ولا تعمل ليعطيك في الدنيا ثوابا فان الذي قدر الله عز وجل أن يصل اليك من رزق أو أجر أو ثناء فانه صائر اليك بعليك بالصدق واتخذه ذخرا اليوم ينفع الصادقين صدقهم وانظر اذا صح عملك عندك فكن أخوف ما يكون من فساده ولا تأمن عليه من الفساد فتفسده فان آفة العمل الامن عليه (واعلم) ان الامن على الحسنات أضر عليها من السيئات والامن على السيئات أضر عليك من السيئات (واعلم) ان أمنك على الحسنة أحب الى ابليس من السيئة وفنوطك بعد السيئة أحب الى ابليس من السيئة

واستصغارك اسئة كبيرة أحب اليه من سيئة بعد سيئة واستعظامك اسيئة أردتها ثم تركتها أحب اليه من كبيرة عملتها ثم استغفرت منها العظيمها عندك فافهم ما ألقى اليك من هذا الباب واحذره (واعلم) ان ابليس الخبيث يجرى على ألسنة الناس مدح الصادق ليفسد عليه صدقه و يزيد الكاذب فى عمله قوة حتى يسوى بين الصادق والكاذب فاحذر تجديد القوة فى العمل عند تجديد المدح فان له سطوة وسلطانا تزيد الكاذب كذبا و يفسد على الصادق صدقه فلا تظهر الخوف من قليك ولا تظهر قلة الخوف فان اظهار قلة الخوف هو من قلة الخوف وهذا باب فيه فساد للعمل كبير وهو رياء فيه لطف وله حلاوة واياك أن تقول واحزناه على الحزن وأخاف أن لا أكون أخاف واحزناه على الاحزان فان هذه أشياء من دقائق مداخل ابليس والله سائلك عن بكائك واظهارك الخوف والحزن واظهارك انك لست بحزين واظهارك انك لا تخاف وما تظهر من الانكسار والتواضع واظهارك الهم بامر الآخرة وذلك نفسك وماذا أردت بذلك كله ولا بليس فى هذه الخصال مذاهب تلتبس على كثير من الناس وهى تنسب الى خشوع النفاق فان كنت صادقا فيها فاحذر ابليس عندها وفى وقتها احذر اشديدا والله المستعان (وانظر) كيف يكون احتمالك اذا قال لك غيرك ما تقوله أنت لنفسك من الذم والوقيعة فيها حتى يتبين لك عند ذلك أصادق أنت فى قولك أم كاذب فاذا كان باطنك كظاهرك لم تبال كيف كان أمرك وقم على باطنك أشد من قيامك على ظاهرك فانه الموضع الذى فيه الله مطلع فنظفه وزينه لينظر الله اليه أشد ما تزين ظاهرك لنظر غيره فافهم ما أقول لك بعناية منك وقبول (واعلم) ان فرائض جوارحك انما تقوم بفرائض قلبك (واعلم) ان النية والصدق والاخلاص فريضة تقام بها الفرائض وتبنى عليها الاعمال وترك الذنوب فريضة فكل أمر فيه معصية فهو مردود ومحال أن يتقرب الى الله بمعاصيه ان ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن ينالها التقوى منكم (واعلم) ان الله فرض الارادة له بالايمان والاعمال براد بهما وجهه فأصاب المؤمن الصادق بنيته الفريضتين جميعا الظاهرة والباطنة (واعلم) انك ان عملت بما وصفت لك ثم عرضت عليك الدنيا بما فيها على أن تظهر حسناتك أو ترائى بها ما فعلت (واعلم) ان المريد فى ترك الميتة يخاف من الله أن يشبع منها و يخاف منه أن ينال منها وهو مستغن عنها و يخاف منه أن يدخرها وهو محتاج اليها فهو يخاف من الله أن يعصيه فيما أحله له و يخاف أن يشبع مما أباحه له فمن قام فى هذا المقام من أهل الدنيا فقد بلغ الغاية من الزهد فيها وأقام الاشياء كلها التى فى الدنيا مقام الميتة فانما ينال منها البلغة عند ما اضطر اليها و يخاف من الله ان ترك أخذ تلك البلغة فى وقت الضرورة أن يعذب على تركها كما يخاف أن يعذب على أخذ الحرام البين (واعلم) ان تمام الاشياء كلها انما هو بالقيام بما أمرك الله به والانتهاء عما نهاك الله عنه (واعلم) انه ليس من عقلك أن تأخذ ميتة فتحزنها ولا ان فاتت حزنت عليها ولا ان وجدتها فرحت بها لانك منها على مقت لها وتقذر منك لها فاذا خفت منها أن تنالها نفيت المخافة التى حلت بقلبك حلاوتها وهى الدنيا فتجتزئ منها بما أقام صلبك وأديت به فرضك ودع ما سوى ذلك بكابده غيرك والذى تحتاج اليه من الدنيا يسيرها وهو ما تستر به عورتك وتقيم به صلبك لاداء فرائضك وما كان وراء ذلك فهو من الدنيا ومنتهى طلب الآخرة ترك الدنيا ومنتهى طالب الدنيا جمع ما أحببت من الدنيا فاذا رأيت نفسك تأنس بقرب الدينار والدرهم وتستوحش لفقدهما فاعلم أنك محب للدنيا ومن كان محبا للدنيا فهو قال للآخرة اه ﴿فصل فى الصدق والعقل﴾ واعلم ان الاصل الذى يحترز به مما تقدم ذكره انما هو الصدق والعقل والصدق محله القلب واذا كان كذلك فينبغى الاعتناء بشانهما (وما) قاله الشيخ الامام

عن بن رزق رحمه الله فى ذلك فيه غنية عن غيره وبيان تام (قال) رحمه الله اعلم يا اخى علما يقينا لاشك فيه أن الصادق لا يكذب أهله ولا يألوهم نصحا فى ارتياده لهم فان أخاك من صدقك ونصحك وان خالف صدقه ونصحه هواك وان عدوك من كذبك وغشك وان وافق ذلك هواك (واعلم) يا اخى انى لما أطلت الفكرة وصححت فى ذلك النظر علمت ان الله جل ثناؤه بارئ النسم وولى النعم ومالك الأمم لم يخلقنى واياك عبثا ولا هو تاركى واياك سدى وان لخلقك معادا نقف فيه بين يدى الملك الجبار للحكم بيننا وللفصل فينا وانه لم يخلقنى واياك حين خلقنا لهزل ولا للعب ولا لفناء دائم وانما خلقنا لبقاء الابد ودوام النعم فى جواره وجوار ملائكته وأنبيائه أو فى الشقاء الدائم للابد فالعاقل متيقظ لما خلق له مستعد لما هو صائر اليه فانتبه من رقدته وأفاق من سكرته فعمل وجد وأبصر فزجر النفس عن دار الغرور والخدائع الخادعة الزائلة التى قد ولت بخدعتها وفتنت بغرورها وشوقت بحطامها فلما عرفها العاقل الكيس حق معرفتها زهد فيها ورغب فى دار البقاء والسرور وتقرب الى مالك الدار بجميع ما يحب مما يطيق التقرب به اليه ورتب بباله وأما المغتر بالدنيا المؤثر لها فيها فهو معتنقها أيها الميت عن قريب والمبعوث بعد موته الى دار المقامة المسؤل عن اقباله وادباره فى دار الدنيا الموقوف عن قليل بين يدى الملك الجبار الذى لا يجور هل أعددت لذلك الموقف حجة تدافع عنك أو أعددت للسؤال جوابا فان الله يقول وقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر فاياك يا اخى والنزول بمحلة المخذولين (واعلم) أن السيد الكريم نعمه كثيرة لا تحصى وان عطاياه كثيرة لا تجازى وان مواهبه كثيرة لا تكافأ (واعلم) يا أخى انى لم ار نعمة متقدمة من الله عز وجل لخلقه أفضل من نعمة العقل التى جعلها الله دلالة لخلقه على معرفته والوصول بها الى محض الايمان به والذى أطلعهم الله به على مكنون علمه حتى ورثوا البصائر ونفوا به خاطر الشك وكابدوا وساوس الشيطان ومعاريض فتنته واستضاؤا بنور العقول فى طريق خيرتهم فتجنبوها وخرجوا من ظلم الشك واعتقدوا بها معرفة الله والايمان به والاخلاص والتوحيد وأفردوا الله جل جلاله وتقدست أسماؤه بالربوبية والعظمة والكبرياء (واعلم) ان أهل اللب استدلوا به على خلق أنفسهم وعلى خلق الخلق كلهم وانهم موسومون بسمة الفطرة وآثار الصنعة والنقص والزيادة مع تغيير الاحوال فأول ابتداء الله لهم أن وهب لهم العقول التى بها وصلوا الى الايمان وبالايمان وصلوا الى نور اليقين وبنور اليقين وصلوا الى خالص التفكر وبخالص التفكر وصلوا الى استقامة القلوب وباستقامة القلوب وصلوا الى الصدق فى الاعمال واخلاصها لله تعالى فورثهم ذلك البصائر فى قلوبهم فوضحت الحكمة فى صدورهم وجرت ينابيعها على ألسنتهم فهجموا بفطن قلوبهم على غوامض الغيوب والارادة والاخلاص الذى ركب فيهم وأدركوا بصفاء يقينهم غائص الفهم وأدركوا بغائص فهمهم العلم المحجوب فعرفوا الله حق معرفته وتوكلوا عليه حق توكله وسلموا اليه الخلق والامر فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتا للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة وينابيع للحكمة فهم بين الخلائق مقبلون ومدبرون وقلوبهم تجول فى الملكوت وتتلذذ فى حجب الغيوب وتخطر فى طرقات الجنات فالحمد لله الذى لا اله الا هو العظيم الذى من والاه نعمه وأغناه (واعلم) يا اخى ان من صدق الله أوصله الى الجولان فى ملكوت السموات بقلبه ثم يرجع اليه بطرف ما قد أفاده السيد الكريم فصار قلبه وعاء لخير لا ينفد وعجائب فكر لا تنقضى ومعادن جواهر لا تفنى وبحور حكمة لا تترح أبدا ومع ذلك ملكوا الجوارح والابدان (واعلم) يا أخى ان فى ابن آدم مضغة ان صلحت صلح سائر جسده وان فسدت فسد سائر

جسده وهى القلب (واعلم) انه لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولسانه ومن أجل ذلك صار القلب واللسان ملكى البدن والجوارح والقلب هو المسلط على استخدامهم وذلك انه معدن العقل والعلم والعناية فجميع الخير والشر مستودع القلب (واعلم) يا أخى انى وجدت اللسان مترجما عن القلب ارادته وذخائر بصائره ووجدت الذكر جلاء لصداء القلوب وتيقظا من وسن الغفلة (واعلم) انى وجدت الشكر على من اختصه الله بنور العقل أكثر والحجة عليه آكد فمن هاهنا لزم الحجة وانقطعت المعاذير مع الاعذار والانذار فلله الحجة البالغة علينا وعلى أهل العقول من خلقه وما أعرف ان أحدا أتى الامن قبل تضييع الشكر لانه ليس من ولد آدم أحد الا وهو مختص بنعمة العقل الاقليل فمنهم من حثى له من الشكر وحثى عليه ومنهم من أعطى من العقل دون ذلك فشكر الله على قليل ما أعطى فزاده الله حتى علا فى درجة العقل ومنهم من كفر النعمة فلم يأخذها بشكر فنقص عن درجة العقل لان العبد قد أعظم الله عليه النعمة فى العقل فينبغى أن يكون شكره على قدر عظيم النعمة عليه (واعلم) ان العقل والهوى ضدان مركبان فى العبد كتركيب الجوارح وهما يعتركان فى قلب ابن آدم فأيهما غلب استعلى على صاحبه واستولى على العبد فكانت أعماله كلها بالمستولى عليه فكان له تبعا فشكر العبد اذا كان لله على نعمة عقله أن يتبع دلالة علمه وعقله فيؤثر دلالتهما وما يدعوان اليه على هوى نفسه (واعلم) ان الامر عظيم على قدر ما نرى من غلبة الهوى علينا واستمكان الدنيا من قلوب علمائنا وجهالنا فلما كان ذلك منا كذلك عز وجود الصدق على كثرة وجود معرفته ووصفه وقل العمل به والقيام بحقه وقد فشا الكذب وكثر الرياء والتزين للدنيا وسلوك أودية الهوى ونزول أودية الغفلة ولا يؤمن السبيل أن يركب على تلك الغفلة فتتاف النفس وان الهوى قد قام مقام الحق يعمل به ويقضى بقضائه ويحكم بحكمه وقام سوء الادب والمكر والخديعة مقام العقول وقامت المداهنة مقام المداراة وقام الغش مقام النصح وقام الكذب مقام الصدق وقام الرياء مقام الاخلاص وقام الشك مقام اليقين وقامت التهمة مقام الثقة وقام الأمن مقام الخوف وقام الجزع مقام الصبر وقام السخط مقام الرضا وقام الجهل مقام العلم وقامت الخيانة مقام الامانة فصار من قلة الايكاس لا تعرف الحمق ومن قلة أهل الصدق لا يعرف أهل الكذب الا عند أهل الفهم والعقل والبصيرة فاعتدل الناس فى قبح السريرة وقلة الاستقامة فى أمور الآخرة الا من عصم الله فاصبحنا وقد حيل بيننا وبين النقص الذى نكره من أنفسنا وحيل بيننا وبين أن ندخل فى الزيادة التى نحبها الا نفسنا عقوبة لقبح اسرارنا فجرينا فى ميدان الجهل وغلب علينا سكر حب الدنيا فنحن نستبق فى هذين السبيلين ونتنافس فى الاستكثار منهما فصح عندى أن من الجهل بامر الله والاغترار به القيام على هذه الحالة والسلامة منها أيسر وأقرب رشدا وهو أن يكون المرء فى البلد الذى لا يعرف فيه مع التخلص الى حمول الذكر أينما كان وطول الصمت وقلة المخالطة للناس والاعتصام بالله والعض على الكسر اليابسة وما دنؤ من اللباس ما لم يكن مشهورا والتمسك بالقرآن والصبر على الشدائد وانتظار الفرج (واعلم) انى قد نظرت ببحث النفس والعناية بها فوجدت غفلتنا عظيمة وخطرنا عظيما والغفلة عن الخطر أعظم من الخطر لانه انما يعظم الخطر عند أولى العقول فكلما عظم الخطر وعلمت انه عظيم وكنت من أهل البصيرة حركك عظيم الخطر فانتقلت من عظيم الغفلة الى حال التيقظ ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ فصل فى ذكر الطمع وقبحه ﴾ وقال رحمه الله ينبغى لك يا أخى أن لا تأذن لقلبك فى استصحاب ما يعسر عليك طلبه وتخاف اطفاء نور القلب من أجله وكن فى تأليف ما بينك وبين الله محمود العاقبة واقطع

أسباب الطمع فيستريح قلبك ويصير الى عز الاياس واماتة الطمع فيسد عليك سبيل الفقر ويسكن قلبك عن العناء ويسقط عنك بذلك الشغل بالمخلوقين واستجلب حلاوة الزهادة بقصر الامل وقطعه واطلب راحة البدن باجماع القلب على عدم الشغل برؤية المخلوقين وتعرض لرقة القلب بدوام مجالسة أهل الذكر من أهل العقول والمعرفة وحسن الادب التاركين لفضول الكلام فان مجالسة هؤلاء يصفو القلب ويرق ويقدح فيه النور وتجرى فيه ينابيع الحكمة وافتح باب دواعي الحزن الى قلبك واستفتح بابه بطول الفكر واستجلب الفكر بالتوحش من الناس فان أبوابها في مواطن الخلوات وتحرز من ابليس بالخوف الصادق واستعن على ذلك بمخالفة هواك واياك والرجاء الكاذب فان التوسع فيه بتزلك بحيلة المصرين من أهل المكر والاستدراج بذلك لان للرجاء طرقا تؤدي الى الامن والغفلة فاياك أن تتخذ معطية لسفرك وتخلص ياأخي الى عظيم الشكر باستكثار قليل الرزق مع كثير الرضا بذلك واستقلال كثير الطاعة واستجلب النعم بعظيم الشكر واستدم عظيم الشكر بخوف زوال النعم واطلب لنفسك العز باماتة الطمع وادفع ذل الطمع بعز الاياس واستجلب عز الاياس ببعد الهمة واستعن على بعد الهمة بقصر الامل وبادره بانتهاز النعمة عند امكان الفرصة خوف فوات الامكان ولا امكان كالايام الخالية مع صحة الابدان واحذر التسويف فان دونه ما يقطع بك عن بغيتك واياك ياأخي والتفريط عند امكان الفرصة فانه ميدان يجري بأهله بالحسرات واياك والثقة بغير المأمون فان للشر ضراوة كضراوة الذئاب ولا سلامة كسلامة القلب ولا عمل كمخالفة الهوى ولا معصية كمعصية العقل ولا عدم كقلة اليقين ولا جهاد كجهاد النفس ولا غلبة كغلبة الهوى ولا قوة كرد ذلك الغضب ولا معصية كحب النفاق وان حب الدنيا من حب النفاق ولا طاعة كقصر الامل ولا ذل كالطمع وفقنا الله واياك لما اليه دعانا وأعاننا واياك على اجتناب ما عنه نهانا ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿فصل في التزين﴾ وقال رحمه الله وروى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال العقول معادن الدين والعلم دلالة على أعمال الطاعات والمعرفة دلالة على آفات الاعمال والبصائر دلالة على اختيار عواقب الامور واختيار مواردها وتصريف مصادرها (والتزين) اسم لثلاث معان فمتزين بعلم ومتزين بجهل ومتزين بترك التزين وهو أعظمها فتنة وأحبها الى ابليس (واعلم) أن الاساس الذي ينبغي للمريد أن يبني عليه دينه معرفته نفسه وزمانه وأهل زمانه فاذا عرف عيوب نفسه وأراد مأخذا يسلم به من شر نفسه ان شاء الله تعالى فليبدأ بالخلوة وتحول نفسه فانه حينئذ أن يدرك بذلك الحزن في القلب والخوف الذي يحتجز به عما نهى الله عنه والشوق الذي يدرك به أمله من محبة الله والالم يزل متحيرا منذ زمان متزينا بالكلام يأنس بمجالس الوحشة ويثق بغير المأمون ويطمئن لاهل الريب ويحتمل أهل الميل الى الدنيا ويغتر بأهل الحرص والرغبة ويتأسى بأهل الضعف ويسترجح الى أهل الجهل ميلا منه الى هواه الى أن يفجأه الموت وحلول الندم (واذا) وجدت المريد المدعي للعمل والمعرفة يأنس بمن يعرف ولا يهرب ممن لا يعرف وينبسط ويمكن نفسه من الكلام بين ظهراني من يعرف فانهم حاله اما أن لا يكون صادقا في ارادته أو يكون جاهلا بطريق سلامته أو مغلوبا على عقله وعلمه مستحوذا عليه هواه وما التوفيق الا بالله العلي العظيم (واعلم) ياأخي علما يقينا لا شك فيه أنا لم نبن أساس الدين على طلب السلامة فيه من الخطا ولا على حسن السيرة منا في الاخلاق والآداب ولكنا ابتنيناه على أساس الهوى وعلى ما خف محمله على قلوبنا واستخفته أنفسنا واستحلته ألسنتنا فأمضينا فيه أعمالنا طمعا في الزيادة من التقوى بزعمنا ودركنا حسن السيرة منا في الاخلاق

والآداب فنظرنا بعد ذلك فاذا قد رجعت علينا أعمال ايثار الهوى بالنقص من الزيادة فى الدين وبقبح السيرة منافى الاخلاق والآداب بنظرنا الامور الدنيا والآخرة فورثت ذلك الحب والغش والمداهنة فصيرنا الغش والمداهنة مداراة وصيرنا الحب عقولا وآدابا ومر وآت يحتمل بعضنا بعضا على ذلك فأعقبنا ذلك تباغضا فى القلوب وتحاسدا وتقاطعا وتدابرا فتحابينا بالالسن مع الرؤية وتباغضنا بالقلوب مع فقد الرؤية نذم الدنيا بالالسن ونميل اليها بالقلوب وندافعها عنا فى الظاهر بالقول ونجرها بالأيدى والارجل فى الباطن فأصبحنا مع قبح هذا الوصف ومعاجته لانستاهل به خروجا عن النقص ولادخولا فى الزيادة فانا لله وانا اليه راجعون والله المستعان وأصبحنا لانجد رجلا صادقا فنتأسى به ولاخائفا فنلزمه للزومه له ولاحزينا فنبا كيه فقد صرنا نتلاهى بفضول الكلام ونأنس بمجالس الوحشة ونقتدى بغير القدوة مصرين على ذلك غير مقلعين ولا تائبين منه ولاهاربين من مكر الاستدراج فنعوذ بالله من التولى عن الله والسقوط من عين الله والشغل بغير الله ان الله جل ذكره أوجب على نفسه للطاعة ثوابا أى ماوعد به سبحانه من التفضل والاحسان وعلى المعصية عقابا فالثواب لايجب للعبد على الله الامن بعد تصحيح العمل وتخليصه من الآفات وتصحيح ذلك وتخليصه لايتم الا بالمعرفة والاعتزام على احتمال مؤنته وتصحيح العمل والاعتزام والاحتمال والصبر على العمل لايكون الامن بعد ثبات الخوف فى القلب والخوف لايوجد الامن بعد ثبات اليقين فى القلب وثبات اليقين لايكون الامن بعد صحة تركيب العقل فى العبد فاذا صح تركيب العقل فى العبد وثبت وقع الخوف مما قد أيقن به فجاءت عزيمة الصبر من غير تكلف فاحتملت النفس حينئذ مؤنة العمل طمعا فى ثواب ماقد أيقنت به على فعل الطاعة ورهبة عقاب ماقد أيقنت به على فعل المعصية فتركت المعصية والشهوة هربا من عقوبتهما واحتملت الطاعة بالاخلاص رجاء ثوابها فكلف الاحمق الكيس ولم يعذر على لزوم الحق وكلف الجاهل التعليم ولم يعذر على غلبة الهوى وكلف العامل الصدق والاخلاص والتيقظ فى عمله ولم يعذر على الشهوات والغفلة وترك الاخلاص فيه وكلف العاقل الصدق فى قوله ولم يعذر بالميل الى الكذب وكلف الصادق المخلص الصبر عن ابتغاء تعجيل ثواب عمله فى الدنيا من المخلوقين من حب الدنيا والتكرمة والتعظيم وعندها انقطع العمال خاصة وحل بهم الجزع وتركوا عزيمة الصبر فى طلبهم تعجيل ثواب عملهم ولم يؤخروا ثواب الاعمال ليوم يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وخدعتهم الأنفس الأمارة بالسوء عند ستر سرائر أعمالهم حتى أبدوها للمخلوقين بالمعانى والمعاريض وأظهروا الاعمال ليعرفوا بفضيلة العمل ليزدادوا عند الناس فضيلة ورفعة فتجملت أنفسهم ذخائر أعمالهم وحلاوة سرائرهم بحسن الثناء والتكرمة والتعظيم ووطاء الاعقاب والرياسة والتوسمة لهم فى المجالس وأغفلوا سؤال الله لهم فى عقدهم لمن عملوا وماذا طلبوا فخسروا أنفسهم وأعمالهم وخسارة ماهنالك باقية وندامة ماهنالك طويلة لما وردوا على الله فوجدوا عظيم ماكانوا يؤملون من ثواب سرائر أعمالهم التى عاجلوا فيها أنفسهم فى الدنيا فمنعوها هنالك لانهم قد كانوا تعجلوا ثوابها من المخلوقين وخرجوا من خير أعمالهم صفر اليدين فانا لله وانا اليه راجعون ما أقبح الفضيحة بالعالم العامل البصير الناقد العارف غب قلة الصبر وابتغاء تعجيل الثواب والميل الى الدنيا وايثارها واتباعها فينبغى للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير الناقد أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا ينبغى تعجيل الثواب ههنا وما التوفيق الا بالله العلى العظيم

﴿فصل فى الغيبة والنميمة﴾ وقال رحمه الله اعلم أن مخرج الغيبة انما هو من تزكية النفس

الكيس كالعقل وذامعنى اه

والرضاء بها لانك انما تنقصت غيرك بفضيلة وجدتها عندك وانما اغتبته بما ترى انك منه برىء ولم تغتبه بشئ الا وما احتملت فى نفسك من العيب أكثر وانما يقبح منك مثلك فلو عقلت أن فيك من النقص أكثر لحزنك ذلك عن غيبته ولاستحييت أن تغتابه بما فيك أكثر منه ولو علمت ان جرمك عظيم بغيبتك غيرك وظنك انك مبرء من العيوب لحزنك ذلك ولشغلك عن ذلك وكيف وانما يبقى الاموات الاموات ولو كانوا أحياء اذن ما احتملوا ذلك منك ولتناهوا (واعلم) ان ميت الاموات أحد فى العاقبة من ميت الاحياء وتفسير ميت الاحياء أموات القلوب وهم أحياء فى الدنيا فمن كانت هذه صفته كثرت أوزاره وعظمت بليته فاحذر يا أخى الغيبة تحذرك عظيم البلاء أن ينزل بك فان الغيبة اذا نزلت وثبتت فى القلب وأذن صاحبها النفسه فى احتمالها لم ترض بسكناها حتى توسع لاخواتها وهى النميمة والبغى وسوء الظن والبهتان والكبر وما احتملها البيت ولا رضى بها حكيم ولا استصحبها ولى لله قط فانا لله وانا اليه راجعون

﴿فصل فى الاستدراج﴾ وقال رحمه الله الاستدراج اسم لمعنيين أحد المعنيين استدراج عقوبة للسيئة تنبيها على الانابة والمعنى الثانى استدراج لا انابة فيه ولا رجوع فنعوذ بالله من الاستدراج وانما يستدرج العبد على قدر بغيته فمنهم من يستدرج بالملك والسلطان وطاعة الناس له ومنهم من يستدرج بالدنو من الملوك والسلاطين والحظوة عندهم ومنهم من يستدرج بالتوسعة فى تجارته بالتوسعة فى المال ومنهم من يستدرج بالاهل والولد والغاشية والتبع ووطء الاعقاب ومنهم من يستدرج بعلمه بأن يكرم بسببه ويحمد ويعظم ويسمع قوله فهو مستدرج بقبيل حظه من علمه ومنهم العابد يستدرج من طريق العجب فى عمله والقوة على ذلك فى بدنه ومنهم ذو البصيرة يستدرج بالزيادة فى بصيرته فجميع من ذكرنا من المستدرجين كلهم لا يخلو من الرياء والعجب وكل مزين له ما هو فيه لا يرى الا أنه على الطريق مقبول منه احسانه وقد عمى عن فتنة ما هو فيه من الاستدراج ومنهم من ينبه فينتبه فيرجع الى الانابة ويفزع الى الاستكانة ومنهم من يهمل فيهمل نفسه الى حضور أجله وقد قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى فهذه فتنة الاستدراج فنعوذ بالله من ذلك والمستدرج مفتون فلا يعلم بفتنته مزين له عمله مستحسن ما هو فيه طالب للزيادة على ما هو عليه مقيم فاحذر فتنة الاستدراج واعلم ان الاستدراج عقوبة للمضيعين شكر النعم

﴿فصل فى اليقين﴾ وقال رحمه الله اعلم ان للموقن علامة واضحة تعرفها من نفسك ومن غيرك وهى أن الموقن يعظم عنده الخطأ والزلل وان كان غير مؤاخذ به لغفلته عنها وركونه اليها بالشهوات وهجوم ابليس على قلبه وطمعه نفسه فيما هو أعظم منها اذا عمل منها شيأ ظن أنه قد استوجب النار وانه مسلوب بها ما أنعم عليه به فاذا كان العبد كذلك كان موقنا وهو يعلم (ان قلت) ما بال أقوام عارفين يذنبون (قلت) ليعرفهم الله فضله عليهم واحسانه اليهم عند اساءتهم الى أنفسهم فيجدد عندهم النعم ويستقبلونه الشكر فيصيرون بذلك الى أعلى درجاتهم انتهى

﴿فصل فى العجب﴾ وهذا راجع الى ما تقدم ذكره من الاستدراج أعنى استدراج الملوك وغيرهم (لكن) فى من الكلام على ذلك بقية يحتاج الى ذكره فى هذا الفصل (قال) رحمه الله فالعامة معجبون بما أوتوا من الاهل والولد والاموال والارباح والمساكن والعلماء معجبون بعلمهم وما بسط لهم فيه من من الذكر والقراء معجبون بما نالوا من الثناء والتزمت بقراءتهم والعباد معجبون بما نالوا من القوة على

اظهار الزهد والصلاة والصوم فليس من هذه الاصناف صنف الا وهو يحب التعظيم والمحمدة عند من هو دونه وعند من هو فوقه وأصل ذلك كله من التجبر وهذه فنونه فاذا ثبت التجبر فى قلب عمد ثبت فنونه جميعا والتجبر أصل منه يتفرع جميع الشر من الغضب والطمع والرياء وحب التعظيم والرياسة والمنزلة والسمعة والتزين والطيش والعجلة وسوء الخلق والحرص والشره والمكر والخديعة والجرية والغش والخلابة والكذب والغيبة والنميمة والحسد والقساوة والجفاء والشح وقلة الحياء مع فنون جميع الشر فنعوذ بالله من الشر كله ﴿فصل فى التواضع﴾ وقال رحمه الله اذا ثبت التواضع فى القلب ثبت فيه جميع الخير من الرأفة والرقة والرحمة والاستكانة والقنوع والرضى والتوكل وحسن الظن وشدة الحياء وحسن الخلق ونفى الطمع وجهاد النفس وبذل المعروف وسلامة الصدر والتشاغل عن النفس والمبادرة فى العمل بالخير والعطاء عن الشر كل امرئ على قدر ما فيه من البر يكون فعله على قدر ذلك ويكون حذره على قدر ذلك (فان) كنت تسأل عن الحجب الذى دخل أصحاب الاعمال من العباد فسأخبرك بفتنتهم وشدة بليتهم فتوقها واحذرها واستعن بالله فانه ليس شئ أعجب الى ابليس الخبيث من فتنة العابد لان فتنة أهل الدنيا مكشوفة بطلبهم الدنيا والناس قد عرفوهم بطلبها وفتنتهم منهم من يحتملها وهو يعلم أنه مفتون فيها وأما فتنة العابد فهى أعظمها فتنة وأعظمها بلية وأعظمها صرعا لانهم قد تركوا عبادة الدنيا وجدوا فى طلب الآخرة وكابدوا المفاوز والقفار وجاهدوا صعود العقاب وجاهدوا أنفسهم على ترك الدنيا لمعرفتهم بالنفس وما تدعو اليه ولمعرفتهم بالدنيا وما تدعوهم اليه واقبلوا على طلب الآخرة وايثارها بالصدق منهم وحسن الارادة غير أن الله جل ذكره امتحن هذا الخلق فى كل أحوالهم فى تمسكهم بالدنيا وفى تركهم لها وفى طلبهم الآخرة وايثارهم لها بالجد والاجتهاد وجعل فى كل نوع من ذلك مؤنة لا تدفع الا بالصبر ووعدا بليس وعدا فهو منجزه له الى يوم القيامة بان أسكنه هو وذريته صدور بنى آدم يجرى منهم مجرى الدم وذلك لمن أطاع منهم ولمن عصى ولاوليائه وأعدائه فليس للعابد فى عبادته أن ينفى الشيطان عن قراره أو يزعجه عن المسكن الذى أسكنه الله فيه ومكنه منه وهذه من المحن التى امتحن الله بها خلقه لينظر كيف يعملون غير أن العبد اذا تيقظ بقلبه خنس الخبيث عنه فلم يكن له شئ الا مع غفلته وطبع الله الخلق كلهم على الغفلة والتيقظ وأيد الله العابد بمكايدته ابليس فليس أحد أحوج الى صحة تركيب العقل فيه من هذا العابد الذى قد قصد خلافه وقوى على احتمال ترك الاسباب التى يصل بها ابليس الى ابن آدم من فنون الشهوات فحذف ذلك أجمع وخلفه خلفه ثم قرب من العقبة التى ان جاوزها كان منحدرا الى الجنة بادن الله فجرد له ابليس وعلم أنه لم يبق عليه الا هذه الدرجة التى ان سلم منها نجا فلا يسلم فى مثل زمانك مع كثرة هذه الفتن والمحن الا من كان على مثل ما وصفت لك ﴿فصل فى النية والعبادة﴾ وقال رحمه الله ينبغى للعبد أن يصحح نيته التى هى قوام عمله ويجمع لذلك قلبه وذهنه وعنايته ويقرر عمله فيما يأتى وينتبه فى عبادة ربه وقصد معرفة ربه ومكايدة عدوه ومجاهدة نفسه وايأسه اياها من عملها الطلب الثواب لانها ان انقطعت عن عبادتها لم تبلغ درجة العفو العظيم ما جنت من الاساءة ولو أن تلك العبادة والاحسان بازاء ذنب من ذنوبها الاستاهلت بذلك الذنب العقاب الا أن يغفر فكيف بجميع اساءتها مع قلة ما يتقبل من صمادا التوبة والمراجعة ثم يحملها على طاعة الله ما استطاعت فان عارضه ابليس بشئ أو رفعت نفسه رأسها لتذكره شيأ من احسانها منعها بما قدم عرفه الله من قديم اساءتها ويذكرها ما يوبقها فتتقمع عند ذلك ويكون ذلك زاجرا لعدوه ان شاء الله تعالى عند ما يريد من خديعته ليوقعه فى العجب بالباطل فلو كان عجبه عجب حقيقة من احتمال نفسه طاعة

ربها بهشاشة منها ومرور وزهد فيما يكره الله لكان أولى الاشياء باليقين مع صدقها فى الطاعات الرجوع الى الشكر لان العمل بطاعة الله نعمة من الله على العامل فيما يسر له من العمل ومن غفل عن الشكر فى العمل كان جاهلا بربه جاهلا بالعمل جاهلا بالنعم ومن عقل الشكر وذكر نفسه احسان الله رجع الشيطان بعون الله صاغرا ناكصا على عقبه فالزم نفسك الندم وارجع الى ما عرفك ربك من معرفة نفسك وعدوك وارغب الى الله فى العصمة من شر نفسك وشر عدوك واسأله الكفاية فانه لم يلجأ اليه أحد فى شئ من ذلك الا وجده قريبا مجيبا فاذا صار العبد الى هذه الدرجة أعطى هذه المعرفة فلا يكون له همة ولا بغية ولا مسئلة الا النقلة من ضيق الدنيا وغمها مخافة أن تعارضه فتنة من فتنها تحول بينه وبين معرفته ويرتجى أن يصير الى الآخرة وروحها اليأمن فيها على نفسه من روعات ابليس وجنوده وأنا أوصيك أن تطيل النظر فى مرآة الفكرة مع كثرة الخلوات حتى يريك شين المعصية وقبحها فيدعوك ذلك النظر الى تركها

﴿فصل فى العلم﴾

وقال رحمه الله اعلم أن لدواعى الخير علامات يستجلب بها دواعى الحزن والتفكر فهو بين ذلك مسرور لانه جعل ذلك فى الدنيا بغيته وأمله واذا أدرك أمله وجد بغيته طاب عيشه كما ان طالبى الدنيا اذا أدركوا آمالهم من نعيمها وزهرتها أحاط بهم السرور فكذلك طالب الآخرة وهو بعد ذلك من نفسه وعدوه وزوجته وولده وأهل زمانه خائف وجل لا يأمن من الشيطان الامع استذكاره قول الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه فحينئذ يقوى قلبه ويستصغر كيد من كاده وهو مع ذلك معتصم بربه واثق به فمن طلب الآخرة فلا يغفل وليبن أمره على طلب السلامة من الخطأ وعلى أساس الصدق فيما بينه وبين ربه ولا يخاف على قليل عمله اذا خلصه لله من الآفات كلها أن يفنيه الله له ويكثره ولا سيما اذا كنت فى زمان قد كثرت فيه الشبهة والاختلاف فان تخليصك قليل عملك من بين ظهراني أهل الشبهة والاختلاف حتى تكون عاملا على حكم الكتاب والسنة عند الله كثير فكن فى زمانك أشد تيقظا للتخلص الى معرفة ما كان عليه السلف الماضون من اتباع حكم الكتاب والسنة (واعلم) أن المعرفة اذا استحكمت فيك لم تدعك مع التقصير فى العمل بل تنقلك من درجة الى درجة حتى تبلغك غايات ما عملت من الخير أو يأتيك الموت وأنت طالب لغاياتها وكما أن الارض لا تنبت بغير ماء فكذلك العمل لا يصلح بغير معرفة فكلما ازداد العبد بالله معرفة ازداد يقينا وكلما ازداد يقينا ازداد لله خوفا وكلما ازداد لله خوفا ازداد لربه طاعة وكلما ازداد لربه طاعة ازداد له حبا وكلما ازداد له حبا ازداد اليه شوقا وكلما ازداد اليه شوقا ازداد للموت محبة (فاذا) كان كذلك كان مغموما فى حالة مسرورا وذلك أن المغموم على الحقيقة لا يتأسى بأهل السرور فى الدنيا ولا يجرى معهم فيما هم فيه وذلك أن المغموم جمع همومه كلها فنصبها بين عينيه ثم جعلها هما واحدا فقصر به أجله وهجم به على معاينة أحوال آخرته وأهوالها والمغموم بالحقيقة تنبهه الغم على التسويف فعمل للنقلة من دار الغموم الى دار السرور (وسأصف لك) حال المغمومين ان شاء الله تعالى (اعلم) ان لله عبادا تدبروا فعرفوا فلما عرفوا أيقنوا فلما أيقنوا خافوا فلما خافوا عملوا فلما عملوا اصمتوا فلما صمتوا عملوا فلما عملوا اشفقوا فلما أشفقوا جاهدوا فلما جاهدوا رغبوا فلما رغبوا صبروا فلما صبروا أبصروا فلما أبصروا ساوى أنفسهم فلما ساوى أنفسهم قصدوا فلما قصدوا مجاهدتها بالقلوب فارتفعوا عن أعمال الجوارح الى تصحيح القلوب فنقلوا طباعهم عن الريب والدناءة وجانبوا فى أحوالهم كلها ومعاملاتهم أحوال أهل المكر والخديعة والخب والزور أنفسهم محجة الطريق فى أفعالهم كلها ومنطقهم كله فاستخلصوا باطن الاعمال التى لا تظهر

للمخلوقين وأراحوا أبدانهم من ظاهر الاعمال الا ما لزمهم من أداء الفرائض المحتومة فصارت أعمالهم سرابين قلوبهم التي هي أرجح وزنا وأحد ذكرا عند الله وعلقوا قلوبهم بحب لقاء الله فصغرت الدنيا في أعينهم فاذا أقبلت عليهم خافوا وحزنوا خوفا من الاستدراج والمكر وان أدبرت عنهم سروا وفرحوا ودافعوا الايام مدافعة جميلة مستترين عن الاهل والولد والاخوان والجيران فهمتهم في باطن أمورهم كالديباج حسنا وفي الظاهر مناديل مبذولون لمن أرادهم مغمومون يكاشرون الناس بوجوههم وقلوبهم باكية وصفاتهم أكثر من أن يحيط الواصف بها في الكتب والكلام في ذلك يكثر فهذه صفات المغمومين على الحقيقة المسرورين بالله جل ذكره الفرحين به المنقطعين اليه والحمد لله رب العالمين

﴿فصل في عيوب النفس﴾ وقال رحمه الله اخواني أنه من لم يعرف نفسه وعيوبها فهو من استقامة دينه على اعوجاج (واعلم) أن من حسن سيرة العارف بعيوب نفسه أن لا يبني دينه على قبح ولا فساد وأصل العلم الغريب يدرك بفطن العقول المرضية وبنور الحكمة الثاقبة وبمخالفة الأهواء وبفوائد المعرفة الشافية وباصابة الحق في القول والعمل بالبصيرة ولا يبلغ هذه المراتب العالية الا من تقلد حب الآخرة موقنا بها وراغبا فيها ومؤثرا لها على ما سواها وخلع عن قلبه حب الدنيا وزهد فيها بالحقيقة واستشعر التواضع وهجر الهوى فينبغي للعاقل الحازم اللبيب العالم العامل العارف البصير أن يحذر ذلك كله ويتخذ الصبر مطية ولا يبتغي تعجيل الثواب ويتحرك لعزيمة الصبر وبالله التوفيق

﴿فصل في الاشياء التي يستعان بها على معرفة عيوب النفس﴾ وقال رحمه الله اعلم أني وجدت الذي يعين على معرفة عيوب النفس والعمل في مجاهدتها مخالفة الهوى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (يا أخي) أنه ان يعدمك من عدوك خاطر الشر في القلب للمعصية فادفعه عنك بحاكم العلم من القلب للطاعة وأنه ان يعدمك من نفسك سرعة القبول لموافقة الهوى فادرأه عنك بقلة المساعدة لخلاف الهوى وأنه ان يعدمك من عدوك التثبيط عن العمل فادفعه عنك بتعجيل المبادرة الى العمل وانه ان يعدمك من نفسك التثبيط بالكسل فادفعه عنك باغتنام الصحة (واعلم) يا أخي أن القلب اذا تراكمت عليه أقذار الذنوب وأطفاس الشهوات عمي واسود ونكس وطفئ نوره فلم يبصر عيوب نفسه وأبصر بعينه عيوب غيره فشغل به عن عيوب نفسه فليس شئ أولى بالمدعين للارادة من أن يتوسلوا الى الله عز وجل بطلبهم منه صلاح قلوبهم ليسلموا من شرور أنفسهم وغلبة أهوائهم واعلم أن القلب اذا لم يثبت فيه الحزن خرب كما أن البيت اذا لم يسكن خرب

﴿فصل في الحزن والخوف﴾ وقال رحمه الله اعلم أن العلم والعمل بالعلم لا ينفع العبد الا باستقامة قلبه والا عاد العلم عليه فصار حجة وعاد العمل فصار ضررا مع أن فساد قلوبنا هو الذي فرق بيننا وبين سلوك طريق الاستقامة والاتباع للقوم الذين يصلحون عند فساد الناس وهم الذين لم يتركوا من الفرائض شيأ الا أدوه ولم يتركوا الصلاة والزكاة والحج والجهاد والصيام والغسل من الجنابة والطهور للصلاة كل ذلك واجب عليهم وهو شئ معروف لم يزد فيه ولم ينقص منه فما بال الفساد واقع علينا ونحن لم ننكر هذه الفرائض كلها ننكرها وأنا نعمل في الظاهر بأكثرها غير أن القلوب منا مائلة الى حب ما زهد القوم فيه والانفس منا قابلة لحب هواها مستثقلة لما في الحق من الصبر والمكروه (وسأعطيك) دواء الفساد قلبك ينفعك الله به اذا كانت لك حياة ان شاء الله تعالى اعلم يا أخي أن القوم صبروا على مكروه ما دلهم عليه الحق فصبروا في الغضب والرضى والشدة والرخاء والعسر واليسر والعافية والبلاء فكانت أهواؤهم تابعة للحق على ما أحبت الانفس وكرهت فكان الحق لهم قائدا والهوى لعقولهم

قوله بكاشرون أي يضاحكون اه

التثبيط التقاعد وقوله واطفاس الذنوب عطف تفسير على ما قبله اه

تابعا فاستقامت منهم السيرة بلزومهم محجة الحق فى مواطن غضبهم و رضاهم وطمعهم وتقواهم وكانوا اذا امتحنوا فى هذه المواطن ظهر منهم قول الحق فى مواطن غضبهم وهم له فى ذلك الوقت ألزم وأشد تمسكا منهم فى مواطن الرضى فان عارضهم طمع دنيا ظهر منهم التنزه والورع والتقوى والتأنى وفقد منهم الحرص والرغبة خوفا منهم وكان منهم كالطباع لم يتصنعوا فيه وطباعنا اليوم بخلاف ذلك كله وكانوا أخوف لله وله أحذر مخافة أن لا يقبل منهم عملا فلا تفرحن بكثرة العمل مع قلة الخوف واغتنم قليل العمل مع الخوف فان قليل حزن الآخرة الدائم فى القلب ينفى كل سرور مررت به وألفته من سرور الدنيا وقليل سرور الدنيا فى القلب ينفى عنك جميع حزن الآخرة والحزن لا يصل الى القلب الا مع تيقظه وتيقظه حياته وسرور الدنيا لغير الآخرة لا يصل الى القلب الا مع غفلته وغفلة القلب موته والحزن يوقظه ويستنبط له اليقظة من خالص عين اليقين و بخطرات غامض الفهم تكون خطرات اليقين وعلامة ثبات اليقين فى قلب العبد استدامة الحزن فيه

﴿فصل فى الزهد والخلوة﴾ وقال رحمه الله تعالى اعلم أنى لم أجد شيأ أبلغ فى الزهد فى الدنيا من ثبات حزن الآخرة فى القلب وعلامة ثبات حزن الآخرة فى القلب أنس العبد بالوحدة وموضع هياج الحزن السرور ومعدنه ومفتاحه العقل ومحال أن يكون محزونا مسرورا فى حالة واحدة وجميع الطاعات توجد بالتكلف والحزن لا يوجد بالتكلف الا أن يصل الى القلب الذى يكون منه الحزن وذلك ان أهل الطاعة قدموا بين يدى الاعمال لطيف معرفة الاسباب التى بها يستديمون صالح الاعمال و يسهل عليهم مأخذها توطينا منهم لانفسهم استصحاب نيتهم الى انقضاء آجالهم فصيروا أعمالهم فى الدنيا يوما واحدا وليلة واحدة وكلما مضت ليلة استأنفوا الثانية وطلبوا من أنفسهم حسن الصحبة ليومهم وليلتهم وكلما مضى عنهم يوم بحسن الصحبة منهم وليلة راقبوا أنفسهم فيها على جميع الطاعات وكان ذلك عندهم غنيمة وذكروا اليوم الماضى فسروا به فصبروا أنفسهم على اليوم المستقبل لخوف انقضاء الاجل فيه أو فى ليلته وطرحوا شغل القلب بذكر غد واستعملوا أبدانهم و جوارحهم فيه وتفرغوا له فقصرت عنهم الآمال وقربت عندهم الآجال وتباعدت عنهم أسباب وساوس الدنيا وعظم شغل الآخرة فى قلوبهم فنظروا اليها بعين صحيحة النظر نافذة البصر وتقربوا الى الله بالاعمال الزاكية فاستقامت لهم السيرة حين وجدوا حلاوة الطاعة وطاوعتهم الزيادة فى التقوى ففرت بالخوف أعينهم وتنعموا بالحزن فى عبادتهم حتى نحلت أجسامهم و بليت أجسادهم وقل مع المخلوقين كلامهم وتلذذوا بمناجاة خالقهم فقلوبهم بملكوت السموات متعلقة وفكرهم باهوال القيامة مقبلة مدبرة وأبدانهم بين المخلوقين عارية فعموا عن الدنيا وصموا عنها وعما فيها ووضح لهم أمر الآخرة حتى كأنهم اليها ينظرون والحمد لله رب العالمين (ثم) نظرت فى ذلك فلم أر شيأ أقرب ولا أجمع لذلك كله من خلوة الانفس عن ألفها وقطع مجاورة المخلوقين بمنع القلوب عن الاخبار التى بها تهيج القلوب من الاشغال القواطع عن التفرغ للحزن أو البحث عن أمر الآخرة والترك للدنيا وما فيها وورثه ذلك حب الخلوات فأحبها ولزمها وأنس بها واستوحش من المخلوقين وذلك حين جرت عذوبة الخلوة فى أعضائه كما يجرى الماء فى أصل الشجر فأورقت أغصانها وأثمرت عيدانها ولزم خوف ما يحيى به يوم القيامة سويداء قلبه فهاج له من الخلوة فنون من أصول الزهد فى الدنيا حتى انه لو اجتهد فى فن منها على أن يستحكم له لعظمت عليه المؤنة واشتد عليه فيه الصلاح فاذا بلغ الله العبد هذه الدرجة حببت اليه الخلوة (فأول) ما يستفيد من حب الخلوة الاخلاص فى العمل والصدق فى القول فيما بينه وبين

الله تعالى وفى حب الخلوة راحة للقلب من غموم الدنيا وترك معاملة المخلوقين فى الاخذ والعطاء ومخرج ذلك كله من صحة العقل فأسقط عن نفسه بالخلوة وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومداهنة المخلوقين ويحبب اليه بالخلوة خمول النفس واخماد الذكر فى الناس وهو طريق الصدق ومنه يكون الاخلاص ويحبب اليه بالخلوة الزهد فى معرفة الناس والانس بالله ويوهب له استثقال المخلوقين حتى يفر منهم فراره من الاسد وهو غير مفارق لجماعتهم (ويعطى) من حب الخلوة طول الصمت من غير تكلف وغلبة الهوى بالصبر ومن الصمت والصبر غلبة الهوى (ويعطى) من حب الخلوة الاشتغال بامر نفسه وقلة اشتغاله بذكر غيره وطلب السلامة مما فيه الناس (ويعطى) بالخلوة كثرة الهموم والاحزان والفكر وهذه الخصال من أفضل العبادة ومخرجها من خالص الذكر (ويعطى) بالخلوة الاعمال التى تغيب عن أعين العباد وتظهر لرب العباد والبلاد وقليل ذلك كثير ومخرج ذلك من الصدق (ويعطى) بالخلوة التيقظ من غفلة أهل الدنيا وما يذكره منها الخاص والعام (ويعطى) بالخلوة ترك الرياء والتزين وكل ذلك من دواعى الاخلاص وهو محض الصدق (ويعطى) بالخلوة ترك المراء وترك الخصومات والجدال وذلك ينفى الرياسة عن القلب (ويعطى) بالخلوة قلة الخلف فى الوعد والتوقى من الكذب والايمان والحنث فيها ومخرج ذلك من الصدق (ويعطى) بالخلوة قلة الغضب والقوة على كظم الغيظ وترك الحقد والشحناء ومعاملة الخلق بسلامة الصدور (ويعطى) بالخلوة رقة القلب والرحمة وهما ينفيان الغلظة والقساوة وهما من دواعى الخوف وبالخوف الثابت فى القلب يخشع العبد وينكى من خشية الله تعالى فى الليل والنهار وهى من غايات العبادة (ويعطى) بالخلوة تذكر نعم الله عليه واحسانه اليه وطلب الشكر والزيادة من الطاعة (ويعطى) بالخلوة وجود حلاوة العمل والنشاط فى الدعاء ويجرى ذلك من القلب مع تضرع واستكانة (ويعطى) بالخلوة القناعة والتوكل والرضى بالكفاف للعفاف والاستغناء عن المخلوقين (ويعطى) بالخلوة عزوب النفس عن الدنيا وشهواتها وفتنتها والشوق الى لقاء الله ومخرج ذلك من حسن الظن بالله وخوف التقصير فى العمل (ويعطى) بالخلوة حياة القلب وضياء نوره ونفاذ بصره فى عيوب الدنيا ومعرفته بالنقص والزيادة فى دينه (ويعطى) بالخلوة الانصاف للناس من نفسه (ويعطى) بالخلوة خوف ورود الفتن التى فيها ذهاب الدين والاشتياق الى الموت والانس بكلام رب العالمين وهو القرآن لما قد وجد من حلاوة المناجاة فى القرآن الذى جعله الله نورا وشفاء للمؤمنين فاذا التبس عليك هذا الطريق واشتبهت عليك الامور فقف نفسك على الارادة من الترغيب والترهيب والتشويق الى ما ندب الله اليه المؤمنين فانك ترجع بصيرا من حيرتك وعالما مما من جهالتك ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وانظر الى كل موطن يضطرك الى الصبر فاهرب منه فانك تعجز عن القيام به (واعلم) أنه لا يثبت لك قدم على محجة دين الله وفيك خوفان خوف الفقر وخوف الغنى والثروة فان ذلك مفتاح فقر الابد وخوفك من السقوط من أعين الناس هو الذى يسقطك من عين الله وينسيك حظك منها فادر أذلك عنك واطلب التخلص وهى لذلك خوفين خوف أن مثلك لا يستاهل أن يبلغ ما يؤمل من الآخرة فان تفضل عليك ربك ببلوغ أملك فأتبعه الشكر ولتحضره خوفا شديدا لأنك لا تقوم بالشكر لما أنعم به عليك كما ينبغى فان لم تفعل ذلك خفت عليك أن تسلب النعمة فترجع الى أسوأ حالك فاذا الزم العبد نفسه هذين الحالتين وتملكها بهما رجوت أن يؤمنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (وقد روى) عن بعض العلماء بالله أنه قال لست آمن على نفسى الفتنة وأن يحال بينى وبين الاسلام فهؤلاء

يخافون هذا وهم الصفوة الذين اختارهم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم خافوا مع سابقتهم وطاعتهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يهجم عليهم أقل مما أنت فيه من الفتنة فيحول ذلك بينهم وبين ما كانوا يعرفون من حلاوة الايمان فكيف بك يا مسكين ولا سابقة لك الا فى الشر ولا حلاوة عرفتها قديما من الاسلام الا حلاوة المعاصى وأنت بارك فى دولة الفتنة وزمان الشر تحب البقاء طمعا فى الزيادة وأنت مع ذلك لا تنقم عليها حبها فخدعتك وأنت لا تعلم انك مخدوع (واعلم) ان المطيع اذا كان غير عالم بما يلزمه من الطاعة فى عبادة ربه ولا عارف بمكايدة عدوه هانت على ابليس صرعته لانه ليس نوع من العبادة الا ولها ضد من الفتنة فمن لم يعرف الخير وضده من الشر ولا سيما فى العبادة خاصة ثم اجتهد خلاه ابليس واياها لما يعلم من قلة علمه بعبادته وما يجب عليه فيها ولم يتعرض له فى نفس عبادته بشئ ويقصد له جهة آفاتها التى تبطل عبادته من شهوة النفوس التى تسارع فى قبول ذلك فيتزين عنده ان ذلك خير من عندها وانه سيجزى و يثاب فيصدقها بما تلقى اليه عن ذلك فتزهو النفس لرضى صاحبها عنها و يحقق ابليس ظنه به و بالخدع له فاذن قد صرع وخذل ولجأ الى نفسه يميله عن طريق الشكر و يظهر له من فتنة عدوه ما يستصغر به المخلوقين وتكون نفسه عنده أنه لا عدل لها زكاء وطيبا وهى أخبث الانفس وأنتنها وأسقطها من عين الله تعالى فكلما سولت له نفسه من عمل احتمل فيه الاذى مع مساعدته اياها وشدة رضاه عنها من تحمل لبس الخشن وأكل الطعام الجشيم وطول السهر والصبر على ظاهر العبادة بما يفتتن به و يستميل به ابليس قلوب الجهال (ولقد) قال بعض الحكماء انى لأعد كلامى فيما لا يدلى منه مصيبة واقعة أستعين بالله على السلامة منها وانى لأعد صمتى عما لا يعنينى غنيمة واحدات نعمة التمس الشكر عليها اذ علمت ان من وراء كل كلمة رقيبا عتيدا وانزل ما اضطررت اليه من القول مصيبة نازلة وما كفيت من الكلام غنيمة باردة (و يروى) عن بعض الحكماء أنه قال ان من شر كسب الدين والدنيا تنقيص العبد غيره والوقيعة فيه وهى الغيبة ويقال انها تفطر الصائم وتنقض الوضوء وتحبط الاعمال ويستوجب بها صاحبها المقت من الله تعالى والغيبة والنميمة مخرجهما من طريق البغى والنمام قاتل والمغتاب آكل ميتة والمباهى متكبر وهؤلاء الثلاثة أمرهم واحد بعضها مفتاح لبعض وذلك كله مجانب لاحوال المتقين

﴿فصل فى معرفة أصل الاشياء التى تتفرع منها فنون الخير﴾ وقال رحمه الله سأل سائل حكيما فقال اخبرنى بأصل الاشياء التى منها تتفرع فنون الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليه الاعمال ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال له الحكيم اعلم ان أصل الاشياء التى تتفرع منها فنون الخير وتجرى بها المنافع وتصح عليه الاعمال بعد اليقين بمعرفة النعم والقيام بأداء الشكر والعمل به وان يصح عندك أن جميع الخير مواهب من الله تعالى وتعلم أن جميع المعاصى كلها عقوبة من الله تعالى وهى من طريق الخذلان وذلك من علامات السخط فاذا اعترفت بذلك كثرت حسناتك وقلت سيئاتك لانك اذا علمت أن الاحسان نعم ومواهب من الله تعالى ازددت فى الشكر واستقللت كثير شكرك عند صغير نعمه عليك لان الجبار العظيم من بها عليك وساقها اليك فقل عندك كثير الشكر وكبر عندك صغير النعم فجرت حينئذ فى ميدان الزيادة من عمل الخير وعلمت معرفة الرضى وطمعت فى العفو واذا علمت أن الاساءة التى اكتسبتها انما هى خذلان من الله وانها من طريق السخط فزعت الى التضرع فنزلت بساحته والى الاستكانة فصحبتها والى التواضع فاتخذته خدنا فاذا كان ذلك كذلك لجأت الى التوبة

فاستحرت بها ولبست جلباب الحياء مما سلف منك وشهد الله عليك به وشاهد ممنك من الاساءة مع ما تعرف من كثرة احسانه فلم تتعرض بعد ذلك لشئ مما يكره وعمدت الى المعاصي فعاديتها منك ومن غيرك فتكرة أن يعصيه أحد من خلقه كلهم بصغيره أو كبيره فراجعت الاحسان مجتهدا وأنت مع ذلك عارف بالنعمة عليك في التنبيه والرجوع وان ذلك تفضل منه عليك فالتمست لطيف الشكر بعد اقلاعك عن الاساءة بشدة المضادة لها فعظم شكرك عند التحويل الى الاحسان بعد الاساءة فاذ ذاك قد صرت في جميع أحوالك شاكرا اذا كر اولم يحزك معرفة الاحسان فشكرت حينئذ الشاكر المشكور الذي وعد على الشكر الزيادة ووعده لا خلف فيه وعرفت الاساءة من أين كان مخرجها فراجعت الاحسان بالعتاب منك لنفسك ولمن زين الاساءة لك ودعاك اليها فهذا الاصل الذي تتفرع منه فنون الخير وبه تغلق أبواب الشر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿فصل في كيفية تهوين سلوك الطريق والوصول اليه بعون الله تعالى﴾ وقال رحمه الله سئل رجل من أهل العلم فقيل له أوضح لنا المنزلة التي ينال العباد بها القرب من ربهم ويقوون بها على معرفته ويبلغون بها رضوانه والامر الذي يقربهم اليه ويقصرهم عنه ايضاحا شافيا حتى يكون ذلك عندنا بينا (فقال) سأوضح لك ذلك ان شاء الله تعالى فافهم قولي بفهم لا يخالطه سهو وتذكر فيه بتذكر لا يخالطه غفلة واصبر عليه صبرا لا يخالطه جزع فانك ان تفعل ذلك ينهج لك منهاج الطريق وتسلم من تقصير طريق الهلكة والتوفيق بالله تعالى (اعلم) ان مبتدأ الامور والذي لا ينتفع بشئ الا به العقل الذي جعله الله جل ذكره زينة لخلقه ونورا لهم فبالعقل يعرف العباد خالقهم وأنهم مخلوقون وانه المدبر وهم المدبرون وهو الباقي وهم الفانون فاستدلوا بعقولهم على ما رأوا من خلقه في ارضه وسمائه وشمسه وقمره وليله ونهاره وعلموا أن لهم ولهذا الخلق خالقا وان لذلك كله مدبرا وانه لم يزل ولا يزال وعرفوا به الحسن من القبيح وعلموا ان الظلمة في الجهل والنور في العلم هذا ما دلهم عليه العقل (فقيل له) كيف يكتفي العباد بالعقل دون غيره (فقال) ان العاقل دله عقله الذي جعله الله قوامه وزينته على ان له ربا وعلم ان ربه لم يخلقه عبثا وانه لم يخلق خلقه لعبا وعلم ان لخالقه محبة وكراهية وأن له طاعة ومعصية فلم يجد عقله يدله الا على ذلك وعلم أنه لا يوصل اليه الا بالعلم وطلبه وانه لا ينتفع بعقله ان لم يطلب ذلك ويعلمه فوجب على العاقل طلب العلم والادب وهو الذي لا قوام له الا به (فقيل له) صف لنا ما هذا العلم الذي لا ينبغي للعاقل الا طلبه ولا يجوز له التقصير بنفسه عنه (فقال) طلب العلم الذي جاءت به رسله وأنبياؤه عنه من أمره ونهيه ووعده ووعيده وملائكته وكتبه ورسله وجنته وناره وبعثه وحسابه وحلاله وحرامه وطاعته ومعصيته ومحبته وكراهيته (فقيل له) هل يكتفي العالم بما علم من ذلك أو يحتاج الى غيره (فقال) لا ينتفع العالم بما علم من ذلك دون الايمان به وان يقر ذلك في قلبه حتى يعلم ان الله هو الحق وان ما سواه باطل وان أحدا لا يملك له نفعا لم يقدره الله له ولا ضرا لم يكتبه عليه (فقيل له) فهل يجب عليه بعد الايمان غير ذلك أو يكتفي به (فقال) نعم ان الله تبارك وتعالى أمر عباده بالطاعة والعبادة له والعمل بها ونهاهم عن معصيته وركوبها فمن آمن ولم يعمل كان متهاونا وتصديق الايمان العمل به (فقيل له) فكيف العلم وكيف العمل (فقال) أن تعمل بمحبة الله عز وجل وان خالف هواك وأن تعمل بطاعة الله وان أسخطك وأن تجتنب سخط الله وان سرك وأن تدع كراهيته وان اعجبتك وان تؤثر ما هو له وان ساءك وان ترغب فيما رغبك وتزهد فيما زهدك وان تجعل القرآن امامك ودليلك (فقال له) السائل فقد دللتني على العمل فعرفت وعرفت فآمنت فلم يكن علي في ذلك كبير مؤنة

ولا عظيم مشقة بل خفة و راحة مع ما استزدت به هداية و بصيرة ومعرفة فلما صرت الى العمل به لزمني
في ذلك مؤنة شديدة وثقل كبير حتى حال بيني وبين كثير من لذيذ عيشتي ونعيم دنياي وحملني على
المكروه وصرفني عن كثير من السرور وفصف لي أمرا أقوى به على العمل فيما آمنت به فقد اشتدت
على مؤنته وثقل على احتماله (فقال) الامور التي تقوى بها على العمل والادب الصبر الذي هو
تمامه وقوامه فانك ان صبرت انتفعت بعملك و بلغت منه رضوان الله وقويت فيه على العمل وليس
منزلة من منازل الخير الا وللصبر فيه عمل و به تمامه فبالصبر قوى العباد على أداء الفرائض والحلال
والحرام و بالصبر قووا على اجتناب المحارم و بالصبر بلغوا الغاية من كرامة الله تعالى وثوابه فاذا صبرت
على العمل انتفعت بالعلم والادب وانك ان لم تصبر لم تعمل وان لم تعمل لم تنتفع بالايمان بما علمت ومن
لم ينتفع بالايمان لم ينفعه العمل ومن لم ينتفع بالعمل لم يغن عنه العقل فرأس أمر العباد العقل ودليلهم
العلم ونورهم الايمان وسائقهم العمل ومقربهم الصبر فمن لم تمكن له قوة على الصبر ضعف ومن ضعف
لم يعمل ومن لم يعمل لم يتم له أمره ونوره و بقي في ظلمة ومن ذهب عنه النور عمي وحاد عن الطريق ومن
لم يبصر فليتبع الدليل وهو القرآن ومن اتبع العلم الذي هو النجاة من الهول العظيم وعمل له وصبر
عليه صار الى غاية العلم والادب (فقال له) قد بصرتني من فضل الصبر قوته وعلمتني ما رغبني فيه وقواني
على العمل به مع ثقله على فصف لي أمرا أزداد بالصبر تبصرا وفيه رغبة وعليه حرصا (فقال) صبرك
على الطاعة وطلبك لها وهربك من المعصية و بليتها هو الذي يرغبك في الطاعة و يبين لك فضلها
(قال) قد شرحت لي أمر الصبر وفضله فزدني به تبصرا (فقال له) هذا الدليل والامام كتاب الله هو الذي
يبين لك فضل الصبر و يرغبك في لزومه فان الله تبارك وتعالى وصف أعمال العباد وذكر ثوابهم فلم
يذكر ثوابا يعدل ثواب الصبر فانه ذكر أنهم يوفون أجرهم بغير حساب فهو الدليل على فضل الصبر مع
ما ذكر من ثوابه في مواضع من كتابه (فقال له) صاحبه قد دلني العلم وكتاب ربي على ما ذكرت من
فضل الصبر وثوابه فزدني بفضله تبصرا وازددت عليه حرصا وفيه رغبة و به تمسكا وعليه اعتمادا مع
شدة منه على وثقل وصبر على خلاف ما أشتهي رحمل نفسي على ما أكره لطلبي فيه الاجر والفضل
وابتغاء العمل والادب فصف لي أمرا يخف به على مؤنة الصبر و يسهل على لزومه و يخف على احتماله
وتذل صعوبته (فقال له) أراك للخير مريدا وللفضل طالبا وعليه حريصا وتحب أن تكون قد قويت
على ما دلك عليه العلم بنفاذ من الصبر وقوة من العمل وذلك من علامات السعادة فان العبد كلما ازداد
علما وفيه تفهما ازداد للخير طلبا وعليه حرصا فخف عليه الثقيل وقرب عليه البعيد ولها في الدنيا عما
يريد وانما الثقل والعسر تمثال الدنيا في قلب العبد وهي مرصد ابليس وسلاحه فاذا قطع عنه ذلك استنار
القلب وخرجت الظلمة منه فلم يكن للشيطان به احتمال قوة ولا له فيه نصيب و وصل من الامر الى ما يريد
(فقال له) زدني ما يسهل به على ثقل احتمال الصبر و يخففه على (فقال له) الامر الذي يسهل عليك ثقل
احتمال الصبر و يخففه عليك الرضى عن الله تبارك وتعالى بكل ما صنع بك واختاره لك وساقه اليك
(فقال له) صاحبه فأوضح لي كيف يهون على مؤنة الصبر برضائي عن الله و يخفف على احتماله (فقال)
ألست تعلم انك انما انتسبت الى الرضى وسميته صبرا الان الامر الذي نزل بك مكروه عليك وان هواك
ونفسك ينازعانك الى غيره فاحتجت الى الصبر فتدبرت واعتبرت فصرت من ذلك الى موضع رضاه
ثم يتجاوز بك الامر حتى تصير الى موضع السرور حتى ترى لو صرف ذلك الامر عنك لصرت منه الى
تقويه نفسك وعلمت ان ما صرف عنك عقوبة لبعض ما أحدثت من ذنوبك أو قصرت فيه عن شكر

ما انعم الله به عليك فصرت منه الى الدرجة الرفيعة ومنازل أهل الرضى وانما يوصل الى ذلك بالمعرفة بالله وبمعرفته ينظر اليك فتعلم انك لا تظر لك من نفسك فترضا بما يرضى به وترغب فيما رغبه وترهد فيما زهده والزهد من الرضى (قال) قد علمت فضل الرضى ووضح لى أمره فصف لى كيف يهون على أمر الصبر فى الزهد وكيف ما أخذه فقد أرانى مع ما أصير اليه من الزهد مقيما على الصبر وأزداد أيضا مع زهدى فى الدنيا أمورا احتاج فيها الى الصبر مخالفة لهوائى ورفضا الشهواتى وماتنازعنى نفسى من لذاتى فقد أرانى ازددت ثقلا وصبرا (قال) أراك لا تفعل من الامور الا أصلحها ولا ترضى لنفسك الا اوضعها ولا تختار منها الا أرشدها وذلك من الامور التى أرجو لك بها القوة والنجاح لحاجتك والظفر بطلبتك وبلوغك أقصى الغاية من ارادتك فافهم قولى وتدبر نصحى فان الحجة فى ذلك واضحة والامر فيه بين أنت تعلم ان الدنيا كانت بانية فى قلبك وان حبها غالب عليك وان سرورها فرح لك وان مكروهها شديد عليك فحملت نفسك على قطع ذلك مع حبك لها وايثارك لها وترخصا منك مع طلبك الفضل من احتمال الصبر وحملت نفسك على المكروه من أمر دنياك وصبرت عليها الشدة منه عليك لان مكروهها عندك مكروه ولان سرورها عندك سرور فثقل عليك الصوم لقطعك الشهوة عن نفسك من الاكل والشرب وثقلت عليك الصلاة والاشتغال بها لما تسره اليك نفسك من اللهو والحديث فى الباطل وثقلت عليك الزكاة والصدقة لما تحب أن تصرفه فيه من لذاتك وثقل عليك التواضع لما ترى من تصغير شأنك ودناءة منزلتك عند أهل الدنيا وثقل عليك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لئلا يعاديك الناس أو ينقطع رجاؤك منهم أو يسمعونك ما تكره فيدخل عليك التنغيص فى سرورك وثقل عليك القنوع والرضى لعظيم موقع الدنيا من قلبك وحبك الاكثار منها وحرصك عليها وكراهيتك للموت ونعيم ما بعده مع أشياء كثيرة يطول وصفها وكل ذلك انما صار شدة عليك لحب الدنيا وانما ثقل عليك الصبر وملته وضيق الشيطان عليك المذاهب من أجل ذلك لان سلاحه الذى به يقوى وكيده الذى يصل به الى أهل الدنيا الرغبة فيها وطلبها فاذا أنت زهدت فى الدنيا ورفضتها ورغبت فى الآخرة وطلبتها سهل عليك الامر فاثرت الآخرة وطلبتها ورغبت فيها وادبرت عنك الدنيا وثقلها وتولت عنك هاربة ببلائها واتتك بمنافعها وصرفت عنك شرورها برغم منها وانقطع رجاء الشيطان وصغر كيده وولى وقل سلاحه فلا قوة له بك وتجوت بعصمة الله وتوفيقه من الضيق والتعسير والهلكة وصرت الى النعمة والسرور والراحة وخرج حب الدنيا من قلبك فلزمت الصيام وخف عليك لانه لم تكن نفسك تنشرح الى الاكل والشرب وغيرهما من الشهوات ولزمت الصلاة واشتغلت بها لان نفسك لم تكن تنازعك الى اللهو أو الخلوة الى حديث فى باطل وخفت عليك الزكاة والصدقة لانك أعددت ما قدمته أمامك ولا تريد منه شيأ يبقى خلفك وخف عليك التواضع لان الاياس قد خرج من قلبك وهان عليك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الناس قد استووا عندك فلم ترج أحدا غير ربك ولم تخف شيأ غيره وخف عليك القنوع لانك رضيت من الدنيا باليسير ولم تنازعك نفسك الى غير البلاغ والكفاية وخف عليك الجهاد لان الدنيا قد أخرجتها من قلبك وكرهت البقاء فيها وأحببت الموت لما ترجو من النعيم والسرور والحياة الدائمة التى أمامك فالزهد فى الدنيا راحة للقلب والبدن وهو جماع الخير وتمامه وليس شئ من أعمال البر الا وله ضد من غيره فما قصر بك عنه فارفضه وازهد فيه يسلم لك عملك ويخف عليك ثقله فقال له صاحبه أوضحت فبينت وارشدت فهديت وكشفت فأريت فصف لى كيف الزهد وما حده والذى ينبغى لى العمل به فقد استبان لى فضله ووضح لى رشده (فقال له) صاحبه ان الزهد فى الدنيا واجب عليك وهو الورع لا يجوز

لك التقصير فيه ولا الرغبة عنه وهو اجتناب ما حرم الله عليك ونهاك عنه فهذا الامر لازم لك لا عذر لك
فى التقصير عن الزهد والقرب الى ربك طلبا للفضل ونفيا لكل أمر قصر بك عنه من المسارعة
فى طاعته والمسابقة الى رضوانه فهذا ما ينبغى لك العمل به وادارة صلاح نفسك عليه (فقال) أما ما حرم
الله على ونهانى عنه فقد دلنى عليه العلم لانه صار لا ينبغى لى المقام عليه ولا العمل به فزهدت فيه
و رفضته فصف لى الزهد الذى أرجو أن أنال به كرامة سيدى وأن أبلغ من ذلك محبته وأن ادفع به
عنى كيد الشيطان ومكره (فقال له) ذلك الزهد فى فضول الدنيا والرضى منها بيسيرها والاخذ منها
بقدر البلاغ الى غيرها ورفض ماسوى ذلك من فضولها وأمورها باخراج الناس من قلبك فلا تخف
أحدا فى الله ولا ترد حمد أحد من الناس وبستوى الناس عندك فلا ترج أحدا غير الله ولا تطلب
الا فضله وتنصح فى الله فى السر والعلانية ولا تخف لوم أحد من الناس ولا عذله وتحب فى الله وتبغض
فى الله ولا تشغل قلبك بشئ غيره وتلزم التواضع والتذلل لربك وتخمل ذكرك وتغيب اسمك ولا ترد
بذلك تعظيم أحد من الناس غير الله تبارك وتعالى وتحب الموت وتكون ممثلا له بين عينيك لرجاء
مابعده وتزهد فى الحياة مخافة الفتنة والبلية فهذا أصل الزهد فاذا أنت وصلت الى ذلك نلت شرف
الآخرة ونجوت بعون الله من بلية عاجلتك (فقال) له صاحبه لقد ذكرت لى من أمر الزهد شيأ ضاق به
ذرعى واشتد له غمى واعتصر له قلبى واستصعب به على أمرى وتفرق له رأيى واشتدت على المؤنة فيه وقد
كان الصبر والاحتمال له أيسر على مؤنة منه وأخف على حملا من الزهد وخشيت أن لا أقوى على
احتماله ولا تطيق نفسى العمل بكماله ولا تقدر على القيام بتمامه وان تحمله نفسى وترفضه وترجع منه
الى غيره مما فيه هلاكها وعطبها وقد عرفت فضل الزهد وعظيم قدره فصف لى أمرا أتقوى به على الزهد
ويخففه على (فقال) له صاحبه قد فهمت قولك ولقد صعب عليك الذلول واشتد عليك اليسير وثقل
عليك الخفيف وعميت عليك المداخل ومالوم لك حيث اشتد عليك من أمرك ماذكرت حين لم تعلم
الامر الذى له فى الدنيا زهدت والذى به عليه قويت ولو علمته لهان عليك من أمرك الشديد وخف
عليك الثقيل وسهلت عليك موارده وسهلت عليك فيه المذاهب وخفت عليك فيه المؤنة فافهم قولى
بعقل وتدبره بحكم وخذ فيه بقوة وجد (واعلم) ان العباد زهدوا فى الدنيا ودعاهم الى الزهد فيها ورفضها
خصال شتى بعضها أرفع وأعلى درجة من بعض وكلها داعية الى الزهد فيها (فأول) درجات الزهد أن
الله تبارك وتعالى خلق العباد فى الدنيا وجعل مافيها زينة لها وزهدهم فيها وخلق الآخرة ونعيمها
وندبهم اليها ورغبهم فيها واعلمهم انهم عن الدنيا مرتحلون وانهم الى الآخرة صائرون فرغب العباد
فى الباقى وزهدهم فى الفانى فآثر الآخرة واطلبها وازهد فى الدنيا وارفضها الكيلا ينتقص من حظك
فى الآخرة بما نلت من نعيم دنياك (وأما) المنزلة الثانية من الزهد فى الدنيا فان الله عز وجل خلق
العباد فى الدنيا فأوجب الموت عليهم وأعلمهم انهم ميتون وضرب لهم فيها أجلا فلم يعلموا فى اى
الاوقات والساعات تأتيهم منيتهم فتحول بينهم وبين دنياهم ونعيم عيشهم ومفارقة أحبابهم فلما استقر
الموت فى قلوبهم أسهر واى الليل أعينهم واشتغلوا بهمومهم عن أهليهم وأولادهم ودام حزنهم وبكاؤهم
وزهدوا فى الدنيا وأهلها ونعيمها فصار الليل والنهار عندهم بمنزلة الصيفان وكان المقوى لهم على الزهد
فى الدنيا ذكر الموت وقصر الامل فهذه الخصلة شريفة من خصال الزهد فى الدنيا (وأما) الخصلة الثالثة
فى الزهد فتصديق العبد ربه فيما أخبره به من نعيم الآخرة وماخوفه به من عقاب النار وعذابها وماحذره
منه من الدنيا والاغترار بها فزهد فيها وأحب بالموت مفارقتها والتباعد عنها والخروج منها الى داره

وقراره تبصرا منه بالدنيا وحالها فهذه الخصلة من خصال الزهد أشرف مما قبلها (فقال) له صاحبه ما تركت لى الى الدنيا والركون اليها سبيلا ولقد استبان لى من قولك البر والحق و وضح لى من وصفك الصدق وقويت بحمد الله وتوفيقه على الزهد فيها و رفضها فصف لى بصفتك الشافية ونعتك النافع دواءه لداء قلبى تخبرنى فيه عن الامر الذى يدانى على هذه الخصال و يقوى بنى عليها (فقال) الامر الذى يدلك على هذه الخصال و يقويك عليها و ينورها فى قلبك هو اليقين الذى لا يخالطه شك والتصديق بربك الذى لا يخالطه لبس فانه من صدق بربه أيقن ومن أيقن أبصر ومن أبصر زهد والزهد فى الدنيا شعبة من شعب اليقين وأفضل اليقين التوكل (قال) فصف لى اليقين لأعرفه (فقال) أن تعلم أن الله وحده لا شريك له وأنه الحق المبين وأنه كما وصف نفسه فى قدرته وسلطانه وخلقه وأن وعده حق وقوله صدق وكذا وعيده وكتبه ورسله حتى تقر بذلك فى قلبك وتتبع كتاب ربك فهذا اليقين الذى لا يشك فيه (قال) صف لى التوكل لأعرفه (فقال) التوكل هو العمل بطاعته وتصديق اليقين دلالته فمن أيقن وعلم أن الله خالق الاشياء والمقتدر عليها والمالك لها والمنفرد بها توكل عليه فى جميع أموره وقطع رجاءه عمن سواه من خلقه ولم يثق بأحد ولم يأنس الا به فانقطع الى الله وتوكل عليه فى جميع حالاتك فهذه صفة العمل والتوكل وما أخذه (قال) ما الذى يدلنى على الفكرة و يقوينى عليها فانى كلما أردت الفكر لم أصل اليها ولم أقدر عليها (فقال) أجل لا تصل الى ما تريد من الفكر مع الاشتغال بغيرها فسبيل الوصول الى الفكرة الصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير فى الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

﴿ فصل فى السماع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز ﴾ فانظر رحمنا الله وايالك الى ما قرره هذا السيد رحمه الله فى كيفية السلوك والاخذ أولا بالصيام وترك الاكثار من الطعام والشراب واعتزال الشهوات ولزوم الصمت الا عن ذكر الله والخير فى الخلوة والاعتزال ورفض الاشتغال بالفضول فلم يكتف رحمه الله بالخلوة ليس الا حتى ذكر الاعتزال مع الخلوة فلو كانت خلوة دون اعتزال لقل أن يفتح له ولاجل ذلك احترز بقوله والاعتزال (فأين) هذا الحال من حالنا اليوم اذ أن الغالب على من ينسب الى الخرقة فى هذا الزمان انما شأنه كثرة الاجتماع وحضور السماع والرقص فيه حتى كأن ذلك مشروط فى السلوك نسأل الله السلامة بمنه (فمن) أراد الخير فليعتزل عن هذه صفته والا فالفتح عليه بعيد أعنى الفتح الحقيقى الذى يقرب به من ربه عز وجل دون ادعاء والا فبعض هؤلاء يدعون الاحوال و يزعمون أنه يفتح عليهم فى حال رقصهم وتأخذهم الاحوال اذ ذاك و يخبرون بأشياء من أمر الغيب ولو وقع ذلك فى بعض الاحيان لكان مصادفة ثم أنهم يولون و يعزلون فى تلك الاحوال و يخبرون بمنازل أصحابهم فيقولون مثلا فلان أحدا لسبعة وفلان أحد العشرة وفلان أحد السبعين وفلان أحد الثلاثمائة الى غير ذلك ولا شك أنها أحوال نفسانية أو شيطانية لان الفتح من الله تعالى لا يكون مع ارتكاب المكروهات أو المحرمات (وهذا السماع) على ما يعلمونه محرم (قال) الامام أبو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره لما أن تكلم على سورة الكهف فى قوله تعالى اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته شكرا لما أولاهم من نعمته ثم هاموا على وجوههم منقطعين الى ربهم خائفين من قومهم وهذه سنة الله فى الرسل والانبياء والفضلاء الاولياء أين هذا من ضرب الارض بالاقدام والرقص بالاكمام خصوصا فى هذا الزمان

عند سماع الاصوات الحسان من المرد والنسوان هيات بينهما والله مثل ما بين السماء والارض (ثم) أن هذا حرام عند جماعة العلماء اهـ (وقد) تقرر فيما مر أول الكتاب أن الفقير المنقطع لا يتصرف الا في واجب أو مندوب وأن المكروه عنده هذه الطائفة كالمحرم لا سبيل الى ذكره فضلا عن فعله (وقد) اختلف العلماء رحمة الله عليهم في ضرب الطار على حدته هل يجوز أم لا (وكذلك) اختلفوا في الشبابة على حدتها (وقاعدة) أهل الطريق الخروج من الخلاف فكيف يقدمون على شئ قد اتفق الناس على منعه ذلك محال في حقهم (ثم) مع ارتكاب بعضهم ما ذكر يدعون الاحوال الرفيعة ويشيرون الى مقامات ومنازلات تستعظم في الغالب على من هو متصف بالاقتداء والاتباع فكيف يحصل لاهل التخليط وارتكاب ما لا ينبغي ذلك محال (ومن) أشد ما فيه من القبح ما أحدثوه في السجود للشيخ حين قيام الفقير للرقص وبعده (وقد) نقل الشيخ الامام أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في كتابه ما هذا لفظه (روى) ابن ماجه في سننه والنسائي في صحيحه عن أبي واقد قال لما قدم معاذ بن جبل من الشام سجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا فقال يا رسول الله قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فرأيت أنك أولى بذلك فقال لا تفعل فاني لو أمرت أحدا يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها حتى لو سألها نفسها وهي على قتب لم تمنعه هذا لفظ النسائي وفي بعض طرق حديث معاذ ونهى عن السجود للبشر وأمرنا بالمصافحة (قلت) وهذا السجود المنهي عنه قد اتخذه جهال المتصوفة عادة في سماعهم وعند دخولهم على مشايخهم واستغفارهم فترى الواحد منهم اذا أخذه الحال بزعمه يسجد للاقدام سواء كان للقبلة أو غيرها جهالة منه ضل سعيهم وخاب عملهم

﴿فصل﴾ فانظر رحمنا الله واياك الى قصة معاذ المتقدمة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم أنك أولى بذلك يؤخذ منها من الفوائد النفيسة التحرز عن مخالطة أهل الكتاب والبعد منهم اذ أن النفوس تميل غالبا الى ما يكثر تردده عليها (ومن) هنا والله أعلم كثر التخليط على بعض الناس في هذا الزمان لمجاورتهم ومخالطتهم لقبط النصارى مع قلة العلم والتعلم في الغالب فأنست نفوسهم بعوائد من خالطوه فنشأ من ذلك الفساد وهو أنهم رضعوا تلك العوائد التي أنست بها نفوسهم موضع السنن حتى أنك اذا قلت لبعضهم اليوم السنة كذا يكون جوابه لك على الفور عادة الناس كذا وطريقة المشايخ كذا فان طالبته بالدليل الشرعي لم يقدر على ذلك الا أنه يقول نشأت على هذا وكان والدي وجدي وشيخي وكل من أعرفه على هذا المنهاج ولا يمكن في حقهم أن يرتكبوا الباطل أو يخالفوا السنة فيشنع على من يأمر بالسنة ويقول له ما أنت أعرف بالسنة ممن أدركتهم من هذا الجم الغفير (وقد) تقدم انكار بعض العلماء على الامام مالك رحمه الله في أخذه بعمل علماء المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فكيف يحتج هذا المسكين بعمل أهل القرن السابع مع مخالطتهم لغير جنس المسلمين من القبط والاعاجم وغيرهما نعوذ بالله من الضلال (مع) ان السماع المعروف عند العرب هو رفع صوت بالشعر ليس الا فاذا فعل أحد ذلك قالوا أهل السماع وهو اليوم على ما يعهد ويعلم (ولاجل) هذا المعنى قال الامام الشيخ زين رحمه الله ما أتى على بعض العلماء المتأخرين الا لوضعهم الاسماء على غير مسمياتها وها هو ذا بين لا ترى ان السماع كان عندهم على ما تقدم ذكره وهو اليوم على ما نعاينه وهما ضدان لا يجتمعان (ثم) أنهم لم يكتفوا بارتكابه حتى وقعوا في حق السلف الماضين رضي الله عنهم ونسبوا اليهم اللعب واللهو في كونهم يعتقدون أن السماع الذي يفعلونه اليوم هو الذي كان السلف

رضوان الله عليهم يفعلونه ومعاذ الله أن يظن بهم هذا ومن وقع له ذلك فيتعين عليه أن يتوب ويرجع الى الله تعالى والافهو هالك (الا ترى) أن الشيخ الامام السهروردى رحمه الله لما أن تكلم على السماع قال فى أثناء كلامه ولاشك انك اذا خيلت بين عينيك جلوس هؤلاء للسماع ومايفعلونه فيه فان نفسك تنزه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم عن ذلك المجلس وعن حضوره اه ولقد أنصف فيما وصف وهذا هو الحق الذى يجب اعتقاده فى حق السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (وقد) قيل عن الجنيد رضى الله عنه أنه قال ان السماع لايرجع مباحا الا بعشرة شروط وهو أن يكون فى مكان لايطلع عليهم غيرهم لانهم لايطلع عليهم الا ذو محرم أعنى أن يكون منهم وامكان واخوان قال الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله وأن يكون القوال هو الذى يعدهم قال الشيخ الامام الجنيد رحمه الله وأن يكون بغير أجرة وأن لايكون بين أحد ممن يحضره شنآن وأن لايحضره أحد من أبناء الدنيا وأن لايحضره شاب الى غير ذلك من الاوصاف الجميلة وحيث كان مباحا بهذه الشروط فان اتفق اجتماعها كان السماع المعروف عند العرب وهو انشاد الشعر برفع الصوت كما تقدم (ولاجل) هذا المعنى ذكر الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله فى كتابه عن بعض السلف رضى الله عنهم انهم كانوا يدخلون الى خلواتهم فمن عجز نفسه عن تمام المدة التى دخل عليها خرج لحضر السماع ثم رجع الى خلوته نشيطا لان القوال كان يعدهم فى بواطنهم ثم مع ذلك ينشدلهم من درر الشعر ما يناسب حالهم وتقوى به قلوبهم على السير الى المقامات العلية والغوص اليها وترك التراخى والتسويف الشاغل عنها (ومثل ذلك) كانوا يفعلون اذا عجز أحدهم عن تمام المدة التى دخل عليها الى الخلوة خرج الى مجلس عالم فحضره ثم يرجع الى خلوته قريبا لان حضور مجالس العلماء العاملين بعلمهم يحيى القلوب الميتة كما يحيى المطر الوابل النبات بل النظر اليهم تفتقات به النفوس الابية وينشرح صدرها ويحدث لها عند تلك الرؤية انزعاج وقوة باعثة على مانؤمله من الخير كيف لا وهم أمناء الله فى أرضه وخلفاؤه فى خلقه وقد جعلهم الله عز وجل رحمة وكهفا لمن يأوى اليهم ويستظل بظلهم نصبهم هداة للمتحيرين ونورا للسالكين اللهم لاتحرمنا بركتهم ولاتخالف بنا عن سنتهم فانت ولى ذلك والقادر عليه (فاذا) تقرر هذا من حالهم وعلم فلاشك ان مايفعل اليوم من هذا السماع الموجود بين الناس مخالف لجماعتهم اذ أنه احتوى على اشياء محرمات أو مكروهات أو هما معا وقد تقدمت الحكاية عن العلماء فى ذلك اذ أنهم جمعوا فيه بين الدف والشبابة والتصفيق (وقد) تقرر فى الشرع أن التصفيق انما هو للنساء دون الرجال فهو ممنوع كما منعت الآلات المتقدم ذكرها (وبعضهم) ينسب جواز ذلك للشافعى رحمه الله (وقد) سئل الشيخ الامام أبو ابراهيم المزنى رحمه الله وكان من كبار أصحاب الامام الشافعى رحمه الله فقيل له ما تقول فى الرقص على الطار والشبابة فقال هذا لايجوز فى الدين فقالوا أما جوزه الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه فانشد رحمه الله تعالى

حاشا الامام الشافعى النبيه * أن يرتقى غير معانى نبيه
أو يبتدع فى الدين ما ليس فيه * أو يبتدع ط راو شبابة
لناسك فى دينه يقتديه * الضرب بالطارات فى ليلة
والرقص والتصفيق فعل السفيه * هذا ابتداع وضلال فى الورى
وليس فى التنزيل مايقتضيه * ولا حديث عن نبى الهدى
ولا صحابى ولا تابعيه * بل جاهل يلعب فى دينه
قد ضيع العمر بلهو وتيه * وراح فى الله وعلى رسله
وليس يخشى الموت اذ يعتريه * ان ولى الله لايرتضى
الا بما الله له يرتضيه * وليس يرضى الله والورى
بل يمقت الله به فاعليه * بل بصيام وقيام فى الدجى

وآخر الليل لمستغفريه * اماك تغتر بأقوال من • لا يعرف العلم ولا يبتغيه
قد أكلوا الدنيا بدين لهم • ولبسوا الامر على جاهليه • جهل وطيش فعلهم كله
وكل من دان به تزدريه • شبه نساء جمعن وما تما • فقمن فى الندب على ميتيه
والضرب فى الصدر كما قد نرى • ليس لهم غير النساء من شبيه • انكر عليهم ان تكن قادرا
فهم رجال ابليس لاشك فيه • ولا تخف فى الله من لائم • وفقك الله لما يرتضيه اه

(وقد تقدم) ان من ثبتت عدالته لا ينسب اليه الا ما يليق بحاله وبطريقته من الخصال الحميدة فمن ذكر عنه غير ما يناسبه كذب فيما ادعاه وأنكر عليه الا ترى ان المزنى رحمه الله لما ان باشر الشافعى رحمه الله أنكر على من نسب اليه جواز السماع بما تقدم ذكره

﴿فصل﴾ وأشد من فعلهم السماع كون بعضهم يتعاطونه فى المساجد وقد تقدم توقير السلف رضى الله عنهم للمساجد كيف لا يكون ذلك وقد كانوا يكرهون رفع الصوت فيه ذكرا كان أو غيره (وقد) نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن رفع الصوت بالقراءة فيه (ومن ذلك) ما ورد من انشاد الضالة فى المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام من نشد ضالة فى المسجد فقولوا له لا ردها الله عليك (ومن ذلك) ما ورد من سأل فى المسجد فاحرموه (وروى) أبو داود والترمذى والنسائى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشراء والبيع فى المسجد وان تنشد فيه ضالة أو أن ينشد فيه شعر ونهى عن التحلق قبل الصلاة يوم الجمعة اه (وبعض) هؤلاء يفعلون السماع على ما هو عليه اليوم فى المساجد ويرقصون فيها وعلى حصر الوقف التى فيها وكذلك يفعلون فى الربط والمدارس (وقد) ذكر أن بعض الناس عمل فتوى وكان ذلك فى سنة احدى وستين وستمائة ومشى بها على الاربع مذاهب (ولفظها) ما تقول السادة الفقهاء أئمة الدين وعلماء المسلمين وفقهم الله لطاعته وأعانهم على مرضاته فى جماعة من المسلمين وردوا الى بلد فقصدوا الى المسجد وشرعوا يصفقون ويغنون ويرقصون تارة بالكف وتارة بالدفوف والشبابة فهل يجوز ذلك فى المساجد شرعا أفتونا مأجورين يرحمكم الله تعالى (فقالت الشافعية) السماع لهو مكروه يشبه الباطل من قال به ترد شهادته والله أعلم (وقالت المالكية) يجب على ولاة الامور زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا والله أعلم (وقالت الحنابلة) فاعل ذلك لا يصلى خلفه ولا تقبل شهادته ولا يقبل حكمه وان كان حاكما وان عقد النكاح على يده فهو فاسد والله أعلم (وقالت الحنفية) الحصر التى يرقص عليها لا يصلى عليها حتى تغسل والارض التى يرقص عليها لا يصلى عليها حتى يحفر ترابها ويرمى والله أعلم (وقد) قال الشيخ الامام أبو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره حين تكلم على قصة السامرى فى سورة طه سئل الامام أبو بكر الطرطوشى رحمه الله ما يقول سيدنا الفقيه فى مذهب الصوفية حرس الله مدته انه اجتمع جماعة من الرجال يكثرون من ذكر الله وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يرقصون أشعارا مع الطفطفة بالقضيب على شئ من الاديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يخر مغشيا عليه ويحضرون شيأ يأكلونه هل الحضور معهم جائز أم لا أفتونا يرحمكم الله وهذا القول الذى نذكره

يا شيخ كف عن الذنوب • قبل التفرق والزال • واعمل لنفسك صالحا
ما دام يفعل العمل • أما الشباب فقد مضى • ومشيب رأسك قد نزل

(فاجاب) بقوله يرحمكم الله مذهب هؤلاء بطالة وجهالة وضلالة وما الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم (وأما) الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلا جسدا له

خوارق اموا يرقصون حوالبه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل (وأما القضيب) فأول من احدثه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب الله تعالى وانما كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع صحابه كانما على رؤسهم الطير من الوقار (فينبغي) للسلطان ونوابه أن يمنعهم من الحضور فى المساجد وغيرها ولا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وأبى حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين وبالله التوفيق انتهى (وقال) الشيخ الامام أبو بكر الطرطوشي أيضا رحمه الله فى كتابه المسمى بكتاب النهي عن الاغانى وقد كان الناس فيما مضى يستتر أحدهم بالمعصية اذا واقعها ثم يستغفر الله ويتوب اليه منها ثم كثر الجهل وقل العلم وتناقص الامر حتى صار أحدهم يأتى المعصية جهارا ثم ازداد الامر ادبارا حتى بلغنا أن طائفة من اخواننا المسلمين وفقنا الله وأياهم استزلهم الشيطان واستهوى عقولهم فى حب الاغانى واللهو وسماع الطقطقة واعتقدته من الدين الذى يقربهم الى الله تعالى وجاهرت به جماعة المسلمين وشاقت به سبيل المؤمنين وخالفت العلماء والفقهاء وحملة الدين ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا (وقد) سئل مالك رحمه الله عما رخص فيه أهل المدينة من الغناء (فقال) انما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغناء واستماعه (وأما) أبو حنيفة رحمه الله فانه يكره الغناء ويجعله من الذنوب وكل ذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وابراهيم والشعبي لا اختلاف بينهم فى ذلك ولا نعلم أيضا بين أهل البصرة خلافا فى كراهية ذلك والمنع منه (وأما) الشافعي رضى الله عنه فقال فى كتاب أدب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل والمحال (وأما) سماعه من المرأة التى ليست بمحرم له فان أصحاب الشافعي مجمعون على انه لا يجوز بحال سواء كانت مكشوفة أو من وراء حجاب وسواء كانت حرة أو مملوكة قال الشافعي وصاحب الجارية اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وغلا القول فيه وقال هو دياثة فمن فعل ذلك كان ديوثا وكان الشافعي يكره الطقطقة بالقضيب ويقول وضعته الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن القرآن (وأما) العود والطنبور وسائر الملاهي فحرام ومستمعه فاسق وقال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة قيد شبر مات ميتة الجاهلية (وهذه) الطائفة مخالفة لجماعة المسلمين لانهم جعلوا الغناء دينا وطاعة ورأت اعلانه فى المساجد والجوامع وقد كان أولى الناس بالاحتياط لدينهم هذه الطائفة فانهم متلبسون بالدين ومدعون الورع والزهد حتى توافق بواطنهم ظواهرهم (وقد) قال الله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الآية قال الحسن ومجاهد والنخعي هو الغناء (وقال) ابن مسعود لهو الحديث الغناء والاستماع اليه (وقوله) تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك (قال) مجاهد بالغناء والمزامير وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال أكثر المفسرين كل راكب وماش فى معصية الله فهو من خيل ابليس ورجله وشاركهم فى الاموال والاولاد قال قوم كل مال أصيب من حرام وأنفق فى حرام (قال) الطرطوشي رحمه الله ويجوز أن يقال مشاركته لنا فى الاموال والاولاد ما يزينه لنا من الايمان ثم يزين لنا الحنث فيها فنطأ الفروج بعد الحنث ونكتسب الاموال بالايمان الكاذبة (وقال تعالى) أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون (قال) ابن عباس رضى الله عنهما سامدون هو الغناء بلغة حمير (وقال) مجاهد هو الغناء لقول أهل اليمن سمد فلان اذا غنى (وروى) أبو اسحاق ابن شعبان فى كتابه الزاهي باسناده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن زاد الترمذي ولا تعلموهن وأكل أثمانهن حرام وفيهن نزلت ومن الناس من يشترى لهو

الحديث زاد غيره والذى بعثنى بالحق مارفع رجل عقيرته أى صوته بالغناء الا بعث الله عز وجل عند ذلك شيطانين يرتدفان على منكبيه لايزالان يضربان بأرجلهما على صدره وأشار النبى صلى الله عليه وسلم الى صدره حتى يكون هو الذى يسكت (وروى) جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم كان ابليس أول من ناح وأول من غنى (وروى) أبو هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يمسخ قوم من أمتى آخر الزمان قردة وخنازير قالوا يارسول الله مسلمون هم قال نعم يشهدون أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ويصلون ويصومون قالوا يارسول الله فما بالهم قال اتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا هذه الاشربة فباتوا على شرابهم فأصبحوا وقد مسخوا (وروى) على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت أمتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء اذا كان المغنم دولا والامانة مغنما والزكاة مغرما وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وجفا أباه وبر صديقه وارتفعت الاصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافة شره وشربت الخمور ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف ولعن آخر هذه الامة أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا اه (وروى) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من اشراط الساعة أو القيامة اضاعة الصلوات واتباع الشهوات وتكون امراء خونة ووزراء فسقة (فقال) سلمان رضى الله عنه بأبى وأمى يارسول الله ان هذا كائن قال نعم ياسلمان عندها يكذب الصادق ويصدق الكاذب ويؤتمن الخائن ويخون المؤتمن ياسلمان عند ذلك يكون الكذب طرفا والزكاة مغرما ان أذل الناس يومئذ المؤتمن يمشى بين أظهرهم بالمخالفة يذوب قلبه فى جوفه كما يذوب الملح فى الماء هما ولا يستطيع أن يغير عندها ياسلمان يكون المطر قيظا والولد غيظا والغنى مغرما والمال دولا ياسلمان عند ذلك يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء وتركب ذوات الفروج السروج فعليهم من أمتى لعنة الله ياسلمان عند ذلك يحفو الرجل والديه ويبر صديقه ويحتقر السيئة قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عند ذلك تزخرف المساجد كما تزخرف الكنائس والبيع وتطول المنابر وتكثر الصفوف والقلوب متباغضة والالسن مختلفة دين أحدهم لعقة على لسانه ان أعطى شكر وان منع كفر قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عندها يغار على الغلام كما يغار على الجارية البكر ويخطب كما تخطب النساء قال أو يكون ذلك يارسول الله قال نعم ياسلمان عند ذلك تحلى ذكور أمتى بالذهب والفضة عند ذلك يأتى من المشرق والمغرب قوم يلعنون أمتى فويل لضعيفهم من قويهم وويل لهم من الله تعالى ياسلمان عند ذلك تحلى المصاحف بالذهب والفضة ويتخذون القرآن مزامير باصواتهم وينبذ كتاب الله وراء ظهورهم ياسلمان عند ذلك يكثر الربا ويظهر الزنا وينتهاون الناس بالدماء ولا يقام يومئذ ينصر الله ياسلمان تكثر القينات وتشارك المرأة زوجها فى التجارة عند ذلك يرفع الحج فلا يحج تحج أمراء الناس تنزها ولهوا واوساطهم للتجارة وقراؤهم للرياء والسمعة وفقراؤهم للمسئلة (وروى) عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم كسب المغنى والمغنية حرام وكسب الزانية سحت وحق على الله أن لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت (قال) عطاء بن أبى رباح رحمه الله رأيت جابر بن عبد الله رضى الله عنه وجابر بن عمير يرتعبان فقال أحدهما فجلس فقال الآخر أجلست سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول كل شئ ليس من ذكر الله تعالى فهو لهو وسهو الا أربع خصال مشى الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته زوجته وتعليمه السباحة (قال) قتادة رحمه الله لما أهبط ابليس لعنه الله قال يارب العنتنى فما علمى

قال السحر قال فما قراءتى قال الشعر قال فما كنايتى قال الوشم قال فما طعامى قال كل ميتة ومالم يذكر اسم الله عليه قال فما شرابى قال كل مسكر قال فأين مسكنى قال الاسواق قال فما صوتى قال المزامير قال فما مصائدى قال النساء (وروى) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ضرب الدف ولعب الطبل وصوت المزمار (وروى) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كبر مقتا عند الله الاكل من غير جوع والنوم من غير سهر والضحك من غير عجب والرنة عند المصيبة والمزمار (وروى) أبو هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب العبد الماء على شبعه المسكر كان ذلك الماء عليه حراما واعلم ان الله يبتلى فيه دف أو طنبور أو عود وأخشى عليهم العقوبة ساعة بعد ساعة (وروى) أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لست من دد ولا دد منى (قال) مالك رحمه الله الدد اللعب واللهو (وقال) الخليل بن أحمد فى كتاب العين الدد النقر بالاناملى فى الارض فاذا كان النبى صلى الله عليه وسلم تبرأ مما ينقر فى الارض بالأناملى فما بالك بقطقطة القضيب (قال) الحسن رحمه الله ليس الدف من سنة المسلمين (وروى) عبد الله بن عمر قال سأل انسان القاسم بن محمد عن الغناء قال أنهاك عنه وأكرهه لك قال أحرام هو قال انظر يا ابن أخى اذا ميز الله بين الحق والباطل من أيهما يجعل الغناء (وقال) الشعبى رحمه الله لعن الله المغنى والمغنى له وقال الحكم بن عيينة رحمه الله حب السماع يورث النفاق فى القلب كما ينبت الماء الزرع (وقال) الفضيل ابن عياض الغناء رقية الزنا (وقال) الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب (وكتب) عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من أدبك بغض الملاهى التى بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن فانه بلغنى عن الثقات من حملة العلم أن صوت المعازف واستماع الاغانى واللهو بها ينبت النفاق فى القلب كما ينبت العشب على الماء (وقال) يزيد بن الوليد يابنى أمية اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروءة وانه لينوب عن الخمر ويفعل ما يفعل المسكر فان كنتم لابد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا (وقال) ابن الكاتب اياك والغناء (وقال) المحاسبى فى رسالة الارشاد الغناء حرام كالميتة (وقال) أبو حصين رحمه الله اختصم الى شريح فى رجل كسر طنبورا فلم يقض فيه بشئ

﴿فصل﴾ وأما من جهة الاستنباط فهو جاسوس القلب وسارق المروءة والعقول يتغلغل فى مكامن القلوب ويطلع على سرائر الافئدة ويدب الى بيت التخييل فيثير كل ما غرس فيها من الهوى والشهوة والسخطة والرعونة بينهما ترى الرجل وعليه سمت الوقار وبهاء العقل وبهجة الايمان ووقار العلم كلامه حكمة وسكوته عبرة فاذا سمع اللهو نقص عقله وحياؤه وذهبت مروءته وبهاؤه فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه ويبدى من أسراره ما كان يكتمه وينتقل من بهاء السكوت الى كثرة الكلام والكذب والازدهاء والقرقعة بالاصابع ويميل رأسه ويهز منكبيه ويدق الارض برجليه وهكذا تفعل الخمرة اذا مالت بشاربها (وقد روى) ان اعرابية دخلت الحاضرة فسقيت نبيذا فلما حامرها وصحت قالت أو يشرب هذا نساؤكم قالوا نعم قالت لئن صدقتم فما يعرف أحدكم من أبوه (وقال) محمد بن المنكدر رحمه الله اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم عن اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض المسك ثم يقول للملائكة اسمعوهم حمدى وثنائى وأعلموهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (وقال) بعض الزهاد الغناء يورث العناد فى قوم ويورث التكذيب فى قوم ويورث الفساد فى قوم (واحتج) بعضهم على اباحة الغناء بما روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت دخل على أبو بكر رضى الله عنه وعندى جاريتان من جوارى الانصار تغنيان بما تقاولت به الانصار

يوم بعاث فقال أبو بكر رضى الله عنه أمزمار الشيطان فى بيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا (والجواب) عنه أن تعرف أولا حقيقة الغناء وذلك ان للفظ الغناء معنيين لغوى وعرفى فيحمل الحديث على اللغوى فقولها تغنيان أى ترفعان أصواتهما بانشاد الشعر ونحن لا نذم انشاد الشعر ولا نحرمه وانما يصير الشعر غناء مذموما اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهى الشهوة الطبيعة كل من رفع صوته بالغناء لحن والذ وأطرب فالممنوع والمكروه انما هو التلذيذ المطرب ولم يعقل من هذا الحديث ان صوتهما كان لذيذا مطربا وهذا هو سر المسئلة فافهمه وقد روى البخارى هذا الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت فى آخره وليستا بمغنيتين فنفت الغناء عنهما والدليل على هذا انه ما نقل عنها بعد بلوغها الا ذم الغناء والمعازف على ما بينا وقد كان ابن أخيها القاسم بن محمد وهو أحد فقهاء المدينة السبعة يذم الغناء وقد أخذ العلم عنها وتأدب بها (فان قيل) أليس قد أنشد الشعر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم (فالجواب) انا لا ننكر انشاد الشعر وانما ننكر اذا لحن وصنع صنعة تورث الطرب وتزعج القلب وهذا لا يمكن نقله عن النبى صلى الله عليه وسلم (فان قيل) أليس قد قال النبى صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا وأن من العلم جهلا وان من الشعر حكما وان من القول عيالا (فالجواب) ان صعصعة بن صوحان وهو من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فسر هذا الحديث فقال قوله أن من البيان سحرا هو الرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بحجته من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق وأما قوله وان من الشعر حكما فهى المواعظ والامثال التى يتعظ بها الناس وأما قوله وان من العلم جهلا فيتكلف العالم علم ما لا يعلم فيجهل ذلك وأما قوله وان من القول عيالا فهو فضل حديث على من ليس من شأنه ولا يريده ﴿فصل﴾ وقد قال بعضهم نحن لا نسمع الغناء بالطبع الذى يشترك فيه الخاص والعام وانما نسمع بالحق فنسمع بالله وفى الله ولا نتصف بهذه الاحوال التى هى ممزوجة بحظوظ البشرية (قلنا) ان زعمت انك فارقت طبع البشرية وصرت مطبوعا على العقل والبصيرة بمنزلة الملائكة فقد كذبت على طبعك وكذبت على الله فى تركيبك وما وصفك به من حب الشهوات وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من فارق أخاه وادعى العصمة فاجلدوه فانه مفتر كذاب وكان يجب أن لا تكون مجاهدا النفسك ولا مخالفا لهواك ولا يكون لك ثواب على ترك اللذات والشهوات وكان يجب أن تكون أنت وأصحابك تسبحون الليل والنهار لا تفترون وتستغفرون لمن فى الارض وكان يجب أن تبيح سماع العود والطنبور وسائر الملاهى بهذا الطبع الذى لا يشارك فيه أحد من الناس

﴿فصل﴾ فان قيل أليس قد روى عن جماعة من الصالحين انهم سمعوه (قلنا) ما بلغنا أن أحدا من السلف الصالح سمعه ولا فعله وهذه مصنفات أئمة الدين وعلماء المسلمين مثل مصنف مالك بن أنس وصحيح البخارى ومسلم وسنن أبى داود وكتاب النسائى رضى الله عنهم الى غير هذا خالية من دعواكم وهذه تصانيف فقهاء المسلمين الذى تدور عليهم الفتوى قديما وحديثا فى شرق البلاد وغربها فقد صنف المسلمون على مذهب مالك بن أنس تصانيف لا تحصى وكذلك مصنفات علماء المسلمين على مذهب أبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل وغيرهم من فقهاء المسلمين وكلها مشحونة بالذب عن الغناء وتفسيق أهله فان كان فعله أحد من المتأخرين فقد أخطأ ولا يلزمنا الاقتداء بقوله ونترك الاقتداء بالائمة الراشدين (ومن ههنا) زل من لا بصيرة له نحتج عليهم بالصحابة والتابعين وعلماء المسلمين ويحتجون علينا بالمتأخرين سيما وكل من يرى هذا الرأى الفاسد عار من الفقه عاطل من العلم لا يعرف ما أخذ

الاحكام ولا يفصل الحلال من الحرام ولا يدرس العلم ولا يصحب أهله ولا يقرأ مصنفاته ودواوينه (وقد) قال النبي صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم ما استرذل الله عبدا الا احذر عليه العلم (فمن) هجر أهل الفقه والحكمة وانقضى عمره في مخالطة أهل اللهو والبطالة كيف يؤمن على هذه المسئلة وغيرها وما كان لنهتدي لولا أن هدانا الله (فيامن) رضي لدينه ودنياه وتوثق لآخرته ومثواه باختيار مالك بن أنس وفتواه ان كنت على مذهبه وباختيار أبي حنيفة والشافعي وأحمد بن حنبل ان كنت ترى رأيهم كيف هجرت اختيارهم في هذه المسئلة وجعلت أمامك فيها شهواتك وبلوغ أوطارك ولذاتك وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون

﴿فصل﴾ وقد روي عن بعض شيوخ الصوفية قال رأيت في المنام أن الحق أوقفني بين يديه وقال يا أحمد حملت وصفي على ليلى وسعدى لولا أني نظرت اليك في مقام واحد أردتني خالصا لمذبتك قال فأقامني من وراء حجاب الخوف فأرعدت وفزعت ماشاء الله ثم أقامني من وراء حجاب الرضى فقلت ياسيدي لم أجد من يحملني غيرك فطرحت نفسي عليك فقال صدقت من أين تجد من يحملك غيري وأمر بي الى الجنة (وقال الجنيد) رحمه الله رأيت ابليس في النوم فقلت له هل تظفر من أصحابنا بشئ أو تنال منهم نصيبا فقال أنه ليعسر علي شأنهم ويعظم علي أن أصيب منهم شيأ الا في وقتين وقت السماع وعند النظر فاني أنال منهم فتنة وأدخل عليهم به (وسئل) أبو علي الروذباري عن السماع وكان من شيوخ الصوفية فقال ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس (وقال الجنيد) اذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة (وقال) أبو الحارث الاولاسي وكان من الصوفية رأيت ابليس في المنام وكان على بعض سطوح أولاس وعن يمينه جماعة وعن يساره جماعة وعليهم ثياب نظيفة فقال لطائفة منهم قوموا وغنوا فقاموا وغنوا فاستفزعني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال ارقصوا فرقصوا بأطيب ما يكون ثم قال يا أبا الحارث ما أصيب شيأ أدخل به عليكم الا هذا (وقال) الجريري رأيت الجنيد رحمه الله في النوم فقلت كيف حالك يا أبا القاسم فقال طاحت تلك الاشارات وبادت تلك العبارات وما نفعنا الا ركيعات كنا نقولها بالغدوات (فأين) هذا برحمك الله مما وصف الله به العلماء فقال ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا

﴿فصل﴾ وقد استدل عظيم من شيوخهم على اباحة الغناء فقال أن الطفل يسكن الى الصوت الطيب والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمول اذا سمع الحداء (قال) وقد روي أن بعض ملوك العجم مات وخلف ابنا صغيرا فأرادوا أن يبايعوه فقالوا كيف نصل الى عقله رذ كائه فاتفقوا على أن يأتوا بقوال فان أحسن الاصغاء عملوا كلامه فلما سمعوه القوال ضحك الرضيع فقبلوا الارض بين يديه وبايعوه (فالجواب) انظروا يا ذوي الالباب كيف كادهم ركوب الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة الى هذه المخافة وحسبك من مذهب امامهم فيه الانعام والصبيان في المهد وهكذا يفضح الله تعالى من اتبع الباطل وحسبك من عقول لا تقتدي بأحبار المسلمين وعلمائهم وتقتدي بالابل فلئن كان كل ما طربت به البهائم منذ وبا أومباحا فانا نرى البهيمة تدر على أمها وأختها وتركب بنتها فيلزم الاقتداء بالبهيمة في مثل هذا

﴿فصل﴾ فان سألوا عن معنى قراءة القرآن بالالحان (فالجواب) أن مالكا قال ولا تعجبني القراءة بالالحان ولا أحبه في رمضان ولا غيره لانه يشبه الغناء ويضحك بالقرآن فيقال فلان أقرأ من فلان

(قال) وبلغني أن الجواري يعلمن ذلك كما يعلمن الغناء أين هذا من القراءة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بها (قال) ولا يعجبني النبر والهمز يقول لا ترجع في القرآن ولا يقطع بالألحان لان ذلك لا يتم الا بزيادة همزات في القرآن والزيادة في القرآن لا تجوز (وقيل) لمالك هل يقرأ الرجل في الطرقات قال لا الا الشيء اليسير وأما الذي يديم ذلك فلا يجوز قيل له فالرجل يخرج الى السوق أيقرأ في نفسه ما شاء فقال أكره أن يقرأ في السوق (وسئل) عن القراءة في الحمام قال ليس موضع قراءة وان قرأ الانسان الآية فلا بأس بذلك (قيل له) فالرجل يخرج الى قريته فيقرأ ما شاء قال نعم (قال) سحنون لا بأس أن يقرأ الراكب والمضطجع (وسئل) عن الرجل يختم القرآن في ليلة قال ما أجود ذلك لمن أطاقه (قال مالك) ولم تكن القراءة في المصحف في المسجد من أمر الناس القديم وأول من أحدثه الحجاج (قال) وأكره أن يقرأ في المصحف في المسجد (فان) سألوا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به (فالمعنى) ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يجهر بالقرآن لان أصل الغناء رفع الصوت على ما بينا وبهذا فسره في آخر الخبر فقال يجهر به (قال مجاهد) في قوله تعالى وأذنت لربها وحقت أي سمعت (قال) أبو عبيد وجماعة من العلماء لا يجوز تلحين القرآن وانما معنى الحديث التحبير والتحزين (قال) عيسى الغفاري ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أشراط الساعة فقال بيع الحكم وقطيعة الرحم والاستخفاف بالدم وكثرة الشرط وأن يتخذ القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليس بأقرئهم ولا بأفضلهم الا ليغنيهم غناء (فان) سألوا عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم (فان) معناه التحزين (قال) شعبة نهاني أيوب أن أتحدث بهذا الحديث مخافة أن يتأول على غير وجهه (وهذا الجواب) عما رواه عبد الله بن مغفل أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الفتح فقال لولا أن يجتمع الناس علينا لحكيت تلك القراءة وقد رجع (وان) سألوا عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن (قال) سفيان بن عيينة معناه ليس منا من لم يستغن به يعني بالقرآن وهكذا فسره أبو عبيد فقال معنى الحديث لا ينبغي لحامل القرآن أن يرى أحدا من أهل الارض أغنى منه ولو ملك الدنيا كلها (وقال) النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فرأى أن أحدا أعطى أفضل مما أعطى فقد عظم صغيرا وصغر عظيما (وقال) ابن مسعود نعم كنز الصعلوك آل عمران يقوم بهما من آخر الليل (والدليل) على أن التغني بمعنى الاستغناء دون الصوت قول الاعشى

وكنت امرأ زمنا بالعراق * عفيف المناخ طويل التغني

قال أبو عبيد يريد الاستغناء (والعرب) تقول تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا بمعنى استغنيت قال بعض العرب يعاتب أخاه

كلانا غني عن أخيه حياته * ونحن اذا متنا أشد تغانيا

(وقال) الكسائي مررت على عجوز من العرب قد اعتقلت شاة في بيتها فقلت لها ما تريدين بهذه الشاة قالت تتغنى بها يا هذا تريد تستغني (وقال) بعض الصالحين من تلذذ بالحان القرآن حرم فهم القرآن (وقال) أبو هريرة أنتم أقرأ السنة ونحن أقرأ قلوبا (وقال) ابن مسعود نحن قوم ثقلت علينا قراءة القرآن وخف على العمل به وسيجيء قوم يخف عليهم قراءة القرآن ويثقل عليهم العمل به (وقال) كعب الاحبار ليقرأن رجال القرآن هم أحسن أصواتا من المعازف ومن حداة الابل لا ينظر الله اليهم يوم القيامة (وقد) أمعن وأجاد الشيخ الامام الحافظ الجليل أبو عبد الله القرطبي رحمه الله في هذا الموضع وبينه أتم بيان وأحسنه في كتاب التفسير له فمن أراده فليقف عليه هناك اذ أن هذا الكتاب

يضيق عما أتى به وماذكر انما هو اشارة لاولى الالباب والله الموفق للصواب ﴿فصل﴾
ثم قال الطرطوشي رحمه الله ومما اشتهرت به هذه الطائفة اتباع الشهوات والتنافس في ألوان الاطعمة
(وقد) قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه
فان كان لا محالة فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس (قال) أبو جحيفة أكلت ثريدا بلحم سمين
فتجشيت عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اكفف عنا جشاءك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة
أكثرهم شبعا في الدنيا (وروى) أن فاطمة رضي الله عنها جاءت بكسرة خبز الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال أما انه
أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام (وقال) يحيى بن معاذ لو أن الجوع يباع في الاسواق لما كان
ينبغي لطلاب الآخرة أن يشتروا غيره (وقال) الشافعي رحمه الله ما شبعت منذ خمسة عشر عاما الا شبعة
فطرحتها لان الشبع يثقل البدن ويقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن
العبادة (وقال) سهل بن عبد الله التستري رحمه الله لما خلق الله سبحانه وتعالى الدنيا جعل في الشبع
القسوة والجهل وجعل في الجوع العلم والحكمة (وقال) بشر بن الحارث رحمه الله الجوع يصفي الفؤاد
ويميت الهوى ويورث العلم الدقيق (وقال) يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله الجوع للمريدين رياضة
وللتائبين تجربة وللزهاد سياسة وللعارفين مكرمة (وسئل) الجنيد رحمه الله عن صفة الصوفية فقال
طعامهم طعام المرضى ونومهم نوم الغرقى (وقال) يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله نعوذ بالله من زاهد قد
أفسدت معدته ألوان الاغنياء (وقال رجل) لبعض المشايخ رحمهم الله اني جائع فقال كذبت قال ومن
أين علمت قال لان الجوع في خزائنه الوثيقة لا يطلع عليها من يفشي سره ولا يعطاه من لا يشكره (وروى)
أن بعض الفقراء اشتكى الى شيخه الجوع ثم ذهب فرأى درهما مطروحا مكتوبا عليه أما كان الله
عالما بجوعك حتى قلت اني جائع (وقال) فتح الموصلي رحمه الله أوصاني ثلاثون شيخا عند فراقي لهم
بترك عشرة الأحداث وقلة الاكل (ويروى) عن مالك بن دينار رحمه الله أنه دخل على ابن عون
في الحبس واذا عمال بني أمية مقيدون في الحديد فحضر غداؤهم فجعل الخدم ينقلون الالوان فقالوا
هلم يا أبا يحيى فقال ما أحب أن آكل مثل هذا الطعام وأن يوضع في رجلي مثل هذا الحديد (وقال) أبو
هريرة رضي الله عنه خرج النبي صلى الله عليه وسلم فلقيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فقال ما أخرجكما
فقالا الجوع فقال وأنا والذي بعثني بالحق ما أخرجني الا الذي أخرجكما قوموا فأتوا بيتا من الانصار
واذا الرجل غائب فقالت امرأته مرحبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت خرج يستعذب
لنا من الماء واذا بالرجل وعليه قربة ماء فلما نظر الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أجد من الناس
اليوم أكرم أضيافا مني فأتاهم بعذق من رطب وبسر وتمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا اجتنيته
فقال يا رسول الله تخيروا على أعينكم ثم أخذ المدية فقال النبي صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح
لهم شاة فأكلوا وشربوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لتسئلن عن نعيم هذا اليوم
وفي لفظ عن هذا النعيم ﴿فصل﴾ ويقال ان هذه الطائفة تضيف الى ما هي فيه من الباطل
استحضار المرد في مجالسهم والنظر في وجوههم وربما زينوهم بالحلي والمصبغات من الثياب وتزعم
انها تقصد بذلك الاستدلال بالصنعة على الصانع (قال) الاستاذ القشيري رحمه الله وهو من رؤساء
طائفتهم قولا عظيما في الرد عليهم وكشف فضائحهم من ابتلاه الله بشيء من ذلك فهو عبد أهانه الله
وخذله وكشف عورته وأبدى سوأته في العاجل وله عند الله سوء المنقلب في الآجل (وروى) أبو داود

فى السنن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من خب زوجة امرئ أو مملوكه فليس منا خب أى أفسد وخدع وأصله من الخب وهو الخدع ويقال فلان خب هب اذا كان فاسدا مفسدا (قال) الواسطى رحمه الله وهو من كبار الصوفية اذا أراد الله هوان عبد ألقاه الى هؤلاء الأنتان الجيف أولم تسمعوا الى قول الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الآخرة (وقال) بقية ابن الوليد رحمه الله قال بعض التابعين رضى الله عنه كانوا يكرهون أن يحدق الرجل النظر الى الغلام الامرد الجميل الوجه (قال) ابن عباس رضى الله عنهما للشيطان من الرجل ثلاثة منازل فى نظره وقلبه وذكره (وقال) عطاء رحمه الله كل نظرة يهواها القلب لا خير فيها (وقال) سفيان الثورى رحمه الله لو أن رجلا عبث بغلام بين أصابع رجليه يريد الشهوة لكان لواط (وقال) الحسن بن ذكوان رحمه الله لا تجالسوا أبناء الاغنياء فان لهم صورا كصور النساء وهم أشد فتنة من العذارى (وقال) بعض التابعين ما أخاف على الشاب التائب فى عبادته من سبع ضارئ نحوف عليه من الغلام الامرد يقعد اليه (وقال) بعض التابعين رضى الله عنهم اللوطية على ثلاثة أصناف صنف ينظرون وصنف يصافحون وصنف يعملون ذلك العمل (وروى) أن أحمد بن حنبل رحمه الله جاءه رجل ومعه ابن له حسن الوجه فقال لا تحدثنى به مرة أخرى فقيل له انه ابنه وهما مستوران فقال علمت ولكن على رأى أشياخنا (وكان) محمد بن الحسن صاحب يحيى بن معين لم يرفع رأسه الى السماء أربعين سنة فجاءه غلام حدث يجلس اليه فجلس من خلفه (فاما) اتيان الذكور فهى الفاحشة العظمى وهو محرم مغلظ التحريم (قال) الله تعالى أتأتون الذكران من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم (قال مالك) يرجم الفاعل والمفعول به أحصنا أولم يحصنا وبه قال ربيعة وأحمد بن حنبل واسحق (وقال) الحسن البصرى وعطاء والنخعى وقتادة والاوزاعى وأبو يوسف ومحمد هو كالزنا ان كان بكرا يجلد وان كان ثيبا يرجم ولا فرق بين أن يفعله مع غلام أو امرأة أجنبية (والحجة) لمالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به (وأيضا) فان الله تعالى رجمهم بالحجارة قال تعالى فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل الآية (وروى) أن أبا بكر استشار الصحابة رضوان الله عليهم فى رجل كان ينكح كما تنكح المرأة فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه أرى أن يحرق فكتب أبو بكر رضى الله عنه الى خالد بن الوليد رضى الله عنه فأحرقه بالنار (وروى) عنه أيضا أنه قال يرجم اللوطى (وقال) ابن عباس رضى الله عنهما يرمى من شاهق جبل أعلى مافى البلد منكسا ثم يتبع بالحجارة (ويروى) عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال يهدم عليه البيت (وقال) عثمان رضى الله عنه يقتل (وروى) أن قوم لوط كانت فيهم عشر خصال أهلكهم الله تعالى بها كانوا يتغوطون فى الطرقات وتحت الاشجار المثمرة وفى الانهار الجارية وفى شطوط الانهار وكانوا يحذفون الناس بالحصباء فيعورونهم واذا اجتمعوا فى المجالس أظهروا المنكر واخراج الريح منهم واللطم على رقابهم وكانوا يرفعون ثيابهم قبل أن يتغوطوا ويأتون بالطامة الكبرى وهى اللواط (قال) الله تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر والنادى المجالس والمحافل (ومن) ارتقى فى هذا الباب عن حالة الفسوق أشار الى أن ذلك من باب بلاء الزواج وانه لا يضر فهذه وساوس الشيطان وادعاء العصمة وهو الكفر ونظير الشرك فاحذر مجالستهم فان اليسير منه فتح باب الخذلان وادخال الهجران بينك وبين الحق

ثم يقال وهبك أيها المغرور قد بلغت رتبة الشهداء أليس قد شغلت ذلك القلب بمخلوق (وفي الحديث) يقول الله تعالى حرام على قلب سكنه حب غيري أن أسكنه حبي (وأما) قولهم انهم يستدلون بالصنعة على الصانع فنهاية في سعاية الهوى ومخادعة العقل ومخالفة العلم (قال) الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه (قال) ابن عباس رضي الله عنهما الهوى شر اله يعبد من دون الله (قال) الله تعالى في باب الاعتبار أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت (وقال تعالى) أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبض ما يمسكهن الا الرحمن (وقال) جل وعلا ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس الآية (وقال) تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآية (وقال) تعالى وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فعدلوا عما أمرهم الله به من الاعتبار الى ما نهاهم عنه بقوله قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم الآية ﴿فصل﴾ وأما الدف والرقص بالرجل وكشف الرأس وتخريق الثياب فلا يخفى على ذي لب انه لعب وسخف ونبذ للمروءة والوقار ولما كان عليه الانبياء والصالحون (روى) أهل التفسير عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم يتواصون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب (قال) وكان النبي صلى الله عليه وسلم لين الجانب سهل الخلق دائم البشر ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهي قد ترك نفسه من ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه واذا تكلم أطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ومن تكلم انصتوا له حتى يفرغ يعني يسكتون ويغضون أبصارهم والطير لا يسقط الا على ساكن انتهى كلامه ولو لم يكن في السماع والرقص شيء يذم الا أنه أول من احدثه بنو اسرائيل حين اتخذوا العجل الها من دون الله تعالى فجعلوا يغنون بين يديه ويصفقون ويرقصون فبقي حالهم كذلك الى ان جاءهم موسى عليه الصلاة والسلام ووقع من قصتهم ما قد ذكره الله تعالى في كتابه فهم أصل لما ذكر وما كان هذا أصله فينبغي بل يتعين على كل عاقل أن يهرب منه ويولي الظهر عنه ان كان عاجزا عن تغييره وأما ان كان له قدرة على ذلك فيتعين عليه والله الموفق (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حبب الي من دنياكم ثلاث النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة قال الامام الطرطوشي رحمه الله هؤلاء زعموا أن قرة أعينهم في الغناء واللهو والنظر في وجوه المرد ﴿فصل﴾ وقال رحمه الله وأما تمزيق الثياب فهو يجمع الى ما فيه من السخافة افساد المال (روى) أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال (وقال) عمرو بن العاص رضي الله عنه مر النبي صلى الله عليه وسلم بشاة ميتة أعطيتها مولاة لميمونة من الصدقة فقال هلا انتفعتم باهابها فقالوا انها ميتة قال انما حرم أكلها (قال) العلماء ويحجر على السفهاء وهم المبذرون لاموالهم وما في السفه أعظم من تمزيق الثياب (وقال) أنس رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف بالبيت وعليه جبة صوف فيها اثنتا عشرة رقعة واحدة منها من أديم أحمر (وروى) ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه انقطع شسع نعله فقال انا لله وانا اليه راجعون (ومن أمثالهم) من أصلح ماله فقد صان الاكرمين دينه وعرضه وتمزيق الثياب

قوله لا تؤبن أي لا تذكر بما لا ينبغي اه

داخل فى قوله تعالى لابليس وشاركهم فى الاموال والاولاد واذا كان الكسب خبيثا كان ما آله الى مثله انتهى كلام الطرطوشى رحمه ﴿فصل﴾ وقال الشيخ أبو عبد الله القرطبى رحمه الله فى تفسيره فى قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث سئل عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى ومن الناس من يشترى لهو الحديث فقال الغناء والله الذى لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات (وعن) ابن عمر هو الغناء (وكذلك) قال عكرمة وميمون بن مهران ومكحول (وروى) شعبة وسفيان عن الحكم وحماد عن ابراهيم قال قال عبد الله بن مسعود الغناء ينبت النفاق فى القلب (وقال) مجاهد وزاذان لهو الحديث المعازف والغناء (وقال) القاسم بن محمد الغناء باطل والباطل فى النار (وقال) ابن القاسم سألت عنه مالكا فقال قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال أفحق هو (وروى) الترمذى وغيره من حديث أنس وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال صوتان ملعونان فاجران انهى عنهما صوت مزمار ورنة شيطان عند نعمة وفرح ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب (وروى) جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بكسر المزامير خرجه أبو طالب الغيلانى (وخرج) بن شران عن عكرمة عن ابن عباس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال بعثت بهدم المزامير والطبل (وروى) ابن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس الى قينة يسمع منها صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة (وقد) روى مرفوعا من حديث أبى موسى الاشعرى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع الى صوت غناء لم يؤذن له أن يسمع الروحانيين فقيل وما الروحانيون يا رسول الله قال قراء أهل الجنة خرجه الترمذى الحكيم أبو عبد الله فى نوادر الاصول (ومن) رواية مكحول عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه (ولهذه) الآثار وغيرها قال العلماء بتحريم الغناء وهو الغناء المعتاد عند المشتهرين به الذى يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذى يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع اذا كان فى شعر يشبب فيه بذكر النساء ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف فى تحريمه لانه اللهو والغناء المذموم باتفاق فأما من سلم من ذلك فيجوز القليل منه فى أوقات الفرح كالعرس والعيد وعند النشاط على الاعمال الشاقة كما كان فى حفر الخندق (فأما) ما ابتدعه الصوفية اليوم من الادمان على سماع الاغانى بالآلات المطربة من الشبابة والطار والمعازف والاوتار فحرام (قال) ابن العربى فأما طبل الحرب فلا حرج فيه لانه يقيم النفوس ويرهب العدو (وذكر) أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبرى قال اما مالك ابن أنس فانه نهى عن الغناء وعن استماعه وقال اذا اشترى جارية ووجد عندها مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر أهل المدينة (قال النحاس) وهو ممنوع بالكتاب والسنة (قال الطبرى) وقد أجمع علماء الامصار على كراهة الغناء والمنع منه (قال) أبو الفرج بن الجوزى وقد قال القفال من أصحابنا لا تقبل شهادة المغنى والرقاص (قال) أبو عبد الله القرطبى رحمه الله واذا قد ثبت أن هذا الامر لا يجوز فأخذ الاجرة عليه لا يجوز (وقد) ادعى أبو عمر بن عبد البر الاجماع على تحريم الاجرة على ذلك (وذكر) القرطبى أيضا فى سورة سبحان فى قوله تعالى ولا تمش فى الارض مرحا قال استدل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه (قال) الامام أبو الوفاء بن عقيل قد نص القرآن على النهى عن الرقص فقال ولا تمش فى الارض مرحا وذم المختال والراقص أشد والمرح الفرح أولسنا قسنا النبيذ على الخمر لاتفاقهما فى الطرب والسكر فيا ليت الانفس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والطبل لاجتماعهما

فما أقبح ذا لحية سيما اذا كان ذا شيبة يرقص ويصفق على توقيع الالحان والقضبان خصوصا اذا كانت أصوات نسوان وولدان وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم مآله الى احدى الدارين يشمس بالرقص شموس البهائم ويصفق تصفيق النسوة والله لقد رأيت مشايخ في عمري ما بان لهم سن من التبسم فضلا عن الضحك مع ادمان مخالطتي لهم (وقال) أبو الفرج بن الجوزي ولقد حدثني بعض المشايخ عن الغزالي انه قال حماقة لا تزول الا باللعب (وذكر) القرطبي ايضا في قوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال في الآية ما يدل على تحريم المزامير والغناء واللهو لقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك على قول مجاهد وما كان من صوت الشيطان أو فعله وما يستحسنه فواجب التنزه عنه اه ﴿فصل﴾ وقد حكي عن امام هذه الطريقة وهو الشيخ الجنيد رحمه الله انه سئل لحضور السماع فأبى ثم سئل فأبى فقيل له ألست كنت تحضره قال مع من وممن وقد حكي عن غيره من الاكابر انه سئل لحضور السماع فأبى فقيل له أتنكر السماع قال ومثلي ينكره وقد فعله من هو خير مني ومنكم عبد الله بن جعفر الطيار وانما أنكر ما أحدث فيه اه (وهذا) كما قد سبق من أن الغناء هو رفع الصوت بالشعر فحضره هذا السيد لما أن كان كذلك فلما ان حدث فيه ما حدث تركه (وهذا أيضا) موافق لكلام الجنيد في قوله مع من وممن لما تقدم عنه رحمه الله ان القوال هو شيخ الجماعة الذي منه يستمدون وبه يقتدون ولا شك ان هذه الصفة بعيدة من سماع هذا الزمان لما احتوى عليه مما لا ينبغي كما هو مشاهد مرئي وقد وقعت الاشارة لبعضه (وهذا) مع ما فيه مما تقدم ذكره قل أن يسلم من حضور النساء في المواضع المشرفة عليه من سطح أو غيره وسماعهن الاشعار المهيجة للفتنة والشهوات والملذوذات فان ذلك يحرك عليهن ساكنا لما تقدم من أن الغناء رقية الزنا وهن ناقصات عقل ودين سيما اذا انضاف الى ذلك أن يكون لهن طريق الى التوصل الى الرجال او الرجال اليهن فأعظم فتنة وبلية سيما اذا انضاف اليه أن يكون المغني شابا حسن الصورة والصوت ويسلك مسلك المغنيات في تكسيرهم وسوء تقلباتهم في تلك الحركات المذمومة مع ما هو عليه من الزينة بلباس الحرير والرفيع من غيره وبعضهم يبالغ في أسباب الفتنة فيتقلد بالعنبر بين ثيابه لتشم رائحته منه ويجعل على رأسه فوطة من حرير لها حواش عريضة ملونة يصففها على جبهته ولهم في استجلاب الفتن بمثل هذا أمور يطول ذكرها (ثم) العجب من هذا المسكين الذي عمل السماع لهم وجمعهم له كيف يطيب خاطره أو يسكن باطنه برؤية أهله لما ذكر اذ أن ذلك كله فتنة عظيمة قل من يسلم عند سماعها أو رؤيتها فانا لله وانا اليه راجعون أين غيرة الاسلام أين نجدة الرجال السادة الكرام أين الهمم العالية العفيفة عن الحرام أين اتباع السلف الاعلام (فتحصل) مما تقدم ذكره أن كل من حضر السماع من الرجال والشبان ومن اطلع عليه من النساء أو سمعهم افتتن وقل أن يرضى بما عنده من الحلال غالبا فتتشوف نفوسهم الى ارتكاب المحرمات فمنهم من يصل الى غرضه الخسيس وهي البلية العظمى ومنهم من لا يقدر على ذلك لقلة ذات يده أو غيره من العوائق المانعة له فيكون آثما في قصده ولو وقف الامر على ما ذكر لرجيت لهم التوبة والاقلاع والاقالة مما وقعوا فيه لكن البلية العظمى ان كثيرا منهم يتدينون بذلك ويعتقدون به القربة الى الله عز وجل سيما ان عملوه بسبب المولد فهو أعظم في الفتنة لانهم يعتقدون انهم في أكبر الطاعات واظهار شعائر الدين (وتعطى) هذه القاعدة التي انتحلوها انهم أعرف بالشعائر من سلفهم نعوذ بالله من المحن والفتن ومن الابتداع وترك الاتباع (وبالجملة) ففتنته أكثر من أن تحصر وهذا مع ما فيه من اضاعة المال والرياء والسمعة لو قيل لاحدهم

تصدق ببعض ما تنفقه فيه على المضطرين المحتاجين مما الشح بذلك و بخل وما ذلك الا لوجوه (الوجه الاول) خبث الكسب غالبا لان المال الذى يتحصل من وجه خبيث لا يخرج الا فى وجه خبيث مثله بذلك جرت الحكمة (الثانى) ايثار الشهوات والملذوذات (الثالث) لرياء والسمعة (الرابع) محبة الثناء والمحمدة والقيل والقال كما تقدم (الخامس) محبة النفوس فى الظهور على الاقران (السادس) ان صدقة السر خالصة للرب عز و جل فلا يقدر عليها الا ذو حزم ومروءة واخلاص فالسعيد السعيد من تمسك بنور الشريعة وسلك منهاجها وشد يده عليها وترك كل ما أحدثه المحدثون وعمل على خلاص مهجته وأهله و ولده ولا خلاص الا بالاتباع وترك الابتداع سلك الله بنا الطريق الارشد انه ولى ذلك والقادر عليه بمحمد وآله ﴿فصل﴾ وقد تقدم فى أول الكتاب أن تصرف المكلف لم يبق الا فى قسمين وهما الوجوب والندب فاذا كان هذا فى حق غير الفقير المنقطع فما بالك بالفقير المنقطع المتوجه الى ربه الذى ترك الدنيا وشهواتها وملذوذاتها اخلف ظهره فهو أولى وأوجب بالمطالبه بالاتباع وترك الابتداع أكثر من غيره (واذا) كان ذلك كذلك فالسماع اذا سلم مما تقدم ذكره لم يدخل فى باب الواجب والمندوب بدليل ما تقدم عن الجنيد رحمه الله حيث قال لا يصير السماع مباحا الا بعشرة شروط وقد تقدم أكثرها والفقير أولى بل أوجب أن يحتاط لنفسه ويتقى مواضع الريب و يسد عن نفسه أبواب المفاسد كلها فانه شديد بالعالم فى الاقتداء به فصلاحه يتعدى لغيره وفساده كذلك فيتعين عليه أن يحفظ مهجته ومهجة غيره من المسلمين بالنهوض الى ما يجب عليه أن يندب اليه و يترك ما عدا ذلك و يعرض عنه والله المستعان

﴿فصل﴾ وينبغى له أن يصون حرمة الخرقة التى ينسب اليها بترك الوقوف على أبواب أبناء الدنيا ومخالطتهم والتعرف بهم وقد تقدم قبح ذلك فى حق العالم فنى حق الفقير أولى وأحرى اذ انه أقبل على طريق الآخرة وترك الدنيا وأهلها فوقوفه على أبواب من تقدم ذكرهم نقيض طريقه ومقصده بل ينقطع عنهم ظاهرا وباطنا أعنى أنه لا ينقطع فى خلوته وقلبه متعلق بغير ما هو فيه فان تعلق خاطره بشئ من ذلك فهو معهم وان كان لم يدخل معهم فى الظاهر ولم يكثرهم (الا ترى) أنهم قد قالوا اذا رأيت الامير على باب الفقير فاتهم الفقير لانه ما جاء الا لنسبة حصلت فى الفقير من أجل ما يتعاطونه من أمور الدنيا ولاجل ذلك جاء الامير لحصول الجنسية أو كما قالوا (وقد) يكون الفقير لا يشعر بما أوجب ذلك فى حقه (حتى) لقد حكى عن بعضهم أنه كان لا يمر له خاطر فى الدنيا ثم حصل له فى بعض الايام التفات اليها واذا بالجندى يدق الباب فدخل اليه وجلس يتحدث معه فى الدنيا فرجع الشيخ الى نفسه وقال هذه عقوبة من الله من أين أتيت واذا هو قد ذكر الخاطر الذى مر به فتاب الى الله تعالى وأقلع عنه واذا بالجندى قد قام وخرج من حينه (فهذه) كانت أحوالهم وسيرتهم الحسنة وهم قدوة لمن بعدهم ممن يتمسك بطريقهم أسأل الله أن لا يخالف بنا عن حالهم (ومع هذا) فلا ننكر الاجتماع بهم أعنى اذا جاؤا الى الفقير راغبين فقد وردت السنة بحسن البشاشة عند اللقاء والاخذ مع المضطرين والمساكين فيما نزل بهم ولا شك أن احتياج أبناء الدنيا للمريد وخطره أعظم من احتياج غيرهم من الفقراء المساكين الى المريد المنقطع الى ربه عز و جل لان الفقير المسكين أقرب الى ربه سبحانه وتعالى اذ هو فى حالة الاضطرار والمسكنة عليه ظاهرة بخلاف أبناء الدنيا لان الغالب عليهم الشرود عن باب ربهم لاجل تعلقهم بمن هو فوقهم أو من هو مثلهم من أبناء الدنيا فيحتاج المريد اذا أتوا اليه أن يباسطهم لكى يتوصل بذلك الى موعظتهم وسياستهم أخلاقهم ليسرق طباعهم بالرفق والتيسير

وعدم التغيير قاصدا بذلك وقوفهم بباب ربهم وارشادهم اليه لا لغرض دنيوى لان نجاة هؤلاء من باب خرق العادة بخلاف الفقير والمسكين فاذا خلص واحد ممن هذه صفته فلا شك أنه من الجهاد وفى الجهاد من الفضيلة ما فيه فيحتاج أن يغتنم ما سيق اليه من هذا الخير العظيم و يشدد عليه بشرط أن يتحفظ على مقامه الذى هو فيه من تدنيسه بالتشوف الى ما فى أيديهم أو التعزز بعزهم الفانى أو الركون الى شئ من أحوالهم الزائلة فاذا سلم من ذلك فلا بأس فى قضاء حوائج المضطرين من المسلمين على أيديهم لان له بذلك المنة عليهم لانه ساق اليهم خيرا عظيما ومعروفا جسيما لكن بشرط يشترط فيه وهو أن يريهم أن الحظ والمنفعة والحاجة الكبرى لهم فى استقضاء حوائج المسلمين منهم بعد أن يحقق عنهم أنهم مضطرون الى ذلك أكثر من أرباب الحاجات اليهم وأن ذلك متعين عليهم من غير أمره لهم بذلك فكيف مع اطلاعه واطلاعهم وهذا باب كبير متسع فيكفى التنبيه عليه (و بالجملة) فالفقراء السالكون ممن مضى منهم نفعنا الله بهم قد انقسموا فى هذا الباب على ثلاثة أقسام (فمنهم) من كان لا يخالط أحدا من غير جنسه فان وقع لاحدهم شئ من ذلك استعمل التحيل فى التخلص منه (كما حكى) عن سفيان الثورى أنه لما أن تولى الخلافة من يعتقده و يرجع اليه هرب منه الى البلاد وسافر الى مواضع لا يعرف فيها فبقى الخليفة يسأل عنه و يبحث عن أمره الى أن اجتمع به بعض من يعرفه فتكلم معه فى أن اجتماعه بالخليفة فيه خير كثير للمسلمين فكان جوابه أن قال يصلح ما يعلم فساده فاذا فرغ من ذلك أتيته و جلست معه وعلمته ما لم يعلمه أو كما قال (وقد حكى) عن بعضهم أنه أظهر التوله حين اتيان السلطان اليه بأن جعل على بابه أحمالا من الخبز فوضعها وجلس هناك فلما أن رأى السلطان مقبلا أخذ رغيفا وجعل بعض فيه و يأكل بنهمة فجاء السلطان فسأل عنه فقيل له هو ذا فسلم عليه فرد عليه السلام فكلمه فأبى عن جوابه فسأله لم لا ترد على الجواب فقال أخاف أن تشغلنى عن أكلى أو أن تأكل معى فيذهب هذا الخبز وأنا لا أشبع أو كما قال فرجع السلطان عنه وهذا باب السلامة ولا يعدل بالسلامة شئ (القسم الثانى) أنهم يجتمعون بهم اذا أتوا اليهم بالشروط المتقدم ذكرها (القسم الثالث) الاتيان اليهم وفيه خطر من أجل مخالطتهم والوقوف على أبوابهم لقضاء حوائج المسلمين اذ أن ذلك جمع بين أمرين متضادين أحدهما حسن وهو قضاء حوائج المسلمين والتفريج عنهم والثانى ضده وهو اهانة خرقة الفقير بالوقوف على أبواب من لا ينبغى (وقد) قال بعضهم ما أقبح أن يسئل عن العالم فيقال هو بباب الامير فاذا كان هذا القبح فى حق العالم فما بالك به فى المريد الذى خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة يطلبها وتوجه الى الله عز وجل بالانقطاع اليه ولو لم يكن فيه من القبح الا انام أمورون بالتغيير عليهم فى بعض أحوالهم والوقوف ببابهم ينافى ذلك (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله يختار الطريقة الوسطى لا شرقية ولا غربية لا يقف ببابهم ولا ينفر منهم بل يستقضى حوائج الضعفاء والمساكين منهم اذا توا اليه وأما من لم يات منهم اليه فانه كان لا يرسل اليه أصلا ومن نزلت به ضرورة وأتى اليه يحمله على الصدقة والتوبة مما جنى وأما الارسال اليهم فكان لا يرسل لمن يعرف ولا لمن لم يعرف فمن كان يعرفه منهم اذا جاء ذكر له ما اطلع عليه من ضرورات المسلمين فأزالها وهذا الذى درج عليه هو حال أكثر السلف أعنى الطريقة الوسطى المتقدم ذكرها والله الموفق هذا حاله مع زيارة من ينسب الى الدنيا (و بالجملة) فمن يأتى الى زيارة المريدين ينقسمون على ثلاثة أقسام (الاول) اتيان أبناء الدنيا له (والثانى) زيارة المريدين والصلحاء (والثالث) زيارة من شاركه فى الخرقة من جهة شيخه أو من جهة العالم الذى اهتدى بهديه (فالقسم الاول) قد تقدم

ذكره وأما القسم الثانى فيتعين عليه أن يأتى من أتاه برحب وسعة صدر وأن يكثر التواضع لهم ويرى الفضل لهم عليه فيما فعلوه ويرى نفسه أنها مقصرة فى حقهم اذ أنه قعد عن زيارتهم حتى احتاجوا الى زيارته فيعوض لهم عن ذلك كثرة الانس واظهار الود بشرط أن يكون ذلك منه باطنا كما فعله ظاهرا والمقصود ان يبالغ فى الادب معهم بتوقير كبيرهم واحترامه واللطف بصغيرهم فى ارشاده وتهذيب أخلاقه وتهيئ أمره للسلوك والترقى وان استطاع أن لا يخرج عنه أحد من هذه الطائفة الا عن أكل فليفعل لانه قد ورد عن السلف رضى الله عنهم أنهم كانوا لا ينصرفون الا عن ذواق فان لم يمكنه ذلك الا بتكلف مثل أخذ دين أو ما يقاربه فالترك أولى به (وقد حكى) عن بعضهم انه جاءه أضياف فقدم لهم خبزا وملحا وقال لولا انانهينا عن التكلف لتكلفت لكم لكن يعوضهم عن ذلك امدادهم فى بواطنهم ان كان من أهل ذلك فان لم يكن من أهل الامداد فيدعو لهم بظاهر الغيب ولعل أن يكون فيهم وهو الغالب من هو أرفع منه قدرا وأعظم شانا فيكون دعاؤه اذ ذاك يعود عليه بركته (لما ورد) أن المرء اذا دعا لاخيه فى ظهر الغيب فان الملك يقول له ولك مثل ذلك أو كما ورد (وقد) قال بعض السلف كل حاجة احتاجها وأريد أن أدعو بها لنفسى أدعو بها الاخى فى ظهر الغيب لانى اذا دعوت لنفسى كان الامر محتملا للقبول أو ضده واذا دعوت لاخى فى ظهر الغيب فالملك يقول ولك مثل ذلك ودعاء الملك مستجاب (وقد حكى) عن بعضهم أنه جاء الى زيارة أخيه فقال له المزور يا أخى أما كان لك شغل بالله عن زيارتى فقال له الزائر شغلى بالله أخرجنى الى زيارتك (وقد حكى) عن بعضهم أيضا انه كان اذا سأله أحد من اخوانه فى حاجة يبكى ثم بعد ذلك يقضى حاجته فسئل عن موجب بكائه فقال أبكى لغفلتى عن حاجة أخى حتى أحتاج أن يبديها لى وهذا الذى ذكره موجار على جادة غالب حال الناس (وبعض الاكابر) يعوض عن ذلك ما هو فى الايثار أكثر وأعم وله فى ذلك اقتداء حسن صحيح (كما) حكى لى من أثق به ان الفقيه الامام المعروف بابن الجيزى جاء الى زيارة الفقيه الامام المحدث المعروف بالظهير التزمنتى وكان اذ ذاك منبسطا مع من حضره فلما أخبر بمجيء الفقيه ابن الجيزى الى زيارته انقبض عن ذلك وزال بسطه فدخل عليه وهو منقبض فسلم عليه فرد عليه السلام ولم يزد عليه شيأ ولم يكن كلامه له الا جوابا فلما أن خرج رجع الى ما كان عليه من البسط مع من حضره فسئل عن موجب ذلك فقال استصغرت نفسى أن يكون مثل هذا السيد يزورنى مثلى فأردت أن أكافئه ببعض ما يستحقه فوجدت نفسى عاجزة عن مكافأته فآثرته بالاجر كله حتى يكون فى صحيفته دونى لما ورد اذا التقى المسلمان فأكثرهما ثوابا أبشهما لصاحبه فآثرته بذلك أو كما ذا ما هذا معناه (وهذا) له أصل فى الاتباع للسنة المطهرة وهو ما روى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كنت اذا لقيت عليا ابتدأنى بالسلام فلقيته اليوم فلم يسلم على حتى ابتدأته بالسلام فقال له اجلس فجلس واذا بعلى بن أبى طالب قد جاء فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لم لم تبتدئ أبا بكر اليوم بالسلام فقال يا رسول الله رأيت فيما يرى النائم قصرا فى الجنة لم أر مثله فقلت لمن هذا القصر فقيل لمن يبتدئ بالسلام فأردت أن أوثر اليوم أبا بكر على نفسى أو كما قال (وهذا) أعظم فى الاكرام وأبر فى الاحترام فمن كانت له استطاعة على مثل هذا الايثار فهو أولى به لكن يخاف على فاعل ذلك فى هذا الزمان أن ينفر الناس غالبا عن باب ربهم ويوقعهم فيما لا ينبغى فارتكاب الطريقة المتقدمة والحالة هذه أولى بل أوجب اللهم الا أن يقع ذلك مع من له رسوخ فى السلوك كما تقدم وصف من وقع له ذلك والله الموفق ﴿فصل﴾ اعلم رحمنا الله وايالك أن لقبول الدعاء مواضع عديدة ينبغى

الاعتناء بها ليعرف المكلف أماكنها فيتعرض لها لقوله عليه الصلاة والسلام ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله (فمن) جملة النفحات ماتقدم ذكره من دعاء المؤمن لاخيه فى ظهر الغيب (والثانى) المضطر وهو الاصل لعمومه قال الله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه وهذا لفظ عام دون الاتصاف بصفة دون أخرى وكثير من يقع له الغلط والوهم فى هذا القسم فيرى انه مضطر فيدعو فلا يستجاب له فيقول أنى هذا فيقع له الجواب بلسان الحال قل هو من عند أنفسكم ذلك انه لو حصلت له حالة الاضطرار مارد وما خيب لان الله سبحانه وتعالى لايخلف الميعاد (ومثال) ذلك فى الحسن ماكان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول مثله مثل من ركب فى السفينة فهو مضطر الى ريح يمشى بها والى بحر هاد قليل الآفات لكنهم مطمئنون بسفينتهم راكنون اليها وفى هذا السكون من عدم الاضطرار مافيه فلو جاء الريح العاصف وتحرك عليهم هول البحر لكان اضطرارهم أكثر من الاول لكنهم عندهم قوة فى أنفسهم بالسفينة التى هى سبب السلامة غالبا فلو انكسرت السفينة مثلا وبقى كل واحد منهم أو جماعة على لوح لاشتد اضطرارهم أكثر من الثانى لكنهم يرجون السلامة لما تحتهم من الالواح وذلك قدح فى حقيقة اضطرارهم فلو ذهبت الالواح وبقوا بعد ذلك فى لجج البحار لابرى ولاجهة تقصد ولالوح يرام أن يصعد عليه فهذه الصفة هى حقيقة الاضطرار اوكما قال (فمن) اتصف بهذه الصفة وهو فى حالة الاتساع من أمره كان مضطرا حقيقة فلا يشك ولا يرتاب فى اجابته وماوقع الغلط الا فى صفة التحصيل لهذه الصفة الجميلة التى أخبرنا الله تعالى بها فى كتابه العزيز (الثالث) من مواطن الاجابة عند نزول الغيث (الرابع) عند الاذان (الخامس) عند اصطفاف الناس للصلاة (السادس) عند اصطفافهم للجهاد (السابع) الثلث الاخير من الليل فى كل ليلة الى طلوع الفجر (الثامن) الدعاء عند المحتضر فان الملائكة حضور يؤمنون على دعاء الداعى (التاسع) الدعاء من الصائم عند افطاره (العاشر) الدعاء من المسافر عند سفره (الحادى عشر) وهو آكدها الساعة التى وردت فى يوم الجمعة وقد تقدم بيانها (الثانى عشر) يوم الاثنين وليلته وقد تقدم بيانه (الثالث عشر) ليلة القدر وهى أم الباب وخلاف العلماء فيها مشهور معروف (الرابع عشر) الدعاء من الوالدين لولدهما (الخامس عشر) الدعاء عند حدوث الخشوع واقشعرار الجلد والخوف والقلق وغلبة الرجاء فان هذه المواطن كلها محل للاجابة (السادس عشر) وهو أعظمها وأولاها الدعاء باسم الله الاعظم وقد اختلف الناس فى تعيينه اختلافا كثيرا حتى قال بعضهم ان ذلك راجع الى الاتصاف بحالة الاضطرار كما تقدم ومنهم من قال انه قوله تعالى والهكم اله واحد لااله الاهو الرحمن الرحيم ومنهم من قال الله لااله الاهو الحى القيوم والم الله لااله الاهو الحى القيوم وعنت الوجوه للحى القيوم ومنهم من قال لااله الاأنت سبحانك انى كنت من الظالمين ومنهم من قال آخر سورة الحشر الى غير ذلك وهو كثير (السابع عشر) يوم عرفة (الثامن عشر) شهر رمضان (التاسع عشر) فى السجود (وبالجملة) فالدعاء له أركان وأجنحة وأسباب وأوقات فان صادف أركانه قوى وان صادف أجنحته طار فى السماء وان صادف أسبابه نجح وان صادف أوقاته فاز فمن أركانه الاضطرار وقد تقدم (وأجنحته) قوة الصدق مع المولى سبحانه وتعالى فيما يرجوه ويؤمله منه ويخافه (وأسبابه) الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم (وأوقاته) الاسحار (وما) تقدم ذكره اغلبى وفيمن هو على جادة التكليف (وأما) من هو فى مقام الرضى أو مايقاربه فقد يكون السؤال فى حقه ذنبا يتعين عليه التوبة والاستغفار منه (كما) قد حكى عن بعض السلف أنه قال تجاسرت البارحة وسألت ربى المعافاة من النار وكما حكى الشيخ الامام أبو طالب المكى رحمه الله عن

بعضهم أنه قال كل المقامات نلت منها شيأ الا هذا الرضى فانى ما نلت منه الا مقدار سم الخياط (ومع ذلك) لو أخرج أهل جهنم أجمعين وأدخله جهنم وملأها بجسده وعذبه بعذابهم أجمعين لكان راضيا بذلك وقد تقدم ما جرى للكليم عليه الصلاة والسلام مع العابد (وبالجملة) فالامر راجع الى حال من وقع له ذلك وفى أى وقت يقع له ذلك وقد يكون فى بعض الاحيان الرضى فى حقه أولى وأفضل بالنسبة الى حاله وما اختص به فى وقته ذلك وقد يكون فى وقت آخر الدعاء والتملق واظهار الفاقة والاضطرار والحاجة أولى وأفضل وكل ذلك مأخوذ من السنة المطهرة وعن السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (ثم نرجع) الى ما كنا بسبيله من أقسام الزائر والمزور (القسم الثالث) الاشتراك فى الرضاعة فى مجالس العلم ومجالس الشيوخ فمن جاء من هذا القسم فهو من الخاصة به فان استطاع أن يكون لهم أرضا فليفعل اذ أن احترامهم احترام لشيخه الذى أخذ عنه (وآداب) المريد مع شيخه لا تنحصر ولا ترجع الى قانون ولا يقدر المريد أن يقوم بحقه فى الغالب اذ أن حقيقة أمر الشيخ أنه وجده فى بحار الذنوب والغفلات فأخرجه من كل ذلك وأدخله الجنة وهو أمر لا يقدر أحد أن يجازى عليه الا الله تعالى

﴿فصل﴾ وينبغى له أن يكون أهم الامور عنده وآكدها الخلوة عن الناس والانفراد بنفسه دونهم كما تقدم لان الخلوة سبب للفتح غالبا (وليحذر) أن يقبل ما تلقيه اليه نفسه أو الشيطان من محبة الاجتماع بالاخوان أو الميل اليهم أو الميل الى رؤيتهم فان النفس مجبولة غالبا على حب الراحة والبطالة وهى لا تجد لذلك سبيلا مع دؤوب الخلوة ولا تجد السبيل الى أن تسرقه أو تميل به عما هو بسبيله الا بسبب الاجتماع بالاخوان غالبا اذ بالاجتماع بهم تجد السبيل الى الزيادة والنقصان فيما يريده ويختاره وفيه من الخطر ما فيه أو عكسه وهو الداء الذى ليس له دواء فى الغالب الا التوبة والاقلاع والتحال وكان فى غنية عن ذلك كله وهذه دسيسة قل من يشعر بها الا من نور الله بصيرته وقد قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله فى كتاب الدلالات له عن بعض شيوخه انه قال كنت أخلو لاسلم من ضرر الناس فصرت أخلو لاغنم فصرت أخلو لافهم فصرت أخلو لاعلم فصرت أخلو لانتعم اه (فانظر) رحمنا الله وياك الى هذه المقامات الجليلة التى انتقل منها واليها واحدة بعد واحدة (فأولها) طلب سلامة الناس منه كما تقدم اذ أن طلب السلامة من الناس فيه تزكية للنفس ووقوع فى حق اخوانه المسلمين فاذا خلا بنفسه لكى يسلم الناس من لسانه وبصره وسمعه وبطشه وسعيه وحسده الى غير ذلك مما يعتوره فى خلطته لهم فيحصل بسبب ذلك فى القسم الذى شهد له صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه بالاسلام حيث يقول عليه الصلاة والسلام المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده وقد تقدمت الاشارة الى ذلك كله (فلما) ان حصل هذا المقام السنى ترقى بعده الى ما هو أسنى منه وهو حصول الغنيمة فهو فى أعمال الآخرة ينتهبها اذ أن الخلوة التى هو فيها أعانته على افتراس ذلك والنهوض اليه لعدم العائق (ثم) بعد حصول هذا المقام السنى ترقى الى ما هو أسنى منه وهو الفهم عن الله تعالى فى آياته وفى أحكامه وفى تدبيره فى خلقه واحسانه الى أوليائه وقربه منهم وعلمه بحالهم اذ هو سبحانه وتعالى الكريم الذى من بذلك وسهل الامر عليه فيه والفهم عن الله أعم من هذا كله وانما هو اشارة لما عدا ما ذكر (ثم) انتقل بعد هذا المقام السنى الى ما هو أسنى منه وهو العلم لانه نتيجة الفهم اذ أنه اذا فهم علم وهذا العلم عام فى العلم بالله تعالى والعلم بأحكام الله اذ أنه لا يوجد جاهل بأحكام الله عليه عالما بالله والعلم بالله ليس له حد ينتهى اليه بخلاف العلوم الشرعية فان لها نهاية على ما قد علم (فلما) ان حصل هذه الدرجة السنية انتقل منها الى ما هو أسنى منها وهو التنعم فى خلوته والتلذذ

بالطاعات التى يحاولها اذ أنه عبد قد خلعت عليه خلع القرب فاتصف بالمقامات السنية التى لا يستحقها ولا بعضها الا بفضل المولى سبحانه وتعالى وكرمه وامتنانه اذ لا فرق بينه وبين اخوانه من المسلمين فكونه خلع عليه دونهم هذا فضل عميم لا يقدر أن يقوم بشكر بعضه اللهم لا تحرمنا ذلك فانك وليه والقادر عليه بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم (فاذا) حصل فى هذه الدرجة انتفع بنفسه وانتفع به من عرفه ومن لم يعرفه (فاذا) حصل فى هذا المقام السنى جاءته الالطاف تترى اذ أنه تشبه فيه بالملائكة الكرام الذين لا يأكلون ولا يشربون ويذكر ربهم يتنعمون اذ أن الذكر لهم كالنفس لنا ومن هذا حاله تكون العبادة له كالغذاء لان الغذاء جمع أشياء منها شهوة النفس للاكل والشرب وقوام البدن والاعانة على فعل الطاعات (ومن) حصل فى هذا المقام الذى تقدم ذكره فقد تم له النعيم (الا ترى) أن بعضهم كان يأكل أكلة فى الشهر وبعضهم فى ثلاثة أشهر وبعضهم فى ستة أشهر وبعضهم لا هذا ولا هذا كل ذلك راجع الى حال التنعم فى الخلوة كما تقدم (ومن) هذا الباب انقطع كثير من المريدين لانهم لم يحكموا الآداب فى الوصول الى هذا المقام فيريدون أن يتشبهوا بمن هو فيه فينقطعون وما ذاك الا أن هذا غذاؤه بالتنعم الذى هو فيه وقد مضت حكمة الحكيم سبحانه وتعالى ان هذا البدن لا قوام له الا بقوت فالقوت المعنوى الذى حصله هذا الذى تقدم ذكره أغناه عن القوت الحسى وهم لم يحكموه وتركوا القوت الحسى (وقد) قال الشيخ الامام أبو حامد الغزالى رحمه الله اعلم أن الله عز وجل قد تكفل لهذا الهيكل برزق لا قوام له الا به قال وهذا الرزق الذى تكفل به ليس من شرطه أن يكون محسوسا فتارة يكون محسوسا وتارة يكون معنويا أو كما قال ولاجل الجهل بتحصيل هذا القوت المعنوى حصل لبعض من يتعانى كثرة المجاهدة أشياء رديئة مثل العربدة أو الجنون ١ أو النشاف الى غير ذلك فمن تأدب بهذه الآداب المذكورة فى الخلوة يغلب الرجاء انه من الناجين والحمد لله رب العالمين (وقد) سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول انه قد كان دخل فى مجاهدة بنية أمد معلوم فلم تقدر نفسه على اتمام المدة وضاق ذرعه بذلك قال فأردت ان أفطر ثم حصلت لى عزيمة على ترك ذلك فلما ان شعرت نفسى بهذه العزيمة غشى عليها فرأيت فى تلك الغشوة كأن انسانا يطعمنى فأكلت حتى شبعت ثم سقانى فشربت حتى رويت ثم استفقت وأنا شبعان ريان فقمت أغتنم الطاعة مبتدرا بقوة ونشاط ففرغت المدة وأنا على ذلك الحال ثم بقيت بعد ذلك مدة أخرى كذلك ولو بقيت على ذلك بقية العمر لرأيت انى لا أحتاج الى غذاء بعدها لكن رجعت الى الغذاء خوفا منى على ترك السنة اذ أن السنة وردت بالغذاء (هذا الوجه) الذى ذكره رحمه الله (وفيه) وجه آخر وهو أنه لو تمادى على ذلك الحال لاشتهر أمره وعرفه الناس بذلك وهذا فيه ما فيه (وبالجملة) فبركة الخلوة لا تنحصر ولا تقف على حد ينتهى اليه كل على قدر حاله ومرتبته وأقل فوائدها بل أعظمها وزبدتها ما يحدثه الله عز وجل عند ذلك من الخشوع وتصاغر النفس والاحتقار بها وذلتها والاطلاع على مسكنتها وقلة حيلتها وفقرها واضطرارها الى سيدها ومدبرها (وقد) سأل سفيان الثورى الاعمش رحمهما الله تعالى عن الخشوع فقال يا ثورى أنت تريد أن تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع سألت ابراهيم النخعى عن الخشوع فقال يا أعميش تريد أن تكون اماما للناس ولا تعرف الخشوع ليس الخشوع بأكل الجشيم ولا بلبس الخشن وتطاطئ الرأس لكن الخشوع أن ترى الشريف والدنىء سواء وان تخشع لله فى كل فرض افترضه عليك اه (والغالب) ان هذا قل أن يحصل الا مع كثرة الخلوات فالخلوة نور ذلك كله وبهاؤه وعليها تقرر الاحوال السنيه والمراتب العليه فليشد عليها المريد يده ليحصل ما يترتب عليها من البركات والله الموفق للصواب

١ قوله أو النشاف بالتشديد كشداد من يأخذ حرف الرغيف فيغمسه فى رأس القدر ويأكله دون أصحابه اه قاموس

﴿فصل﴾ وآكد ما عليه في خلوته النظر في الجهة التي يقتات منها فليتحفظ على نفسه من الشبهات التي تطرأ عليه فيها اذ أن ذلك لا يخلو من وجوه (اما) أن يكون يعرف أصلها مثل أن يكون من كسب يده أو ميراث أو غيرهما من وجوه الحل فهذا قد لطف الله به اذ يسر له ذلك من وجه حل وانقطع بسببه الى الخلوات وبركاتها (واما) أن يكون ذلك من جهة ما يفتح الله تعالى به من الغيب فذلك على وجهين أحدهما أن يكون بغير واسطة والآخر بواسطة (فان كان) الاول فهو مثل القسم الذي قبله ملطوف به الا أنه قد يخشى على بعض من يقع له ذلك من الدسائس الواردة على النفوس وهي كثيرة لا تحصر (واما) القسم الثاني وهو أن يكون تيسير ذلك على يد مخلوق فهنا يحتاج الى تفصيل سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول أن ذلك ينقسم على أربعة أقسام (القسم الاول) يسر وبضر (القسم الثاني) عكسه لا يسر ولا يضر (القسم الثالث) يسر ولا يضر (القسم الرابع) عكسه يضر ولا يسر (فالقسم الاول) وهو الذي يسر ويضر هو الفتوح الذي يأتي من جهة فقير محتاج معتقد فان أنت قبلته منه سر بذلك وتضرر في نفسه لاجل فقره فهذا ينبغي للمريد أن لا يرزأه في شيء يرده عليه بسياسة حتى لا ينكسر خاطره أو يقبله منه ويكافئه عليه بما تيسر ويحذر ان يشوش عليه بدفع العوض له بل يعوضه دون أشعاره له بذلك (وأما القسم الثاني) وهو عكس الاول وهو الذي لا يسر ولا يضر فهو الفتوح الذي يأتي من عند من له جدة واتساع وهو مستور بلسان العلم وصاحبه ليس بمعتقد فان هو أخذه منه لم يسر بذلك ولم يضره أخذه منه فالمريد في هذا القسم مخير ان شاء أخذ وان شاء ترك وذلك راجع الى حسب حاله في الوقت ولو قدر على أن لا يأخذ منه شيأ كان أولى به وأرفع لمقامه لان هذه الطائفة ينبغي أن تكون يدهم هي العليا (كما جاء) في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اليد العليا خير من اليد السفلى وقد فسره في الحديث فقال اليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة (وقد) اختلف الناس في هذا (وكان) سيدي أبو محمد رحمه الله يقول ان المراد باليد العليا واليد السفلى السائلة والمسؤلة فان كنت سائلا في قبول معروفك فيدك سفلى وان كنت مسؤلا فيدك هي العليا (وكان) رحمه الله يستدل على ذلك بما ورد أن المكلف لا يخرج صدقة حتى يقف فيها الحاسبون شيطانا فاذا هم المكلف باعطاء صدقة واعتورته هذه الشياطين وغلبهم وأتاك بمعروفه فان أنت رددته عليه فقد أعنت الشياطين عليه وقد لا تسمح نفسه بعد ذلك أن يعطيها لغيرك فيحرم من هذا الخير العظيم وتجد الشياطين السبيل الى تقصير يده عن الصدقة وان أنت قبلت منه ذلك فقد أعنته عليهم وبئسوا منه فقد حصل لك بذلك الثواب الجزيل (واذا كان) كذلك فيد الآخذ هي العليا والحالة هذه (ثم) مع ما تقدم يحصل لاخينا المؤمن من الثواب في الدار الآخرة ما يعجز عن وصفه (يشهد) لذلك ما حكي أن شابا جاء الى شيخ هذه الطائفة وامامها الجنيد رحمه الله تعالى فقال له أنا جائع فهل من يطعمني فقام انسان ممن له اتساع فقال عندي فأخذ الشاب ومضى معه الى بيته وقدم له طعاما كان الشاب يشتهيه فمد يده فرفع لقمة وبقي بها في يده لحظة فقال له صاحب المنزل كل فاللقمة اذا أكلتها عندي خير من الدنيا وما فيها فوضع الفقير اللقمة من يده وخرج ولم يأكل عنده شيأ وأتى الى الجنيد فقال مثل مقالته الاولى فقام فقير فقال عندي فذهب معه فقدم له خبزا وبصلا فأكل حتى شبع ثم رجع فجاء الاول الى الجنيد فأخبره بما جرى فقال له اجلس فلما أن جاء الشاب سأله الجنيد هل أكلت قال نعم قال له وما أكلت قال خبزا وبصلا فقال له وما قدم لك هذا قال له قدم لي طعاما مفتخرا فقال له ما منعك من أكله فقال له كنت جائعا فرفعت اللقمة وأنا أتخير أي قصر آخذه في الجنة فبينما أنا كذلك واذا هو قد

قال اللقمة اذا أكلتها عندى خير من الدنيا ومافيها فاستحييت من الله تعالى أن آكل طعام رجل خسيس الهمة ليس له همة الا فى الدنيا فتركته ومضيت وأما هذا فنته أن لو كانت له الدنيا بحذافيرها فهو يستقلها تقدما أو كما قال (فهذه) الحكاية تشعرك بأن الآخذ من هذه الطائفة يده هى العليا اذ أنه فى حقيقة الامر يعطى مايبقى و يأخذ مايفنى فتأمل ذلك تجده صوابا وذلك محمول على انه مستور بلسان العلم وأما لسان الورع فهو أمر آخر وهو متعذر فى هذا الزمان غالبا فمن وقع له الحال على ذلك فالاولى له أنه لايخالط الناس و يقيم فى البرارى والقفار أو يكون خرق الله تعالى له العادة لايتكلم عليها (وأما القسم الثالث) وهو الذى يسر ولا يضر فهو الفتوح الذى يأتى على يد بعض الاخوان المعتقدين الذى يعرف سببهم وهم من أهل اليسار فان أخذت منهم دخل عليهم السرور بذلك ولا يتضررون به (فهذا) أحسن الاقسام كلها وأسلمها من الآفات المتوقعة (وأما القسم الرابع) وهو الذى يضر ولا يسر فهو ما كان من بعض الناس وهو متصف بوصفين أحدهما أن يكون محتاجا لما يعطيه والثانى عدم اعتقاد الدافع للمدفوع له فان أنت قبلت منه ما أتاك به تضرر بذلك لحاجته اليه ولا تدخل عليه سرورا لعدم اعتقاده لك (وقد كان) سيدى أبو محمد رحمه الله التزم فى نفسه طريقة غريبة نال من يقدر عليها من أصحابه وغيرهم الامن وفقه الله تعالى وقليل ماهم (وذلك) أنه كان لايقبل صدقة واجبة كانت أو تطوعا ولا يقبل شيأ من أرباب الخدم وان كان معتقدا وان قلت خدمته وان تحرز ما أمكنه ومن أهدى له من الاخوان المعتقدين فيختلف حاله فى ذلك فبعضهم يرد عليه ما أتى به و بعضهم يقبل منه ثم يعوض له عن ذلك بلطف وسياسة وما أتاه من جهة الاخوان المنسبين المعتقدين نظرا الى اكتسابهم فان كان مستورا بلسان العلم نظر فى حال صاحبه هل يدخل عليه سرورا بالاخذ منه أم لا فان ظهر له منه أنه سواء عنده أخذ منه أو رد عليه لم يأخذ منه شيأ وان ظهر له انه ينكسر خاطره عند الرد عليه و يتغير خاطره و يدخل عليه السرور حين الاخذ منه أخذ منه فان اتصف بهذه الصفة فهو الذى يقبل منه (وهذه) طريقة غريبة عزيزة لا يقدر عليها الا من كان مثله أو يقارب له لاجرم انه كان هو وأهله ومن يلوذ به من شظف العيش بحيث المنتهى فلقد كان يأخذ بفلس ليموتا فيأتدم به غدوة وعشية هو وأهله وقد بقى أهله فى بعض الايام لاشئ عندهم يقتاتون به فأخذ ثوبا ودخل به الى البلد ليبيعه فلم يدفع أحد فيه شيأ لانه كان من زى المغاربة فرده وجاء الى المسجد ولم يدخل البيت خشية من الاولاد أن ينقطع رجاؤهم من القوت اذ ذاك فيزيد قلقهم فجلس فى المسجد حتى صلى العشاء الاخيرة رجاء أن يكون الاولاد قد ناموا فلما أن دخل عليهم وجدهم وهم مسرورون يكثرون من شرب الماء فسألهم عن ذلك فقالوا كأن كل واحد منا أكل خروفا وهم فى الشبع بحيث لايحتاجون الى زيادة على ماهم فيه وبقى أمرهم كذلك مدة حتى فرج الله عنهم (وأنواع) هذا كثيرة وهو باب لايقدر عليه الا الافراد من الاولياء لانه وان صبر فى نفسه فالاهل والاولاد لا يصبرون فى الغالب فان وجد ذلك فهو من باب الكرامات (ولأجل) هذا المعنى قال سيدى أبو مدين رحمه الله العارف من أخذ نفسه بالورع وأطلق غيره فى ميدان العلم وما تقدم وصفه فهو من هذا القسم نفعنا الله بهم ورزقنا التصديق بأحوالهم اذ لم نكن أهلا للاقتداء بهم اللهم لاتحرمنا من بركاتهم بمنك بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

﴿فصل﴾ فى ذكر ما ابتلى به بعض من ينسب الى طريق القوم وغيرهم ممن تعلقت خواطرهم بفعل الكيمياء واستخراج ما فى الارض من الاموال المدفونة فيها وهى التى اصطلحوا على تسميتها بالمطالب وليحذر مما يفعله بعض الناس فى هذا الزمان من تعاطيهم استخراج ما فى الارض مما تقدم ذكره وهذا

قبيح لوفعله بعض العوام فهو فى حق المريد أقبح وأشنع اذ أنه خلف الدنيا وراء ظهره وأقبل على الآخرة بكليته لا مطلب له سواها وتعلق خاطره بما تقدم ذكره يشهد بكذبه فى طريقه من دعواه الانقطاع الى الله تعالى والتوجه اليه مع ان من تعلق خاطره بهذا فالغالب عليه فيما يظهر الفقر المدقع والديون الكثيرة ومخالطة من لا يرضى حاله فى دينه ودنياه وذلك سبب كبير الى وقوع الناس فى عرض من اتصف بذلك بسبب تعاطيه ما يوقع الناس فيه فيكون شريكا لهم فى اثم وقيعتهم فيه وقد يؤول أمر فاعل ذلك الى الحبس والاهانة وغير ذلك مما هو معلوم من العوائد الجارية فى ذلك كله ولو لم يكن فيه من الذم الا أن من تعلق خاطره بذلك فهو متصف بحب الدنيا ومن أحب الدنيا فهو قال للآخرة اذ أنهما ضرتان متنافرتان فهما أقبل الانسان على احداهما أضر بالاخرى ولو لم يكن فيه من الذم الا ما ورد من أحب الدنيا ينادى عليه يوم القيامة هذا أحب ما أبغض الله (وقد) تقدم فعل السلف رضى الله عنهم فى هربهم من الدنيا خيفة منهم على أنفسهم منها ومن طلب شيأ مما تقدم ذكره فهو مستشرف لطلبها وذلك مذموم يذهب بجميع خاطره واشتغاله عن أمر دينه ودنياه بل كانوا يعدون الدنيا اذا أقبلت عليهم عقوبة نزلت بهم وقد مضت حكاية أبى الدرداء رضى الله عنه فيما جرى له فى العطاء الذى أتاه وعلى هذا درج فعل السلف والخلف رضى الله عنهم (وقد) حكى فى الاسرائيليات أن عيسى عليه الصلاة والسلام مر فى سياحته ومعه الحواريون بموضع فيه ذهب كثير فنظر عيسى عليه الصلاة والسلام اليه وقال لمن معه من الحواريين انظروا الى هذا القاتول ومر فى سياحته فتخلف ثلاثة منهم وقالوا الى أين هذا المقصود أو كما قالوا فقسموا ذلك أثلاثا فجاس اثنان يحرسان ذلك وأرسلا ثالثهما الى البلد ليأتى بالدواب والاعداد ما يأكلونه فلما أن مضى لذلك تحدث الاثنان فيما بينهما فقالا لو كان هذا المال بيننا لكان أولى ثم قالا وكيف الحيلة فاتفقا على انه اذا جاء يقومان اليه ويقتلانه ويبقى المال بينهما نصفين وقال الثالث الذى ذهب الى قضاء الحاجة مثل قولهما فقال لو كان ذلك المال كله لى لكان أولى ثم قال وكيف الحيلة فخطر له أن يعمل سما فى الغذاء الذى يأتى به فيأكلانه فيموتا فيأخذ المال كله لنفسه ففعل فلما أن أقبل على صاحبيه وثبا اليه فقتلاه ثم أكلا ما أتى به من الغذاء فما تا فبقى الثلاثة هناك مطروحين فلما أن رجع عيسى عليه الصلاة والسلام من سياحته ومر بهم فوجدهم هناك طرحى فقال للحواريين ألم أقل لكم هذا القاتول (وقد) تقدم قوله عليه الصلاة والسلام أن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (ولاشك) أن من اتصف بما تقدم ذكره يربو على المستشرف فترتفع البركة منه فطلب المريد وغيره لهذه الاشياء على تقدير حصولها يذهب البركة منها والمقصود حصول البركة وانها اذا عدمت من الشئ لو كان ملء الارض ما أغنى صاحبه لعدمها منه (وقد) حكى الامام الجليل الحافظ أبو نعيم الاصفهانى رحمه الله فى كتاب الحلية له فى ترجمة طاوس بن كيسان رحمه الله باسناده الى ابن طاوس عن أبيه قال كان رجل له أربع بنين فمرض فقال أحدهم اما أن تمرضوه وليس لكم فى ميراثه شئ واما أن أمرضه وليس لى فى ميراثه شئ قالوا مرضه وليس لك فى ميراثه شئ قال فمرضه حتى مات ولم يأخذ من ميراثه شيأ قال فأتى فى النوم فقيل له أثبت مكان كذا وكذا فخذ منه مائة دينار فقال فى نومه أفيها بركة قالوا لا فلما أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت امرأته خذها فان من بركتها أن تكتسى بها ونعيش منها فأبى فلما أمسى أتى فى النوم فقيل له أثبت مكان كذا وكذا فخذ منه عشرة دنانير فقال أفيها بركة قالوا لا فلما ان أصبح ذكر ذلك لامرأته فقالت له مثل مقالتها الاولى فأبى

أن يأخذها فاتى فى الليلة الثالثة فقيل له ائت مكان كذا وكذا فخذ منه دينارا قال أفيه بركة قالوا نعم فذهب فأخذ الدينار ثم خرج به الى السوق فاذا هو برجل يحمل حوتين فقال بكم هما قال بدينار قال فأخذهما منه بدينار ثم انطلق بهما الى بيته فلما دخل بيته شق بطنهما فوجد فى بطن كل واحدة منهما درة لم ير الناس مثلها قال فبعث الملك يطلب درة ليشتريها فلم توجد الا عنده فباعها بوقر ثلاثين بغلا ذهبا فلما رآها الملك قال ما تصلح هذه الا لاختها فاطلبوا اختها وان أضعفتم قال فجاءوه فقالوا أعندك أختها ونعطيك ضعف ما أعطيناك قال وتفعلون قالوا نعم قال فاعطاهم اياها بضعف ما أخذ وبه الاولى والله سبحانه وتعالى أعلم (فانظر) رحمنا الله واياك الى هذه البركة ما أعظمها أين هذا من المائة دينار التى عرضت عليه أولا (فالحاصل) من هذا ان البركة كامنة فى امتثال السنة حيث كانت لان من فعل مثل هذا فالاستشراف منه بعيد واذا عدم الاستشراف حلت البركة (ولاجل) هذا المعنى تجد كثيرا من أهل هذا الشان الغالب عليهم شظف العيش وقلة ذات اليد ثم انهم مع ذلك لا يسبقهم غيرهم فى أمر الآخرة وماذاك الا لوجود البركة الحاصلة معهم فيما يتناولونه من أمر الدنيا لعدم استشرافهم لدنياهم واهتمامهم بأمر دينهم والوقوف بباب ربهم والتضرع اليه ولزوم الامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه والنزول بساحة كرمه (وقد) سمعت سيدى أبا عبد الله الفاسى رحمه الله يقول أنه كان بمدينة فاس وكان يحب بعض الفقراء فرآه مرة وهو يبكى ويتضرع ويسأل الله تعالى أن يرفع عنه ما نزل به فسألته عن موجب ذلك فأبى عن اجابته فبقى كذلك أياما ثم سرى عنه فرجع الى حالته الاول قال فسألته عن موجب بكائه وسروره فقال انى كنت أجمع بين الماء والاحجار فى الاستنجاء فابتليت بانى اذا أخذت حجرا استجمر به أجده ذهبا فأرميه وآخذ غيره فأجده كذلك ثم كذلك فضاق ذرعى من ذلك لما نزل بى فبقيت أتضرع الى الله تعالى فى دفعه حتى أزاله عنى فصرت آخذ الحجر فأجده حجرا كما هو (وقد حكى لى) رحمه الله أيضا عن نفسه انه كان بمدينة فاس قال فكنت أخرج من البلد فأرى عند السور صندوقا مفتوحا مملوأ ذهبا قال فكنت أولى وجهى عنه فلما ان كان فى بعض الأيام التفت اليه واذا بيد من الهواء لطمت وجهى فرددته الى الناحية الاخرى فتبت الى الله تعالى أن لا ألتفت اليه بعد (وقد حكى) عن بعضهم أنه كان لا يبيت على معلوم حتى يخرجه عنه وهو مع ذلك يرى فى المنام كل ليلة قائلا يقول له انك لبخيل ويكرر ذلك عليه مرارا فلما ان كان ليلة وقيل له ما قيل آلى على نفسه أنه اذا فتح له من الغد بشئ يعطيه أول من يلقاه كائنا ما كان فلما ان كان من الغد فتح له بخمسمائة دينار فاول من لقيه من الغد شاب وهو عند مزين يحلق له رأسه فأعطاه الصرة فقال له الشاب لا حاجة لى بها عندى قوت يومى فقال له اعطها فى أجرة المزين فقال له المزين قد دخلت على هذا العمل لله تعالى فلا آخذ عنه عوضا فقال له خذها لك دون أجرة فقال له لا حاجة لى بها فقال له هى خمسمائة دينار فقال له المزين اما قد قيل لك انك لبخيل فوجد فى نفسه وجدا شديدا وأخذ الصرة فرمى بها فى الفرات (فاذا قيل) لمثل هذا بخيل فيا لك بمن ينسب الى الطريق ويطلب المطالب ثم يزعم انه على الطريق المستقيم هيهات هيهات ليس الأمر كما رأيتنا ولا لما اصطلحنا عليه من عوائد نا ولا لما يخطر من الهواجس فى أنفسنا بل المشى على الطريق المستقيم الذى وقع من السلف الماضين وقد مضى ذكر بعض أحوالهم (وليس) لقائل أن يقول أن ما ذكرته وما لا يليق بهذا الزمان لغلبة البخل فيه وقلة البركات بخلاف زمان السلف الماضين (اذ) أن الزمانين سواء بالنسبة الى الانقطاع الى الله تعالى والنزول بساحة كرمه مع أن ما تقدم ذكره عن الشيخ ابى عبد الله الفاسى فى هذا الزمان وقع مثله كثيرا من غيره وقد تقدم

قوله عليه الصلاة والسلام ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه اه (ولاشك) أن من اتصف بما تقدم ذكره أعظم من المستشرف فترتفع البركة عنه من باب أولى (ثم) انظر رحمنا الله واياك الى مخالفة السنة ما أكثر قبحها وبشاعتها (الا ترى) الى ما وقع بسبب ما تقدم ذكره فقد جر ذلك الى تسليط بعض الناس على هدم كثير من بيوت المسلمين ومساجدهم بسبب حفرهم على ذلك فمن كانت له شوكة فعله جهارا سواء كانت مسجدا أو غيره من املاك المسلمين ومن لم تكن له شوكة عمل الحيل الكثيرة على ذلك حتى تخرب وتهدم وهذا ضرر عظيم حتى صار بعض أهل الاديان الباطلة اذا أراد أن يخرب مسجدا أو دار المسلم بينه وبينه عداوة كتب فى ورقة أن موضع كذا فيه كذا وكذا وينكتب تاريخها قديما ويبخرها حتى تبقى كأنها ورقة عتيقة ثم يعلقها فى موضع من يعلم انه يفعل ذلك بسبب قدرته عليه اما بيده الباطشة أو كثرة التحليل فكان ذلك سببا لتخريب مساجد المسلمين ودورهم (بذلك) على ذلك ان أكثر اليهود والنصارى قيل ان تحفر لهم دارا أو كنيسة أو بيعة والكل فى بلد واحد وموضع واحد (ثم) ان بعض أهل الاديان اذا عجز واعن تخريب المساجد والدور تسلطوا على تعب المسلمين فى أبدانهم وخسارتهم فى أموالهم فيكتبون أوراقا فى ذروة الجبل الفلانى من الناحية الفلانية منه كذا وكذا اذا حفرت فيه كذا وكذا وقست كذا وكذا تجد فيه كذا وكذا وفى ورقة أخرى الغار الفلانى فى جهة كذا وكذا منه تحفر قدر كذا وكذا فتجد كذا وكذا الى غير ذلك وهو كثير وكل هذا باطل (ثم) على تقدير أن يكون شئ من ذلك صحيحا فعليه المهالك الكثيرة لان من فعل ذلك اغتر بما هو من الامم الماضية فلم يضعوا شيأ الا وقد أحاط به مهالك عظيمة فقل أن يصل أحد الى ذلك الا بعطبه وعطب غيره (ثم) ان ما يوجد من ذلك فى الارض فلا يخلو اما ان يكون فى فيافى الارض من أرض العرب فذلك فيه الخمس يصرف فى وجوهه وباقيه لواجده سواء كان ذلك ذهبا أو فضة أو لؤلؤا أو نحاسا أو حديدا أو رصاصا كل ذلك سواء فيه الخمس والذى يؤخذ منه الخمس ثلاثة هذا واحد منها والثانى الندرة توجد فى المعدن بغير مؤنة أو بمؤنة يسيرة والثالث الغنيمة (واما) ما يوجد فى غير أرض العرب فلا يخلو ذلك من وجهين أحدهما أن يكون ذلك الموضع أخذ عنوة والثانى أن يكون أخذ صلحا فان كان عنوة فهو لتلك الجيوش الذين فتحوا ذلك الموضع ثم لاولادهم ثم لاولادهم وذلك موجود فى الغالب اذ أن أولاد الصحابة موجودون بين اظهرنا فى هذا الزمان وان كانت صلحا فما يوجد فى ذلك المرضع فهو لأهل الصلح فان عدموا فلاولادهم ثم لاولادهم وهم أيضا موجودون وهلم جرا والمسئلة فروع موجودة فى كتب الفقهاء (فالحاصل) من هذا ان واجده ليس له فيه شئ الا التعب واشغال ذمته بشئ كانت عنه فى غنى وقد يكون ذلك سبب هلاكه واذا كان ذلك كذلك فالعاقل اللبيب يتعين عليه الفرار من هذا وماشاكله اذ أن غنيمة المسلم انما هى براءة ذمته ومن اشتغلت ذمته قل أن يتخلص فالسعيد من لجأ الى الله تعالى فى اعانته على ذلك فانه الكريم المنان اللطيف الرحمن

﴿فصل﴾ وأما الاشتغال بتحصيل علم الكيمياء فهو من الباطل البين والغش المتعدى ضرره لاهل زمانه ومن بعدهم وذلك ان من فعلها فقد خاط على الناس أموالهم وبخسها عليهم اذ أنهم مختلفون فى فعلها (فمنهم) من يعملها ولا علم عنده انها تتغير بعد زمان وذلك الزمان يختلف بحسب القلة والكثرة (وكثير منهم) من يعلم انها تتغير ويغش الناس بها فيشغلون ذمتهم بأموالهم وكل ذلك حرام محت (ومنهم) من يزعم أنها لا تتغير وهو بعيد ولو قدرنا عدم تغيرها فذلك لا يجوز أيضا لان الذهب المعدنى والفضة المعدنية ينفعان لامراض ولهما خاصية فى الادوية وغيرها يعود بالضرر على المريض فيزيده

مرضا أو يموت بسببه لانه لابد أن يكون فى غير المعدن عقاقير قد يسقم بعضها أو قد يقتل بعضها فعلى هذا فكل من تعاطى شيأ من ذلك فقد شغل ذمته باموال الناس ودمائهم (وقد) سمعت سيدى أبا محمد رحمه الله يقول ان صرفها لا يجوز حتى يبين انها من عمل يده وليست بمعدنية وهذا الذى قاله رحمه الله من اجازة ذلك بعد البيان لا يسوغ فى هذا الزمان بسبب انه أن بين هو فمن صارت اليه فالغالب انه لا يبين والاحتراز من هذا متعذر (هذا وجه) (ووجه ثان) وهو انه ان بين انها من صنعة يده تمزق عرضه والغالب انه يؤول الى سفك دمه واذا كان كذلك فلا يعدل بالسلامة شئ (فاذا) سلم من الاتصاف بطلب المطالب والكيمياء فليحذر من خلطة من يتعانى ذلك أو يشار اليه بشئ ما فان ذلك سبب لاستشراف نفسه بسبب سماعه منهم ما يخوضون فيه وذلك يذهب بهاء عزة الفقر وعزة الاياس اذ لابد لمن خالطهم ان يشغف بشئ ما من حالهم ولو قل وذلك شغل للقلب عما هو فيه من التوجه والاقبال على المولى الكريم فيتعين على من تعلق بالارادة الهرب الكلى ممن يشار اليه بشئ من ذلك لان حال المريد نظيف جدا والنظيف أقل شئ يقابله من الوسخ يؤثر فيه (الا ترى) أن الثوب المصبوغ فى الغالب لا يؤثر فيه ما وقع فيه بخلاف الثوب الرفيع الابيض النظيف فان أقل شئ من ذلك يدنسه (ولهذا المعنى) يقال فى صفتهم قلت ذنوبهم لمعرفتهم من أين أصيبوا وكثرت ذنوب غيرهم فلم يعرفوا من أين أصيبوا (والكيميا) على الحقيقة انما هى الرجوع الى المولى سبحانه وتعالى والنزول بساحة كرمه وطلب العبد منه ما يحتاج اليه من ضرورته لانه عز وجل كما ورد فى الحديث يستحى أن يرد يدى سائله صفرا (وقد) قال عروة بن الزبير رضى الله عنه انى لادعو الله فى صلاتى لحوائجى كلها حتى الملح لعجينى وقد أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام يا موسى سلنى حتى الملح لعجينك فوعزتى وجلالى لئن منعتنك فلا أحد يعطيك اياه أو كما قال (وقد) روى الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسعه اذا انقطع (فسبيل) العبد طلب حوائجه من ربه عز وجل فان جاع يقول يارب أنا جائع وكذلك ان عطش أو تعرى الى غير ذلك من حوائجه كلها فى جلب النفع ودفع الضرر (قال) الله تعالى فى محكم كتابه العزيز أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض (وقال تعالى) ومن أصدق من الله حديثا (وقال) ومن أصدق من الله قيلا (فالعاقل) اللبيب من شمر عن ساعد يه وتوكل فى الحقيقة على ربه وأناب اليه (فاذا) حصل للمريد هذا الحال فلو عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ما قبلها ولا أقبل عليها لما حصل عنده من الاستغناء بربه عز وجل وحسن نظره له اذ أن مفاتيح هداياه لا تنحصر ولا ترجع الى كانون معلوم لانه عز وجل لا يأخذه حصر ولا يقال فى حقه أين ولا كيف فكذلك ما ستره سبحانه وتعالى عن عبده من عطاياه الجمة وهداياه التى لا حصر لها (وقد حكى) عن بعضهم انه اصابته ضرورة وجوع شديد فتضرع الله سبحانه وتعالى فى خلوته وطلب منه العطاء فسمع هاتفا وهو يقول أتريد طعاما أو فضة فقال بل فضة واذا بصرة بين يديه فيها أربعمائة درهم (وقد حكى) عن بعضهم انه كان اذا طلب منه شئ أدخل يده فى جيبه وأخرج ما طلب منه وكان أصحابه ينظرون الى جيبه ويقطعون بأنه لا شئ فيه ثم انه مع ذلك اذا طلب منه شئ فى الحال أدخل يده فى جيبه فأخرج منه ما طلب منه فسئل عن ذلك فأخبر أن الخضر يأتيه بكل ما يطلب منه (وقد سمعت) سيدى أبا محمد رحمه الله يحكى انه كان يحبه رجل من أهل الخير والصلاح يعرف بأبى عبد الله بن الطفيل وكان صاحب عائلة وفقر وكان الناس فى سنة شديدة وغلاء فجاءه ليلة بعد أن صلى العشاء الآخرة فى جماعة الى بيته فوجد أولاده يبكون فقال لامهم مم يبكون فقالت

من الجوع قال فتركتهم على تلك الحالة وطلعت على سطح البيت ومرغت خدى على الارض وقلت يارب هؤلاء يبكون الى وأنا أبكى اليك اعطنا شيأ نأكله قال فاذا صحابة قد طلعت فجاءت فعمت الدار فامطرت فولا على الدار وحدها قال فنزلت الى الاولاد وأخبرتهم فطلعوا فأكلوا حتى شبعوا وثم بقى عندهم يأكلون منه الى ان دخل القمح الجديد (وقد تقدمت) حكاية سيدى الشيخ أبى محمد رحمه الله فى انه بقى فى وقت لايحتاج الى أكل ولا شرب قال ولو بقيت كذلك لم أحتج الى شئ طول حياتى لكن رجعت الى الاكل من طريق الامتثال للسنة لاغير (فمن) رجع الى الله تعالى فطرق الفتح له متعددة فى كل زمان وأوان (ولاحجة) لمن يقول ان هذا زمان وذاك زمان (لان) المعطى فيهما واحد لايتغير ولايزول (والمحب) ممن يتوكل على الله فى نجاته من النار وجوازه على الصراط وشربه من الحوض ودخوله الجنة الى غير ذلك ولا يتوكل عليه فى كسيرات يقيم بها صلبه وفى ثوب يستر به عورته (ولاجل) هذا المعنى كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول لو كان الايمان يسوق يباع فيه لما ساوى ايمان أحدكم كسيرة فيسئل عن ذلك فيقول كل واحد منا يتوكل على الله تعالى أن ينجيه من جميع أهوال يوم القيامة بسبب ايمانه ويقول فضل الله أعظم ورحمته أوسع ثم ان الايمان الذى أعده لنجاته من تلك الاهوال ماخلصه للتوكل على الله تعالى فى كسيرات يقيم بها صلبه ويقول لابد من السبب فلو انقطع عنه السبب أيس وضجر وشكا وبكى فاذا لم يخلص ايمانه فى هذا النزر اليسير فكيف يخلصه مما بين يديه من الاهوال ففضل الله أعظم ورحمته أوسع فى هذا النزر اليسير من باب أولى وأوجب لقوله عليه الصلاة والسلام ان تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب لكن المولى سبحانه وتعالى يبتلى خلقه لينظر كيف يعملون ليقع الجزاء وفاقا كما قال سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فالسعيد من كان فرحا مسرورا بربه وبحكمه وبارادته ماقتا الاحوال نفسه ورأيه وتدبيره اللهم لاتحرمنا ذلك بمنك انك على كل شئ قدير وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم

﴿فصل فى دخول المريد الخلوة﴾ وينبغى للمريد أن لايدخل الخلوة بنفسه لان الخطر فى ذلك عظيم لما يخشى عليه من القواطع الرديئة مثل ماتقدم ذكره من حصول عربدة أو جنون أوفعل نشاف أوغير ذلك من المهالك لان الخطر فيها كثير متعدد (وقد قال) لقمان عليه السلام فى وصيته لولده يابنى عليك بذوى التجارب اه لان من جرب قد دخل فى المخاضة وعرفها وعرف موضع السلامة فيها وموضع العطب فعلم مايتجنب منها ومايحذر ومايتقى أن يفعل ومايستعان به

﴿فصل﴾ وآكد ماعليه فى خلوته التعلق بربه والسكون اليه وانقطاع رجائه ممن هو مخلوق مثله (ومن) كتاب سير السلف للامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصبهانى رحمه الله وقد قال شقيق البلخى رحمه الله من أراد أن يعرف معرفته بالله فلينظر الى ماوعده الله ووعده الناس بأيهما قلبه أوثق (وقال) اتقى الاغنياء فانك متى عقدت قلبك معهم وطمعت فيهم فقد اتخذتهم ربا من دون الله (وقال) اذا أردت أن تكون فى راحة فكل ماأصبت والبس ماوجدت وارض بما قضى الله عليك (وقال) من دار حول الشهوات فانه يدور بدور جاته فى الجنة أيا كلها فى الدنيا (وقال) يحيى بن معاذ الرازى العبادة حرفة وحوانيتها الخلوة ورأس مالها الاجتهاد بالسنة وربحها الجنة (وقال) الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص (وقال) اجتنب صحبة ثلاثة أصناف من الناس العلماء الغافلين والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين (وقال) الزهد ثلاثة أشياء القلة والخلوة والجوع (وقال) على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله يخافك الخلق وعلى قدر شغلك بالله يشتغل فى أمرك الخلق

(وقال)

(وقال) أبو حفص عمر النيسابوري لو أن رجلا ارتكب كل خطيئة ما خلا الشرك بالله وخرج من الدنيا سليم القلب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر له قيل يا أبا حفص هل لهذا في القرآن من دليل قال بلى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فاتباعه محبة أصحابه لاجله وقال أبو القاسم الحكيم السمرقندي كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مغتر بالثناء عليه وكم من مفتون بالستر عليه (وقال) أبو تراب النخشبي رحمه الله الفقير قوته ما وجد ولباسه ما ستر ومسكنه حيث نزل (وقال) حقيقة الغنى أن تستغني عمن هو مثلك (وقال) الذي منع الصادقين الشكوى الى غير الله الخوف من الله (وكتب) أبو الابيض كتابا الى بعض اخوانه سلام عليك ورحمة الله وبركاته واني أحمد الله الذي لا اله الا هو أما بعد فانك لم تكلف من الدنيا الا نفسا واحدة فان أنت أصلحتها لم يضرك فساد غيرها وان أنت أفسدتها لم ينفعك صلاح غيرها واعلم أنك لن تسلم من الدنيا حتى لا تبالي من أكلها من أحمر وأسود (قال) شقيق ابن ابراهيم البلخي رحمه الله تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء في أخذه ومنعه وكلامه (وقال) دخل الفساد في الخلق من ستة أشياء أولها ضعف النية في عمل الآخرة والثاني صارت أبدانهم رهينة بشهواتهم والثالث غلبة طول الامل على قرب أجلهم والرابع اتبعوا أهواءهم ونبذوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم والخامس آثروا رضى المخلوقين فيما يشتهون على رضى خالقهم فيما يكرهون والسادس جعلوا أدلاء السلف دينا ومناقب لانفسهم (وقال) حاتم الاصم الزم خدمة مولاك تأتيك الدنيا راغمة والجنة راغبة اه (وينبغي) أن يكون دخول المريد الخلوة على يد شيخ متمكن في العلمين علم الحال وعلم السنة ان أمكنه ذلك ولا يدخل بنفسه كما تقدم (واذا) كان ذلك كذلك فالشيخ لا يخلو حاله من أحد أمرين (اما) أن يكون عنده من المكاشفات وخرق العادات ما يعد به المريد في خلوته فان كان كذلك فهو الكبريت الاحمر الذي لا يفوقه غيره والسلامة بل الغنيمة موجودة على يده متيسرة لانه يعرف مزاج المريد وقدر ما يحمل من المجاهدات وقدر ما يشق عليه منها وقدر ما يخاف عليه ومن سعادة المريد ان وجد من هذه صفته (واما) أن يكون الشيخ ليس من أهل المكاشفات ولا ظهور خرق العادات فلا بد أن يكون عنده العلم حاصلا بالتجربة لانه قد جرب ذلك واطلع على المفاسد والمصالح وما يليق بالمريد في خلوته وما يقع له من جهة العادات (والحذر) الحذر أن يدخل بنفسه خيفة من مواضع العطب (وأعني) بدخول الخلوة هنا ما يستعمله المريد من المجاهدات وأما لو خلا بنفسه دون مجاهدة فلا يحتاج هذا الى شيخ يسلكه بل لسان العلم قائم عليه مطلوب به في الخلاء والملأ لا فرق اذ ذاك في حقه مع أنه اذا اتبع لسان العلم في هذا الزمان في خلوته وجلوته فهو ولي وقته لاجل حال الزمان فما أسعده ان قدر على ذلك وهذه الطريقة هي طريقة السلف الماضين رضي الله عنهم أجمعين أعني ترك دخول الخلوة على نظام معلوم (ألا ترى) أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يربي أصحابه تحت ظلال السيوف وفي الاسواق يحترفون وفي الحوائط يعملون (وانما) حدثت الخلوات على يد المربين بعد انقراضهم رضي الله عنهم (وكان) سيدي أبو محمد بن أبي جمرة وسيدي أبو محمد المرجاني رحمهما الله يقولان انما جعلت الخلوة للسنات الابكار اه (وانما) جعلت للمريدين لما أن كثرت الفتن والمخالفات فاحتاج المريدون اذ ذاك الى الفرار لاجل صلاح دينهم وقلوبهم وخواطرهم وليس لهم السبيل الى ذلك الا بدخول الخلوات والفلوات (والمقصود) أن لا يدخل الخلوة المعهودة عند السالكين الا بعد المعرفة بمصالحها ومفاسدها والدسائس التي نظر أعليه فيها (فان) كان على يد شيخ فيشترط في الشيخ أن

الادلاء بوزن الاحوال ومعناها اه

يكون عارفا بحال المريد وما ينقلب فيه من الاطوار وما يليق بحاله كما تقدم لان الشيخ له مراتب عديدة وكذلك المريد مثله (وألخص من ذلك) ما سمعت سيدى أبا محمد يقوله نظر الادنى بعين الادنى يوجب الهلاك ونظر الاعلى بعين الادنى يوجب الحيرة ونظر الاعلى بعين الاعلى هو السمو والرفعة ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب التعب له ولاتباعه ونظر الاعلى للادنى من جنسه يوجب الراحة له ولاتباعه اه (أما قوله) نظر الادنى بعين الادنى يوجب الهلاك (فمثاله) النظر الى الدنيا وزنتها بعين التمنى والاشتهاء فذلك يوجب الحرص والحسد والتقاطع والتدابر وهو عين الهلاك (قال) الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه وكذلك أيضا النظر الى أهل المعاصى لانك اذا نظرت اليهم فان كنت على معصية فبالنظر لمن يفعل ما هو أكبر منها يهون عليك ما أنت فيه من المخالفة و يصغر فى عينك ذنبك فيكون ذلك سببا الى الزيادة فى المعصية وهذا هو عين الهلاك نعوذ بالله من ذلك (وأما قوله) ونظر الاعلى بعين الأدنى يوجب الحيرة (فمثاله) المبتدى ينظر الى أهل النهايات فيريد أن يتشبه بهم فى تعبدهم وتصرفهم مرة واحدة فانه لا يستطيع ذلك ومن تناهى فى ذلك الشان لم يكن أخذه لذلك مرة واحدة وانما هم يأخذون الشئ اليسير ويقتصرون عليه ثم يزيدون على ذلك قليلا قليلا حتى يحصل لهم من العلم والتعبد أو فر نصيب وتستغرق أوقاتهم فى ذلك وهم لم يشعروا به ولم يتعبوا فيه لرفقهم وسياستهم (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ما كان الرفق فى شئ الا زانه وما كان الخرق فى شئ الا شانه (وقال) عليه الصلاة والسلام علموا وارفقوا (اللهم) الا من ندر من الفضلاء فدخل فى ذلك مرة واحدة فذلك محمود وما ندر لا يحكم به نعم اذا وقع للمرء هذا الحال فلا ينبغى له التشبث بما قد ذكر وانما الكلام فيمن بقى مع نفسه فشأنه ما تقدم عن أحوال من تقدم ذكرهم كيف كان كسبهم ولم اكتسبوه وان لم يفعل ذلك تحير فى طريقه وحير من لا ذبه هذا هو عين الحيرة نعوذ بالله من ذلك (وأما) قوله ونظر الاعلى بعين الأعلى هو السمو والرفعة (فمثاله) الرجل العالم ينظر لمن هو أعلم منه فيعمل على أن يصل الى ما وصل اليه فيجتهد فى طلب العلم والرجل الصالح ينظر لمن هو أصلح منه فيجتهد فى التعبد و يزيد فى عمله على ما تقدم بالرفق والسياسة حتى يلحق بمن نظر اليه (ولهذا) المعنى الذى أشار الشيخ اليه قال عليه الصلاة والسلام خصلتان من كانتا فيه كتب عند الله شاكرا صابرا أن ينظر فى الدين لمن هو أعلا منه فيقتدى به وأن ينظر فى الدنيا لمن هو أقل منه فيحمد الله الذى فضله عليه هذا هو السمو والرفعة اللهم من علينا بذلك ولا تجعل حظنا منه الكلام بحمدك وآلائه (وأما قوله) ونظر الاعلى للادنى بعين الاعلى يوجب التعب له ولاتباعه (فمثاله) من كان من أهل الفضل والخير واقامه الله فى مقام من مقامات أهل النهايات اذا جاءه أحد ممن يريد أن يرجع الى الله و يتوب يريد من حينه أن يحمله على المقام الذى هو فيه من غير سياسة تقع له قبل ذلك ولا تدريج هذا هو التعب مع نفسه لا شك فيه لانه يريد أن يحمل الناس على طريقه وهم لا يساعدونه على ذلك ومن تبعه فى التعب أكثر لانهم يدعون الى مقام لا طاقة لهم به ولا يقدرون عليه (ولاجل) هذا المعنى كان كثير من أهل السبق والخير اقتصر خيرهم على أنفسهم ولم ينتفع بهم من لا ذبهم و يخدمتهم أعنى فى الاقتداء واما البركة فلا بد من حصولها غالبا للحديث الوارد هم القوم لا يشقى بهم جليسهم نسأل الله أن لا يحرمنا من بركاتهم بمنه (وأما) قوله ونظر الاعلى للادنى من جنسه يوجب الراحة له ولاتباعه (فمثاله) الرجل الصالح المتمكن فى طريقه اذا جاءه أحد ممن يريد التوبة والرجوع أخذه باللطف والرحمة واقبل عليه وساس حاله برأيه السديد وتدبيره الرشيد فينظر له من جنسه على لسان العلم ما يصلحه وما

هو العون له على ما أراد ثم يرقيه بعد ذلك شيأ فشيأ حتى قد يبلغ فى أقل زمان الى المرتبة العليا بحسن تدبير هذا السيد وسياسته اياه (وصاحب) هذا الحال هو أعظم من تقدم وأفضلهم وهو الجارى على السنة لان الله عز وجل لم ينزل الفروض أولا مرة واحدة ولا أمر بالقتال أولا وانما أمر أولا بالتوحيد لا غير وأمر نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بسياسة الناس واللطف بهم فقال تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ثم لما أن ظهر المشركون على المؤمنين أمر عز وجل نبيه عليه الصلاة والسلام بالخروج من مكة الى المدينة ولم يأمره بالقتال ثم لما أن كثر المؤمنون وظهرت الكلمة نزلت الفروض شيأ فشيأ فلما أن تقرر لهم الدين وتقوى أهل الاسلام فعند ذلك أمر عز وجل بالجهاد باللسان قبل الامر بالقتال فقال عز وجل أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن فلما أن تقوى الامر أكثر من ذلك أمر عز وجل بقتال الاقربين من الكفار فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فلما أن تقوى الامر وظهر أمر الله عز وجل بالقتال مطلقا فقال عز وجل وقاتلوا المشركين كافة ثم ان الفروض لم تتم الا فى حجة الوداع قال تعالى فيها اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى (فهو) سبحانه وتعالى العالم بعباده وبما يصلحهم فلو كان أمرهم ومخاطبتهم أولا بالقتال وبجملة الفروض فيه مصلحة ومنفعة لهم لأمر بذلك أولا ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (وصاحب) الحال الذى أشار الشيخ رحمه الله اليه أخيرا مضى على هذا الأسلوب فانتفع بنفسه واستراح وانتفع الناس به ووجدوا الراحة فى ذلك على يديه وهذا هو الاصل وعليه العمل (وقد) قال عليه الصلاة والسلام خاطبوا الناس على قدر عقولهم فليس من دخل فى التعبد وتمرن فيه وكثرت المجاهدة لديه كمن ابتدأ الدخول (ولاجل) هذا المعنى قال عليه الصلاة والسلام فى السوداء حين سألها أين الله فقالت فى السماء فقال لصاحبها اعتقها فانها مؤمنة فقنع عليه الصلاة والسلام منها بالاقرار بأن الله واحد موجود وذلك ينفى ما كانوا يعتقدون من أن الاصنام هى الالهة فى الارض فاله السماء واله الارض هو الله الواحد الاحد الموجود لا أنه سبحانه وتعالى حل فى السماء تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا اذ أن السماء مخلوقة له ولا يحل الصانع فى صنعته ومعاذ بن جبل رضى الله عنه الذى كانت هجرته قديمة وتمكن من العلم ومن فعل الخير حين سأله عليه الصلاة والسلام كيف أصبحت فقال معاذ أصبحت مؤمنا حقا فقال عليه الصلاة والسلام لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك فلم يكتف من معاذ باللفظ الاول حتى سأله عن حقيقة ايمانه وقنع من السوداء بما قد ذكرت لاجل ما بينهما من العلم وأنواع التعبد والله الموفق للصواب ﴿فصل﴾ وينبغى للمريد اذا اجتمع له فى زمانه وبلده مشايخ يرجو بركتهم وهو بعد لم يسكن الى أحد منهم فينبغى له أن ينظر الى حاله بعد انفصاله عن كل واحد منهم فمن حصل له بالاجتماع به منهم علم أو انابة أو رجوع فليشد يده عليه وان كان غير ذلك فلا حاجة تدعو الى العودة اذ أن خطاه تبقى لغير فائدة (سمعت) سيدى أبا محمد رحمه الله يعيب هذا ويقول لا ينبغى للمريد أن يتردد الا لموضع تحصل له فيه فائدة أو فوائد ولا يكون مثل بهيمة السانية لا تزال تمشى طول يومها وهى لم تبرح من موضعها ذلك (ولا ينبغى) أن يسيء الظن بمن لم يحصل له منه شئ اذ أن ذلك محتمل لوجهين الاول أن يكون المزور من الاكابر والفضلاء لكن أصحابه معلومون معروفون فخيره مقصور عليهم لا يتعداهم فاذا لم يجد المريد زيادة عند زيارته فيعلم انه ليس له عنده نصيب فترك ذلك به أولى وقد يكون آخر خيره مقصورا على نفسه لا يتعدى لغيره ووجه ثالث يفصل فيه بين أن يكون المريد من أهل التمييز لما تقدم ذكره فان كان كذلك فحكمه ما سبق وان لم يكن فى تلك

السانية كالدائرة هى الدابة التى يسقى عليها اه

الدرجة فالمواظبة على رؤيتهم واغتنام بركتهم به أولى لم يعارضه أمر شرعي من ارتكاب بدعة أو رؤيتها أو شئ من المكروهات أو يحصل له بسبب ذلك بطالة أو قلة عما هو بصدده ويكفيه من ذلك زيارتهم في وقت دون وقت كما تقدم في زيارة طالب العلم لهم (وبالجملة) فأحوالهم في هذا المعنى لا تنضبط والقليل النادر منهم من يكون خيره عاما لسائر الناس (فالحاصل) من هذا أن المريد له اتساع في حسن الظن بهم وفي ارتباطه على شخص واحد يعول عليه في أموره ويحذر من تقضي أوقاته لغير فائدة (قال) سيدي أبو مدين رحمه الله عمرك نفس واحد فاحرص أن يكون لك لا عليك اه لأن الفكر فيما مضى هو من باب ندب الاطلال كما تقدم والفكر فيما يأتي ادعاء من النفوس تحصيل الاعمال وهو لا يعرف ما يبرز من العلم المكنون والتقديرات المغيبات عنا وهي كثيرة

﴿فصل﴾ وينبغي للمريد أن يكون أشد الناس نظرا الى نعم الله تعالى عليه والى لطفه به واحسانه اليه قال الله عز وجل في كتابه العزيز لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد (بيان ذلك) أن المريد يصبح عليه الصباح فينهض الى صلاة الصبح في وقتها في جماعة ويذكر ما قدر له ثم يجلس بعد ذلك في مجلس علم فيفهم بعضه أو كله ثم يأتي الى من يعتقده فيتكلم معه في مسائل من الخير ثم يصلي الصلوات الخمس في جماعة وان فتح له في شئ من أوراد الليل أو أوراد الصوم فبخ على بخ فان قيد هذه الاشياء بالشكر زادت وتمادت وان رأى وهو الغالب أنه في نفسه لا شئ وانه لم يفتح عليه بشئ فهذا يخاف عليه لقوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابي لشديد والكفر عام ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام في أمر النساء انهن أكثر أهل النار قيل بم يا رسول الله قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان وقد بوب البخاري رحمه الله لهذا المعنى فقال باب كفران العشير (وكثير) من الناس من يغفل عن هذه النعم فلا يقيدها بالشكر كما تقدم لاجل انه يستقلها فتذهب عنه فليحذر من هذا كله جهده (ولا) يظن ظان أن قول من قال ان الصديقين لا يكونون في يومهم على ما كان عليه حالهم بالامس بل يزدادون في اليوم الثاني ترقيا ومن ذلك قول عائشة رضي الله عنها كل يوم لا أتخذ فيه برا أو قالت لا أزداد فيه علما لا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم اه (لان) المؤمن اذا جاءه اليوم الثاني فلا بد له فيه من أداء الفرائض ونوافلها وما يتلقاه من الامر والنهي والترغيب والترهيب والتحذير فيتبع ذلك ويعمل على خلاص مهجته في يومه وذلك ترق لا شك فيه (الا ترى) الى قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه مالك رحمه الله في موطائه ان أخوين مات أحدهما قبل صاحبه بأربعين يوما فأثنى الصحابة على الاول فسأل عليه الصلاة والسلام عن الثاني فقالوا لا بأس به فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم ما بلغت به صلاته انما مثل الصلاة كمثل نهر غمر عذب بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فهل ترون ذلك يبقي من درنه شيأ قالوا لا فقال عليه الصلاة والسلام وما يدريكم ما بلغت به صلاته انتهى (وقد) قال بعض الشيوخ أن الدوام على الحال زيادة فيه فاذا أصبح المريد وامتثل ما كلفه فهو زيادة في حقه ثم كذلك الى حين أجله فحينئذ تطوى صحيفة عمله فلا زيادة بعدها فان حصل للمريد زيادة على ما تقدم ذكره فبخ على بخ والا فالطريق حاصل له والحمد لله فليحذر أن يكفر هذه النعم بترك النظر الى من من عليه بها وأحسن اليه فيها

﴿فصل﴾ وينبغي للمريد أن يكون عارفا بالخواطر حسنها وسيئها فاما أن يميز ذلك بنفسه أو يكون على يد شيخ عارف بها اذ أن الخواطر والهواجس والهواتف لا تنحصر أعدادها ولا يمكن حصرها لكثرتها وتشعبها فأشكل عليه أكثر ما يقع منها وتلبس الامر عليه فان وقف مع ما يقع له من ذلك قل أن يتخلص

و يذهب عليه أكثر زمانه بغير عمل لان اللعين اذا لم يقدر على المريد من جهة الترك أتاه من وجوه أخر لا تحصر فاذا كان مميزا للخواطر وغيره انسدت هذه الثلمة الكبرى (والخواطر) أربعة ربانى وملكى ونفسانى وشيطانى (سمعت) سيدى أبا محمد رحمه الله يقول الربانى أولها وهو مثل لمحة البرق لا يثبت والنفسانى بعقبه مثل المصلى مع السابق فما يمر ذلك الا وقد استقر هذا فى محله وحدث وسول وشهى ولاجل هذا المعنى وقع الخلف عند بعض من ينسب الى شئ من هذا المعنى وماذاك الا لسرعة ما تقدم ذكره يخبرون بأشياء قل أن تقع فى الغالب وان وقعت فبالمصادفة لان ذلك من جهة أخبارهم وأما المحققون المميزون للخاطر الاول فقل أن يخبر وابشئ الا ويقع كما أخبر وابه لان ما كان من عند الله فهو واحد لا يختلف قال تعالى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا (وهذه الخواطر) ليست خاصة بالشيوخ والمريدين بل هى موجودة فيهم وفى غيرهم لكن التمييز يختص به من يختص ومع ذلك فمن تحقق بهذه الخواطر فلا مد له أن يزنها على لسان العلم فما وافق أمضاه والا تركه لان التكليف لا يقع الا من جهة الشرع المنقول وغير ذلك لا يعول عليه الا على سبيل التبع والتأنيس (وأما) الخاطر الملكى فهو كل خاطر يأمر بطاعة أو خير ما اذا كان سالما من الوصول الى ما لا ينبغى أو يتوقع معه ترك أو بطالة وقت فان كان كذلك فليس من الملكى فى شئ (وأما) الخاطر الرابع وهو أرذلها وهو الخاطر الشيطانى فهو لا يأمر بخير أصلا الا أن يكون ذلك الخير يؤدى الى الشر ويقع الفرق بين الخاطر النفسانى والشيطانى بأن الشيطان لا يريد الا الوقوع فى المخالفة كيف كانت ومن حيث كانت فان عجز عن هذه المعصية تركها وأتى الى معصية أخرى فهو ينتقل من حال الى حال اذ مقصوده انما هو المخالفة من حيث هى كائنة ما كانت (والخاطر النفسانى) هو الذى يلزم أمرا واحدا لا يفارقه فان أنت رددته عليه ألح به عليك وقال لا بد من وقوعه ويميلك بالتوبة والاستغفار بعده ويعدك بالغرور وانك اذا نلت ما ألقته اليك تفعل أنت ما تحب أن توقعه من الطاعات فيحتاج المريد الى التشمير الى معرفة هذه الخواطر حين نزولها به وما يترتب عليه من الاحكام فيها فان لم يكن عارفا بها ولم يكن تحت نظر شيخ يرجع اليه عند اشتباه الامور عليه فيأخذ معه فيها والا فلسان العلم عليه قائم وهو المرجوع اليه عند الاختلاف وهو طريق السلامة التى لا شك فيها والعطب فى غيرها موجود غالبا الا لمن عرف الحكم عليه فى ذلك والله الموفق ﴿فصل﴾ جامع لبعض آداب السلوك ولبعض الآثار عن السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (ومع) ما تقدم ذكره فلا بد له من الخلوات اذ أنه بسببها يدرك المكاشف ما هو فيه من الخطر ومن النعم ومن تحف المولى سبحانه وتعالى ويتبين له بها أشياء كثيرة مما مضى عليه سلفه (الا ترى) الى بركة هذه الحكم التى ينطقهم الله بها اذ أن ذلك ليس فى قوتهم ولا من قدرتهم الا ببركة توجههم واقبال المولى سبحانه وتعالى عليهم وأعظم ما يتوصلون به الى هذا المعنى التزام الخلوات كما تقدم (فانظر) رحمنا الله واياك الى ما نقله الامام الحافظ اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصفهانى رحمه الله فى كتاب سير السلف له عن أبى حازم رحمه الله ونفع به وأعاد علينا من بركاته أنه قال قد رضيت من أحدكم أن يتقى على دينه كما يتقى على دنياه (وقال) شيآن هما خير الدنيا والآخرة اذا عملت بهما أتكفل لك بالجنة ولا أطول عليك قيل وما هما قال تحمل ما تكره اذا أحمه الله وتترك ما تحب اذا كرهه الله (وقال) أيضا قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك (وقال) رجل له انك مشدد فقال مالى لا أشدد وقد صدنى أربعة عشر عدوا أما أربعة فشيطان يفتننى ومؤمن يحسدنى وكافر يقاتلنى ومنافق يبغضنى وأما العشرة فالجوع والعطش والعرى والحر والبرد والهرم والمرض

والفقر والموت والنار ولا أطيقهن الا بسلاح ولا أجد لهن سلاحا أقوى من التقوى (وقيل) له ما مالك فقال تقى بالله وايأسى مما فى أيدى الناس (وقال) ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من شئ نحن عليه (وقال) ينبغى للمؤمن أن يكون أشد حفظا لاسانه منه لموضع قدميه (وقال) أفضل خصلة ترجى للمؤمن أن يكون أشد الناس خوفا على نفسه وأرجاه لكل مسلم اه (وقال) بعضهم ان لم يكن فى المبتدى خمس خصال والا فلا ترجه عقل حسن واتباع للسنة وصحبة الاكابر ومن أين يأكل وحفظ لسانه وصيانته أو كما قال (ومن كتاب) سير السلف أيضا وقد قال أبو سفيان اذا رأيت العالم لا يتورع فى علمه فليس لك أن تأخذ عنه شيأ (وكان) يقول وضعوا مفاتيح الدنيا على الدنيا فلم تفتح ووضعوا عليها مفاتيح الآخرة فانفتحت (وقال) رجل للجنيد من أصحب قال من تقدر أن تطلعه على ما يعلمه الله منك (وسئل) مرة أخرى من أصحب قال من يقدر أن ينسى ماله ويقضى ما عليه (وقال) قد مشى رجال باليقين على الماء ومات على العطش أفضل منهم يقينا (وقال) من عرف الله لا يسر الا به (وقال) لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاته أكثر مما نال (وقال) من نظر الى ولى من أولياء الله بقلبه وأكرمه أكرمه الله على رؤس الاشهاد (وقال) ذو النون المصرى رحمه الله من علامات المحب لله متابعته حبيب الله فى اخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه (وقال) من نظر الى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لان النفوس كلها فقيرة عند هيبته (وقال) رويم رحمه الله لا تزال الصوفية بخير ما تأتوا فروا فاذا اصطلحوا هلكوا (وقال) بن حنيف رحمه الله قلت لرويم أوصنى فقال أقل ما فى هذا الامر بذل الروح فان أمكنك الدخول فيه مع هذا والا فلا تشتغل بترهات الصوفية اه (وقد) قيل أن لقمان عليه السلام كان عبدا أسود نوبيا وكان ابنى فلان فقيل له ما بلغ بك ما نرى فقال تقوى الله وطول الصمت وترك ما لا يعنينى (ومن) كتاب سنن الصالحين وسنن العابدين للقاضى أبى الوليد الباجى رحمه الله قال وروى عن أبى الدرداء انه قال لو لا ثلاث ما أحببت أن أعيش يوما الظلماء لله بالهواجر والسجود فى جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون خيار الكلام كما ينتقى أطايب الثمر (وروى) عن بلال بن سعد أنه قال زاهدكم راغب ومجتهدكم مقصر وعالمكم جاهل وجاهلكم مغتر (وقال) بعض الحكماء جاهد نفسك بأصناف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات فليس على العبد شئ أشد من الحلم عند الجفاء والصبر عند الاذى (وقال) عيسى عليه الصلاة والسلام طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته (وقال) الفربرى اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ فيه لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر (وقال) كعب الاحبار رحمه الله والذى نفسى بيده لأن أبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعى على خدى أحب الى من أن أتصدق بجبل من ذهب (وقال) وهب بن منبه فقد زكريا ابنه يحيى عليهما الصلاة والسلام فوجده بعد ثلاث مضطجعا على قبر وهو يبكى فقال له ما هذا يا بنى فقال أخبرتنى ان جبريل أخبرك أن بين الجنة والنار مفازة لا يطفئ حرها الا الدموع فقال ابك يا بنى (وقال) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما لأن أدمع دمعة من خشية الله

أحب الى من أن أتصدق بألف دينار (وقال) ابراهيم بن أدهم ان للذنوب ضعفا فى القوة وظلمة فى القلب وان للحسنات قوة فى البدن ونورا فى القلب (وقيل) لسفيان الثورى رحمه الله لو دعوت الله عز وجل فقال ترك الذنوب هو الدعاء وأنشدوا

خلقت من التراب فصرت حيا * وعلمت الفصيح من الخطاب
وعدت الى التراب فظلت فيه * كأنى ما برحت من التراب
خلقت من التراب بغير ذنب * وأرجع بالذنوب الى التراب

(ولقى) حكيم حكيما فقال له انى لأحبك فى الله فقال لو علمت منى ما أعلم من نفسى لأبغضتنى فى الله فقال له الاول لو اعلم منك ما تعلمه من نفسك لكان لى فيما أعلمه من نفسى شغل عن بغضك (وكان) الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف أصبحت قال أصبحنا ضعفى مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا وقيل للمغيرة كيف أصبحت يا أبا محمد فقال أصبحنا معترفين بالنعم موقرين بالذنوب يتحبب الينا ربنا وهو غنى عنا وتتبا غض اليه ونحن اليه فقراء وقد قيل لابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى من أين عيشك فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

(وقيل) لمحمد بن واسع رحمه الله كيف أصبحت فقال أصبحت طويلا أملى قصيرا أجلى سيأ عملى اه كلام الباجى رحمه الله (ومن كتاب) سير السلف أيضا وقال بشر بن الحارث رحمه الله سمعت منصور ايقول لما خلق الله آدم قال انى جاعل لبصرك طبقا فاذا عرض لك أمر لا يحل لك أن تنظر اليه فاطبقه وانى جاعل لفرجك سترا فلا تكشفه على ما لا يحل لك اه (وقد) قال بعضهم الاصحاب ثلاثة صاحبك وصاحب صاحبك وعدو عدوك والاعداء ثلاثة عدوك وعدو صاحبك وصاحب عدوك (ومن) كتاب الباجى أيضا رحمه الله وروى عن بعض العلماء انه قال انما يدخل الله الجنة من يرجوها وانما يجنب الله النار من يخشاها وانما يرحم الله من يرحم (وقال) لقمان لابنه يا بنى خف الله خوفا لا تيأس فيه من رحمته وارجه رجاء لا تأمن فيه من عقابه فقال يا أبتاه وكيف وانما لى قلب واحد فقال يا بنى أن المؤمن لو شق قلبه لوجد فيه نور رجاء ونور خوف لو وزن لم يمل أحدهما بصاحبه (وقال) عبد الله بن دينار قال لقمان لابنه يا بنى كيف يأمن النار من هو واردها وكيف يطمئن الى الدنيا من هو مفارقها وكيف يغفل من لا يغفل عنه يا بنى لا شك فى الموت فانك كما تنام كذلك تموت ولا شك فى البعث فانك كما تستيقظ كذلك تبعث يا بنى ان الانسان لثلاثة فمنه لله ومنه لنفسه ومنه للدود والتراب فاما ما كان لله فروحه وأما ما كان لنفسه فعمله خيرا كان أو شرا واما ما كان للدود والتراب فجسده (وقال) سفيان الثورى ما أمن أحد على دينه الا سلبه (وقال) أبو حنيفة أكثر ما يسلب الناس الايمان عند الموت (وقال) ابليس لعنه الله اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطلبه بغيرها اذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسى ذنوبه وقال ابن القاسم قال مالك بلغنى أن عيسى ابن مريم قال له رجل من أصحابه انك تمشى على الماء فقال له عيسى وأنت ان كنت لم تخطئ خطيئة مشيت على الماء فقال له الرجل ما أخطأت خطيئة قط فقال له عيسى فامش على الماء فمشى ذاهبا وراجعا حتى اذا كان فى بعض البحر واذا هو قد غرق فدعا عيسى ابن مريم ربه فأخرج الرجل فقال له مالك ذهبت ورجعت ثم غرقت أليس زعمت انك لم تخطئ خطيئة قط قال ما أخطأت خطيئة قط الا انى وقع فى نفسى انى مثلك (وروى) عن عاصم قال أم أبو عبيدة بن الجراح قوما مرة فلما انصرف قال مازال بى الشيطان آنفا حتى رأيت ان لى فضلا على من خلفى لا أؤم أبدا (وروى) عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال ما كانت

الذى فى الطبقات وغيرها انه على زين العابدين ولعلهما توافقا اه

الدنيا هم رجل قط الا لزم قلبه أربع خصال فقر لا يدرك غناه وهم لا ينقضى مداه وشغل لا ينفد لأواه وأمل لا ينقطع منتهاه وقال الاصمعى قيل لبعض الصالحين كيف حالك قال حال من يفنى ببقائه و يسقم بسلامته و يؤتى من مأمنه (وقال) بعض الحكماء ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان شئ يعدل الحياة فالتقى وان كان شئ يعدل الموت فالفقر اه كلام الباجى رحمه الله (و يروى) عن على بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد فى كل يوم وليلة ألف سجدة وكان يسمى السجاد وقد أنشد بعضهم وغير تقى يأمر الناس بالتقى ● طبيب يداوى الناس وهو عليل

وقال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله من أراد أن يحبه الله عز و جل وأن تدعوله الملائكة و يحشر فى زمرة النبيين و يعظم قدره عند الاولياء فليطع الله فيما أمره به ونهاه عنه وليلزم المنهاج الاول (وروى) أن الله تعالى أوحى الى نبى من الانبياء عليهم الصلاة والسلام هب لى من قلبك الخشوع ومن عينيك الدموع ثم ادعنى أستجب لك فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان (ومن) كتاب سير السلف أيضا وقال محمد بن أسلم الطوسى لخادمه يا أبا عبد الله أن معى فى قميصى من يشهد على فكيف أكتسب الذنوب انما يعمل الذنوب جاهل ينظر فلا يرى أحدا فيقول ليس يرانى أحد أذهب لا أذنب أما أنا فكيف يمكننى ذلك وقد علمت أن داخل قميصى من يشهد على ثم قال يا أبا عبد الله مالى ولهذا الخلق كنت فى صلب أبى وحدى ثم صرت فى بطن أمى وحدى ثم دخلت الدنيا وحدى ثم تقبض روحى وحدى وأدخل قبرى وحدى و يأتينى منكر ونكير فيسألانى وحدى فان صرت الى خير كنت وحدى وان صرت الى شر كنت وحدى ثم أقف بين يدى الله تعالى وحدى فان بعثت الى الجنة بعثت وحدى وان بعثت الى النار بعثت وحدى فمالى وللناس ثم فكر ساعة و وقعت عليه الرعدة حتى خشى أن يسقط ثم رجعت اليه نفسه ثم قال يا أبا عبد الله أصل الاسلام فى هذه الفرائض وهذه الفرائض فى حرفين ما قال الله ورسوله افعل ففعله فريضة ينبغى أن يفعل وما قال الله و رسوله لا تفعل فتركه فريضة ينبغى أن ينتهى عنه اه

﴿فصل﴾ وينبغى للمريد أن يتفقد حاله فى الاجتماع باخوانه ولا يواظب على الخلوة و يترك التبرك بهم و بسماع فوائدهم مع التحفظ عليهم وعلى نفسه جهده (قال) الشيخ الامام أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله فى كتاب آداب الصحبة له الصحبة على وجوه لكل وجه منها آداب ولوازم (فالصحبة) مع الله تعالى باتباع أوامره واجتناب نواهيه ودوام ذكره وتلاوة كتابه ومراقبة الاسرار أن يختلج فيها ما لا يرضاه والرضى بقضائه والصبر على بلائه والرحمة والشفقة على خلقه وما يحذو نحوه من هذه الاخلاق الشريفة (والصحبة) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته واجتناب البدع وتعظيم أصحابه وأهل بيته وأزواجه وذريته و مجانبة مخالفته فيما دق وجل وما يجرى مجراه (والصحبة) مع أصحابه وأهل بيته بالترحم عليهم وتقديم من قدموه وحسن القول فيهم وقبول قولهم فى الاحكام والسنن فان النبى صلى الله عليه وسلم يقول أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وقال عليه الصلاة والسلام انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتى أهل بيتى (والصحبة) مع أولياء الله تعالى بالخدمة والاحترام لهم وتصديقهم فيما يخبرون به عن أنفسهم وعن مشايخهم لانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى من أهان لى وليا فقد آذننى بالمحاربة (والصحبة) مع السلطان بالطاعة الا أن يأمر بمعصية أو بخلاف سنة فاذا أمر بمثل هذا فلا سمع له ولا طاعة والدعاء له بظاهر الغيب ليصلحه الله و يصلح على يديه والنصيحة له فى جميع أموره والصلاة والجهاد معه فقد روى عن النبى صلى الله عليه

وسلم

وسلم أنه قال الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم (والصحبة) مع الوالدين بيرهما بالنفس والمال وخدمتهما في حياتهما وانجاز وعدهما والدعاء لهما في كل الاوقات مادام في الحياة وحفظ عهدهما بعد الممات وانجاز عاداتهما واكرام أصدقائهما فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه وعن أبي أسيد مالك بن ربيعة قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يارسول الله هل بقي علي من بر أبوي شئ أبرهما به بعد وفاتهما قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام صديقهما وصلة الرحم التي لاتوصل الابهما (والصحبة) مع الاهل والولد بالمداراة وحسن الخلق وسعة الصدر وتمام الشفقة وتعليم الكتاب والسنة والادب وحملهم على الطاعات قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية وقال عليه الصلاة والسلام رحم الله والدا أعان ولده على بره بالافضال عليه والصفح عن عثراتهم والغض عن مساويهم مالم تكن اثما أو معصية (والصحبة) مع الاخوان بدوام البشر وبذل المعروف ونشر المحاسن وستر القبائح واستكثار قليل برهم اليك واستصغار مامنك اليهم وتعهدهم بالنفس والمال ومجانبة الحقد والحسد والبغي والاذى ومايكرهون من جميع الوجوه وترك مايعتذر منه (والصحبة) مع العلماء بلازمة اكرامهم وقبول قولهم والرجوع اليهم في المهمات والنوازل وتعظيم ماعظم الله من محلهم حيث جعلهم خلفاء نبيه عليه الصلاة والسلام ووارثيه فانه روى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال العلماء ورثة الانبياء (والصحبة) مع الضيف بحسن البشر وطلاقة الوجه وطيب الحديث واظهار السرور والكون عند أمره ونهيه ورؤية فضله واعتقاد المنة له حيث أكرمه بدخول منزله وتناول طعامه وقال بعضهم

من دعانا فأبينا * فله الفضل علينا * فاذا نحن أتينا * رجع الفضل الينا

﴿فصل في آداب صحبة الاعضاء﴾ اعلم أن لكل جارحة من الجوارح آدابا تختص بها (فآداب البصر) أن ينظر الى أخيه نظر مودة ومحبة يعرفها هو منك ومن حضر المجلس ويكون نظره الى محاسنه والى حسن شئ يبدو منه وأن لايصرف عنه بصره في وقت اقباله عليه وكلامه معه (وآداب السمع) أن يستمع الى حديثه سماع مشتهيا لسماعه متلذذ به وكذلك اذا كلمك لاتصرف بصرك عنه ولاتقطع حديثه بسبب من الاسباب فان اضطرك الوقت الى شئ من ذلك استعذرته فيه وأظهرت له عذرك (وآداب اللسان) أن تكلم اخوانك بما يحبون فتختار وقت نشاطهم لسماع ماتكلمهم به وتبذل لهم نصيحتك وتدلهم على مافيه صلاحهم وتسقط من كلامك ماتعلم أن أخاك يكرهه من حديث أو لفظ أو غيرهما ولاترفع عليه صوتك ولاتخاطبه بما لايفهم عنك وتكلمه بمقدار فهمه (وآداب اليدين) أن يكونا مبسوطتين لاخوانه بالبر والمعونة لايقبضهما عنهم وعن الافضال عليهم (وآداب الرجلين) أن يمشي اخوانه فلا يتقدمهم بل يكون تبعا لهم فان قربوه تقرب اليهم بقدر مايعلم من رغباتهم ثم يرجع الى موضعه ولايقعد عن حقوق اخوانه معولا على الثقة بهم لان الفضيل بن عياض قال ترك حقوق الاخوان مذلة اه

﴿فصل﴾ اعلم وفقنا الله وايالك أن هذه الآداب المذكورة انما هي آداب الظواهر وهي عنوان على آداب السرائر (ألا ترى) الى ماروي في الاثر عنه عليه الصلاة والسلام أنه رأى رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال عليه الصلاة والسلام لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه (واذا) كان ذلك كذلك فمراعاة الباطن أوجب من مراعاة الظاهر لان الظاهر للخلق والباطن للخالق وما كان للخالق فهو أوجب فلو جمع بينهما فهو الكمال والسعادة لمن اتصف بهما (وصفة) اخلاص الباطن التحقق بالتوكل على المولى

سبحانه وتعالى والخوف منه والرجاء فيه والاتصاف بالصبر وسلامة الصدر وحسن ظنه بربه وحسن ظنه باخوانه المؤمنين والاهتمام بامورهم فاذا فعل ما تقدم ذكره فى الرجاء أن يكون من الموقنين

﴿فصل﴾ قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلى رحمه الله الاخوان أربعة أخ كالدواء وأخ كالغذاء وأخ كالداء وأخ كالدنى (فالاول) معدوم (والثانى) مفقود (والثالث) موجود (والرابع) مشهود اه (أما الاول) الذى هو كالدواء فهو مثل المشايخ الذين أهلهم الله تعالى لتربية المريدين وكالصلحاء والعلماء فهم قدوة للمقتدين ومحط استهم تشفى الاسقام ظاهرا وباطنا (وقد) كان المريدون قبل هذا الزمان يدخلون الى خلواتهم فان حصل لهم عجز أو كسل خرجوا الى مجلس واحد من هؤلاء الشيوخ فتنتعش قواهم بسماع كلامه ورؤيتهم له وبمدهم بهمته فيتغذون بذلك ويرجعون الى خلواتهم أنشط ما كانوا أولا فهم دواء للخلق أجمعين وأنت ترى تعذر هذا الزمان غالبا بمن هذه صفته (وأما) الذى هو كالغذاء فهو مثل الاخ فى الله تعالى المشفق الودود الحنون الذى يؤلمه ما يؤلمك ويسره ما يسرك ويجوع نفسه لجوعك ويتعرى لعريك ويكابد ما نزل بك أكثر من مكابدة ما نزل به وأنت ترى فقده فى هذا الزمان لكن بين الفقد والعدم فرق وهو أن المعدوم لا يوجد البتة والمفقود قد يوجد فى موضع ما (سمعت) سيدى أبا محمد رحمه الله يقول مراتب الاخوان ثلاثة لا رابع لها (فالاول) أن يكون أخوك عندك مثل أبيك وهو أعلاهم (والثانى) أن يكون مثل أخيك الشقيق وهو أوسطهم (والثالث) أن يكون عندك مثل عبدك وهو أقل الاخوان مرتبة فان عجزت عن ذلك فلا أخوة اذ ذاك اه أعنى الاخوة الخاصة بالفقراء وأما اخوة الاسلام فهى حاصلة (فأما) الاخ الذى يكون عندك مثل أبيك فهو حال المريد مع شيخه اذ انه ليس للولد مع أبيه حديث فى شئ لقوله عليه الصلاة والسلام أنت ومالك لأبيك فحال المريد مع شيخه من باب أولى اذ أن المريد ليس له تصرف ولا اختيار فى كل ما يحاوله الا برضا شيخه واذنه (وأما) الذى عندك كأخيك الشقيق فهو حال المريد مع اخوانه وهو أقل رتبة من الاول لان الاخ الشقيق يقاسم أخاه فى جميع الاشياء فان أخذ الاخ دينارا أو درهما أو ثوبا أو غير ذلك أخذ الاخ مثله فكذلك حال المريد مع اخوانه بهذه الصفة ان لبس ثوبا كسا أخاه مثله وان أكل طعاما أطعم اخاه منه أو مثله الى غير ذلك (المرتبة الثالثة) وهى أقل الدرجات فى الاخوة وهى أن يكون عندك مثل عبدك أعنى أن العبد يجب عليك أن تقوم بضرورته من غذائه وكسوته وما يحتاج اليه من ضروراته فى صلاح دينه ودنياه وكذلك المريد مع أخيه اذ أنه لا يشبع المكلف وعبده جائع ولا يلبس وعبده عريان الى غير ذلك (وقد) خرج البخارى من حديث سعد المعرور بن سويد قال رأيت أبا ذر الغفارى وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسألناه عن ذلك فقال انى سابيت رجلا فشكانى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم أعيرته بأمه ثم قال ان اخوانكم حولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم اه (فان) اعتذرت عليه هذه المرتبة الثالثة فينبغى أو يتعين عليه أن لا يدعى الأخوة لعجزه عن القيام بحقها اذ انه قد يشبع وأخوه جائع وقد يلبس وأخوه عريان فيوجب على نفسه حقا له لم يكن عليه فتتعمر الذمة بالحقوق لغير ضرورة شرعية (وهذا المعنى) قد كثر فى هذا الزمان فاذا احسنوا الظن بأحد من الفقراء طلبوا منه الاخوة فان أجابهم لما طلبوه وجبت عليهم حقوق كثيرة ثم انهم ينصرفون بعد الاخوة معه ولا يرجعون اليه غالبا بعد ذلك ولا يعرفون كيف حاله أبات جائعا أم لا أو هو عريان أم لا (وقد) يكون منهم من يتفقده لكن بالرؤية

والسؤال ليس الا دون اعانة ومشاركة فشغلوا ذمتهم بشئ كانوا فى غنى عن ترتبه فيها (الا ترى) أن العبد اذا لم يقدر السيد على نفقته وكسوته أمره الشرع ببيعه فالبيع فى حق العبد مقابله فى حق الاخ فانك اذا عجزت عن المرتبة الثالثة نزلت أخاك منزلة بيع العبد عند العجز كما تقدم (يشهد) لذلك ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أن آخى بين المهاجرين والانصار كان الانصارى يقول لاخيه من المهاجرين عندى من المال كذا وكذا فلك نصفه ولى نصفه ولى من الزوجات كذا وكذا فاختر منهن ما تريد أنزل لك عنه وكاد المهاجرى يسأل عن السوق وعن الحيطان يعمل فيها فهذا أصل مقرر فى الشريعة المطهرة (وقد حكى) أن بعضهم جاء لزيارة أخيه فقيل له انه فى الموضع الفلانى وكان ذلك الموضع لا يدخله أحد الا للخالفة فتأوه وقال أخى يقع وأنا بالحياة فرجع الى بيته ودخل خلوته وعزم أن لا يخرج منها الا بأخيه فجاء أخوه الى بيته فأخبر بمجيئه اليه وسؤاله عن حاله فجاء مستغفرا تائبا الى بيته فسأل عنه فقيل له انه دخل الخلوة فقال اخبروه بأنى قد تبت الى الله تعالى ورجعت اليه فما خرج اليه الا بعد أن تحقق قضاء حاجته فيه فينبغى أن تكون المؤاخاة على هذا الاسلوب فان رأيت أخاك قد غرق فتأخذ بيده وتخلصه من المهالك فان لم تكن لك قدرة فلا تدعها اذ أن من ادعى ما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان (وأما القسم الثالث) من التقسيم الاول للامام الشيخ الصفلى رحمه الله وهو قوله والثالث موجود فلا شك انك اذا خالطت كثيرا من الناس فى هذا الزمان أو عاشرتهم بملابسة ما تجد من كثير منهم الاذية البالغة اما فى دينك أو دنياك أو عرضك وهذا هو الداء الذى لا شك فيه فان أنت خالطته وجدت ما ذكره رحمه الله (وأما القسم الرابع) الذى قال عنه انه مشهود فلا شك فى مباشرة ذلك فى هذا الزمان (الا ترى) انك اذا تكلمت مع أحد منهم فى صلاح دينه فى شئ ما قابلك بانزعاج وخلق سيئ وأقل جوابه أن يقول لك ما حقرت فى الناس الا أنا حتى تأمرنى وتنهانى أو يتسلط عليك بهذا فى لسانه وينظر لك عورات يظهرها أو حسنات يخفيها أو يردها سيئات وهذا فيه من المرارة بحيث المنتهى كما هى الدفلى اذا تناولت منها شيأ وقد يفضى ذلك الى العدم اذ قيل انهما سم فيتعين عليك أن تفر ممن هذه صفته فالعاقل اللبيب من شمر عن ساعديه وبالغ فى الفحص عن القسمين الاولين فياسعادته ان ظفر بأحدهما كما قيل

واذا صفا لك من زمانك واحد * فهو المراد وأين ذاك الواحد

فان عدمهما فيتعين عليه الخلوة والاعتزال ان أراد السلامة اذ أن الاجتماع بالناس انما يحتاجه المريد للزيادة لا للنقص فاذا علم انه ما يحصل له فيه الا النقص فليحذر منه جهده ويستعين بربه مع سلامة صدره لهم وحسن ظنه بهم عموما والله المستعان

﴿فصل﴾ من كلام بعضهم بعضه باللفظ وبعضه بالمعنى (وينبغى) للمريد أن يكون نظره للخلق بعين الرحمة والشفقة والتودد وذلك يقع منه على وجوه (فاذا) نظر اليهم بالرحمة فسبيله العلم بفقرهم (واذا) أحسن الظن بهم فسبيله طلب السلامة لهم بالميل الى حزب الفائزين (واذا) احتمل الاذى منهم فسبيله الرحمة لهم (واذا) جازى على السيئة بالحسنة فسبيله التخلق بالاخلاق المحمودة (واذا) راعى حق كل ذى حق وان صغر فسبيله التخلق باخلاق الشاكرين واذا تناسى الشر جملة فسبيله تطهير القلب من دنس هواجس النفوس فى حق اخوانه المسلمين (واذا) عاملهم بالسخاء فسبيله البعد من صفة البخل والتشبه بأهل الفضل واليقين بالخلف وليحذر من أن يطلب الخلف الفانى اذ أن كل ما جاءه من الدنيا فهو ذاهب فان (واذا) عاملهم برفع الاذى عنهم جملة فسبيله عدم الفراغ والاشتغال بوظائف التكليف (واذا) عاملهم

برؤية الحسن منهم فى كل شئ والتعامى عن القبيح فى كل شئ فسبيله الغيرة فى مشاهدة المحاسن والاشتغال عن القبائح بعيوب النفس مع حسن الظن بهم فى بعض المواطن (واذا) تواضع لله فسبيله اجلال الربوبية واظهار العبودية (واذا) تواضع للخلق فيكون ذلك منه دون تماوت واغايفعله لاعتقاد الأثرة لهم عليه واذا أظهر ذلك لهم فى بعض المواضع فسبيله احتقار النفس ورؤية عيوبها وحسن الظن بالمؤمنين (واذا) ترك العجب وهو أن لايرى لنفسه شيأ حسنا فسبيله العلم بأنه لافاعل للاشياء الا الله سبحانه وتعالى فيلزم نفسه الافتقار اليه جل وعلا (واذا) أخلص العمل لله بأن لايريد بصالح عمله سوى الله تعالى فسبيله الخوف الشديد من حبط الاعمال مخافة توقع الرياء فيقدر الخلق فى خرب العدم فانهم لايملكون له شيأ (واذا) استشعر اطلاع الحق عليه فسبيله ترك الفراغ وهو أنه لايمر عليه وقت الا وهو مشغول بالله تعالى فيحصل له بسبب ذلك ربح أوجبر رأس المال (واذا) ترك المباح فسبيله عمارة الوقت بالواجبات والمندوبات (واذا) أحب المساكين وخدمهم وأماط الاذى عنهم وأدخل السرور عليهم بارفادهم والعون لهم واظهار البشر واحتمال الجفاء والاختلاط بهم والتلطف فى نصح من زل منهم فسبيله طلب حظ الاوزار والظفر بمحبة الملك الغفار (واذا) ترك المزاح جملة فسبيله الاهتمام بسالف الذنوب (واذا) راعى الفرض بطلب أدائه كما وجب فسبيله طلب التقرب الى الله عز وجل (واذا) أحسن لكل مخلوق بجوز الاحسان اليه فسبيله طلب الاتصاف بالمحامد (واذا) ترك الشهوات فسبيله العلم بعاقبتها وما لها وطلب الرقى عن الارضيات (واذا) قلل الطعام بحيث لايدخل عليه به ضرر فسبيله التحقق للعبادة والتهيؤ للفهم عن الله تعالى والاقبال على المعرفة به سبحانه وتعالى (واذا) لبس الدون من الثياب مع مجانبة الشهرة واقتصر على الضرورة فسبيله خوف الحساب (واذا) ترك التنعم بلذاذ الطيبات فسبيله التشبه بأولياء الله (واذا) ترك الهمز واللمز والاحتقار بالخلق فسبيله طلب القربى من صفة الجاهلين (واذا) ترك الفرح بأمور الدنيا والآخرة فسبيله الجهل بالعاقبة وعدم المبالاة بالدنيا (واذا) ترك الحزن على مافات فسبيله شغل الوقت بالخدمة والايمان بالقدر (واذا) واصل الاحزان خوفا من السابقة والخاتمة فسبيله طلب التقرب من الله تعالى بانكسار القلب وجمع الهم واذا جمع همومه عليه فسبيله الفرار من تفرقة القلب فى شعاب الغفلة (واذا) فوض أموره لله تعالى بطرح نفسه بين يديه دون اقتراح عليه فسبيله استعمال الأدب مع جلال الربوبية (واذا) توكل على الله لثقته بالمضمون فسبيله شغل الوقت بالتكليف (واذا) ترك رؤية الاسباب حتى استوى عنده وجودها وعدمها فسبيله افراد الحق بالخلق والتبرى من الشرك الخفى والجلى كالخبز لايشبع والماء لايروى والثوب لايدفئ وكذلك الامور العادية كلها (واذا) ترك التملق لغير العلماء فسبيله العلم بأنه لايملك الضر والنفع الا الله سبحانه وتعالى وذلك بخلاف التملق للعلماء وهو التواضع والتذلل لهم (واذا) افتقر الى الله تعالى فى حركاته وسكناته فسبيله اظهار صفة العبودية (واذا) غاب عن الخلق ببواطنه ولم يسع اليهم بظاهره فسبيله سد باب الانس بالمخلوق (واذا) ترك الاقبال على أحاديث العامة وترك التشوف لها يصون قلبه عنها وعمارته بذكر الحق فسبيله سد باب المحنة واطفاء نار الفتنة وخوف خسران الآخرة (واذا) كانت نفس المريد متطلعة لأحاديث الناس لم يفلح أبدا (واذا) علم ان استفتاح باب الخير كله وسد باب الشر كله فى نفس أداء المفروضات اذهى معيار القلب وبها تتبين الزيادة والنقص ولايتوصل الى ذلك الا ببذل الجهد وجمع النفس ومحض الصدق وشدة الخوف ومواصلة الحزن حتى اذا استطعت أن تموت حين تفتتح الصلاة فعلت فسبيل ذلك كله قربك من الله (واذا) أردت أن تعرف منزلة قربك

الاترجة للعلم المكرمة اه

عنده فملازمة الجد بحيث لا يكون لغير الحق فيك موضع وسبيله مراقبة الحق واجلال الربوبية (واذا) أردت عزة النفس وصيانتها عن سؤال المخلوقين دقت الحاجة أو جلت فسبيله طلب كل حاجة من الله تعالى أدبا مع الربوبية (ومن) آكد ما يحتاج اليه المريد فى ذلك ان لا ينزل نفسه فى صورة مرشد ولا موص ولا متكلم بالحكمة ولا بالمسائل الفقهية ولكن ليشغله من نفسه شاغل بسبب طلبه العلم اه (ومن) كتاب سير السلف قال ابراهيم الخواص دواء القلوب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين (وقال أيضا) التاجر برأس مال غيره مفلس اه (ومن كلام) يمن بن رزق رحمه الله يا هذا هلا حرك عقلك عن ان تبوح بسرك الى أحد من الخلق أو أن تشكو حالك فى دين أو دنيا اليهم أو تتكلم بما لا يعنيك أو تحيب الى أمر لا تحقق رشده ولا تأمن ضرره يا هذا اجعل ربك موضع شكواك وقلبك خزانة سرك والزم مراقبة مولاك فى كل حال يرد عليك فان رأيت خيرا فاحمد الله وان رأيت شرا فانظر فيه اليه وانظر الى الخلق هيا كل مصرفه وأسبابا مسخره ولا تشكر أحدا منهم على فضل الله الا على قدر ما أباحته الشريعة وحسبك من ذلك أن تقول جزاك الله خيرا وترى الفضل كله من مولاك فاشكره بكليتك فهو أهل لذلك حقيقة وشكر سواه مجاز كما ان فعل غيره مجاز لان الافعال كلها صادرة عن المولى الكريم وحده لا شريك له

﴿فصل﴾ فان كان المريد له تعلق بالاولاد فينبغى ان لا يهمه شأنهم وليتظر الى ما سبق فيهم من القدر ويعلم ان الملك لا يضيق عن رزقهم وان ما كتب لهم لن يفوتهم وما كتب عليهم لن يفوتوه وان وجوده وعدمه فى حقهم سيان اذ انه لا يملك لهم شيأ ثم انهم ان كانوا لله أولياء فلن يفعل الله معهم الا خيرا وان كانوا غير ذلك فلا حيلة له فى دفع المضار عنهم وليقل قد استودعتهم من لا تخيب لديه الودائع فليطرح الهم فيهم جملة واحدة ان عقل وليظن بمولاه خيرا والسلام ﴿فصل﴾ فان ابتلى المريد عند الاجتماع بالناس وخلطتهم بالاذية والجفاء منهم فيتعين عليه ان ينظر فى أمرهم ويرجع الى حاله ويفتش خبايا نفسه فى الذى قيل فيه فقد يكون حقا فان وجده فى نفسه علم اذذاك ان من قال فيه ما قال انما هو نذير جاءه من عند ربه ليتوب أو يوقع به النكال فيحتاج الى المبادرة الى التوبة والرجوع ويرى الاحسان والفضل لمن قال فيه ما قال (وان لم) يجد ما قيل عنه فيه فيحتاج الى ثلاثة أشياء (أحدها) ان يمتثل السنة بالدعاء الوارد فى ذلك حيث يقول عليه الصلاة والسلام من رأى منكم مبتلى فليقل الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا ولا شك ان الابتلاء فى الدين أعظم من الابتلاء فى البدن سيما اذا انضاف الى ذلك تعلق حق الغير به فهو أعظم فى الابتلاء هذا وجه (الوجه الثانى) انه يتعين عليه الشكر من وجهين (أحدهما) ان يشكر الله تعالى على سلامته مما قيل فيه (الثانى) وهو الوجه الثالث انه يتعين عليه الشكر فى ان الله تعالى سلمه مما وقع أخوه فيه اذ لو كان الامر بالعكس لكان بلاء بينا اذ الغالب فيه عدم السلامة أسأل الله العافية بمنه وقد تقدم ذلك (ومن) كتاب يمن بن رزق رحمه الله من ساءه الذم وأعجبه المدح فذلك ذكر الصورة تخنثى العزيمة (وقال) لو قال لى قائل ان من لم يأخذ بحظه من الفقر لم يجد طعم الايمان لما خالفته ولو أخبرنى مخبر أن تسعة أعشار العافية فى الخمول والغنى عن الناس لصدقته (وقال) حمل النفس على الصبر فى مواطن الامتحان حسنة حسنة فى التخلص وان أبطأ (وقال) من وطن نفسه على ان الدنيا دار نصب وتعب لم ينكر ما نزل به منها ما دام فيها وأخذ من الراحة بحظه ومن توهمها منزل راحة لم يقدر الراحة قدرها اذ أتته وكان تعبه فيها مضاعفا (وقال) تقديم صدق اللجأ الى الله عز وجل فى مبادى الحاجات عنوان على نجح غاياتها وقال اذكر فى الموت تهن عليك

المصائب (وقال) مارأيت أفقه من النفس يعني في شهواتها وملذوذاتها ولا أجرأ من الانسان ولا أشد تقلبا من القلب ولا أعدم من الاخوان ولا أقل من الاخلاص ولا أكثر من الامل (وقال) الصمت وغض البصر مفتاحان لابواب القلوب (وقال) من أحب ان لا تكون له منزلة عند الناس تربع في بحبوحة العافية (وقال) ليس الادنيا وآخرة فان أردت الجمع بينهما رمت محالا وذهبت عنك معا فاختر لنفسك (وقال) الضرورات تدعوا الى شر كثير وفي الصبر على المكروه خير كثير (وقال) يحسن بالمؤمن ان يكون ثوبه مرقعا ونعله بالياوم سكنه خلقا ففي ذلك أعظم تذكرة وأكبر شاهد على الغنى وأحث باعث على ترك الطمأنينة الى الدنيا ومن كان يستعمل الجديد من كل شئ قلت عبرته وكان حب العاجلة أغلب على عقله (وقال) اطمع في رحمة الله عز وجل على أي حال كنت من التفريط ولا تأمن مكره على أي حال كنت من الاجتهاد وإياك واليأس من مولاك فانه قطع للسبب بينك وبينه واحذر الامانى فانها اغترار به واعلم ان الكافر لو علم سعة رحمة الله ما يئس وان المؤمن لو علم كنه عقاب الله لمات خوفا والسلام (وقال) اذا كان الماضي لا يرجع والمقدر لا يتبدل فاطراح الهم سعادة مجملة (وقال) خمس يؤلمك غمها في الدنيا وهي في الآخرة أشد إيلاما الا ان ينالك عفو الله عز وجل فاستقلل منها أو استكثر المزاح وكثرة الكلام والتعرف بالناس وافشاء سرك اليهم والشكوى بحالك الى الخلق (وقال) لقد رأيتني ما أراه من كد الخلق للدنيا وقصر همتهم عليها في ايمانهم ولقد رأيتني ما أراه من مكالبتهم عليها وفرط جنوحهم اليها في عقولهم والعجب منهم وهم على هذا الحال انك ان نطقت لهم بالحقيقة سخروا منك وان سكت عنهم اتهموك وان مازحتهم في دين أو دنيا أهلكوك وان تركتهم لم يتركوك فلا راحة معهم ولا سلامة دونهم حسبي الله ثم حسبي الله منهم (وقال) رجلان اكره رؤيتهما وأحب الفرار منهما اليأسي من فلاحهما غالبا طالب كيمياء وطالب ملك (وقال) رحم الله من تسامى الى رتب لا يقتضيها حاله ولا حيلته وآثر هواه وأمنيته عاش دهره في تعب ونصب ولم يبلغ الغاية التي يسعى اليها ومن تقاعد عن الرتب التي يمكنه بلوغها عاش مهينا ملوما ومن توسط بين الحالين فتناول منها ما كان له صالحا استحق اسم النبل وكان عيشه هنيئا وقلبه لله تعالى خاشعا (وقال) أنا لا أصدق قول من قال مكالمة الجاهل سجن للعقل (وقال) الراحة في الدنيا لاحد ثلاثة فقير صالح أو غني عاقل أو أحمق مبخوت (وقال) يا هذا ان كان العجب من الناس مرة فالعجب منك ألف مرة فقد بان لك بالتجربة المستبينة والدلائل البينة ان مكالمة الناس غنمها اندامه والصمت عنهم سلامه ثم لا يصرفك ذلك عن الهذر معهم والخوض في أحاديثهم وكلهم مقهورون لطباع أنفسهم سامعون من حالهم مبصرون بعيون رؤسهم الا من رحم ربك وقليل ماهم فما يصغى اليك منهم غالبا الا ممتهم أو مكذب أو غير محصل فاصحبهم بصمت ولا يكون كلامك لهم الا جوابا بما لا درك فيه عليك في دين أو دنيا فان أنت صبرت على اذاهم كفيتهم وإياك أن تقتصر لنفسك فتوكل اليها وسلم الامر الى مولاك وافتقر اليه تجده والسلام (وقال) الالتفات الى الناس تعب في العاجل وندامة في الآجل لان عامتهم ما بين جاف متعسف أو بطر متكلف فليس التأثير بالاول بأسوأ من الاغترار بالثاني فالرأي ان يعد اجميعا في حزب العدم حتى لا تأثير للاضطرار اليهم ولا للجفاء مع امتثال الامر والنهي فيهم واعتقاد الرحمة والصلة لكل مسلم والذي يعين على ذلك بتوفيق الله تعالى الاقبال على ما يعنيك والصبر في طريق الحق فانك اذا وافقت الشريعة ولاحظت الحقيقة لم تبال بمن خالف رأيك من الخليقة (وقال) من تفكر فيمن سلف ونظر في المعاد هان عليه جفاء الخلق ولم يعتد بلطفهم (وقال) رحمه الله الزم الصمت عند

محاضرة من تكرهه وتكلم مع من لك فى كلامه فائدة (وقال) من علم ان له ربا يفعل ما يريد خاف وحزن ولم يفتر ومن علم ان له ربا ضمن لعباده أرزاقهم لم يشغله طلب المضمون عما كلف ومن علم ان له ربا من انقطع اليه كفاه توكل بالحقيقة عليه ومن علم ان له ربا فاعلا للموجودات الاهواقتصر فى كل ما رام اليه ومن علم ان له ربا رقيبا على كل شئ استحى منه حق الحياء (وقال) من نظر الى الدنيا بعين البصيرة فرأى قلبها أهلها وانزعاجهم عنها لم يطمئن اليها ومن نظر الى الآخرة بعين البصيرة تخيل نعيمها وعذابها وأيقن أنه وافد عليها اعمل لها (وقال) الزم الفضل واترك الفضول واغتنم وقتك تفز بخير الدنيا والآخرة فبملازمة الفضل تنال الشرف وبترك الفضول تنال السلامة وباغتنام الوقت تنال الربح وفى هذه الثلاثة مجموع خير الدنيا والآخرة (وقال) ليس الاعيش الدنيا أوعيش الآخرة وان يجتمعا (فالاول) مادته الارضيات وهو عيش النفس (والثانى) مادته العلويات وهو عيش الروح وقد علمت المبدأ والغاية فاختر أيهما شئت والسلام (وقال) باهذا الاخذ بالاحتياط نجاة ولا خير فى صحبة غير الله (وقال) ما أحقك بالنوح على نفسك ما أولاك بالقاء التراب على رأسك ما اغفلك عما حل بك أنسيت عظائمك أم أمنت عقاب ربك بادر بامسكين واحذر سد الباب وقطع الاسباب واستنزل بكف الضراعة رحمة مولاك العزيز الوهاب (وقال) اذا سافرت فالتزم فى الطريق مع أهل الرفقة الصمت ولا تتكلم معهم الا جوابا يسيرا من القول لفظة أونحوها فان سئلت من أين فقل من أرض الله فان قيل لك ما شغلك فقل أبتغى فضل الله فان قيل لك ما اسمك فقل عبد الله فان تصاممت لهم فحسن واذا دخلت بلدا فلا تصحب فيه أحدا صحبة توجب عليك حقا واحسم التعارف البتة وافتقر الى الله فى حوائجك فانه لا يضيعك ان شاء الله فانه ليس زمان صحبة ولا مصادقة وانما هو زمان الوحشة والغربة والفرار من الناس مبلغ الوسع (وقال) خلقان لا ارضاهما للفتى بطر الغنى ومذلة الفقير فاذا غنيت فلا تكن بطرا واذا افتقرت فته على الدهر (وقال) رحمه الله الدنيا دار بلاء والبلاء لفظ مشترك تحته أنواع من التعب والمشقات كفرقة الاحباب وذهاب المال واذى الناس والاسقام والجوع والعطش والقمل والذباب والعقارب والحيات والسباع وفقد الوطن والبرد والحر والعرى والشهوات كشهوة البطن والفرج الى غير هذا مما لا يكاد ينحصر فما وقع منه فلا تنكر وقوعه فى محله ولا تستغربه وانما المستغرب فيها المسرات لانها ليست بدار لها ولا تقابل شيأ من البلاء الا بالصبر وتوطين النفس عليها متى وقع منها شئ والاستعانة بالله تعالى فى زيادة البصيرة والاعداد بالمعرفة (وقال) من تفكر فى أمسه وغده غنم ما فى يده من يومه (وقال) بالله المستعان والملجا اليه عنوان النجح والقرآن حبل العصمة والسنة طريق السلامة والفكرة مفتاح الرشد والهمم مشيرات العزم والتبصر ثمرة الصدق والظفر نتيجة الصبر والاستغاثة درج الوصول والتضرع أمارة التخلص والسحر مظنة الاجابة والالحاح مقدمة المحبة والتواضع سلم الشرف والسخاء خلق الايمان والزهد شعار التقوى والتوكل حرفة المعرفة والتفويض علم السعادة والخوف أثر الجد والرجاء مادة الجهد ورحمة الخلق دليل الطهارة واحتمال الاذى عين الفتوة والجزاء على الاساءة بالاحسان خلق النبوة وتلاوة القرآن بالحضور عيش الروح ومخالفة الهوى قتل النفس وذكر الله رأس مال العابدين من ترك الشهوات قرع الباب ومن ترك الحظوظ رفع الحجاب قيام الليل بستان العارفين الاحوال مبلغ القوم من رأى لنفسه فضلا على شئ من خلق الله تعالى حتى الكلاب فهو أحد الفراعنة السلوعن المتروك على قدر المعرفة بالمطلوب من هانت عليه نفسه فهى على غيره

أهون ومن محب التسويف أداه الى الفوت ومن فاته مولاه غرق فى بحر اليأس الدنيا سلامتها غرر ولذاتها قذر قال الشاعر

تخير لماسها نفثات دود * وخير شرابها ماء الذباب * واشهى ما ينال المرء فيها
مثل فى منال مستطاب * وعن قرب يعود الكل ترابا * بلا شك يكون ولا ارتياب

(وقال) كنت قد رأيت فى كتب بعض الحكماء ان أربعة لا ينبغى للعاقل أن يأمنها فطلبتها فى حفظى فلم أجد منها سوى واحدة وهى المرأة وان أبدت الود وأظهرت النصح (ولا) ينبغى عندى أن يكون الثانى السلطان وان أبدى التقريب والمصافاة (وأن) يكون الثالث المال وان كان جما وافرا (وأن) يكون الرابع الزمان وان كان مطاوعا مسالما (فرب) مخدوع بهذه الاربعة فخانته أوثق ما كان بها وأسلمته أميل ما كان اليها (وقال) الراحة كلها فى الرضا باختيار الحق لك والتعب كله فى اختيارك لنفسك ومداهنة الايام شيمة الكرام واغتنام الوقت بالمبادرة الى العمل واطراح الامل سعادة وانتظار الفرج بالصبر عباده (وقال) يا هذا اذا رأيت انسانا لم تلزمك الضرورة اليه ففر منه فرارك من الاسد أو أشد وان قدر اجتماعك معه مفاجأة فاقتصر فى الكلام معه واعتذر له بشغل واتركه بسلام اما تذكر أن تعبك فى الدنيا قد علمنا وحدينا أنما جاءك من معرفة الناس

﴿فصل﴾ وينبغى للمريد أن تكون أوقاته مضبوطة لكل وقت منها عمل يخصه من الاوراد فلا يقتصر فى الورد على ما سبق من الصلاة والصوم بل كل أفعال المريد ورد (قد) كان السلف رضوان الله عليهم يقولون جوابا لمن طلب الاجتماع بأحد من اخوانه ويكون نائما هو فى ورد النوم فالنوم وما شاكله هو من جملة الاوراد التى يتقرب بها الى ربه عز وجل (واذا) كان كذلك فيكون وقت النوم معلوما كما ان وقت ورده بالليل يكون معلوما وكذلك اجتماعه باخوانه يكون معلوما وكذلك الحديث مع أهله وخاصته يكون معلوما كل ذلك ورد من الاوراد اذ أن أوقاته مستغرقة فى طاعة ربه عز وجل فلا يأتى الى شئ مما أبيح له فعله أو ندب اليه الا بنية التقرب الى الله تعالى وهذا هو حقيقة الورد أعنى التقرب الى الله تعالى وهذا على جادة الاجتهاد والفراغ من الصحة والسلامة من العوائق والعوارض أو من حال يرد يكون سببا لترك شئ من ذلك ألا ترى أن المندوب فى حق المريد بل الذى يتعين عليه انه اذا حصل له بكاء أو تضرع أو خشية يستمر فى ذلك ولا يقطعه اذ أن المقصود انما هو حصول مثل هذه الاشياء فاذا حصلت للمريد فقد حصل على فريسته فليشد يده عليها ويغتنمها لئلا تنفلت منه فقل أن يجدها ولاجل هذا المعنى قال الاستاذ أبو سليمان الدارانى رحمه الله اذا لذت لك القراءة فلا تركع ولا تسجد واذا لذ لك الركوع فلا تقرأ ولا تسجد واذا لذ لك السجود فلا تقرأ ولا تركع الامر الذى يفتح عليك فيه فالزمه أرأيت انسانا يطلب شيأ فاذا وجده تركه (وقد) تقدم هذا المعنى قبل ولا يقتصر فى هذا على الصلاة ليس الاول هو عام فى كل أمر أراده فلو حصل له شئ من هذا فى الاجتماع بالاخوان فلا ينتقل منه أيضا بل هذا آكد لاجتماع بركة الاخوان وهى متعددة بخلاف ما لو كان وحده وان كانت الخلوة فيها الفضيلة العظمى كما تقدم لكن فى الاجتماع بالاخوان الخير المتعدى حسا لاستمداد بعضهم من بعض والمقصود أن تكون أوقاته وحركاته وسكناته وأنفاسه فى الخلاء والملاء مضبوطة بالاتباع فى كل ذلك (وينبغى) أن يقتصر فى أوراده على القليل مثل ما تقدم فى أوراد المتعلم سواء بسواء فان حصل له شغل أو شئ من العوائق فلا بد من اقامتها اليسارتها الا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا عمل عملا أثبته وقد تقدم ذلك فى المتعلم (وينبغى) له أن يكون أشد الناس حرصا على

عمل السر لما تقدم أن عمل السر يفضل الجهر بسبعين درجة وما هو بهذه المثابة فيتأكد تحصيله على ما ينبغي (واذا) كان كذلك فلا يخلو حاله من أحد أمرين اما أن يكون في بيته وحده أو مع غيره (فان) كان وحده فقد حصل له عمل السر من غير كلفة (وان) كان مع غيره أعني من الاهل وما شابههم (فلا) يخلو اما أن يكون فيهم من يرجو أن يقتدي به أم لا فان كان كذلك فاظهاره أولى وقد تقدم انه لا يخرجه ذلك عن عمل السر معهم (ثم) الامر في ذلك بحسب حال الوقت اذ أن من الاهل أو الاخوان من اذا رأى شيأ من أعمال البر يواظب عليها من يعتقده بادرت نفسه الى فعل ذلك أو شيء منه (وهذا) فيه خير كثير (لما ورد) لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (فان) علم أنه ليس فيهم من يقع ذلك منه فالسر أولى به (وقد) تقدم في المتعلم أنه ان وجد الخلوة عن أهله كان به أولى (فالمريد) بهذا المعنى أولى بل أوجب لان المريد لا يزال في عمل السر في غالب أوقاته فيعود عليه آثار ذلك وبركته حتى يصل الى عمل سر فيما بينه وبين ربه عز وجل لا يطلع عليه الحفظة (وقد) ذكر الامام أبو طالب المكي رحمه الله في كتابه عن بعضهم أنه ظهرت له الحفظة وناشدوه الله تعالى أن يدخل عليهم سرورا بحسنة من حسناته يظهرها لهم ليسروا بها لان الحفظة يفرحون بحسنة العبد حين يعملها أكثر من فرح العبد بها يوم القيامة حين يرى ثوابها وما ذاك الا أن رسل الملك لا يريدون أن يرجعوا اليه الا بما يعلمون أنه يحبه بخلاف العكس فانهم يكرهونه لكراهية الملك له (وهذا) الذي حكاه رحمه الله ظاهره مشكل لان الفرائض لا بد من اظهارها وهي أكبر الاعمال وأزكاها (لما ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام عن ربه لن يتقرب الي المقربون بأحب من أداء ما افترضت عليهم الحديث بكماله والحفظة يشاهدون ذلك ويكتبونه (فيتعين) أن يحمل ما ذكره على الاوراد التي هي من أعمال القلوب وهي الفكر والنظر والاعتبار اذ أن الله عز وجل تجلى لخلقه وظهر بآياته وبطن بذاته فهو الظاهر بما دل عليه من مصنوعاته الباطن بذاته فلا يقال أين ولا كيف ولا متى لانه خالق الزمان والمكان الى غير ذلك من صفاته الجليلة (واذا) كان ذلك كذلك فمن كان في حال التجلي فهو مستغرق الاوقات حتى لا يرى غير ما هو فيه لكثرة ما هو فيه من النعيم اذ التجلي ليس شيء من النعم أعلى منه في الدنيا والآخرة (ولا) يعكر على ما تقدم ذكره من قول الحفظة ما ورد أن المكلف اذا نوى الحسنة خرجت على فمه رائحة عطرة واذا نوى السيئة خرجت على فمه رائحة منتنة لان هذا قد نوى بقلبه ما نواه فهو عمل من أعمال القلب دلت عليه الرائحة الصادرة عنه بخلاف ما نحن بسبيله اذ التجلي ليس من عمل العبد ولا من حيلته بل هو فيض من المولى سبحانه وتعالى وتفضل منه وامتنان على من خصه واختاره من خلقه في كل زمان وأوان فينبغي للمريد ان كانت له همة سنية أن يعمل على تحصيل هذا المقام السني لان المولى سبحانه وتعالى كريم منان وهذه الامة والحمد لله فيها البركة الشاملة لخيرهم ومقامهم الخاص بهم لا يزول ولا يحول الى ان يأتي أمر الله تعالى (واذا) كان الامر كذلك فلا يقطع المريد اياسه من الوصول الى حالهم السني ولا ينظر في ذلك لنفسه ولا لحيلته وقوته واجتهاده لانه مهما نظر الى ذلك قطع به بل ينظر الى فضل المولى سبحانه وتعالى ونعمه المترادفة عليه وليحذر أن يكون بهيمي الطبع لا يرى النعم الا في المأكول والمشروب والسعة في الرزق لان هذا ليس من حال المريد في شيء بل هو من حال أبناء الدنيا والله عز وجل من كرمه واحسانه وفضله وامتنانه يعطي لكل قاصد ما قصده وقد تقدم أن المريد غنيمته ما فاته من الدنيا (وقد) كان سيدي أبو محمد رحمه الله يقول المريد لا يحتاج لشيء من الاشياء فقلت له أليس يحتاج الى الاكل والشرب واللباس قال نعم لكن طعام المريد

الجوع وكسوته العرى فهو يجد ذلك فى كل موضع يحل فيه واذا كان كذلك فلا يحتاج الى أحد (والمقصود والحاصل) أنهم قد طرحوا أمور الدنيا خلف ظهورهم وأقبلوا بكليتهم على ربهم وأسندوا أمورهم اليه وتوكلوا بالحقيقة عليه فأنعم عليهم وقربهم واجتباهم وحماهم وتجلى لهم بصفاته الجليلة الجميلة أسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم فانه ولى ذلك والقادر عليه (وما) تقدم ذكره من أن المريد يقتصر على الاعمال المتقدم ذكرها انما ذلك فى حال بدايته ثم يأخذ نفسه بالتدريج والترقى فى الزيادة قليلا قليلا حتى يستغرق أوقاته فى أنواع العبادات وهو لم يجد لذلك مشقة ولا تعانى فى الغالب وقد تقدم ذلك لكن المريد فى بداية أمره يمشى على ما سبق من أو راد المتعلم وأمانيته فلا حد لها لانهم قالوا أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى وكلامهم ضرورة فلا ينام المريد الا غلبة وقد تقدمت حكاية بعضهم فى السنة التى أخذته وهو جالس فى مصلاة حين صلى ركعتى الاشراق فعرك عينيه وقال أعوذ بالله من عين لا تشبع من النوم ومن كان نومه على هذه الصفة فلا يمكنه أن يتهيأ لحالة النوم ولا لاذكار المذكورة عند اذ حال المريد لا ينضبط بقانون معلوم لكثرة اجتهاده وتحصيله وأحوالهم فى أعمالهم قل أن تنحصر (لكن) يحافظ على السنة ويشدد عليها وقد كان سيدى أبو محمد رحمه الله يعجبه ما حكى عن بعضهم أنه كان اذا جاء الى فراشه دخل على جنبه الايمن ثم يرجع على الايسر ثم يرجع على الايمن ثم يقوم فيتوضأ ويصلى ركعتين ثم يقول اللهم انك تعلم أن خوف نارك منعنى الكرى فيقوم حتى يصبح فكان يعجبه منه محافظته على السنة حتى فى الفراش وان كان يعلم أنه لا يتأتى منه النوم فاذا كان المريد على هذا الحال أعنى محافظته على السنة فى كل أحواله فهو المقصود الاعظم لا يفوقه غيره نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا ذلك بمنه انه الكريم الوهاب بمحمد وآله صلى الله عليه وعليهم وسلم تسليما كثيرا

﴿فصل فى قدوم المريد من السفر ودخوله الرباط﴾ اعلم وفقنا الله واياك أن آكد ما على المريد اتباع السنة واتباع السلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين فيشدد على ذلك يده وليحذر أن يميل أو يغتر بما قد أحدثه بعض الناس من أفعال لم تكن لمن مضى وقد تقدم أن الخير كله فى الاتباع وعكسه فى الابتداع وان هذه الطائفة أكثر الناس اتباعا للسنة المطهرة وما فاقوا على غيرهم الا بذلك لانهم اختصوا بثلاثة أسماء فقراء ومريدين وصوفية فالفقير من افتقر فى كل أحواله الى ربه عز وجل وسكن بقلبه اليه وان كانت الخواطر تلدغه فهو لا يلتفت اليها ويفتقر الى ربه ويعول عليه والمريد من أراد ربه دون كل شئ سواه وكان غاية طلبه ومناه وسلم من لدغات الخواطر وجاهدها لارادته لربه وايثاره على ما سواه والصوفى من صفى باطنه وجمع سره على ربه وشاهد عيانا جميل صنعه فأسند الامور كلها اليه فهم الذين قربهم الله واجتباهم وخلع عليهم خلع احسانه ولحضرته السنية ارتضاهم واذا كان الامر كذلك فهذا مقام خاص بهم والثوب النظيف أقل شئ يدنسه (وقد) تقدمت حكاية سيدى الشيخ الجليل أبى على بن السماط رحمه الله فى دخوله المسجد حين قدم رجله اليسرى فغشى عليه لان هذه الطائفة شعارها الاتباع وترك الابتداع فان وقع لهم شئ ما من مخالفة السنة رأوه أمرا عظيما فاقلعوا عنه فى يقتهم وجددوا التوبة مع الله تعالى ورأوا أن ذلك بسبب ذنب تقدم فبجلت لهم عقوبته فتضرعوا الى الله وابتهلوا اليه مع وجود التوبة النصوح منهم (واذا) كان الامر كذلك فيتعين على المريد أن لا يسامح نفسه فى شئ مما يخالف الاتباع ولو قاله من كان (فليحذر) من البدع التى قررها بعض الناس (وقد) اختلفوا فيها على ثلاثة أنحاء (فمنهم) من استحبها وانكر على من تركها وهذه طريقة أكثر أهل المشرق (وذهب)

بعضهم

بعضهم الى أن من فعلها ومن لم يفعلها سيان لا عتب على تاركها ولا حرج على فاعلها (وذهبت) الطائفة الثالثة وهم المحققون المتبعون للسنة والسلف الصالح من الامة رضى الله عنهم أجمعين الى التصريح بأن ذلك بدعة ممن فعله أو استحسنه وقال لا حرج على فاعله لمخالفته للسنة المطهرة (وقد) كان سيدى ابو الحسن الزيات رحمه الله يقول من أعجب الاشياء صوفى سنى يعنى بذلك والله أعلم ما نحن بسبيله من العوائد المحدثة التى ليس لها أصل فى الشرع ترجع اليه (فمن ذلك) ما ذهب اليه بعضهم من أنا لمريد اذا ورد البلد وقصد دخول الرباط وهو المسمى فى عرف العجم الخانقاه فالرباط مأخوذ من الربط لان ساكنه مرابط فيه وهذا الاسم أولى به الا ترى انهم يحبون رؤية القيد فى النوم ويكرهون الغل فهذا منه (ولهم) فيما أحدثوه اصطلاح لا ينبغى أن يعرج عليه (لكن) لما ان كثر وقوعه والقول به والانكار الشديد على من ترك شيأ منه واتبع السنة المطهرة تعين الكلام فيه على من تعين عليه وهو أنه اذا قصد دخول الرباط كما تقدم يشمر كميه ويبتدى فى ذلك باليمين وهذا اذا أراد دخول الرباط أو يتناول شيأ طاهرا واما ان أراد أن يدخل الخلاء فانه يبتدى بتشمير كمه الايسر ويبالغون فى هذه الاشياء ويسمونها آدابا (حتى) أنه قد حكى عن بعض من توغل فى هذا الشان انه خدم شيخه سنين متطاولة فلما ان كان فى بعض الايام أراد أن يدخل الخلاء فشمر كمه الايمن قبل الايسر فقال له شيخه أين تريد فاستفاق لخطئه على زعمهم فقال ياسيدى الى بغداد فسافر اليها فانظر رحمنا الله واياك الى تبديل الخاطر المجمل بمخالفة سنة واحدة كيف وقع بها هذا فى أمرين عظيمين أحدهما تعب السفر الطويل وترك جمع الخاطر فى الحضر وبركته والثانى اخبار شيخه بما ليس فى باطنه وطائفة الصوفية برءاء من ذلك كله (ثم) اذا شمر أكمامه يشد وسطه بشئ ويأخذ العكاز بيده اليمنى والابريق بيده اليسرى ويجعل السجادة على كتفه الايسر مطوية وهذا فيه ما فيه لان اتخاذ السجادة من البدع التى أحدثت فكيف يتخذها الفقير (وقد) كان كثير من السلف رضوان الله عليهم لا يحول بين وجوههم وبين الارض حائل لحصير ولا غيره وما ذاك الا لاتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (الا ترى) أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما شكوا اليه ما يجدونه من ألم السجود على الارض لم يشكهم ومعنى ذلك انه لم يزل شكواهم الا ترى الى ما ورد مسح الحصباء مسحة واحدة وتركها خير من حمر النعم ولا يرد على هذا حديث الخمرة لان ذلك محمول على شدة الالم الذى يوجد فى ذلك الوقت بخلاف الالم الذى تحمله البشرة فلا يرخص فيه والخمرة هى شئ مصغور من الخوص قدر ما يضع المصلى عليه الوجه واليدين اذا سجد وقد كان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يسجد ولا يحول بين وجهه وبين الارض شئ لاتباعه السنة وتواضعه (وهذه الطائفة) أولى الناس بالاتباع والتواضع وهو الآن داخل الى الرباط وهو موضع طاهر لا يدخله فى الغالب الا من هو متحفظ على دينه فلا حاجة تدعو الى السجادة وانما هى عوائد انحلت ووقع الاستئناس بها والعوائد كلها مطروحة لان السنة هى الحاكمة على الناس كلهم فضلا عن المريد (ثم) يأمرونه اذا دخل الرباط أن لا يسلم على أحد ولا يسلم عليه أحد واعتلوا لذلك بأن المريد لا ذكر الله تعالى الا وهو على وضوء والسلام اسم من أسماء الله تعالى فاذا سلم على أحد أو سلم عليه أحد فقد يكون على غير وضوء فيحتاج الى ذكر اسم الله تعالى وهو على تلك الحالة أو يترك رد السلام وهو واجب فأمروه بترك السلام لاجل هذا وهذا أيضا مخالف للسنة اذ أن السنة مضت على أن المكلف يسلم على من عرف ومن لم يعرف فكيف باخوانه وما تقدم من ذكر تعليلهم لذلك فليس بالبين لان الشارع صلوات الله عليه وسلامه لم يمنع من ذكر الله فى حال من الاحوال الا فى

حال موضع الخلاء فانه يكره ولا باس بذكر الله تعالى هناك عند الارتياع وما يشبهه وليس بمكروه والسنة عند لقاء المؤمن لاخيه السلام لا بعد جلوسه واستئناسه (ثم) يأمرونه عند ارادة دخوله الرباط أن يعقد عند الباب ثم يخرج اليه من في الرباط من الشبان أو بعضهم فيؤذونه بالشتم ويقلون الادب عليه يخرقون حرمته ويكسرون الابريق الذي معه ويفعلون ذلك به مرة بعد أخرى حتى يبشوا من غضبه ويعلمون فعلهم ذلك بأن يقفوا على حسن خلقه وحمله للاذى اذا أن هذه الطائفة لا تنتصر لنفسها وهم أشد الناس كظما للغيظ وعفوا عن الناس وهذا التعليل ليس بالبين لان الوارد اذا علم أنه اذا انزعج لذلك وغضب لا يدخلونه الرباط فانه يصبر اذ ذاك على أذيتهم لاجل ما يرجو من حاجته وان كان سيء الخلق ما عسى أن يكون فانه يستعمل ضده في هذا الموطن والحالة هذه (ثم) يخرج اليه الخادم فيأخذ السجادة عن كتفه وهو ساكت لا يسلم أحدهما على الآخر ويدخل الخادم والوارد يتبعه حتى اذا حصل في وسط الرباط وقف الوارد ينظر أين يفرش الخادم السجادة فيعرف موضعها وهذا فيه ما فيه الا ترى أن المعنى في السلام عند اللقاء انما هو التأنيس بالبشاشة وما شابهها من الاكرام للضيف والتودد نقيض ما عاملوه به وأما كسر الابريق فلاخفاء انه اضاعة مال وهو محرم وكذلك شتمه فوضعوا الشتم وخرق الحرمة واضاعة المال موضع الاكرام والاحترام والصيانة ثم سرى هذا الامر الى عامة المسلمين اذ أن هذه الطائفة قلوب الناس بهم متعلقة لحسن ظنهم بهم ولكونهم منسوبين الى اتباع السنة والزهد في الدنيا وتركها والاقبال على العبادة والدار الآخرة ويرون أنهم محفوظون لا يخالفون ولا يبتدعون فاذا صدر منهم شيء من هذا اقتدى بهم غيرهم في فعله فتجد كثيرا من الناس في هذا الزمان يقعد الرجل وأولاده كل واحد منهم يشتم صاحبه ويشتمون الآباء والاجداد ويلعنون أنفسهم والوالدان ينظران اليهم (وقد ورد) في الحديث المؤمن لا يكون لعانا (ومن) كتاب السنن لابي داود رحمه الله عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدعوا على أنفسكم ولا تدعوا على أولادكم ولا تدعوا على خدمكم ولا تدعوا على أموالكم لا توافقوا من الله ساعة يسئل فيها عطاء فيستجيب لكم (ومنه) عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا لعن شيأ صعدت اللعنة الى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينا وشمالا فاذا لم تجد مساغا رجعت الى الذي لعن ان كان أهلا لذلك والا رجعت الى قائلها (ومنه) عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بالنار (ومنه) عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء (ومن البخاري) رحمه الله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه (وهم اليوم) قد جاوزوا الحد في ذلك يشتم بعضهم بعضا دون أجنبي بينهم يكفهم قد كفوا الاجنبي أمرهم ولا يهتمون لذلك ولا يرجعون عنه (ولو) قدرنا أن أحدا نبههم على ما فيه من شدة القبح المجمع على منعه فمنهم من يسخر منه ومنهم من يقول ان هذا بسط لا حقيقة وكل ذلك سببه السريان من الخاصة الى العامة فانا لله وانا اليه راجعون على مخالفة السنن وارتكاب البدع (الا ترى) ان من السنة اكرام الضيف بتيسير ما حضر والاقبال عليه وما تقدم من فعلهم عكس هذا الامر سواء (ثم) ان الخادم اذا فرش السجادة يجعل فتحها الى الجانب الايسر ويعلمون ذلك بأنه اذا جاء أحد يريد أن يجلس معه

فيجلسه لناحية اليمين ليكون ذلك أسهل عليه فى فرشها له اذ ذاك ويعللونه بوجه آخر وهو أن القلب فى جهة اليسار فينبغى أن يكون فتحها تلك الجهة تفاؤلا بالفتح وهذا ليس من التفاؤل فى شئ لان التفاؤل الشرعى انما هو ما كان عن غير قصد وما ذكروه كله يحتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم والسجادة مكروهة فى الشرع ابتداء الا من ضرورة كما تقدم فكيف تفاصيلها فمن باب اولى وأحرى (ثم) انه مع ذلك يطوى طرفها من جهة القبلة من ناحية المشرق فاذا علم الوارد موضع السجادة ذهب الى موضع قضاء الحاجة كانت له حاجة أو لم تكن كان على وضوء أو لم يكن فيأخذ الابريق فيدخل به الى الخلاء ثم يخرج الى موضع الوضوء والابريق بيده فيضعه فى موضعه الذى أخذه منه ويجعل بزبوزه الى جهة القبلة ويملؤه وكذلك فى كل موضع يضعون الابريق فيه انما يكون مستقبل القبلة وهذا أيضا يحتاج الى توقيف من صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم (وهذه) الآداب الشرعية مثل استقبال القبلة وغيرها انما المخاطب بها المكلفون والابريق لا يتوجه عليه خطاب ولا أمر الشرع فيه بشئ والتزام هذه الاشياء فيه ضيق وحرج (وقد) قال عليه الصلاة والسلام ما تركته لكم فهو عفو (واذا) كان الامر كذلك فلا حرج فى وضع الابريق على أى صفة كانت وكذلك فى بسط السجادة وغيرها فما وافق السنة امتثلناه على الرأس والعين وما لم يرد فيه شئ فقد وسعه الله علينا فلا نضيق على أنفسنا باصطلاح من ليس بمعصوم (ثم) يتوضأ فاذا فرغ منه مشى بتؤدة الى موضع السجادة وهو مع ذلك لا يكلم أحدا ولا يكلمه أحد لا بسلام ولا بغيره فاذا جاء الى السجادة قدم رجله اليمنى فوضعها على طية السجادة ثم قدم رجله اليسرى فوضعها الى جانبها على الطرف المطوى كما هو ثم يقدم رجله اليمنى فى وسط السجادة ثم الرجل اليسرى ثم يزيل تلك الطية بيده أو بقدمه ويسوى هذه الطية قفل السجادة حتى لا يفتح ذلك غيره وهذا كله من محدثات الامور التى ليس لها أصل فى الشرع الشريف فتعين اطراحها وترك المبالاة بها (ثم) يصلى ركعتين والصلاة بهذا الوضوء فيها ما فيها لان هذا الوضوء ان كان لاجل دخول الرباط ليس الا فلا شك انه لا يستباح به الصلاة كما قال علماؤنا رحمة الله عليهم فيمن توضأ للأكل والشرب أو دخول السوق فلا يؤدى به عبادة يشترط الوضوء فيها وان توضأ لدخول الرباط وللحدث يجرى فيه الخلاف الذى بين العلماء اذا اشترك فى النية هل يجزيه أم لا وأقل ما فيه مما لا ينبغى ان هذا الفعل كله انما لاجل رؤية الناس له وانهم لا يتركونه يدخل الرباط الا على هذه الصفة فقد خرج الوضوء بهذا عن أن يكون لله وحده بل الشائبة فيه ظاهرة بينة والمريد لا يسامح نفسه فى شئ من هذا كله فينبغى له أن يتوضأ بعد ذلك لاستباحة الصلاة ويتوب من عمل عمله لأجل رؤية الناس ثم انه اذا سلم من صلاة الركعتين المتقدمتى الذكر أتى اليه بعض أهل الرباط فسلموا عليه وبسطوا له الانس ويقوم هو اليهم ويعانقهم وهذا الذى فعلوه من سلامهم عليه وبسطهم له هو السنة عند اللقاء فاخرجوه عن موضعه المشروع الى موضع غير مشروع فيه وأما قيامه لهم فليس من السنة فى شئ لان القيام المشروع انما هو قيام الحاضر للغائب حين قدومه عليه وأما المعانقة ففيها اختلاف بين العلماء ومذهب مالك رحمه الله كراهتها (ثم) انهم يتكلمون عند ذلك بالكلام المعتاد بينهم الذى لا يخلو فى الغالب من التنميق والتزكية وترفيع بعضهم لبعض بأشياء الغالب عدم بعضها الا من وفق الله تعالى وقليل ما هم (واحتجوا) على استحباب هذه الاصطلاحات واستحسانها وأمر الفقراء بها بأن مشايخهم قد قرروا لهم ذلك ليكون تحفظهم عليها علامة ودلالة على تحفظهم على بواطنهم مما يقع فيها فتكون آداب الظاهر دلالة على حصول آداب الباطن وهذه الطائفة يحسنون

الظن بمشايخهم وقد أمروهم بذلك فلا عتب عليهم فى فعله بل هم فى عبادة وخير وهذا الذى قالوه ليس بالبين لانه لو أجاز العلماء مثل هذا لكان ذلك كله ذريعة الى نسخ الشريعة بالآراء وغيرها فكل من ظهر له شئ أو استحسن شيأ جعله أصلا معمولا به ويرجع اليه ولا قائل به من المسلمين وهذا الدين والحمد لله قد حفظه الله تعالى من الزيادة فيه والنقص منه (ولا حجة) فى كون الفقراء يحسنون ظنهم بمشايخهم لان تحسين الظن بهم له مجال متسع مادام واعلى الاتباع للسنة والسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين فحينئذ يرجع اليهم ويسكن الى قولهم وأما غير ذلك فاتباع السنة أولى وأرجى وأنجح بل أوجب مع سلامة الصدر لمن قال ما قال اذا أنه لم يقصد الاخبرا ولكن المريد يتعين عليه أن يكون ميزان الشرع فى يده فان من وفى واعتدل فهو غنيمة ومن نقص فلا ضرورة تدعو الى الاقتداء به فيما خالف فيه السنة اذ أنه لا يتبع أحد فى الغلط (وانظر) الى قوله عليه الصلاة والسلام فى حديث الورود على الحوض فيقال أنهم قد بدلوا بعدك فأقول فسحقا فسحقا أى فبعدا فبعدا (واذا) كان كذلك فقد وقع البعد بسبب التبديل ولفظ التبديل يقع على القليل والكثير واذا كان الامر كذلك فلا ضرورة تدعو الى الوقوع فى مثل هذا الاحتمال والمقصود أن تكون السنة واتباع السلف رضى الله عنهم هما الاصل عنده فلا يعرج على غيرهما ولو كان من قال (ولاجل) هذا المعنى قال بعضهم ان المريد يعرف حين دخوله وماذاك الا أن المريد محافظ على السنة فاذا استأذن ووقف بالباب حتى يؤذن له ثم دخل وقدم رجله اليمنى وأخر اليسرى ثم سلم السلام الشرعى علم أنه مريد لامتثاله هذه السنن الثلاث ألا ترى الى ما حكى عن بعضهم أنه جاءه مريد لزيارته فقدم اليه شيأ للاكل فتناول المريد لقمة باليسار فقال له المزور من شيخك يا بنى فقال له ياسيدى الناحية اليمنى توجعنى فقال له كل رضى الله عنك وعمن رباك وقد تقدمت هذه الحكاية لان السنة فى ابتداء الاكل أن يكون بناحية اليمين فلما أن رآه خالف هذه السنة عرض له بقوله من شيخك لينبهه بذلك على ماوقع فيه من مخالفة السنة فكان فى المريد من اليقظة والحضور مافهم به مراده فأجابه فهكذا تكون المحافظة على السنة والاتباع وفقنا الله لذلك بمنه (وقد تقدم) فى لباس العالم وتصرفه مافيه غنية عن اعادته فى حق المريد لكن المريد يكون أشد حرصا على الاتباع لانقطاعه الى الله وتبتله اليه وقد تقدم مافى تلك الثياب المذكورة من السرف فكذلك مايشبهها أعنى من الوسع فى الثوب الذى لاضرورة تدعو اليه وان كان ثوب المريد قصيرا فى الغالب لكنه احتوى على شيئين قبيحين مخالفة السنة ووجود السرف فيه أعنى فى الوسع الخارق الذى يفعله بعضهم

﴿فصل﴾ واعلم أن طريقة الصوفية نظيفة وأقل شئ يدنس النظيف لاجرم أنه قد كثر التدليس والتخليط وظهر وسبب ذلك أن كل طريقة ادعاها الانسان فمحنته فيها اشواهد الامتحان الا هذه الطريقة فانه لا يفتضح فيها غالبا وذلك لوجهين أحدهما أن طريقهم مبنى على الفتوة والستر والعفو والصفح والتجاوز والاغضاء عن العيوب وكل من ادعى شيأ يخالف طريقهم ستروا عليه وجروا عليه أذيال الفتوة والثانى أن كثيرا ممن تغير عليه فى هذا الزمان أقل مايقع منه أن يقول لك حسدتنى ويقوم فى حيته كثير من الناس فتتداعى الفتن وتكثر الى غير ذلك من الحظوظ التى تعتورهم وهى كثيرة ولاجل ذلك سكت من سكت من أهل الصدق والاتباع فظن من لا علم عنده بحالهم السيئ أن سكوتهم رضا منهم بشئ مما رأوه أو سمعوه ألا ترى أنهم اذا وجدوا من يقبل الحق منهم ألقوا اليه مايخلصون به مهجته من هذه الغمرات وسرابه وأقبلوا عليه لا لحظ دنيوى بل يفعلون ذلك فرحا منهم

بهداية شارد عن باب ربه عز وجل مضطر الى من يوصله اليه (وقد ورد) فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى رضى الله عنه لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم فاذا أوجد أحدهم السبيل الى شئ من هذا بادر اليه وان كان ضده تغافل وتناسى لاجل ما تقدم (وقد تقدم) (ن اللعين بمكيدته وشيطنته يتبع السنن واحدة بعد واحدة بريد بذلك أن يبدل مكان كل سنة ضدها الاترى) أنه لما ان وجد المريد أكثر لباسه على ما ينبغى من القصر وغيره أدخل عليه دسيسة قل من يشعر بها وهى وسع الثوب الخارج عن العادة وفيه شيئان مما لا ينبغى وهما اضاعة المال وهو محرم لمخالفة السنة وكفى بهما وقنع بذلك من بعضهم ودس زيادة على ذلك وبدل ما هو أكبر من هذا وأكثر بكثير من العرب فى طول ثيابهم حتى صارت اذا مشوا تجر على الارض وهذا محرم فى حق الرجال مما كد فعله فى حق النساء وبدل للنساء ضد ذلك وقد تقدم بيانه وزاد فى ثياب بعض من ينسب الى العلم قريبا مما سبق فى ثياب العرب (فالحاصل) أنه حرم كل طائفة من الاتباع واوقعهم فى ضده ومع ذلك فقل من يستيقظ لما ألقاه اليه من هذه الدسائس بل تلقوها بالاقبال عليها لما ألقى اليهم من لتعليل لكل واحدة لان من عادته الذميمة تعليل ما يلقيه اليهم وتحسينه لهم ليكون ذلك أدعى الى القبول منه والحرص على فعله فانا لله وانا اليه راجعون على ما حصل من الغفلات عمن لا يغفل عنا ولا ينسانا وفى التلويح ما يغنى عن التصريح والله المستعان بمنه وكرمه

﴿فصل فى ذكر بعض المتشبهين بالمشايخ وأهل الارادة﴾ وهذا باب متسع متشعب قل ان تنحصر مفاسده أو يتعين ما يقع منه لكثرته (لكن) نشير الى شئ منه ليستدل به على ما عداه والله المستعان (فمن ذلك) أن كثيرا من الناس يدعى الدين والصلاح وأنه من أهل الوصول ويأتى بحكايات من تقدم من الاكابر ويطرزها كلامه وهو مع ذلك يشير الى نفسه بلسان حاله وأن عنده من ذلك طرفا (وبعضهم) يزعم أنه حصل له من ذلك الامر حاصل ومنهم من له القدرة على تصنيف الحكايات والمرائى التى يختلقها من تلقاء نفسه سماوا والعياذ بالله تعالى ما ابتلى به بعضهم من تجربة ودعواه رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وأنه أقبل عليه وخاطبه وأمره ونهاه بل بعضهم يدعى رؤيته عليه الصلاة والسلام وهو فى اليقظة وهذا باب ضيق وقل من يقع له ذلك الامر الا من كان على صفة عزيز وجودها فى هذا الزمان بل عدمت غالبا مع انا لا ننكر من يقع له هذا من الاكابر الذين حفظهم الله تعالى فى ظواهرهم وبواطنهم (وقد) أنكر بعض علماء الظاهر رؤيه النبى صلى الله عليه وسلم فى اليقظة وعلل ذلك بان قال العين الفانية لا ترى العين الباقية والنبى صلى الله عليه وسلم فى دار البقاء والراءى فى دار الفناء (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يحل هذا الاشكال ويقول ما قاله هذا القائل صحيح ولكن يرده ما ورد ان الله تعالى يوقف هذه الطائفة بين يديه ويقول عز وجل أوليائى لم أزو عنكم الدنيا هوانا لكم على ولكن زويتها عنكم لتستوفوا اليوم نصيبكم عندى اذهبوا فاخترقوا الصفوف فمن سلم عليكم من أجلى أو زاركم من أجلى أو أطعمكم لقمة من أجلى فخذوا بيده وأدخلوه الجنة فيأتون الى المحشر وهم يجرون أذيال الفخر فيقول أهل المحشر يارب نحن ما بال هؤلاء دوننا فيقول الله عز وجل أنتم متم فى الدنيا مرة واحدة وهؤلاء كان الواحد منهم يموت فى اليوم سبعين مرة أو كما قال (وقال) سيدى أبو مدين رحمه الله من مات رأى الحق ومن لم يمت لم ير الحق فاذا كان المرء اذا مات موتة واحدة رأى الحق فما بالك بسبعين مرة فى كل يوم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين فذهب الاشكال والحمد لله وظهر الصواب والله المؤمل فى الثواب (ومنهم) من يشير الى نفسه بالكرامات وخرق

العادات وهو عرى عنها بالاتصاف بضدها (ومنهم) من يدعى رؤية المشايخ ولقيهم وهو مع ذلك لم يجتمع بهم ولا رآهم ومنهم من يدعى صحبة بعض الشيوخ والاهتداء بهديهم وهو لم يجتمع بهم ولا هو على طريقهم بل رأى بعض من صحب الشيوخ وحكى عنهم فحكى ذلك عن نفسه (ومنهم) من يدعى رؤية الخضر ثم ان بعضهم يؤكد ذلك باليمين ليكون أدعى للقبول منه حتى لقد قال بعض من ينسب اليه شئ من هذا أن الخضر يأتيه فى كل يوم ويقف على بابه أو دكانه ويتحدث معه وهو يبيع ويشترى وذلك كله تقول وافتعال لا أصل له ولا فرع مع أن هذا لا ينكر اذا وقع من أهله فى محله (ومنهم) من اذا أراد أن يلقى شيأ مما يخطر له قدم قبله الاستشهاد بكتاب الله تعالى فيقول قال الله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ثم يحلف عند ذلك أنه رأى ورأى وانه خوطب فى سره والغالب انك تجد كثيرا من العوام لغلبة الجهل عليهم يأهل الحق والخير والصلاح والاتباع اذا موه عليهم أحد من أهل التمويه انقادوا له وكالوا به واتبعوه ونزلوه المنزلة التى يدعيها أسأل الله السلامة من ذلك بمنه وكرمه (وبالجملة) فأحوالهم الرديئة لا تحصر وفيما وقع التنبيه به كفاية ومقنع هذا حال المستترين منهم (وأما غيرهم) فقد خرقوا السياج وليس الحجب منهم بل الحجب ممن يعتقدهم أو يميل اليهم مع ما هم فيه من مخالفة الشرع الشريف مثل ما يفعل بعضهم من انه يظهر للناس الزهد فى الدنيا وترك المبالاة بها حتى انه ليجلس مكشوف العورة وقد تقدم ذلك (ومنهم) من يدخل النار على زعمه ولا يحترق بمرأى من الناس وذلك لو كان صحيحا لكان بدعة ومنكرا اذ أن من شرط المعجزة اظهارها والتحدى بها ومن شرط الكرامة عكس ذلك فاذا أظهرها للناس فقد خرجت عن باب الكرامة (اللهم) الا أن تقع ضرورة شرعية داعية الى اظهارها (مثل) ما حكى عن بعضهم انه كان فى مركب موسوقة فجاءها البحر عليهم وكان القمح لبعض الظلمة المسلطين على الخلق فى وقته فسمع النواتية وهم يقولون أن هذا القمح مكيل علينا فان نقص منه شئ أخذنا الظالم به فلما رأى ان نرمى الركاب فى البحر ويبقى القمح فلما ان سمعهم قال لهم ارموا القمح فى البحر وأنا الضامن له فأشهدوا عليه ورموا القمح حتى لم يبق الا القليل فسكن البحر فلما ان وصلوا الى البلد طالبوه بما التزمه فأمرهم أن يأتوا بالمكاليين فجاءوا بهم فقال اكالوا ما بقى من القمح فاكتالوه فوفى ما عليهم أعنى ما كان على النواتية مسطورا ثم رد رأسه الى أصحابه وقال لهم والله ما عملتها الا حقنا لدماء هؤلاء المسلمين (فما) كان مثل هذا فهو الذى يظهر ونه للضرورة الشرعية مع أن لدخول النار أدوية تستعمل حتى لا تعدو على من دخلها ممن استعمل تلك الادوية لكن لو أحضر أحد من أهل السنة ودخلا معا لاحترق صاحب البدعة والزعبلة وخرج المحق سالما (وقد) وقع ذلك فى حكايات يطول تتبعها منها الحكاية المسندة فى مصباح الظلام للشيخ الامام الجليل أبى عبد الله بن النعمان رحمه الله وما جرى للسنى والمبتدعى فى دخولهما النار فخرج السنى ولم يحترق وبقى المبتدعى حمة اه (وقد) كان بعض من ينسب الى المشيخة يدخل أصحابه النار ولا يحترقون فقال لى سيدى أبو عبد الله الفاسى رحمه الله والله لولا انى أخاف من سيدى الشيخ أن يطردنى لاخذت الشيخ نفسه ودخلت أنا واياه النار حتى ننظر من يحترق فينا (وقد) كان ببلاد المغرب من زمن قريب رجل يدعى الولاية وخرق العادة وكان اذا ورد عليه الفقراء والاضياف يعمل لهم فطيرا ويفته فى قصعة ويؤتى بها اليه فينصب يده عليها فيخرج من بين أصابعه عسل نحل فيلت به ويطعمه من هناك حتى يكفيهم ثم يرسل يده فينقطع فسمع به بعض الاكابر فى وقته فجاء اليه فلما أن جلس عنده قال له نريد أن تطعمنا من هذه البسيسة التى تطعم الناس منها فقال نعم فأمر بالفطير على

العادة فأحضر فديده ليسيل العسل على العادة فلم يخرج شئ فقال له وأين ماتدعيه فقال انقطع الآن فقال لو كان حقا ما انقطع لان الباطل اذا حضره الحق زهق ثم عزره وو بخه بالكلام وقال له كنت تطعم المسلمين أبوال الشياطين وأخرجه عن ذلك الحال وتوبه عنه (ومنهم) من يظهر الكرامة بامساك الثعابين والأنس بها وهذا فيه مافيه من مخالفة الشرع الشريف والتمويه على الامة بما لاحقيقة له اذ أن مثل ذلك يفعله كثير من الناس لمعيشتهم فكيف يعد كرامة (ومن) ذلك أيضا مايفعلونه من أكلهم الثعابين بالحياة بمرأى من الناس وذلك محرم أن لو كان صحيحا لان أكلها لايجوز الا بعد تذكيتها عند من يرى أكلها وهم يأكلونها من غير تذكية بل يؤدبون على كل أكلة من أكلاتهم تأديبا بليغا رادعا ثم ان كان ذلك من غير حقيقة فهو من صنعة النار نجيات والسيميا ء وماشا كلها وليس من باب الكرامة فى شئ (وكنت) أعهد مثل هذه الاشياء ببلاد المغرب تفعل على أبوابها ويتضاحك الناس عليها فى لهوهم ولعبهم ويستغنون بسببها وهم فى هذه البلاد فى بعض الاماكن يعدونها من الكرامات ويعتقدونهم بسببها (ومنهم) طائفة استنت سنة سيئة وهم الذين يحلقون لحاهم وذلك مخالفة للسنة وارتكاب للبدعة لغير ضرورة شرعية وأما اذا كان للضرورة مثل التداوى وغيره فجائز (ومنهم) من يفعل عكس ذلك فيأخذون شيأ من شعور أبدانهم ويعللون ذلك بأنه من حسن الصحبة وذلك قبيح شنيع لانه يشبه فعل الرهبان وفيه المثلة والاستقذار وقد نهينا عن ذلك كله (ومنهم) من يلبس الليف والاشياء التى لاتستر عند الركوع والسجود مثل الشعر وغيره وهذا أيضا من المثلة والشهرة والبدعة وكشف العورة وترك الصلاة اذ أنه لايجوز كشف العورة ولاغيرها (وأشنع) من هذا كله وأقبح ماتخذه بعضهم من لبس الحديد فيتخذ سوارين فى يديه كما تتخذهما المرأة من الفضة والذهب (وبعضهم) يجعل فى عنقه طوقا من حديد كالغل بل هو نفسه ويعلقون فى آذانهم حلقا من حديد (وبعضهم) يجعل على ذكره طوقا من حديد القفل ويزعمون أن شيوخهم حين يأخذون عليهم العهد يفعلونه بهم ويأمرونهم أن يلبسوه لمن اقتدى بهم ويقولون ان ذلك قفل على محل المعاصى حتى لاترتكب ولاخفاء فى تحريم هذا وشناعته وقبحه وانه لامدخل له فى الشرع الشريف (ثم) مع ادعائهم ان ذلك قفل على محل المعاصى يأتون بنقيض مازعموا وهو أن فيهم شبانا لهم صور حسان وهم مقيمون معهم مساء وصباحا ويخلو بعضهم مع بعض دون نكير (وقد) قال بعض السلف رضى الله عنهم لأن أوتمن على سبعين عذراء أحب الى من أن أوتمن على شاب (وبعضهم) يتخذ حديدا كالعمود يمشى به فى يديه (وقد ورد) ان الحديد حلية أهل النار (وقد ورد) من تشبه بقوم فهو منهم فيقعون فى هذا الخطر العظيم بسبب الجهل والجهل بالجهل كل ذلك سببه مخالفة السنة المطهرة (واشد) من هذا كله ان أكثرهم يدعى أنه على الحق والصواب وان طريقته هى المثلى (ومنهم) قوم تنزهوا عن هذه الرذائل وعابوا على فاعلها ثم انهم يقعون فى أشياء رذلة تنهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه عنها وهى عندهم كانها من شعار الولاية (فمن ذلك) اتخاذ بعضهم الأعلام على رأسه وهو لايخلو اما أن يكون وليا لله تعالى على مايزعم أم لافان كان وليا فالولى لله تعالى لوقدر أن يدفن نفسه أو يكون أرضا يمشى عليه لفعل حتى لايكون مع الناس بالسواء فكيف ينشر الأعلام على رأسه وهذا من باب الشهرة والدعوى وأهل الاعيان برآء من ذلك كله (ألا ترى) الى قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لتميم الدارى رضى الله عنه لما ان سأله أن يعظ الناس ويذكرهم فقال له أنت تريد أن تقول أنا تميم الدارى فاعرفونى فكل من أراد الظهور فليس من أهل الطريق فى شئ بل هو عكس حالهم ولو لم يكن

فيه الا أنه بدعة ممن فعله فكيف بانجرار هذه المفاسد التي وقعت بسبب الاعلام اذ أنهم يجتمعون رجالا وشبانا فاذا أشرفوا على بلد ذكروا الله تعالى جهرا يرفعون بذلك أصواتهم ولا يقصدون به الذكر ليس الا بل الاعلام لاهل تلك البلدة ومن قاربها بورود الشيخ والفقراء الذين معه حتى يخرجوا الى تلقيهم فاذا سمعوا ذكرهم خرجوا اليهم رجالا ونساء واختلطوا بهم فصاروا مجتمعين رجالا ونساء وشبانا وهذا فيه مافيه من مخالفة الشرع الشريف وقد تقدم غير مرة ان المرأة لا تخرج من بيتها الا لضرورة شرعية ومع ذلك فتكون اذا خرجت خرجت على الصفة المتقدم ذكرها من الستر والمشي مع الجدران لا تتكلم الا لضرورة شرعية وهن اذا خرجن للقائهم خرجن منكشفات في الغالب وان تستر بعضهن فبعض تستر يرفعن أصواتهن بالزغاليط [1] و يسمع لهن اذ ذاك ضجيج وذلك كله بمرأى من الشيخ وعلمه بهم فما أقبح هذا وأبعده ممن ينتمي الى طريق أهل الدين والصلاح فكيف بمن يزعم أنه يدعو الناس الى الله تعالى فانا لله وانا اليه راجعون على انعكاس الامور (و بعضهم) يزيد على ذلك فعلا قبيحا فيه اضاعة المال وهو وقود الشمع نهارا حسين يلتقونه و يقصدون بذلك القربة الى الله تعالى وهيهات هيهات التقرب الى الله تعالى لا يكون الا بامتثال أوامره لا بالوقوع في نواهيه بل هو نفس البعد والقلا أسأل الله العافية من ذلك كله عنه (ثم) مع ذلك ينزل على أهل تلك البلدة بالجمع الذي معه ومفاسده قل أن تحصر فمن ذلك أنه يضر بحال كثير منهم بسبب تكلفه لهم أشياء من الاطعمة تليق بهم ويتفاخرون بذلك و بعضهم يعيب على من أتى بطعام لا يختارونه وليت هذه الضيافة لو كانت عن طيب نفس لكنهم يقسطون ما ينفقونه في تلك الضيافة على الرؤس من غني وفقير ومضطر ومحتاج وأكثرهم يتداينون بسببها و بعضهم يعجز عن شيء يعطيه وعمن يداينه فيهرب قبل وصول الشيخ الى البلد فيتسلطون على بيته وهو غائب فيأخذون ماوجدوا من دجاج أو داجن و بعض من يعجز عن الهروب يمتحن مع كبراء أهل البلد بما يوجبون عليه مما لا قدرة له به وتفاصيل أحوالهم في هذا المعنى تطول (وقد) قال عليه الصلاة والسلام أنا وأمتي برءاء من التكلف ولو لم يكن من التكلف لهم الا عاف دوابهم لكان فيه من المحرم ما فيه (ثم) مع ذلك لم يقتصروا على هذا التكلف العظيم حتى أضافوا اليه ما يأخذونه من الهدايا و يسمون ذلك بالفتوح للشيخ ولاصحابه كل على قدر حاله سيما صاحب المنزل الذي نزلوا عنده فهذه الوظائف أعني الضيافة والعلف والفتوح للشيخ وجماعته لا بد له منها حتما ثم انهم لم يقتصروا على ذلك الاخذ للشيخ وحده حتى يأخذوا لخادم السجادة وقد تقدم ان السجادة في نفسها بدعة فكيف يتخذ لها خادم ثم يأخذون لخادم الابريق ثم لخادم السماط ثم لخادم العكاز ثم لخادم الدابة أو الفرس ثم المزمرون الذين معه (ثم) مع هذه الاحوال الرديئة يرقص بعضهم مع بعض نساء ورجالا وشبانا (ثم) انهم لم يقتصروا على هذه المفاسد حتى آخى بعضهم بين الرجال والنساء من غير نكير ولا استخفاء في ذلك (ثم) انهم لم يقتصروا على هذا الفعل القبيح حتى يقعد بعض النساء يلبس بعض الرجال و يزعمون أنها أخته من الشيخ وقد آخته فلا تحتجب عنه اذ أنها صارت من ذوي المحارم على زعمهم وكتب العلماء والحمد لله بين أيدينا وليس فيها شيء مما ذكر ومثل افتعال منهم وتقول باطل

[1] قوله الزغاليط قال في شفاء الغليل زغلط اذا صوت بلسانه بغير حروف كما تفعله نساء العرب ولمحمد بن سمندبار سماع غناء الطير للدوح مرقص ومن طرب بالزهر منه ينقط وللناس في عرس الربيع مسرة للخلق حتى القرفيه بزغلط وفي شرح القاموس ان زغردة النساء في الافراح من زغردة البعير اه وأما الزغاريت والزراغيت فهو لحن اه ومعنى زغردة البعير هديره الذي يردده في جوفه اه

فمن استحله منهم فقد خرج عن الدين ومن لم يستحله منهم فقد ارتكب أمرا عظيما يجب عليه أن يتوب ويقلع عما هو بسبيله من المخالفة والضلال (فاذا) علم هذا من أحوال بعضهم فأى فرق والحالة هذه بينهم وبين الظلمة المتسلطين على الخلق بأخذ المال والاذية بل قد يوجد بعض الولاة يتحاشا عن مثل هذه الرذائل وينزه منصبه عنها فلا يأكل الامن اقطاعه مع ان الوالى مأمور بالاقتداء بالفقراء المتبعين فصار الامر بالعكس اذ أنه يتعين على من اتصف بشئ مما تقدم ذكره فى أمر من انتسب الى الفقراء أن يقتدى بالوالى فى هذا الفعل الحسن (وزاد بعضهم) على هذا شيأ قبيحا وهو استهتار فى الدين وزندقة فيقولون المال مال الله ونحن عبيد الله فلا فرق بيننا وبين صاحب المال لانا شركاؤه فيه وهذا منهم حل ونقض للشريعة المطهرة وقد أبى الله ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قال الله تعالى فى كتابه العزيز ويأبى الله الا أن يتم نوره فالشريعة والحمد لله مصونة عن الزيادة فيها والنقص منها فلا تزال على صفة الكمال حتى يأتى أمر الله (ثم العجب) ممن يدعى المشيخة منهم والهداية لطريق القوم كيف يعطى الاجازات للفقراء من تحت يده بالمشيخة ولو سألته عن فرائض الوضوء أو سننه أو فضائله وكذلك فى الغسل أو فى التيمم أو فى الصلاة لجهل ذلك غالبا (وقد) قال بعض العلماء اذا صلى المكلف وهو لا يعرف المفروض من المسنون فلا تصح صلاته وكذلك لو سألته عن مفسدات الصلاة لما علمها وكذلك لو سألته عن حكم السهو اذا طرأ عليه فى صلاته لما علمه (فاذا) كان هذا حاله فى أمر وضوئه وصلاته اللذين بهما قوام دينه وصلاحه فما بالك به فى غيرهما (وقد تقدم) أن من لم يأتمنه الله عز وجل على أدب من آداب الشريعة فبعيد أن يؤتمن على سر من أسرار الله تعالى (فاذا كان) هذا حال الشيخ فى جهله بمبادى أمر دينه فكيف بمن يصحبه أم كيف بمن يجيزه اذا الغالب ممن ينتمى الى مثل هذا انه لا يباشر العلماء اذ لو باشرهم لأنكر عليهم ما هم فيه فكيف يصحبهم أو يتبعهم على أن هذه الاجازة والحالة هذه لا أصل لها فى الدين ومع كونها لا أصل لها فالاجازة التى يعطونها شبيهة بالظلم الا ترى انهم لا يعطونها فى الغالب لمن سألها حتى يعطى على ذلك عطاء جزيلا بحسب حالها ويسمون ذلك بشكران الدخول فى طريق القوم فيعطى الشيخ ما يليق به ولخدام الشيخ المتقدم ذكرهم ما يليق بدرجاتهم وكذلك الاكابر أصحاب الشيخ المذكور ولا بد من ليلة يطلبونها منه للسماع كل على قدر حاله ويختلطون كما تقدم ثم مع هذا الحال لا يقتصرون على كتب الاجازات لمن طعن فى السن ولمن له ثبوت فى العقل من الكهول بل يعطونها للشبان المردان ولهم صور حسان فيتسلطون بسبب ذلك على الكشف على حريم المسلمين فى بعض الاحيان والاماكن بسبب الاختلاط بهم من أجل الاجازات التى بأيديهم هذا حالهم مع من سأل الاجازة منهم (وأما) من لم يسألها فهو على قسمين اما أن يكون له وجاهة أو جدة أو أحدهما ويعلمون من حاله انه يميل الى شئ من أحوالهم واما أن يكون عاريا عن الوجاهة والجدة وهو مع ذلك متشوف للاجازة كالاول (فأما الاول) فيعملون عليه الحيل فى ربطه عليهم وسكونه الى قولهم والرجوع اليهم فاذا ظفروا منه بذلك كافوه التكاليف التى تضر بحاله وحال عياله غالبا (واذا) كان كذلك فلا فرق اذن بين من هذا حاله وبين الظلمة الا أن الظلمة يفعلون ذلك بالعنف والقهر وهؤلاء يفعلون مثله بالحيل والخديعة (وأما) ان كان فقير الحال له ولا وجاهة فانهم يستخدمونه المدة الطويلة ليحصل لهم من تكلف الناس والتسلط عليهم والالحاح عليهم بالمسئلة على الغنى منهم والفقير حتى يحصل لهم ما يرضيهم كالاول وهذا أمر لا مس أخلاق المسلمين فى شئ اذ أن من أخلاقهم النصيحة بينهم والشفقة ورحمة بعضهم مع بعض نسأل الله السلامة من بلائه بمنه وكرمه

﴿فصل﴾ ثم العجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادى أمر دينهم كما تقدم فكيف بالانتماء الى المشيخة (وقد) قال أهل التحقيق من أهل الطريق أن الفقير لا يكون فقيرا حتى يكون قلبه كأنه فى كفه يعنى من قوة معاينته له ونظره اليه فيعرف الزيادة فيه من النقص بديهة (هذا) حال الفقير المنفرد بنفسه دون أن يصل الى اقتداء الغير به (وأما) الشيخ فلا بد له من زيادة على ذلك وهى أن تكون قلوب أصحابه كأنها فى كفه وكذلك أحوالهم فى تصرفاتهم وخواطرهم فيعلم ما يزيد فيها وما ينقص منها فيريهم على ما يتحقق من حال كل واحد وينبههم على ذلك بحيث لا يشعر أحد من جلسائه بل الشخص نفسه قد لا يشعر بذلك فى بعض الاحيان وهم فى معرفة هذا أمور وتصرف لا يعرفه غيرهم فان كان الشيخ عاجزا عن هذه الرتبة أعنى انه لا يعرف ما زاد فى حال أصحابه وما نقص فى غيبته فلا يدعى المشيخة ولا الهداية بل اخوان مجتمعون يتذاكرون فى مسائل الدين ومناقب أهل الاحوال السنية فلعل بركة ذلك وبركة اجتماعهم تعود عليهم دون ان يدعى أحد منهم حالا أو مقاما لهذا حال القوم مع وجود الاخلاص منهم والصدق والتصديق والركون الى مولاهم فى دقيق الامور وجليلها والتزام الوقوف ببابه سبحانه وتعالى ومع هذه المقامات العلية والاحوال السنية لا يدعون لانفسهم حالا ولا مقاما بل يقول أكثرهم الى الآن ما أحسن ان أتوب حتى قال قائلهم

يظنون بى خيرا وما بى من خير * ولكننى عبد ظلوم كما ترى
سترت عيوبى كلها عن عيونهم * وأبدتنى ثوبا جميلا من الستر
فصار وا يحبوننى وأنا الذى * أحبوا ولكن شبهونى بالغير
فلا تفضحنى فى القيامة بينهم * ولا تخزنى يارب فى موقف الحشر

(وقد) قال بعض السلف الصالح رضى الله عنه لولده لما ان رأى منه شيأ لا يعجبه يابنى أما تعرف قدرك فقال وما قدرى فقال له أملك اشتريتها بأربعمائة درهم وأبوك لا أكثر الله مثله فى الاسلام (هذا) مقالهم مع وجود الاحوال السنية منهم فما بالك بمن هو على العكس ثم مع ذلك يعطى الاجازات وتنصب بين يديه الاعلام والرايات فانا لله وانا اليه راجعون (وبعضهم) يدعى الولاية ويركب بسبب ذلك محرمات فيركب على جريدة قد صوروا لها وجها وعينين وأنفا وفما ويأخذ بيده شيأ كانه سوط ويركب تلك الجريدة ويمسكها بسير أو خيط كانه لجام لها ويضربها ويجرى (وبعضهم) يعلق فيها جرسا فاذا مشى يسمع له صوت قوى فيجتمع عليه النساء والرجال والشبان غالبا وقد يدخلونه بيوتهم ولا يختفى منه أحد كانه امرأة من جملة نسائهم ويعيبون على من استتر منه ويقولون هذا مولة (وهذا) أشد قبحا من الاول لانه قد ينفرد وحده فيجد السبيل الى ما تسوله له نفسه من الرذائل بخلاف من تقدم ذكرهم (فكيف) يدعى الولاية مع ارتكاب نهى صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه حيث يقول من صور صورة عذب حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا (ولا فرق) بين من صورها أو استعملها أو رضى بها وما العجب من هذا بل العجب ممن تلبس بشئ من العلم وهو مع ذلك يعتقد من هذا حاله ويصوب فعله بأن يقول هذا ولى لله وانما هو يخرب على نفسه وتخريب هذه الطائفة انما يكون بما لم يعارضهم فيه أمر ولا نهى وهذا قد عارضه النهى الصريح كما تقدم ولو لم يكن للجريدة صورة لاحتمل التخريب وغيره (هذا) ان كانت أوقات الصلوات عليه محفوظة وكذلك فى سائر التكاليف الشرعية وهو يظهر الولة فيما عدا ذلك فهذا محتمل مع أنه لا ضرورة تدعت الى الدخول فى هذا الاحتمال اذ أن الله عز وجل لم يضيق على المكلف اذا العلماء والاولياء محفوظون فى ظواهرهم وبواطنهم موجودون والحمد لله لا تخلو منهم الارض الى أن تقوم الساعة باخبار صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه

﴿فصل

﴿فصل﴾ ثم ان مع هذا كله لم يكتفوا بهذه المفاسد حتى ضموا اليها مفسدة أخرى وهى أخذ بعضهم العهد على من يريد الدخول فى الطريق من رجل أو امرأة أو شاب ليكونوا من خواصه وأتباعه (وبعضهم) يحلقون شعر رأس من يتوب على أيديهم حين يأخذون عليهم العهد وهذا جهل منهم بالعهد وماهيته وكيفيته وحلق شعر الرأس لغير ضرورة شرعية من البدع وقد كان فى عهد السلف رضى الله عنهم من شعار أهل البدع وعلامة عليهم هذا اذا كان الحلق لأجل الدخول فى الطريق وأما حلقة لكثرة الدواب أو غيرها فهو جائز غير مكروه

﴿فصل﴾ ومن هذا الباب أيضا ما يفعله بعضهم من تعليق السبحة فى عنقه (وقد تقدم) قول عمر رضى الله عنه لتميم الدارى رضى الله عنه أنت تريد أن تقول أنا تميم الدارى فاعرفونى وما كان مراده الا ان يذكر الناس بالأحكام الشرعية المأمور باظهارها واشاعتها واظهار السبحة والتزين بها لا مدخل لهما فى ذلك بل للشهرة والبدعة لغير ضرورة شرعية (وقريب) من هذا ما يفعله بعض من ينسب الى العلم فيتخذ السبحة فى يده كاتخاذ المرأة السوار فى يدها ويلازمها وهو مع ذلك يتحدث مع الناس فى مسائل العلم وغيرها ويرفع يده ويحركها فى ذراعه وبعضهم يمسكها فى يده ظاهرة للناس ينقلها واحدة واحدة كأنه بعد ما يذكر عليها وهو يتكلم مع الناس فى القيل والقال وما جرى لفلان وما جرى على فلان ومعلوم أنه ليس له الا لسان واحد فعده على السبحة على هذا باطل اذ أنه ليس له لسان آخر حتى يكون بهذا اللسان يذكر واللسان الآخر يتكلم به فيما يختار فلم يبق الا أن يكون اتخاذها على هذه الصفة من الشهرة والرياء والبدعة (ثم) العجب ممن يعد على السبحة حقيقة ويحصر ما يحصله من الحسنات ولا يعد ما اجترحه من السيئات (وقد) قال عليه الصلاة والسلام حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا فأرشد عليه الصلاة والسلام الى محاسبة المرء لنفسه فيما يتصرف فيه باعتقاده وجوارحه ويعرض ذلك كله على السنة المطهرة فما وافق من ذلك حمد الله عز وجل وأثنى عليه وبقى خائفا وجلا خشية من دسائس وقعت له لم يشعر بها وما لم يوافق احتسب المصيبة فى ذلك ورجع الى الله تعالى بالتوبة والاقلاع فلعل بركة التوبة تمحو الحوبة ويجبر بذلك ما وقع له من الخلل (وهذه الطائفة) أصل عملها التحفظ من السيئات والهواجس والخواطر ثم بعد ذلك يأخذ فى كسب الحسنات (وقد) قالوا ان ترك السيئات أوجب من فعل الحسنات (لما) فى الحديث عليه الصلاة والسلام اتق المحارم تكن اعبد الناس (وقد) حكى عن بعضهم انه بكى أربعين سنة فسئل عن سبب بكائه فقال استضافنى أخ لى فقدمت له سمكا فأكل ثم أخذت ترابا من حائط جارلى فغسل به يديه فأنا أبكى على ذلك التراب الذى اخذته منذ أربعين سنة (وحكى) عن آخر مثله فسئل عن ذلك فقال طلع لى طلوع فرقيته فاسترحت فأنا أبكى عليه لعدم رضائى بما فعله الله بى أو كما قال (وأحوالهم) فى هذا المعنى قل ان تنحصر فاذا كان هذا حالهم فى مثل ما وصفناه عنهم فما بالك بمن يحمل الاثقال وأى أثقال ثم يحصر الحسنات ولا يفكر فى ضدها فانا لله وانا اليه راجعون (ثم) ان بعضهم يحتج بأنها محركة ومذكرة فواسوأتاه ان لم يكن التحريك والتذكير من القلب فيما بين العبد وبين الرب سبحانه وتعالى (وقد) تقدم ما ورد فى الحديث ان عمل السر يفضل عمل الجهر بسبعين ضعفا (هذا) وهو عمل فما بالك باظهار شئ ليس بعمل وان كانت صورته صورة عمل وما زال الناس يخفون أعمالهم مع وجود الاخلاص العظيم منهم وهم مع ذلك خائفون وجلون من دخول الدسائس عليهم فاين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون (وبالجملة) ففعل ذلك فيه من الشهرة ما فيه (وقد) تقدم ان التاجر ينبغى له ان يكون عارفا بمعاملة ما يتجر فيه فلا يترك ماله فيه سبعون

ضعفا ويأخذ ماله فيه شئ واحد هذا مع السلامة من الاوصاف المتقدم ذكرها فكيف به مع وجودها (ثم) انه مع ذلك يحرم نفسه فضل الذكر وعود بركته على أعضائه وجوارحه فلو كان يسبح ويعد على أنامله لكان نور ذلك الذكر وبركته في أنامله (وقد ورد) أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على بعض أزواجه فرأى نورا في طاق فقال ما هذا النور الذي في الطاق فقالت يا رسول الله سبحتي التي كنت أسبح عليها جعلتها هناك أو كما قالت فقال عليه الصلاة والسلام هلا كان ذلك النور في أنامل فهذا ارشاد منه عليه الصلاة والسلام الى الافضل والاولى والارجح وقاعدة المريد أن لا يرجع الى عمل مفضول وهو قادر على ما هو أفضل منه وقد كان سيدي أبو محمد رحمه الله اذا قرأ في الختمة يجعلها على ركبتيه معاونا بكفها اليد اليسرى وجميع أصابع يده اليمنى تمر على الحروف التي يتلوها ويتعمد ذلك ويسأله بأن يقول حتى يحصل لكل عضو حظه من العبادة لكي يكثر الثواب بذلك فاين الحال من الحال فانا لله وانا اليه راجعون ﴿فصل﴾ ومنهم من بالغ في أخذ العهد الى حد لا شك في تحريمه وابطاله فيقول انه اذا أخذ العهد على من يأخذه عليه ان المأخوذ عليه لم يبق له تصرف في ماله ولا زوجته ولا نفسه بل التصرف في ذلك كله للشيخ فان أراد أن يطلق عليه لزمه وان أخذ ماله لزمه الى غير ذلك (ثم) انهم مع هذه الشروط التي يشترطونها لو تصرف الشيخ في شئ من ذلك لكان سببا للقطيعة والترك وليس هذا من صفة القوم ولا مأثورا عنهم (ومنهم) من يأخذ العهد على أن ينتمي لفلان من المشايخ دون غيره حتى كأن الطريق الى الله تعالى على عدد المشايخ فينتسبون اليهم كما ينتسب أهل المذاهب الى مذاهبهم فاذا انتسبوا الى ذلك فالطريق المحمدي أين هو وحصل بسبب ما تقدم بينهم تعصبات وشناعات كثير حتى صاروا أحزابا ووقع بعضهم في حق غير شيخه الذي ينتمي اليه أعاذنا الله من بلائه بمنه والطريق المحمدي غير هذا كله (ولذلك) كان سيدي أبو محمد المرجاني رحمه الله يقول طريق القوم واحدة (وكان) سيدي أبو محمد بن أبي جمرة رحمه الله يقول سنة الاحباب واحدة يعني مشربهم واحد وهو الاتباع وترك الابتداع (ولا) يظن ظان ان ما تقدم ذكره فيه انكار لاخذ العهد من أهله لاهله بشرطه المعتبر عندهم اذ أنه عليه درج السلف الصالح نفعنا الله بهم ولا ننكر أيضا الانتماء الى المشايخ بشرطه وهو أن يكون عند المريد شيخه وغير شيخه بالسواء بالنسبة الى الاتباع وترك الابتداع ويكون ايثاره لشيخه بسبب انه كان وصوله الى الله تعالى على يديه فيرى له ذلك فبهذا الاعتبار يقع التفضل لشيخه والاختصاص به دون غيره (وقد ورد) في الحديث عنه عليه الصلاة والسلام من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه (وقد كان) سيدي أبو محمد رحمه الله يأبى أن يأخذ العهد على أحد فسألته ما الموجب لذلك أهو بدعة قال لا ولكن عبد الله يعني نفسه ليس كغيره فأخاف ان أخذت العهد على أحد فقد لا يوفي بما أخذ عليه من العهد فيقع له التشويش وأكون السبب في ذلك فاتركهم رحمة بهم وشفقة عليهم وأعوض عنه الدعاء لهم بظاهر الغيب بالاستقامة أو كما قال (والحاصل) من أخذ العهد وأن يأخذ الشيخ العهد على المريد بأنه لا يراه الله حيث نهاه ولا يفقده حيث أمره وهذا هو زبدته وأصله وبقيت تفاريعه على هذا الاصل قل أن تتناهى وهي الامانة التي عرضها الله تعالى على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال علماؤنا رحمة الله عليهم ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه وذلك راجع الى الغالب منهم والا فكثير من وفى والحمد لله وكثير من دخل في جاه من وفى (ولاجل) هذا المعنى بقي كثير من المحققين ينتمون الى المشايخ ليكونوا في حرمتهم (واليه) الاشارة بقوله في الحديث

اخبارا عن رب العزة عز وجل حيث يقول هم القوم لا يشقى بهم جليسهم (فكما) لا يشقى بهم جليسهم كذلك لا يشقى بهم معتقدهم ولا محبهم (وقد) خرج الترمذى عن أنس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله متى قيام الساعة قال فقام نبى الله صلى الله عليه وسلم الى الصلاة فلما قضى صلاته قال أين السائل عن قيام الساعة فقال الرجل أنا يارسول الله فقال ما أعددت لها فقال يارسول الله ما أعددت لها كثير صلاة ولا صوم الا أنى أحب الله ورسوله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وأنت مع من أحببت فما رأيت فرح المسلمين بعد الاسلام كفرحهم بهذا الحديث (ولا) يظن ظان ان هذا معارض لقوله عليه الصلاة والسلام للسائل حين سأله مرافقته فى الجنة فقال له عليه الصلاة والسلام أو غير ذلك فقال هو ذلك يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام أعنى على نفسك بكثرة السجود (لان) هذا طلب منصبا عظيما فارشده عليه الصلاة والسلام الى الاسباب الموصلة اليه لقوله عليه الصلاة والسلام أقرب ما يكون العبد فى الصلاة وأقرب ما يكون فى الصلاة اذا كان ساجدا فارشده عليه الصلاة والسلام لذلك وطالب المعية تشمله الدار وهى واحدة وان كانت المنازل تتفاوت فيها ولكن قد جعلت السعادة من نالها (لقوله) عليه الصلاة والسلام لموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها (فاذا) حصل له ذلك سلم من أهوال الدنيا والآخرة ومن العناء والتنغيص (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا حين يأخذ العهد على من يريد أن يدخل فى طريقه فيكلفه أن يعترف بين يديه بكل ما فعله من الذنوب وفى هذا من مخالفة الشرع ما فيه (وقد ورد) ان الله عز وجل يقول يوم القيامة لبعض من فعل الذنوب أنا سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم (وقد ورد) كل الناس معافى الا المجاهرون (فاذا) جاء أحد ممن تقدم ذكره ليتوب على يديه أو قعده الشيخ باعترافه فى هذه المهالك فكان عدم التوبة به أولى والحالة هذه (وفى هذا) تشبه بالقسيسين لان من عادتهم الذميمة اذا جاءهم أحد ليتوب على أيديهم يطالبونه بان يسمى لهم ذنوبه ذنبا ذنبا ثم بعد ذلك يقبلون عليه (وقد) قيل ان التشبه بالكرام فلاح وعكسه عكسه فانا لله وانا اليه راجعون على تخليط أمور الدين بما ليس منه ولا فيه (ومنهم) من ارتكب بدعة شنيعة آلت الى ترك الصلاة وتركها فيه اختلاف بين العلماء هل هو ارتداد أو ارتكاب كبيرة ممن فعله (وذلك) ان بعضهم يلبدون شعور رؤسهم والغالب ان الجنابة تصيبهم فاذا اغتسلوا لم يمكنهم ان يوصلوا الماء الى البشرة وليس ثم عذر شرعى يجيز المسح على حائل عند من يقول به فصلاتهم على هذا باطلة (ثم ضموا) الى هذه المفسدة مفسدة أخرى أعظم منها وهو انهم معتقدون انهم على الخير والصواب وعلى طريق السلوك والهداية نسأل الله السلامة بمنه من بلائه (ومنهم) من يتعاطى اتخاذ الحرز الكثيرة ويجعلها فى عنقه كالقلادة للمرأة (ومنهم) من يجعلها على صفة أخرى يتوشح بها وهذا شهرة ممن فعله وشوه ظاهر وان كان يدعى انه فعل ذلك للتبرك والتحفظ من العين ومن مردة الجن فله طريق غير هذا بان يعلق ذلك عليه من تحت ثوبه بحيث لا يشعر به ولا يظهر واما على هذه الصفة المذكورة فيمنع لمخالفته للسنة وللسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (ومنهم) من يأخذ سبحة كبيرة ويعلقها فى عنقه أو يتوشح بها ومع ذلك هو مشتغل بالقيل والقال والتحدث فى أمور الغيب اظهارا منه انه يكاشفها ويخبر بوقوعها (ومنهم) من يعرض عنها خيطا من صوف على صفات وصبغ فيتقلدون به وذلك كله من الشهرة أو الشهوة والبدعة والخروج عن الاتباع للسلف الماضين رضى الله عنهم أجمعين (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا شنيعا رذلا يأباه الله ورسوله والمؤمنون وهو ان يكون مع الناس فى الجامع ينتظرون الصلاة فاذا قامت

الصلاة وقام الناس اليها قام هو فى جملتهم فاذا ركعوا وسجدوا بقى واقفا ينظر اليهم لايحرم ولا يركع ولا يسجد ثم يتمادى على ذلك حتى يفرغ الناس من صلاتهم (واقبح) من هذا وارذل من يعتقد من هذا حاله ويرى انه ممن يتبرك به وانه من الواصلين ويتأول بانه يصلى فى مواضع أخر وانما هذا منه تخريب على نفسه حتى لايشهر ولايعتقد وتأويلهم هذا من السخافة والحمق ومخالفة الشريعة المطهرة وعدم الغيرة فى الدين واصطلاحهم على الرضا بترك هذه الشعيرة العظمى التى هى عماد الدين ورأسه وأول أركانه بعد كلمتى التوحيد اذا ان من رأى ولم ينكر كمن فعل ولا ضرورة تدعو الى التخريب لان من مشى على لسان العلم واتبع الحق والسنة المحمدية واقتفى آثار السلف الماضين رضى الله عنهم سيما ان أنكر عليهم ماهم فيه من عوائدهم الذميمة المخالفة للسنة فالغالب من حال أهل هذا الزمان النفور منه لانهم يزعمون أنه قد ضيق عليهم وهو انما ترك العوائد والابتداع واتباع السنة المحمدية وتمسك بها وعادة النفوس فى الغالب النفور من الحكم عليها (وقد) كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يأخذ ما أبقيت لى حبيبا (وقد) كان السلف رضى الله عنهم على عكس هذا الحال من اتبع السنة أحبوه واعتقدوه وعظموه ووقروه واحترموه ومن كان على غير ذلك تركوه وأهملوه ومقتوه وأبغضوه حتى كان من يريد الرفعة عندهم والتعظيم ممن لاخير فيه يظهر الاتباع حتى يعتقدوه على ذلك (وأما اليوم) فبعتقدون ويحترمون من يفعل العوائد المحدثة ويمشى عليها ولا ينكر على أحد ما هو فيه فمن أراد التخريب فى هذا الزمان فليتبع السنة المطهرة فانهم ينفرون عنه ولا يعتقدونه غالبا لانكاره ما هم فيه حتى قد ينفر عنه أبواه وأهله وأقاربه لمخالفته ما هم عليه (ثم) ان المخرب لايخلو حاله من أحد أمرين اما أن يعتقد حل ذلك أم لا فان اعتقد حله فهو كافر وأما ان فعله مع اعتقاد تحريمه فهو فاسق على ما قاله العلماء وأما المكروه فقد قال علماؤنا رحمة الله عليهم أن المداومة على المكروه تفسق فاعله (ثم) أنهم يتغالون فى اعتقادهم فيقولون هذا بدل هذا قطب الى غير ذلك وهذا اللفظ لايحسن أن يطلق على من اتبع السنة وبذل جهده فى الاتباع فكيف يطلق على من تلبس بشئ من المحرمات أو المكروهات اوهما معا (ثم) ان المتبع من الناس فى اعتقاده على قسمين (فمنهم) من يحمل جميع أفعاله وأقواله كلها على سبيل الورع فاى شئ فعله أوقاله أو أشار اليه من اتباع الامر واجتناب النهى مثل أن يقول هذا موضع لا أدخله لاجل انه مغصوب أو استعمل المسلمون فيه الغصب أو غير ذلك فيقولون هذا من باب الورع هذا ليس بتتبع وقد دخله فلان وفلان ويحتجون بمن لايحتج به وان كان فى بعضهم أهلية للاحتجاج به فقد تكون له أعذار فى ارتكاب ذلك فى خاصة نفسه ولا يلزمه أن يبين عذره فيما وقع منه (وقد) قال مالك رحمه الله ما كل الاعذار تبدى (واذا) كان كذلك فلا يجوز أن يقتدى به فى هذا وماشا كله اذ أن اتباع لسان العلم هو المتعين على الناس عموما وخصوصا (وقد) كان سيدى أبو محمد رحمه الله يقول انى لا أتكلم بالورع فى هذا الزمان والناس يحملون ما أتكلم به على سبيل الورع وليس كذلك فصار لسان العلم عندهم ورعا وترتبت على هذا مفسدة عظيمة وهى أنهم ينسبون كثيرا من الشريعة الى الورع فيتركون بسبب ذلك الاتباع وباب الورع ضيق لايدخله الا الافذاذ اذ ليس هذا زمان الورع غالبا وما يتعللون به من ذكر الورع انما هو من تسويل النفس والهوى والشيطان ليثبط عن بركة الاتباع (والقسم الثانى) وهو غير المعتقد يقول هذا يأس مشدود مربوط يشير بكلامه وحاله الى أن غيره على الباطل وهو على الحق والطريق المستقيم (وكلامهم) هذا يرده ما ورد فى الحديث من قوله عليه الصلاة والسلام بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء من أمتى قيل يارسول الله ومن الغرباء من

أمتك قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وفي رواية الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي (وروى) أبو داود في سننه عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كيف بكم اذا فسق فتيانكم وطغى نساؤكم قالوا يا رسول الله وان ذلك لكائن قال نعم وأشد كيف بكم اذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر قالوا يا رسول الله وان ذلك لكائن قال نعم وأشد كيف بكم اذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا اه والاحاديث في هذا المعنى كثيرة والله الموفق

﴿فصل﴾ ثم ان غالب حالهم أن اعتقادهم يدور بين أمرين (فمنهم) من يكون اعتقاده شهوة فيعتقده مدة ثم يحول عن اعتقاده (ومنهم) من يدوم اعتقاده لكن يزيد في اعتقاده ويتغالى فيه فيقول هذا بدل هذا قطب كما تقدم وكذلك يقولون في حق غيره فيتناقض قولهم اذ أن القطب انما هو واحد وهو أعز من أن يجتمع به الا الواحد من الافذاذ ومع ذلك قل من يعرفه لان صفته كما قال الشيخ الامام أبو عبد الرحمن الصقلي رحمه الله في كتاب الانوار له والله سبحانه وتعالى يدير القطب في الآفاق الاربعة من أركان الدنيا كدوران الفلك في أفق السماء وقد ستر أحوال الغوث وهو القطب عن العامة والخاصة غيره من الحق عليه غير أنه يرى عالما جاهلا أبله فطنا تاركا آخذا قريبا بعيدا سهلا عسرا آمنا حذرا اه (ومنهم) من اذا حصل له اعتقاد في شيخ بعينه نقص غيره أو فضله على غيره ويقع بسبب ذلك شنآن بين أصحابهم ومن ينتمون اليهم حتى أنهم ليرجعون أحزابا ويهجر بعضهم بعضا لعدم تسليم كل واحد منهم لصاحبه كما تقدم (وقد) حدثني بعض الفقراء ممن كان يحضر مجلس سيدي أبي محمد المرجاني رحمه الله أنه كان يسمعه وهو يعظم سيدي أبا محمد بن أبي جمرة رحمه الله فكان هذا الفقير يقول في نفسه ما هذا الا رجل كبير القدر مثل هذا السيد يعظمه قال فمضيت يوما اليه حتى أراه فدخلت الى المسجد وهو يتكلم في الدرس والقارئ يقرأ عليه فرأيت عبارته دون عبارة سيدي أبي محمد المرجاني رحمه الله فتعجبت وقلت في نفسي أمثل هذا يكون أفضل من سيدي أبي محمد المرجاني فاستبعدت ذلك فرد الشيخ رحمه الله رأسه الي ونظر لي ثم رجع يتكلم فيما كان بسبيله فقال في أثناء كلامه ينبغي للفقير اذا دخل على الشيوخ أن لا يفضل من تلقاء نفسه شيخا على غيره يا مسكين هذا الذي تفضله لو سألته عمن فضلته عليه كان جوابه أن يقول هو بوكتي وهو كذا وكذا أرجو من الله تعالى أن ينفعني به الى غير ذلك فرب ساكت أفضل من ناطق فيجيء أحدكم يفضل من يخطر له بما يخطر له أجاءك أحد من عند الله تعالى واخبرك أن فلانا عنده أفضل من فلان فهذا من قلة الأدب والاحترام فتب الى الله تعالى وارجع اليه ما كفى أن أحدكم يحرم العمل حتى يحرم الاعتقاد ما هذا الحال قال فبقيت أتوب وأستغفر الله له بسكت فما سكت الا بعد حين أو كما قال (واذا كان) ذلك كذلك فلا ينبغي أن يفضل بين شيخين الا أحد أمرين بأن يكون أحدهما أكثر اتباعا للسنة المطهرة من الآخر أو يكون الذي يفضل أعلى مقاما منهم ما فيكشف عليهما لان من هو في مقام يكشف على من هو دونه ولا يكشف على من هو فوقه لان النبي صلى الله عليه وسلم كشف على مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يكشف على مقامه الخاص أحد منهم (ولا) يرد على هذا كون المريد يعظم شيخه ويؤثره على غيره ممن هو في وقته لان تعظيمه له انما هو من جهة ان الله تعالى قد قسم له على يديه رزقا حسنا كما تقدم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول من رزق في شيء فليلزمه وقال في حديث آخر جبلت القلوب على حب من أحسن اليها ولا شك أن الاحسان بما يبقى هو أفضل وأعلى من الاحسان بما يفنى وحقيقة المريد مع شيخه أن الشيخ وجده غريقا في بحر التلف فانقذه وخلصه منه وأوقفه بباب ربه سبحانه وتعالى ولا احسان أعظم من هذا الاحسان ووجه آخر وهو

محبة المريد لطاعة ربه عز وجل فلما أن رأى عند شيخه ما يحبه التزمه لمحبوبه الذى وجده عنده (وقد) كان بعض الناس يخدم بعض أبناء الدنيا ويحبه ويؤثره بالخدمة له فعذله بعض الناس على التزام خدمته له وهو لا يعطيه شيأ فكان جوابه أن كان محبوبى عنده (وقيل) لآخر أيضا وقد رأوه وانفا ببابه عدوه فعذلوه فى ذلك فأخبر بما تقدم وهو أن محبوبه عنده والمريد بنيته وخاطره وكليته راغب فى طاعة ربه عز وجل متسبب فى الوصول اليه فاذا رأى من هو مثله أو ارفع منه قد أحكم الطريق وعرفها أحبه والتزمه وأنس به لما حصل عنده من المحاسن الجميلة (فالحاصل) من هذا أنه يعظمه لما خلع الله عز وجل عليه من الخلع السنية الشاهدة له بالقرب من المولى سبحانه وتعالى (ومنهم) من يظهر له شئ من الكرامات فيغتر بها فيتلف حاله بيديها (ومنهم) من يسلم بواسطة أحد من الاولياء كما جرى لبعض المريدين بمدينة فاس أنه بات ليلة فى زاويه خارج البلد فطلع على سطح الزاويه فى ليلة مقمرة فأعجبه ضوء القمر فخطر له أن يجرب نفسه فى الطيران هل يقدر عليه أم لا فجرب نفسه فطار فى الهواء فدخل البلد من أعلى سورها وهو طائر فقال أى موضع أقصده فوقع له أن يأتى لى زيارة بعض الاكابر من المشايخ فى وقته فأتى الى باب داره ونزل ودق الباب فخرج اليه الشيخ فقال له من أنت فقال فلان فقال له ما وجدت شيأ تأتينى به الا بهذه الكرامة والله لا كلمتك بعدها أبدا فأفاد به بذلك وكان سبب اجتماعه على ربه عز وجل وسلامته أو كما جرى (ومثل) هذا ما حكى عن بعض المريدين انه كان يحضر مجلس شيخه ثم انقطع فسأل الشيخ عنه فقالوا له هو فى عافية فأرسل خلفه فحضر فسأله ما الموجب لانقطاعك فقال ياسيدى كنت أجيء الى أصل والآن قد وصلت فلا حاجة تدعو الى الحضور فسأله عن كيفية وصوله فأخبره أنه فى كل ليلة يصلى ورده فى الجنة فقال له الشيخ يابنى والله ما دخلتها أبدا فلعلك أن تتفضل على فتأخذنى معك لعلى ان أدخلها كما دخلتها أنت قال نعم فبات الشيخ عند المريد فلما أن كان بعد العشاء جاء طائر فنزل عند الباب فقال المريد للشيخ هذا الطائر الذى يحملنى فى كل ليلة على ظهره الى الجنة فركب الشيخ والمريد على ظهر الطائر فطار بهما ساعة ثم نزل بهما فى موضع كثير الشجر فقام المريد ليصلى وقعد الشيخ فقال له المريد ياسيدى أما تقوم الليلة فقال الشيخ يابنى الجنة هذه وليس فى الجنة صلاة فبقى المريد يصلى والشيخ قاعد فلما أن طلع الفجر جاء الطائر ونزل فقال المريد للشيخ قم بنا نرجع الى موضعنا فقال له الشيخ اجلس ما رأيت أحدا يدخل الجنة ويخرج منها فجعل الطائر يضرب باجنحته ويصيح حتى أراهم أن الارض تتحرك بهم فبقى المريد يقول للشيخ قم بنا لئلا يجرى علينا منه شئ فقال له الشيخ هذا يضحك عليك يريد أن يخرجك من الجنة فاستفتح الشيخ يقرأ القرآن فذهب الطائر وبقيا كذلك الى أن تبين الضوء واذا هما على مزبلة والعذرة والنجاسات حولهما فصفع الشيخ المريد وقال له هذه هى الجنة التى أوصلك الشيطان اليها قم فاحضر مع اخوانك أو كما جرى (وحكاياتهم) فى هذا المعنى قل أن تحصر (والحاصل) منه أن الشيطان لا يترك أحدا ولا ييأس منه الا بعد خروج روحه وأما قبل ذلك فيضرب عليه بخيله ورجله ويستعمل حيله كلها وقد تقدم بعض هذا واذا كان ذلك كذلك فيتعين على المريد أن لا يدعى حالا ولا مقاما خيفة أن يفسد على نفسه ما من به عليه ان كان حقيقة أو يكون من الشيطان ابتداء (وكثير) من الناس فى هذا الزمان ممن ليس له رسوخ فى الطريق بل بعضهم مغموس فى الجهل ويدعى أنه من الشيوخ الموصلين الى الله وليس له ذوق فى طريق القوم بالكلية بل عكسه أسأل الله السلامة منه (ومنهم) من يفعل فعلا قبيحا شنيعا فى مطالبة بعضهم لبعض وقيام المستغفر مكشوف الرأس زمنا طويلا وربما كان معتدل الدماغ فتأخذه نزلة سيما ان كان فى وقت البرد وقد

قوله الجاحم جمع جحم هو الناس معرب اه

يؤول الامر من ذلك الى الموت أو الى أمراض خطرة قد تطول عليه المدة بالعلل (ثم ان بعضهم) زاد على ذلك أن نفعله بمشهد من الناس عامة وذلك مخالف لطريق القوم لانهم اذا كانت مطالبة بعضهم لبعض فانما يكون ذلك فيما بينهم مستترين لا يخالطهم غيرهم لانهم كما قيل لا يطلع عليهم الا ذو محرم ومحرمهم من كان منهم أعنى من أصحاب الخرقة دون غيرهم (ويزيد بعضهم حمل الاقدام ويقف طويلا بها ينتظر انهالهم عليه (وبعضهم) يبالغ فى هذا المعنى فيأمر بكشف رأس الجانى على زعمه وضربه بالجماجم والجريد وغيرها وهذا قبح وشناعة أن ينسب هذا لمن يدعى الطريق وطريق القوم غير هذه الطريقة اذ انهم مبنية على الصفح والتعاور والاغضاء مالم يكن فى أمر الدين فان كان فى أمر الدين فيكفى فيه الهجران لا غير وفيه مقنع للجانى والمجنى عليه وغير هذا ليس من السنة فى شئ (وطريقهم) انهم اذا وقع أحد منهم فى مخالفة يطالبونه بالتوبة والاقلاع عما وقع فيه (ثم زاد) بعضهم على ذلك اعتقادهم أنه من طريق القوم الصادقين (وقد) تقدم كيفية ما يفعله الصادق منهم مع اخوانه اذا اطلع على شئ من المكروه الذى وقعوا فيه وأنه يتوجه الى الله تعالى فى انقاذ من وقع منه ذلك (وينبغى) أن تكون المطالبة للشيخ آكد من المطالبة للمريد لان غفلة الشيخ عنه جرى عليه ما جرى فلو كان الشيخ يلحظه لما قدر على ذلك فى الغالب (الا ترى) الى ما جرى لسيدى أبى على بن الهماط شيخ سيدى أبى محمد المرجانى رحمهما الله تعالى أن بعض أصحابه جاء اليه وطلب منه اذنا أن يتزوج فأبى عليه ثم جاءه ثانيا فأبى عليه ثم ثالثا كذلك فقال أزنى قال اذهب فذهب المريد فأخذ امرأة وجاء بها الى بيته وأغلق الباب واذا بالحائط قد انشق ودخل عليه الشيخ فخرج هاربا يسيح فى البرية بحال أخذه لا يعرف أين يذهب ثم رجع اليه عقله بعد ذلك فقال من أين أصابنى المرض من هناك أتداوى فرجع الى موضع الشيخ فدخل وسلم عليه فقال له الشيخ رحمه الله أقدرت على شئ تفعله أتظن أنك لنفسك (بل) كثير منهم لا يتحملون أن يروا من يفتى اليهم فى ذرة مما لا ينبغى (الا ترى) الى ما حكى عن بعضهم أنه رأى بعض أصحابه فى الصف الاول يوم الجمعة فقال له مالى أراك ههنا فقال له لاجل فضيلة الصف الاول وللقرب من الخطيب فقال له أما تعلم أن البعد من هؤلاء القوم أقرب الى الله تعالى من القرب منهم اه (وما) ذاك الا لمشاهدة ما الشرع يأمر بتغييره عليه (أقل) ما يمكن فى التغيير أن لا يرى شيأ يخالف السنة حتى يتعين عليه التغيير بالقلب اذ أن أصعب ما فى التغيير التغيير بالقلب لان الغالب على القلب تدنيسه بما يشاهد ويرى ويسمع فقل أن يتأثر مع مداومة هذا الحال عليه فالتغيير باللقلب وان كان دون المرتبتين اللتين قبله فهو أصعب منهما بهذا الاعتبار فتأمله (وما) ذاك الا لتأنيس القلوب غالبا بالعوائد المستمرة (الا ترى) الى ما حكى بعضهم أنه قال أول بدعة رأيت بلت الدم وقد تقدم ذلك (وقد ورد) ولو البدع ظهرت وكم وكذلك ورد من لم يزل المنكر فليزل عنه (فكيف) بقبول المكلف على شئ من ذلك أو يصغى اليه وأما ان فاجأه ذلك وعجز عن التغيير فالتخلص منه أقرب وأيسر (لما ورد) فيمن لم يقدر على التغيير أن يقول اللهم ان هذا منكر ثلاثا اه ثم ليمض لسبيله ويعرض عنه ﴿فصل فى مكاتبة الفقير لاخيه﴾ وينبغى له أن يجتنب ما اعتاده بعض الناس فى مكاتبة بعضهم لبعض بالالفاظ التى احتوت على التزكية والتعظيم والكذب والتنميق والقوافى والسجع والعبارات القلقة والتكلف اذ أن ذلك لا يجوز (الا ترى) أن كتب السلف رضى الله عنهم بعضهم الى بعض على منهاج غير هذا (فمن ذلك) كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى من يكاتبه من ولاته من عمر بن الخطاب الى أبى عبيدة بن الجراح الى خالد بن الوليد الى عمرو بن العاص وكتبهم له من أبى عبيدة الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

فوصفوه بالصفة الملازمة له (فان قيل) قد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم (فالجواب) ماقاله القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله في سراج المريدين له أن معنى كتب النبي عليه الصلاة والسلام الى هرقل عظيم الروم أي الذي يعظمه الروم وتعظيم الروم له باطل ولكنه موجود حقيقة فلذلك وصفه النبي صلى الله عليه وسلم به اه (وعلى هذا) درج السلف والخلف رضي الله عنهم (وتعظيم) هذه الطائفة انما هو بالقلوب لا بالخلقة من الالسن كما هو الحال في هذا الزمان فهذه بعض تنبيهات استدللنا بها على ماعداها (واما) طريق كثير من الفقراء المسافرين اعني غير المحققين منهم فلهم اصطلاحات وعوائد قل أن تجد للاتباع فيها سبيلا (فمن ذلك) ماكانوا يوجبونه على من يريدون أخذ ثيابه وغيرها من مطالبات كثيرة يسمونها شغل الفقراء وليس هذا الحال خاصا بهم وذلك كله ممنوع في الشرع الشريف (لقوله) عليه الصلاة والسلام لايحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس منه وهم يأخذون ذلك بغير طيب نفس من صاحبه حتى انهم ليكلفون من كان فقيرا الى المسئلة بالالحاح وتكليف الناس كما تقدم من فعلهم في الضيافات والاجازات وأحوالهم في هذا المعنى قل ان تحصر وفيما ذكرته تنبيه على ماعداه والله الموفق

﴿فصل في صرف هم المريد كلها الى الآخرة وأمورها﴾ وينبغي له أن يكون أهم الامور عليه وآكدها عنده أمور الآخرة اذ انه مصيره اليها فيتعين عليه ايثارها ولا يعبأ بغير ذلك الا من طريق الامتثال لان غير أمر الآخرة منقطع زائل وما هو كذلك فامره اقرب وأيسر من الدائم الذي لاينقطع (الا ترى) الى حال النبي صلى الله عليه وسلم وكيف كان على ماوصف الواصفون متواصل الاحزان (وقد) كان الحسن البصري رضي الله عنه قد غلب عليه هذا المعنى حتى كأنه يقدم للقتل على ماتقل عنه (وكان) يقول أعجب ممن يملأ فاه بالضحك وهو لا يعلم في أي ديوان اسمه هل في الجنة أو في النار (وقد) سأل رجل أحمد ابن حنبل رحمه الله أن يعظه فقال له الامام أحمد ان كان الله قد تكفل بالرزق فاهتمامك بالرزق لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله حقا فالبخل لماذا وان كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كان سؤال منكر ونكير حقا فالانس لماذا وان كانت الدنيا فانية فالاطمئنينة لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شئ بقضائه وقدره فالحزن لماذا (وقد قالت) رابعة العدوية لرجل رأته مهموما ان كان همك من أمر الآخرة فزادك الله هما وان كان من أمر الدنيا ففرج الله همك (وقد) أنشد بعضهم في هذا المعنى فقال

لاتجزعن اذا ما الامر ضقت به ● ذرعا ونم وتوسد خالي البال
ما بين غمضة عين وانتباهتها ● يغير الله من حال الى حال

﴿فصل﴾ هذا ما تيسر من الكلام على آداب المريد وينبغي أن نختمه بذكر شئ من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم تبركا بذكر آثاره وأحواله ولكي يكون سلما للمريد في اتباعه عليه الصلاة والسلام في تصرفاته وحركاته وسكناته واشاراته (فمن ذلك) ماذكره الباجي رحمه الله في كتابه المسمى بسنن الصالحين وسنن العابدين قال مالك ان رجلين كانا جالسين يتحدثان وكعب الاحبار قريب منهما فقال أحدهما لصاحبه اني رأيت في المنام كأن الناس جمعوا ليوم القيامة فرأيت النبيين لهم نوران نوران ولاتباعهم نور نور قال ورأيت النبي صلى الله عليه وسلم ما من شعرة في جسده ولا رأسه الا وفيها نوران ورأيت اتباعه لهم نوران نوران فقال له كعب اتق الله وانظر ماذا تحدث به فقال انما هي رؤيا رأيتها فقال كعب والذي نفسي بيده انه في كتاب الله المنزل لكما ذكرت (ومنه) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو يبكي بابي أنت وأمي يارسول الله لقد كان لك جذع

تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الانبياء وذكرك فى أولهم فقال تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول بابى أنت وأمى يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فماذاك باعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بابى أنت وأمى يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله ريحا غدوها شهر ورواحها شهر فماذاك باعجب من البراق حين سريت عليه الى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابى أنت وأمى يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله تعالى أحياء الموتى فماذاك باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مسمومة فقالت لاتأكلنى فانى مسمومة بابى أنت وأمى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ولو دعوت مثلها علينا لهلكنا عن آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول الاخيرا فقلت اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون بابى أنت وأمى يارسول الله لقد اتبعك فى احداث سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا فى كبر سنه وطول عمره فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا قليل بابى أنت وأمى يارسول الله لولم تجالس الا كفؤا لك ماجالستنا ولولم تنكح الا كفؤا لك مانكحت الينا ولولم تؤاكل الا كفؤا لك ما آكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار ووضعت طعامك بالارض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك (ومن كتاب) التفسير للطبرى رحمه الله كان النبى صلى الله عليه وسلم يلبس الصوف وينتعل المخصوف ولا يتأنف من ملبس يلبس ماوجده مرة شملة ومرة بردة حبرة ومرة جبة صوف (وكان) يلبس النعال السبتية ويتوضأ فيها وكان لنعليه قبالان وأول من عقد عقدا واحدا عثمان وكان أحب اللباس اليه الحبرة وهى برود اليمن فيها حمرة وبياض (وكان) أحب اللباس اليه القميص وكان اذا استجد ثوبا سماه باسمه عمامة كان أو قميصا ورداء ويقول اللهم لك الحمد كما ألبستنيه أسألك خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ماصنع له (وكان) يعجبه الثياب الخضر (وكان) يلبس الكساء الصوف وحده فيصلى فيه وربما لبس الازار الواحد ليس عليه غيره ويعقد طرفيه بين كتفيه ويصلى فيه (وكان) يلبس القلانس تحت العمائم ويلبسها دون العمائم ويلبس العمائم دونها ويلبس القلانس ذات الآذان فى الحرب وربما نزع قلنسوته وجعلها سترة بين يديه وصلى اليها وربما مشى بلا قلنسوة ولا عمامة ولا رداء راجلا يعود المرضى كذلك فى أقصى المدينة (وكان) يعتم ويستدل طرف عمامته بين كتفيه (وعن على) رضى الله تعالى عنه انه قال عممنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة وسدل طرفها بين كتفى وقال ان العمامة حاجز بين المسلمين والمشركين (وكان) يلبس يوم الجمعة برده الاحمر ويعتم (وكان) يلبس خاتما من فضة فصه منه نقشه محمد رسول الله فى خنصره الايمن وربما لبسه فى الايسر ويجعل فصه مما يلى بطن كفه (وكان) صلى الله عليه وسلم يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة (وكان) يقول ان الله تعالى جعل لذتى فى الدنيا النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة (وكان) يتطيب بالغالية وبالمسك حتى يرى وبيصه فى مفارقه ويتبخر بالعود ويطرح فيه الكافور (وكان) يعرف فى الليلة المظلمة بطيب ريحه (وكان) صلى الله عليه وسلم

الحبرة كعنبة اه

الوبيص البريق وزنا ومعنى اه

يكتحل بالاثمد في كل ليلة ثلاثا في كل عين وربما اكتحل ثلاثا في اليمنى واثنتين في اليسرى وربما اكتحل وهو صائم (وكان) يقول عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر (وكان) يكثر دهن رأسه ولحيته (وكان) يترجل غبا (وكان) ينظر في المرآة وربما نظر في الماء في ركوة في حجرة عائشة وسوى جمته (وكان) لا تفارقه كارورة الدهن في سفره والمكحلة والمرآة والمشط والمقراض والسواك والخيوط والابرة فيخيط ثيابه ويخصف نعله (وكان) يستاك بالاراك وكان اذا قام من النوم يشوص فاه بالسواك ويستاك في الليلة ثلاث مرات قبل النوم وبعده عند القيام ولورده عند الخروج لصلاة الصبح (وكان) صلى الله عليه وسلم يحتجم في الاخدعين وبين الكتفين واحتجم وهو محرم بمكة على ظاهر القدم (وكان) يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وكان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول الا حقا دخل يوما على أم سليم وقد مات نعر ابنها من بني أبي طلحة فقال له ما أبا عمير ما فعل النغير وجاءته امرأة فقالت يا رسول الله احملني على جمل فقال أحملك على ولد الناقة وجاءته امرأة فقالت يا رسول الله ان زوجي مريض فقال لعل زوجك الذي في عينيه بياض فرجعت المرأة وفتحت عيني زوجها التنظر اليهما فقال مالك فقالت أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في عينيك بياضا فقال ويحك وهل أحد الا وفي عينيه بياض وجاءته أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة وهي تبكي فقال صلى الله عليه وسلم اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز أن الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا (وقالت) عائشة رضي الله عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما كثر لحمي سابقته فسبقني ثم ضرب كتفي وقال هذه بتلك وجاء صلى الله عليه وسلم الى السوق من وراء ظهر رجل اسمه زاهر وكان صلى الله عليه وسلم يحبه فوضع يديه على عينيه وما كان يعرف انه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قال من يشتري هذا العبد فجعل يمسح ظهره برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول اذن والله تجدني كاسدا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لكنك عند ربك لست كاسدا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسينا مع صبية في الطريق فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم امام القوم وطفق الحسين يفر هاربا ههنا وههنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه حتى أخذه فجعل احدى يديه تحت ذقنه والاخرى فوق رأسه (وكان) صلى الله عليه وسلم يدخل على عائشة والجواري يلعبن عندها فاذا رأينه تقمعن فيسربهن اليها (وقال) لها يوما وهي تلعب بلعبتها ما هذه يا عائشة فقالت خيل سليمان بن داود فضحك وطلب الباب فابتدرته لاعتنقته فقال مالك يا حميراء فقالت بابي أنت وأمي يا رسول الله ادع الله أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر فرفع يديه حتى رؤي بياض ابطيه فقال اللهم اغفر لعائشة بنت أبي بكر مغفرة ظاهرة وباطنة لا تغادر ذنبا ولا تكسب بعدها خطيئة ولا اثما ثم قال صلى الله عليه وسلم أفرحت يا عائشة فقالت اي والذي بعثك بالحق فقال أما والذي بعثني بالحق ما خصصتك بها من بين امتي وانها لصلاتي لامتي بالليل والنهار فيمن مضى منهم ومن بقي ومن هو آت الى يوم القيامة وأنا ادعو لهم والملائكة يؤمنون على دعائي وكان عليه الصلاة والسلام يكرم ضيفه ويبسط رداءه له كرامة وجاءته ظئره التي أرضعته يوما فبسط لها رداءه وقال مرحبا بامي وأجلسها عليه (وكان) أكثر الناس تبسما واحسنهم بشرا مع أنه كان متواصل الاحزان دائم الفكرة لا يمضي له وقت في غير عمل لله أو فيما لا بد له أو لاهله أو لا مته منه وما خير بين شيئين الا اختار أيسرهما الا أن يكون فيه قطيعة رحم فيكون ابعد الناس منه (وكان) يخصف نعله ويرقع ثوبه ويخدم في مهنة أهله ويقطع اللحم معهن ويركب الفرس والبغل والحمار ويردف خلفه عبده أو غيره ويمسح

قوله نغر بوزن صرد طائر كالعصفور احمر المنقار اه

وجه فرسه بطرف كمه أو بطرف ردائه (وكان) يتوكأ على العصا وقال التوكؤ على العصا من اخلاق الانبياء (ورعى الغنم) وقال ما من نبي الا وقد رعاها (وعق) صلى الله عليه وسلم عن نفسه بعد ما جاءته النبوة (وكان) لا يدع العقيقة عن المولود من أهله ويأمر بحلق رأسه يوم السابع وان يتصدق عنه بزنة شعره فضة (وكان) يحب الفال ويكره الطيرة ويقول ما منا الا من يجد نفسه ولكن الله يذهبه بالتوكل (وكان) اذا جاءه ما يحب قال الحمد لله رب العالمين واذا جاءه ما يكره قال الحمد لله على كل حال (واذا) رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين (وروى فيه) الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مودع ولا مستغنى عنه ربنا (واذا) عطس خفض صوته واستتر بيده أو بثوبه وحمد الله (وكان) صلى الله عليه وسلم أكثر جلوسه مستقبل القبلة (واذا) جلس فى المجلس احتبى بيديه (وكان) يكثر الذكر ويطيل الصلاة ويقصر الخطبة ويستغفر فى المجلس الواحد مائة مرة (وكان) ينام أول الليل ثم يقوم من السحر ثم يوتر ثم يأتى فراشه فاذا سمع الاذان وثب قائما فان كان جنبا أفاض عليه الماء والا توضأ وخرج الى الصلاة (وكان) يصلى فى سبحته قائما وربما صلى قاعدا قالت عائشة لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان أكثر صلاته جالسا (وكان) يسمع لجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء وهو فى الصلاة (وكان) يصوم الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء وقلما يفطر يوم الجمعة وأكثر صيامه فى شعبان (وكان) صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه انتظارا للوحى (واذا) نام نفخ ولا يغط غطيطا (وكان) اذا رأى فى منامه ما يروعه قال هو الله ربى لا شريك له (واذا) أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده الايمن وقال رب قنى عذابك يوم تبعث عبادك (وكان) يقول اللهم باسمك أموت وأحيا (واذا) استيقظ قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور (وكان) صلى الله عليه وسلم اذا تكلم يبين كلامه حتى يحفظه من جلس اليه ويعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه (ويحزن) لسانه ولا يتكلم فى غير حاجة (ويتكلم) بجوامع الكلم فضلا لا فضولا ولا تقصيرا (وكان) يتمثل بشئ من الشعر وكان يتمثل بقول بعضهم * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * (وكان) صلى الله عليه وسلم جل ضحكه التبسم وربما ضحك من شئ معجب حتى تبدو نواجذه من غير قهقهة (وما عاب) صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه أكله وان لم يشتهه تركه (وكان) لا يأكل متكئا ولا على خوان يأكل الهدية ويكافئ عليها ولا يأكل الصدقة ولا يتأنف فى مأكل يأكل ما وجد ان وجد تمرا أكله وان وجد خبزا أكله وان وجد لبنا اكتفى به (ولم) يأكل خبزا مرققا حتى مات صلى الله عليه وسلم (قال أبو هريرة) خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير كان يأتى على آل محمد الشهر والشهران لا توقد فى بيت من بيوته نار وكان قوتهم التمر والماء (وكان) يعصب على بطنه الحجر من الجوع هذا وقد آتاه الله مفاتيح خزائن الارض فابى ان يقبلها واختار الآخرة (وأكل) صلى الله عليه وسلم الخبز بالخل وقال نعم الادام الخل (وأكل) لحم الدجاج (وكان) يحب الدباء ويأكله ويعجبه الذراع من الشاة وقال ان أطيب اللحم لحم الطهر (وقال) كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة (وكان) يعجبه الثفل يعنى ما بقى من الطعام (وكان) يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن (وأكل) صلى الله عليه وسلم خبز الشعير بالتمر وقال هذا أدم هذا (وأكل) صلى الله عليه وسلم البطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد (وكان) يحب الحلوا والعسل (وكان) صلى الله عليه وسلم يشرب قاعدا وربما شرب قائما ويتنفس ثلاثا واذا فضلت منه فضلة وأراد أن يسقيها بدأ يمن عن يمينه (وشرب) صلى الله عليه وسلم لبنا وقال من أطعمه الله طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا خيرا منه ومن

السبحة بضم فسكون النافلة

الثفل بالضم كالقفل اه

سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه (وقال) صلى الله عليه وسلم ليس شئ يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن اه (زاد) الباجى رحمه الله وكان عليه الصلاة والسلام على خلق عظيم كما وصفه الله تعالى (كان) أحلم الناس وأعدل الناس وأعف الناس لم تمس يده قط امرأة لا تملك رقبتها أو عصمة نكاحها أو تكون ذات محرم منه أسخى الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو الى منزله حتى يعطيه من يحتاج اليه لا يأخذ مما آتاه الله الا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من الشعير والتمر ويضع سائر ذلك فى سبيل الله تعالى لا يسئل شيأ الا أعطاه ثم يعود على قوت عامه فيؤثر منه حتى يحتاج قبل انقضاء العام أشد الناس حياء لا يثبت بصره فى وجه أحد يجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن وتستتبعه الأمة والمسكين فيتبعهما حيث دعواه لا يغضب لنفسه ويغضب لربه منديله باطن قدمه يشهد الجنائز أشد الناس تواضعا وأسكتهم من غير كبر وأبلغهم من غير عى لا يهوله شئ من أمر الدنيا يجالس الفقراء ويؤاكل المساكين ويكرم أهل الفضل فى أخلاقهم ويتألف أهل الشرف بالبرلهم يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم لا يجفو على أحد يقبل معذرة المعتذر يخرج الى بساتين أصحابه لا يحقر مسكينا لفقره وزمانته ولا يهاب ملكا لملكه يدعوهذا وهذا الى الله تعالى دعاء مستويا قد جمع الله تعالى له السيرة الفاضلة والسياسة التامة وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ فى بلاد الجهل والصحارى فعلمه الله جميع محاسن الاخلاق والطرق الحميدة وأخبار الاولين والآخرين وما فيه النجاة والفوز فى الآخرة والغبطة والخلاص فى الدنيا (قال) الباجى رحمه الله وذكر العتبى قال كنت عند حجرة النبى صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابى فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد ظلمت نفسى وجئتك مستغفرا من ذنبى مستشفعا بك الى ربى ثم أنشأ الاعرابى يقول

يا خير من دفنت فى الارض أعظمه * فطاب من طيبهن القاع والاكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه * فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم انصرف قال العتبى فغلبتنى عيناى فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال لى يا عتبى الحق الاعرابى فبشره ان الله قد غفر له (ومن) كتاب الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ عنى هذه الكلمات فيعمل بهن ويعلم من يعمل بهن قال أبو هريرة أنا يا رسول الله فأخذ بيدى فعد خمسا فقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن الى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب (ومنه) عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك (ومنه) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء من أمتى قيل يا رسول الله ومن الغرباء من أمتك قال الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدى من سنتى

﴿تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث وأوله الكلام على الميت وما يتعلق به﴾

فهرست الجزء الثانى من كتاب المدخل لابن الحاج

صحيفه

٢ فصل فى ذكر آداب المتعلم
٧ فصل فى أوراد طالب العلم
١٠ فصل فى زيارة الاولياء والصالحين وفيه الكلام على متصوفة هذا الزمان والشيخات على زعمهن
١٣ فصل فى الاشتغال بالعلم يوم الجمعة وفيه الكلام على القصاص بزيادة على ماتقدم والكلام على آيات وأحاديث مشكلة الظاهر
١٨ فصل فى تحفظ طالب العلم من العمل على المناصب والتشوف اليها
٢١ فصل فى العدالة وفيه مباحث رائقة وتنبيهات فائقة فى كتب الصداق والكلام على الشهود وغير ذلك
٢٤ فصل فى آداب العلم والمتعلم فى بيته مع أهله زيادة على ماسبق
٢٧ فصل فى دخول المرأة الحمام
٢٨ فصل فى تعليم الزوجة أحكام الغسل وما تحتاج اليه فيه
٢٩ فصل فى دخول الرجل الحمام والكلام على آداب النوم
٣٣ فصل فى آدابه عند الاجتماع بأهله وفيه مباحث
٣٦ فصل منه
٣٧ فصل فى التحذير من وطء امرأته أو جاريته فى دبرها
٣٨ فصل فى التحذير من تصور المرأة الاجنبية عند جماع أهله
٣٩ فصل فى التحذير من التحدث بما يقع بينه وبين زوجته
٣٩ فصل فيما يفعله عند استيقاظه من نومه

صحيفه

زيادة على ماسبق
٤٠ فصل فى التحذير من أن يزور شيخه فى أوقات العبادات
٤٠ فصل فى نبذ بقيت لم تذكر بعد
٤١ فصل فى نية الامام والمؤذن وآدابهما
٤٢ فصل فى ذكر بعض البدع التى أحدثت فى المسجد والامر بتغييرها ومنها النخامة فى القبلة والكلام على المقاصير والدرابزين
٤٤ فصل فى الكرسى الكبير الذى يؤيدونه فى المسجد وعليه المصحف والكلام على الصناديق وذكر المؤذنين وغير ذلك
٤٥ فصل آداب المؤذنين مجتمعين وما أحدثوه فى ذلك
٤٦ فصل فى الدكة التى تحت الدكة وفيه ابحاث شريفة
٤٧ فصل فى المنبر العالى وفيه ابحاث مطلوبة
٤٧ فصل فى البئر تكون فى المسجد
٤٧ فصل فى الفسقية والحظير والطسقة
٤٨ فصل فى موضع الديوان
٤٨ فصل فى زخرفة المحراب وغيره
٤٨ فصل فى التازير فى جدار المسجد
٤٨ فصل فى المبيت فى المسجد والسكن
٤٩ فصل منه
٤٩ فصل فى البيوت التى على سطحه
٤٩ فصل فى الوضوء فى المسجد وصحنه وسطحه
٤٩ فصل فى المراوح فيه وزيارة المعتكف
٥٠ فصل وينبغى التأكد على امام المسجد أن لا يجلس الى القصاص
٥٠ فصل فى المصافحة خلف الصلوات
٥٠ فصل فى منع القراء والفقراء والذاكرين حين

صحيفه	
	اعلامهم بالميت للصلاة عليه فى المسجد والنداء على الجنازة على بابه وفيه مباحث
٥٢	فصل فى رفع الصوت حال الخطبة وفيه مطالب بالهامش
٥٩	فصل فى منع الزبالين فى أوقات الصلاة وفيه تنبيه على أمور مطلوبة وابحاث واردة
٦١	فصل فى موضع الاذان
٦٢	فصل فى الاذان جماعة بزيادة على ماتقدم
٦٣	فصل فى الاذان بالألحان
٦٣	فصل فى الاذان فى المسجد زيادة على ماسبق
٦٤	فصل فى الطواف بالمؤذن اذامات
٦٤	فصل فى أذان الشاب على المنار
٦٥	فصل فى النهى عما أحدث بالليل من غير السنة وفيه نبذة فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وغير ذلك
٦٧	فصل فى التسحير فى شهر رمضان وفيه ابحاث
٦٨	فصل فى اختلاف العوائد فى التسحير وفيه تنبيه وسؤال وارد وجوابه وفيه أقسام البدع والكلام على تعليق الفوانيس
٧٠	فصل فى التذكار يوم الجمعة وفيه ابحاث
٧١	فصل فى حكمة ترتيب الاذان
٧١	فصل فى نهى المؤذنين عن قولهم الصلاة رحمكم الله وغيره على باب المسجد
٧٢	فصل فى نهيهم عن قراءة ان الله فالق الحب الخ ماقاله
٧٢	فصل فى نهيهم عن النداء على الغائب بما لاينبغى وفيه سؤال وجواب
٧٢	فصل فى نهيهم عن المشى أمام الجنازة
٧٢	فصل فى عقد النكاح وفرش البسط فى المسجد وغير ذلك
٧٣	فصل فى تهيئ الامام للجمعة

صحيفه	
٧٣	فصل فى ذكر الاشياء التى يتجنبها الامام فى نفسه
٧٣	فصل فى خروج الامام على الناس يوم الجمعة
٧٤	فصل فى نهى المؤذنين عما يفعلونه عند خروج الامام
٧٤	فصل فى صعود الامام على المنبر
٧٤	فصل فى كيفية صعوده على المنبر
٧٤	فصل فى فرش السجادة على المنبر وآداب مطلوبة
٧٦	فصل فى اسلام الكافر فى حال الخطبة وما فى ذلك من البدع
٧٦	فصل فيما يقوله الخطيب بعد فراغه منها وما يفعله عند الصلاة
٧٧	فصل فى دخوله للصلاة وفيه مسائل
٧٨	فصل فى النهى عن الجهر بالنية وغير ذلك وفيه مسائل وآداب
٨١	فصل فى الصلاة على الميت فى المسجد
٨٢	فصل فى خروج الامام الى صلاة العيدين وما فى ذلك من البدع
٨٢	فصل فى التكبير عند الخروج الى المصلى وما فيه من البدع
٨٤	فصل فى التحفظ من النجاسة فى المصلى
٨٤	فصل فى سلام العيد
٨٤	فصل فى خروج النساء الى صلاة العيد
٨٤	فصل فى انصراف الناس من صلاة العيد
٨٥	فصل فى صلاة العيد فى المسجد
٨٥	فصل فى التكبير أثر الصلوات الخمس فى أيام العيد
٨٥	فصل فى صلاة التراويح فى المسجد
٨٦	فصل فى صفة الامام فى قيام رمضان
٨٧	فصل فى الذكر بعد التسليمتين من صلاة التراويح

صحيفه	
٨٧	فصل فيما يفعل فى ليلة الختم
٨٧	فصل فى قيام العشر الاواخر من شهر رمضان
٨٧	فصل فى الخطبة عقيب الختم والدعاء وآداب وفيه ابحاث
٨٩	فصل فى القيام عند الختم بسجدات القرآن
٨٩	فصل فى قيام السنة كلها
٨٩	فصل فيما يفعلونه بعد الختم مما لا ينبغى
٩١	فصل فى وقود القناديل ليلة الختم وما فيه من البدع
٩٣	فصل فى آداب المؤدب
٩٥	فصل فى ذكر أسباب أولياء الصبيان
٩٦	فصل فى صفة توفيته أى المؤدب بما نواه
٩٦	فصل فيما يأمر به المؤدب الصبى من الآداب وآداب مطلوبة من المؤدب
١٠٠	فصل فى انصراف الصبيان من المكتب والتنبيه على بدع مشهورى
١٠٥	فصل فى تزويق الالواح وما فى ذلك من البدع والكلام على انتقال الصبى من كتاب الى غيره
١٠٧	فصل فى ذكر آداب المجاهد وكيفية نيته وهديه
١٠٧	فصل فى الغنيمة
١٠٧	فصل فى حكم الاسارى
١٠٧	فصل فى الاوصاف الموجبة للجزية
١٠٧	فصل فى حكم المرتدين
١٠٨	فصل فى قتال الفئة الباغية
١٠٨	فصل فى حكم المحاربين ويليه الكلام على مايلزم المجاهدين وماجاء فى فضل المجاهد
١١٤	فصل فى الرمى وفضيلته
١١٥	فصل فى الرباط وفضله وذكر الخيل وفضلها

صحيفه	
١١٦	فصل فى فضل الشهادة وفى ضمنه فوائد
١١٨	فصل وينبغى للمجاهد أن لا يقاتل بنية اراقة دماء الكفار
١١٨	فصل فى آداب الفقير المنقطع التارك للاسباب وكيفية نيته وهديه
١٢٢	فصل منه
١٢٥	فصل منه
١٢٦	فصل فى الرياء وما يتعلق بالنية
١٣٥	فصل فى الصدق والعقل
١٣٧	فصل فى ذكر الطمع وقبحه
١٣٨	فصل فى التزين
١٣٩	فصل فى الغيبة والنميمة
١٤٠	فصل فى الاستدراج
١٤٠	فصل فى اليقين
١٤٠	فصل فى العجب
١٤١	فصل فى التواضع
١٤١	فصل فى النية والعبادة
١٤٢	فصل فى العلم
١٤٣	فصل فى عيوب النفس
١٤٣	فصل فى الاشياء التى يستعين بها على معرفة عيوب نفسه
١٤٣	فصل فى الحزن والخوف
١٤٤	فصل فى الزهد والخلوة
١٤٦	فصل فى معرفة أصل الاشياء التى تتفرع منها فنون الخير
١٤٧	فصل فى كيفية تهوين سلوك الطريق والوصول بعون الله تعالى وفيه الكلام على مراتب الزهد
١٥١	فصل فى السماع وكيفيته وما يمنع منه وما يجوز
١٥٢	فصل منه وفيه فوائد
١٥٤	فصل فى السماع فى المسجد والرقص

صحيفه	
	والغناء الخ
١٥٧	فصل فى الدليل على منع الغناء من الاستنباط
١٥٨	فصل فى الرد على من قال نحن ممن لا يسمع بالطبع الخ
١٥٨	فصل فى سؤال وجواب
١٥٩	فصل منه وما حكى فى ذلك عن مشايخ الصوفية
١٥٩	فصل فيما استدل به متصوفة هذا الزمان على اباحة الغناء
١٥٩	فصل فى قراءة القرآن بالالحان زيادة على ما تقدم أول الكتاب
١٦١	فصل فى التنافس فى ألوان الاطعمة وما فى الشبع من الذم
١٦١	فصل فى منع المردان فى المجالس والنظر اليهم وحكم اللوطية
١٦٣	فصل فى الدف والرقص بالرجل وكشف الرأس وتخريق الثياب
١٦٣	فصل فيما اجرى اليه تمزيق الثياب من اضاعة المال والكلام على الغناء زيادة على ما سبق
١٦٤	فصل فى شروط السماع الخ
١٦٥	فصل فى تصرف المريد المنقطع
١٦٦	فصل فى تحفظه على الخرقة المنسوب اليها وأقسام الاجتماع
١٦٨	فصل فى مواضع قبول الدعاء وفى آخره الكلام على القسم الثالث من أقسام الاجتماع
١٧٠	فصل فى الخلوة عن الناس
١٧٢	فصل وأكد ما عليه فى خلوته النظر فى الجهة التى يفتات منها وفيه مسائل نفيسة
١٧٣	فصل فى النهى عن الاشتغال بالكيمياء وما

صحيفه	
	يترتب عليها من المفاسد والكلام على ما يوجد فى الارض وفى ضمنه حكايات فى ذم الدنيا والكلام على البركة وحكاية بعضهم فى ذلك
١٧٦	فصل منه وفيه الكلام على الكيمياء حقيقة وانها هى الرجوع الى الله
١٧٨	فصل فى دخول المريد الخلوة
١٧٨	فصل فى أداب الخلوة وفيه مسائل لائقة بالباب
١٨١	فصل اذا اجتمع للمريد مشايخ
١٨٢	فصل ينبغى له أن يكون أشد الناس نظرا الى نعم الله عليه الخ
١٨٢	فصل و ينبغى له أن يكون عارفا بالخواطر
١٨٣	فصل جامع لبعض أداب السلوك الخ
١٨٦	فصل و ينبغى للمريد أن يتفقد حاله فى الاجتماع باخوانه
١٨٧	فصل فى آداب صحبة الاعضاء
١٨٧	فصل فى الآداب الباطنية
١٨٨	فصل فى بيان الاخوان
١٨٩	فصل من كلام بعضهم يعضه باللفظ وبعضه بالمعنى فى آداب تتعلق بالمريد
١٩١	فصل واذا كان للمريد أولاد فينبغى أن لا يهمه شأنهم الخ
١٩١	فصل فى ابتلاء المريد بالاجتماع بالناس وفيه وصايا
١٩٤	فصل و ينبغى للمريد أن تكون أوقاته مضبوطة الخ
١٩٦	فصل فى قدوم المريد من السفر ودخوله الرباط وفيه الكلام على ما اصطلحوا عليه من البدع فى هذا الشان من العكاز والسجادة وغير ذلك
٢٠٠	فصل واعلم أن طريقة الصوفية نظيفة وأقل شئ يدنس النظيف

صحيفه	
٢٠١	فصل فى بعض المنتسبين بالمشايخ وأهل الارادة وفيه الكلام على الزعيلة وغيرهم من أهل البدع
٢٠٦	فصل فى ادعاء المشيخة ممن ليس من أهلها
٢٠٧	فصل فى أخذهم العهود على الناس
٢٠٧	فصل فى تعليق السبحة فى العنق وما فيها من المنهيات
٢٠٨	فصل فى المبالغة فى أخذ العهود حتى

صحيفه	
	ادعوا أن الشيخ له التصرف فى مال المريد الخ وغير ذلك من البدع
٢١١	فصل فى أحوال المعتقدين فى هؤلاء المشايخ
٢١٣	فصل فى مكاتبة الفقير لاخيه
٢١٤	فصل فى صرف همم المريد كلها الى أمور الآخرة
٢١٤	فصل فى ذكر شئ من أحوال النبى صلى الله عليه وسلم

﴿ تمت ﴾

﴿فهرست الجزء الثالث من كتاب المدخل لابن الحاج﴾

صحيفه		صحيفه	
٢	فصل فى المحتضر وما يتعلق به من تلقين وغسل ودفن وما فى ذلك من البدع	٥٩	فصل وينبغى له ان يكثر السير بالليل الخ
٢٥	فصل فى تهيئة طعام لاهل الميت وما فيه من البدع	٥٩	فصل فيما يقوله عند ركوب الدابة
٢٩	فصل فى النفاس والقابلة والمولود وما فيه من المحدثات	٥٩	فصل وينبغى له ان لا يسلك بنيات الطريق الخ
٣٣	فصل فى التحذير مما يفعله القوابل والكلام على العقيقة	٦٠	فصل وينبغى ان لا يستصحب معه جرسا ولا كلبا
٣٦	فصل فى الختان وما يتعلق به	٦٠	فصل فى التحذير من أفعال يفعلونها
٣٦	فصل فى صنعة الفلاحة وفيه الحث على كسب الحلال	٦٠	فصل وينبغى له اذا دخل بلدا أو قابلها أن يقول اللهم الخ
٤٠	فصل فى الغراسة وما يتعلق بها من الاجارة	٦٠	فصل وينبغى له اذا جاء الى حل الرحل وشده ان يسمى الله الخ
٤٠	فصل فى القزازة وما فيها من البدع	٦٠	فصل فيما يقوله اذا جنه الليل
٤٣	فصل فى القصارة وما فيها	٦١	فصل فيما يقوله اذا استصعبت عليه الدابة
٤٥	فصل فى الخياطة وما يتعلق بها	٦١	فصل ويستحب الحذاء فى السفر
٤٩	فصل فى تاجر البز وما أشبهه وبيان الغش فى ذلك	٦١	فصل فيما يقوله اذا سافر فى البحر
٥٤	فصل فى نية التاجر الذى يتجر من اقليم الى اقليم وفيه الكلام على الاستخارة والمشاورة وشروط المستشار وما فى ذلك من منثور الحكم وأقوال السلف	٦١	فصل وينبغى له أن يكثر من الدعاء فى سفره لنفسه الخ
٥٨	فصل وينبغى له أن يوسع على نفسه الخ	٦١	فصل وينبغى له أن لا يترك شيأ من الاوراد التى كانت له فى الحضر وغير ذلك
٥٨	فصل وينبغى أن لا يشارك غيره فى الزاد والنفقة والدابة	٦٢	فصل ولا يركب فى البحر فى الفصل الذى يخاف عليه فيه الخ
٥٨	فصل ويتعين عليه أن يظهر لصاحب الدابة ما يحمل عليها الخ	٦٢	فصل ويتعين عليه ان لا يسافر الى بلاد الكفار
٥٨	فصل وينبغى له أن يكون سفره غدوة النهار	٦٢	فصل وينبغى زيارة العلماء وغيرهم فى البلاد المتوجه اليها
٥٨	فصل وينبغى له أن يصلى ركعتين قبل الخروج من منزله	٦٣	فصل وينبغى أن ينوى السياحة اذا خرج من منزله الخ
٥٩	فصل وينبغى له أن يقول ما يقوله اذا خرج من المسجد	٦٣	فصل وينبغى له أن ينوى فى سفره الخلوة عن الناس وفيه أقسام الاجتماع واخراج الصدقة
٥٩	فصل وينبغى له أن يتصدق قبل خروجه	٦٤	فصل فاذا وصل الى البلد التى اراده الخ
		٦٥	فصل ويتعين عليه اذا اشترى بثمن معلوم ان لا ينقص البائع شيأ

صحيفه	
٦٥	فصل فيمن يسأل البائع التأخير
٦٥	فصل وليحذر من تقليب السلعة على المشترى آخر النهار
٦٥	فصل وليحذر من كثرة الأيمان الكاذبة الخ
٦٦	فصل فى بيع السلع فى الخيش
٦٦	فصل فى التحذير من تقبيح السلعة فى عين المشترى الخ
٦٦	فصل فى التحذير من اشاعة أن السلعة معدومة الخ
٦٧	فصل فى التحذير من بيع السلعة فى بيت مظلم
٦٧	فصل فى التحذير مما يأخذه غلمان البائع ويسمونه هبة والتحذير من أخذ التوقيع ممن له الامر على أن يسامح له فى الطريق بالمظالم الخ
٦٧	فصل ومثل التوقيع ما يأخذونه من المظالم على أنه زكاة
٦٧	فصل فى التحذير من وضع الفلفل فى موضع ندى
٦٧	فصل فى التحذير من خلط الصمغ وغيره اذا ابتل بغيره
٦٨	فصل فى التحذير من مجن التمر هندى بالقطارة الخ
٦٨	فصل فى التحذير من اضافة ما يحسبه من الظلم الى السكراء
٦٨	فصل فى التحذير مما يفعله تجار القماش الاسكندرانى الخ
٦٨	فصل فى التحذير من خلط المسك البداوى بالعراقى الطيب
٦٨	فصل فى التحذير من التعامل بالفضة المختلفة البلدان
٦٩	فصل فى التحذير مما اذا أخذ منه ظلم يحسبه على الفقراء زيادة على ما سبق
٧٠	فصل وينبغى للتاجر أن يغتنم مجالسة الصالحين الخ
٧٠	فصل وينبغى له أن يبيع بالنقد مهما استطاع
٧٠	فصل ويتعين عليه ان لا يدفع الدراهم الزائفة الخ
٧٠	فصل وينبغى أن لا يكرم عنده مطالبة
٧٠	فصل وينبغى ان لا يكثر من الجلوس فى السوق الخ
٧٠	فصل ويودع اخوانه ومعارفه اذا أراد الرجوع لبلده
٧٠	فصل واذا وصل بلده فالسنة أن يرسل لأهله من يخبرهم
٧١	فصل فى ذكر بعض ما يحتاج اليه العطار من النبات
٧٢	فصل وينبغى له أن يكون هينا لينا فى بيعه الخ
٧٢	فصل فى التحذير من الحلف فى البيع والشراء
٧٢	فصل ومهما قدر أن لا يشترى بالدين فليفعل
٧٢	فصل وينبغى أن يرجح للمشترى الخ
٧٢	فصل وينبغى ان يحفظ على السلع الخ
٧٣	فصل فى القسم الثانى من العطارة
٧٣	فصل فى المحافظة على الصلاة فى وقتها
٧٣	فصل فى الزيادة على الموزون اذا شح وفيه ابحاث
٧٣	فصل فى منع شئ دون وزن الخ
٧٣	فصل وليحذر من المفاسد التى يفعلها بعضهم
٧٥	فصل فيما يتعلق بالسماسرة من الغش
٧٥	فصل فى نية الوراق الخ
٧٦	فصل وينبغى له ان يحذر من الغش فيما يحاوله
٧٦	فصل وليحذر من ان يشترى الورق من الوراقة حين كشف عوراتهم وفيه التحذير من خلط الورق الخفيف بالجيد والتحذير من اعمال الورق المكتوب

صحيفه	
٧٦	فصل ولا يترك أحدا من الصناع يكشف عورته
٧٧	فصل فى نية الناسخ وكيفيتها
٧٨	فصل فى اجتناب مماطلة الناسخ
٧٨	فصل فيما اذا أخذ نسخ الناس كثيرة
٧٨	فصل واذا سمع الاذان يترك ما بيده الخ
٧٨	فصل فى التحذير من نسخ المصحف بغير الرسم العثمانى
٧٨	فصل ولا ينسخ المصحف بلسان العجم
٧٩	فصل فى نية من يجلد المصاحف وغيرها
٧٩	فصل فى آداب يفعلها اذا جاء دكانه
٧٩	فصل فى اجتناب المفاسد التى تعتوره
٨٠	فصل ويتعين عليه نظر الورق الذى يبطن به الخ
٨٠	فصل ولا يجلد كتابا لأهل الاديان الباطلة
٨١	فصل ويتعين على طالب العلم التحذير من هذا حاله
٨١	فصل فى نية الابزارى الخ
٨١	فصل فى نية الزيات
٨٢	فصل ويتعين عليه أن لا يخلط الزيت الخ
٨٢	فصل فى تحسين نيته
٨٢	فصل فى التحذير من شراء الحلول التى عصرت الخ
٨٢	فصل ويتعين عليه أن لا يخلط السمن الخ
٨٣	فصل فى زيادة المشترى شيأ كما تقدم فى العطار
٨٣	فصل ولا يطأ بنعله الموضع الذى يبيع فيه الخ
٨٤	فصل فى نية الخضرى
٨٤	فصل فى بيع القلقاس
٨٤	فصل فى تحسين نيته والكلام على الطوافين
٨٧	فصل فى المزين وما يعتوره من المفاسد
٨٩	فصل فى التحذير من معالجة الطبيب والكحال الكافرين وما يتعلق بذلك من المباحث والحكايات
٩١	فصل وليتحرز على نفسه ومريضه الخ
٩١	فصل منه بزيادة على ما قبله
٩٣	فصل فى أحوال المريض وفيه أدوية تلقاها الشيخ ابن أبى جمرة فى المنام عن النبى صلى الله عليه وسلم والكلام على النشرة التى يعملها المعزمون والطاسة وغير ذلك
١٠١	فصل وينبغى للطبيب اذا أراد الخروج من بيته الخ
١٠١	فصل وينبغى أن لا يقعد مع الطبيب غيره الا لضرورة
١٠٢	فصل ويتأكد عليه أن يتأنى على المريض الخ
١٠٣	فصل وينبغى أن يكون عارفا بحال المريض الخ
١٠٣	فصل واذا تعذر عليه المريض فليسأل عن أبويه الخ
١٠٣	فصل وآكد ما عليه النظر فى القارورة
١٠٤	فصل ويتعين على طالب العلم ومن فيه أهلية تعليم الطب
١٠٤	فصل ويتعين على الطبيب أن يترك بعض من انغمس فى الجهل الخ
١٠٥	فصل فى الصدقة عن المريض
١٠٥	فصل فى وصية المريض
١٠٦	فصل فى الشراب الذى يستعمله المريض الخ
١٠٦	فصل واذا طلب المشترى أوقيتين من شرابين مختلفين الخ
١٠٧	فصل ويتعين اقامة من يتعاطى الطب من أهل الكتاب الخ
١٠٧	فصل واذا قدم الشراب عنده الخ
١٠٧	فصل ويمنع حضور غير من له حاجة عند

صحيفه	
	الشرابى
١٠٧	فصل فى نية الشرابى زيادة على نية الطبيب
١٠٧	فصل فى طبقات الناس عند الشرابى
١٠٨	فصل وينبغى للشرابى والطبيب أن لا يأتيا المريض الخ
١٠٨	فصل فى عيادة الطبيب والشرابى للمريض
١٠٨	فصل وينبغى للشرابى أن لا يترك الصبى يبيع الخ
١٠٨	فصل ويحافظ على الصلاة الخ
١٠٨	فصل ويتحرز من الغش فى الاشربة
١٠٨	فصل فى شراء الشراب من قاعات الشرابى
١٠٩	فصل فيما يفعل فى مطابخ الاشربة
١٠٩	فصل اذا كسر صحيح الفندو جعل فى الجفان بعد طبخه
١٠٩	فصل فى الخابية التى يطبخ فيها السكر
١١٠	فصل فى القطارة الطبية
١١٠	فصل فى الترنيق
١١٠	فصل فى السكر العال
١١٠	فصل فى قطر النبات
١١٠	فصل فى غش السكر الابيض بالاحمر
١١١	فصل ولا حجة لمن يدعى من أصحاب المطابخ الخ
١١١	فصل فى ذكر الطاحون وما يتعلق بها
١١٢	فصل ويمنع مشى الصناع حفاة الخ
١١٢	فصل فى أن السلف كانوا لا يخلون الدقيق
١١٣	فصل وينبغى أن يرفق بالدابة
١١٣	فصل فى التحذير من خلط دقيق الناس وما فى ذلك من الحكايات والمباحث
١١٥	فصل واذا وزن طحين انسان ونقص الخ
١١٥	فصل ويتعين على صاحب الطاحون التحفظ من شرائه القمح بثمن معلوم ويعطى بدله دقيقا مقسطا
١١٥	فصل ويتعين على صاحب الدقيق أن يبين القديم الخ
١١٥	فصل فى التحذير مما يفعل اذا خرجت الدواب للربيع الخ
١١٦	فصل ويتعين على المسلم عدم شراء الدقيق من طواحين أهل الكتاب
١١٦	فصل وينبغى أن يكون صبى الطحان أمينا الخ
١١٧	فصل ويتحرز من تبديد القمح الخ
١١٧	فصل ويتعين على المكلف أن لا يحوج أهله الخ
١١٧	فصل فى الفران وما يتعلق به
١١٨	فصل ويتعين عليه أن يحترز على الخبز الخ
١١٨	فصل فى الخبز فى فرن خبز العلامة
١١٩	فصل فى اختلاس الفران الرغيف والرغيفين
١١٩	فصل فى التحفظ على الدقيق الخ
١١٩	فصل فى منع اجتماع البنات الابكار الخ
١١٩	فصل وينبغى أن يخبز لمن سبق أولا فاولا
١١٩	فصل فى الخبز نقدا ومشاهرة
١٢٠	فصل فى الاشتغال بالخبز والناس فى صلاة الجمعة
١٢٠	فصل فى سؤال الفران عن أحوال الناس
١٢٠	فصل ويتعين عليه أن لا يدور على البيوت الخ
١٢٠	فصل فى الخباز الذى يعمل الخبز فى السوق
١٢٠	فصل واذا اشترى دقيقا قديما الخ
١٢٠	فصل فى زجر الصناع عن تبديد القمح زيادة على ما سبق
١٢٠	فصل فى منع العجن بماء الآبار المالحة
١٢٠	فصل فى خلط الدقيق بنحو الكركم
١٢١	فصل فى التحرز على الماء العذب الخ
١٢١	فصل فى منع الصناع من الوضوء من الماء المعد للعجين

صحيفة	
١٢١	فصل و يتعين طهارة مايجعل تحت العجين
١٢١	فصل فى التحفظ على الماء الذى يغسل فيه الصناع أيديهم
١٢١	فصل فى التحذير من بيع الخبز من قبل أن ينضج
١٢١	فصل ولايسمع الفران من صاحب الخبز ماتقدم قبله
١٢١	فصل ويتعين على الفران أن لايحرق فى الخبز الخ
١٢١	فصل فى ذكر السقاء ونبته ومايعتوره من المفاسد
١٢٢	فصل وينبغى أن لاينقص الراوية أو القربة
١٢٢	فصل واذا كانت الراوية والقربة جديدة الخ
١٢٢	فصل و ينبغى أن يجعل على الراوية غطاء طاهرا الخ
١٢٣	فصل وينبغى أن يمشى بالجمل مشيا متوسطا
١٢٣	فصل فى منع بيع القربة أو اكثر منها أوهبتها
١٢٣	فصل فيما اذا ربط فم القربة ربطا خفيفا
١٢٣	فصل فيما اذا كان فى القربة خرق
١٢٣	فصل و يتعين عليه أن يطرق براسه الخ
١٢٣	فصل و يتعين عليه أن يتولى ذلك بنفسه الخ
١٢٣	فصل ولايسكب الماء فى بيت فيه امرأة الخ
١٢٤	فصل واذا كان فى البيت من يتبرج من النساء
١٢٤	فصل و يتعين على صاحب البيت أن يتولى الوقوف الخ
١٢٤	فصل فى اتخاذ السقاء صبيا أمينا
١٢٤	فصل وليحذر الصبى من بيع القربة الخ
١٢٤	فصل فى التحذير من الادلال على بعض البيوت الخ
١٢٤	فصل فى اعطائه النقد والمشاهرة
١٢٤	فصل و يتعين عليه أن تكون يداه سالمتين الخ

صحيفة	
١٢٤	فصل فى بيع القربة أو بعضها أوهبتها بزيادة على ماسبق
١٢٤	فصل فى منع السقاة من الليالى التى يعملونها فى القرافة
١٢٤	فصل وليحذر مما يفعله بعضهم من المشاتمة الخ
١٢٥	فصل فى التحذير من عدم الصلاة الخ
١٢٥	فصل فى صلاتهم على النبى صلى الله عليه وسلم فى مشيهم الخ
١٢٥	فصل فى القصاب ومايتعلق باحكام الذكاة
١٢٦	فصل وينبغى غسل اللحم الذى بالسوق
١٢٦	فصل فى غسل البطون
١٢٦	فصل و يتعين على الجزار أن لايخاط لحما الخ
١٢٦	فصل واذا كانت الذبيحة قليلة الشحم الخ
١٢٧	فصل فى منع الذبح فى موضع مستدبر الخ
١٢٧	فصل و يتحفظ على صلواته
١٢٧	فصل فى ذكر الشرائحى ومايتعلق به
١٢٧	فصل فى التحذير من ترك القدور مكشوفة الخ
١٢٨	فصل و ينبغى للمكلف أن لايطبخ عند الشرائحى
١٢٨	فصل فى شروط صبى الشرائحى
١٢٩	فصل فى ذكر الطباخ الذى يبيع فى السوق
١٢٩	فصل فى بيع اللحم السميط
١٢٩	فصل فى الطبخ فى قدور البرام المشعوبة
١٢٩	فصل فى شراء مرقة الطعام
١٣٠	فصل فى ذكر اللبان ومايتعلق به
١٣٠	فصل فى التحذير من صبغ الزبد والسمن
١٣٠	فصل فى التحذير من عدم تغطية أوانى اللبن
١٣١	فصل فى غسل أوانى اللبن
١٣١	فصل منه بزيادة
١٣١	فصل فى ذكر البناء ومايتعلق به
١٣١	فصل و يتعين على الصانع النصح
١٣٢	فصل واذا كان الموضع يحتاج الى مؤنة

FD.37.2

صحيفه	
	كثيرة الخ
١٣٢	فصل و يتعين عليه اذا كان العمل مما يعمل بالطين
١٣٢	فصل و يتعين عليه النصح فى عمله بزيادة
١٣٢	فصل ولا يأخذ للبناء الامن كان معروفا بالدين
١٣٢	فصل واذا كان صاحب العمل حاضرا نصحوا الخ
١٣٢	فصل فى التحذير من الابطاء كثيرا عند الاكل
١٣٢	فصل فى تحذفقاهم على الصلاة
١٣٣	فصل فى الصانع
١٣٣	فصل ولا يتحدث مع امرأة الخ
١٣٣	فصل و يتعين عليه أن لا يعمل صورا
١٣٤	فصل فى التحذير من بيع الفضة بالدراهم المغشوشة
١٣٤	فصل فى ذكر الصبر فى وغيره
١٣٤	فصل فى ذكر بعض ما يعتور الحاج فى حجه
١٣٦	فصل وهذه العبادة افترضها الله الخ وفيه ابحاث مطلوبة
١٤٢	فصل وآكد ما عليه معرفة ما يلزمه فى حجه
١٤٣	فصل فى السنن الموجبات للدم
١٤٣	فصل فى فضائله
١٤٣	فصل و يختص الحرم بخمسة أقسام
١٤٣	فصل قال زيد بن أسلم الحرمات خمس الخ
١٤٣	فصل فى اغتسالات الحج
١٤٣	فصل الاحرام بالحج يمنع خمسة عشر شيأ
١٤٣	فصل وطواف الحج ثلاث
١٤٣	فصل والجمار ثلاث
١٤٣	فصل والرمى أربعة أيام
١٤٣	فصل والهدى ثلاث
١٤٣	فصل يؤكل الهدى كله الخ
١٤٣	فصل يجب الجزاء على المحرم الخ
١٤٤	فصل فى التمتع بالعمرة الخ
١٤٤	فصل فى التحذير من رفع الصوت بالتلبية الخ

صحيفه	
١٤٤	فصل فى التحذير من الاحرام بالحج والمحامل والهجف مستورة
١٤٤	فصل فاذا وصل مكة وأشرف على البيت الخ
١٤٥	فصل فى التحذير من تقبيل الحجر ثم يطوف الخ
١٤٥	فصل وليحذر أن يطوف من داخل الحجر الخ
١٤٨	فصل فاذا دفع من عرفة بعد غروب الشمس الخ
١٤٩	فصل و ينبغى له أن يحيى ليلة العيد الخ
١٤٩	فصل و ينبغى له أن يصلى الصبح بالمزدلفة الخ
١٥١	فصل والافضل أن يأتى بطواف الافاضة الخ
١٥٢	فصل فى زيارة النبى صلى الله عليه وسلم وفيه الكلام على المجاورة بالمدينة والسفر الى المسجد الاقصى الخ
١٥٧	فصل فى صلاة الرغائب وما فيها من الابحاث الرائقة
١٧٤	فصول متفرقة جامعة لما ان شتى
١٧٥	فصل واذا دخل المكلف فى عمل من أعمال الآخرة الخ وفيه الكلام على رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام
١٧٩	فصل واذا كانت الرؤيا على ما تقدم من التفصيل وفيه ابحاث
١٨٠	فصل فى تربية الاولاد ومشيهم على قانون الشريعة
١٨٢	فصل فى ذكر الكسب وكيفية ما يحاوله المرء فى ذلك
١٨٣	فصل فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم أنتم فى زمان الخ
١٨٥	فصل فى ذكر محاسبة النفس
١٨٦	فصل فى كيفية النظر الى المسلمين الخ ويليه دعاء ختم الكتاب

﴿ تمت ﴾

FD



Date Due

DUE DATE
FEB
FOREST LIBRARY
CIRCULATION
NOV 3

Demco 38-297